جون فاولز



جامع الفراشات

رواية

ترجمة

عبدالحميد فهمي الجمال

طوى
للثقافة والنشر والإعلام

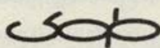
جـون فـاولـز

جامع الفراشات



ترجمة

عبدالحميـد فهمـي الجمّـال



للثقافة والنشر والإعلام

جون فاولز: ولد في قرية قريبة من لندن عام ١٩٢٦، درس الأدب الفرنسي في نيوكوليج بجامعة «أكسفورد» وعرف برحلاته المتعددة. كتب الرواية والدراسة الفلسفية ودائما هناك في أعماله فكرة فلسفية تدور في الأفق. من أبرز رواياته «جامع الفراشات» ١٩٦٤ تصدر عن طوى للثقافة والنشر والإعلام ٢٠١٥ و«الساحر» تصدر عن طوى للثقافة والنشر والإعلام ٢٠١٥ و«المجوسي» ١٩٦٦ و«عشيقة الضابط الفرنسي» ١٩٦٩ و«دانييل مارتن» ١٩٧٢ و«المخلوقة» عام ١٩٨٦. يميل فاولز إلى الخروج من الأجواء التقليدية التي اعتادها القارئ ليقدم له نفس الوجوه المألوفة التي يراها كل يوم مصبوغة بصبغات غريبة في سلوكها وأشكالها. تتميز رواياته بأنها ضخمة الحجم بشكل ملحوظ ولعل «جامع الفراشات» أصغرها حجماً.

Book: Jamea Alfrashat

الكتاب: جامع الفراشات

John Fowles

ترجمة: عبدالحميد فهمي الجمّال

Translated By: Abdulhameed Aljammal

First Edition: 2015

الطبعة الأولى ٢٠١٥



للثقافة والنشر والإعلام

طوى للثقافة والنشر والإعلام - لندن

TUWA MEDIA & PUBLISHING LIMITED

19 TANFIELD AVENUE, LONDON, NW2, UNITED KINGDOM

Tel: 009662108111 - 00966505481425

Email: Tuwa.pub@gmail.com

التوزيع: منشورات الجمل

تلفون وفاكس: ٣٥٢٣٠٤ - ٠١ - ٠٠٩٦١

E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

ISBN 978-9933-35-210-3

قبل أن تقرأ

تتناول رواية «جامع الفراشات» قصة موظف كتابي يكسب مبلغ ٧٣ ألف جنيه إسترليني في مقامرة على مباراة لكرة القدم. وبعدئذ يقوم باختطاف طالبة في كلية الفنون الجميلة ويسجنها في البدروم بمنزله إلى أن تلفظ أنفاسها الأخيرة وتموت. وهذا الموظف الكتابي ليس له أصدقاء على الإطلاق وليست لديه مشاعر عميقة وقوية إزاء أي شيء، كما تنقصه روح الفكاهة والمداعبة علاوة على أنه لا يبدي أية قوى جنسية. كما أن لغته تتسم بأنها لغة جافة ومبتذلة، علاوة على أنه قد حصل على قسط من التعليم الرديء بالمدارس مما جعل أفكاره تافهة وجعله غير قادر على إدراك أي شيء يقع إلى ما وراء نزواته. وهو لم يسبق له أن قام بالإدلاء بصوته في الانتخابات كما لم يسبق له أن مارس الجنس على الإطلاق، علاوة على أنه لم يسبق له أن عاش بعيداً عن منزله باستثناء الفترة التي أمضاها في الخدمة العسكرية. وهو لديه فكرة سيئة للغاية عن نفسه مما جعله لا يحاول الارتقاء بنفسه أخلاقيّاً أو ثقافياً أو روحيّاً.

وانطلاقاً من هذه الفكرة البسيطة نجد أن جون فاولز يصور لنا في رواية «جامع الفراشات» ـ التي تعتبر من أفضل الروايات التي ظهرت في الأدب الحديث ـ جوانب الرجل الذي يتسم بالشخصية الضعيفة؛ فهو يصف لنا ضعف فرديناند كليج وتأثير ذلك على الناس الآخرين ويتناول

الحقائق التاريخية والسيكولوجية التي أدت إلى ظهور هذا الضعف في شخصية كليج، فهو ليس لديه ما يقدمه للآخرين وذهنه يخلو من أية معلومات مفيدة.

وبمجرد أن يتكمن كليج من إلقاء القبض على ميراندا يبدأ القارئ في الخوف عليها، وتتحقق أسوأ المخاوف لدى القارئ..

ويحتفظ كليج بميراندا لمجرد الاحتفاظ بها أسيرة لديه، وهو يرغب في مدّ فترة بقائها في السجن إلى أطول فترة ممكنة. وتسير الأحداث بعد ذلك في سلاسة بدون إقحام للنتائج.

ولذلك كانت الرويات المشهورة مثل رواية «روبنصون كروزو» ورواية «آلهة الذباب» لا تبتعد عن الواقعية، فإننا نجد أيضاً أن رواية «جامع الفراشات» تحقق النجاح بسبب الرؤية الواردة بها وبسبب صدقها إزاء الدوافع البشرية علاوة على ما تتميز به من تكنيك قصصى بارع.

وتشير رواية «جامع الفراشات» إلى حقيقة إحصائية وبيولوجية وهي أن الناس الخلاقين المبدعين المتميزين يكونون دائماً أقل عدداً من الناس الآخرين الخاملين الذين تنقصهم الرغبة في الإنتاج وإنجاز الأعمال. ومن هنا تشكل الأكثرية العددية ضغوطها على الأقلية. وفي هذا الصدد يقول جون فاولز: «إن ما أحاول قوله في رواية «جامع الفراشات» هو أنه في المجتمعات التي تسيطر عليها الأكثرية العددية من الناس نجد أن الأقلية العددية تتعرض لأخطار الاختناق على أيدي الأكثرية. وهذا هو السبب في أن الأكثرية تبدو دائماً مثل طاغية رهيب مستبد».

ويعتقد جون فاولز أن التصدع البيولوجي القوي بين الأقلية والأكثرية هو تصدع يتجاوز الحدود التي أشار إليها هراقليطوس؛ فهناك قوى

وعوامل مثل الفرصة والوراثة والبيئة تدعَم هذا التصدع. وغالبا لا يكون بمقدور المرء أن يختار ما بين الانتماء للأقلية والأكثرية، بل ولا تكون هناك دائماً فروق واضحة تحدد المعالم ما بين الأقلية والأكثرية، فكل شخص توجد في داخل كيانه صفات تتعلق بكل من الأكثرية والأقلية.. ومن هنا نجد أن كلاًّ من كليج وميراندا يظهران في بعض الأحيان ـ على الرغم من أنهما لم يتبادلا الأدوار على الإطلاق ـ خصائص مميزة أكثر للموقف المضاد من الموقف الخاص بهما. وهناك تَعَمُّد في في إظهار عدم التوافق هذا لأنه من شأنه أن يعطي بعداً إنسانيا للصدام بين كليج وميراندا علاوة على أنه يعطي لأحداث الرواية طابعا أخلاقيّاً واقعيّاً.

ورغم أن كليج ليس من العمال الذين يعملون في المصانع فإنه ينتمي للطبقة العاملة، ومن ثَمَّ فهو يقع في بعض الأخطاء التي تقع فيها عادة الطبقة العاملة، فهو يشعر بالاستياء إزاء الناس الذين يتمتعون بقدر أكبر من التعليم أو الأموال. وهو أيضاً لا يستخدم الحرية الممنوحة له استخداماً جيداً، وهو عندما يكسب أموالاً طائلة لا يستخدم من داخل كيانه أسوأ الخصال والصفات التي كانت كامنة في داخله... فهو يحتفل بمناسبة فوزه في المقامرة على كرة القدم. ولكي يرفع من روحه المعنوية فإنه يذهب إلى مومس ولكنه يشعر بعجزه وعدم مقدرته على ممارسة الجنس، بل ويشعر بالمزيد من الاكتئاب. وتجتاح كيانه التأثيرات المفسدة الناجمة عن كثرة الأموال لديه، ثم يترك وظيفته نهائيّاً ويقطع كل روابطه وعلاقاته الشخصية، وبعدئذ يقوم بشراء كاميرا لها عدسات تمكنه من التصوير من مسافات بعيدة ويستخدمها في تصوير لقطات تتسم بالإثارة الجنسية ويشعر بالنقص الشديد من حيث النواحي الاجتماعية والجنسية. وتبدو عليه التنفجية بشكل واضح ـ والتنفجية هي مشاعر الكراهية للناس الذين هم أدنى منه اجتماعيّاً وثقافيّاً مع التطلع

والتشبه بالناس الذين هم أعلى منه من حيث الطبقة الاجتماعية ـ وبعدئذ يقوم بخطف ميراندا.

لا شيء من الأعمال التي يقوم بها تتميز بالحرية، وما يريده يتصارع دائماً مع ما يفعله. وهو يجد نفسه دائماً يقف ضد رغباته واهتماماته ومباهجه، وهو لا يفهم أبداً سلوكه فهماً جيّداً وعلى نحو يعينه على تغيير سلوكه. فهو كان قد رغب في الحصول على منزل جديد ومع ذلك نجده يشتري منزلاً قديماً، وهو يقول لميراندا «إنه على استعداد لأن يفعل أي شيء من أجل التعرف على جوانب شخصيتها وإدخال السرور عليها ومن أجل أن يصبح صديقاً لها» ومع ذلك فإن احتجازها عنده يحطم كل هذه الآمال. وهو منذ البداية يعتبر واقعاً في الفخّ: فأي شيء يفعله يتضح له أنه عمل خاطئ.. وهذا الفشل يظهر بوضوح في أول محادثة له مع ميراندا. وهو يستعيد الأحداث قائلاً: «لقد كان ذهني سريعاً ومعقداً تماماً في ذلك الصباح» ولكنه يتعرض بسهولة للتكدير والانزعاج للهزائم المتكررة، حيث يقول في الصفحة التالية: «وكنت أدرك أن ما قلته كان مشوشاً ومتسماً بالاضطراب». وحقيقة أن ميراندا التي تعرضت للتخدير والاختطاف أخيراً أصبحت تعآني من المرض والصدمة النفسية تزيد من شعور كليج باحتقاره لذاته مما يجعله ينكمش في ذعر وألم بسرعة كبيرة.

فرديناند كليج قد انعزل تماماً عن المجتمع لفترة طويلة حتى إنه عندما يشاهد فتاة جميلة يشعر بالخجل والارتباك وبعدئذ يقوم بقتلها. فهو ينقصه الرضا عن النفس وينقصه الذكاء والمعلومات اللازمة لإقامة علاقات إنسانية سوية. وهو نتاج نجم عن الرأسمالية، حيث يصرخ بصوتٍ عالٍ قائلاً لميراندا: «اذكرى لي الأشياء التي تريدينها، فأنا على استعداد لأن أشتري لك أيّ شيء» وكلامه يدل على أنه يؤمن تماماً بأن

النقود هي التي تحلّ جميع المشاكل، فنقوده قد خلقت مجتمعاً كاملاً متقناً، إذ يلبي كل احتياجاته ولا وزن ولا أهمية لرأي أي فرد آخر، ولكنه هو وميراندا يشعران بالضيق والضجر إلى أبعد الحدود لأن المجتمع الخاص به هو مجتمع غير طبيعي. وبوجه عام لا تشكل رواية» جامع الفراشات «هجوماً على الرأسمالية؛ فالتنوع والراحة اللذان ينجمان عن وفرة النقود لهما تأثير وأهمية كبيرة إلاً أنه ينبغي اقتسامهما مع الآخرين وعدم اكتنازهما.

والخلفية الاجتماعية لكليج تدل على أنه ليس مسئولاً مسئولية كاملة عن جرائمه؛ فلا شيء من بين القوى والعوامل التي دفعته لاختطاف ميراندا قد جعله مستعداً لكي يتعامل معها، بل إن معظم هذه العوامل هي عوامل تقع بالفعل خارج نطاق سيطرته، مثل جيناته الموروثة وطبقته الاجتماعية وتعليمه الرديء. وهو يعاني ما يسميه جون فاولز بـ «عقد النقص أو شعور المرء بأنه عديم الأهمية Pawn Complex فهو ليس لديه إحساس بالأهمية وفرديته معرضة للتهديد. وفي رواية «أرستوس» نجد أن جون فاولز قد أطلق على هذا النوع من الشعور بالقلق اسم النيمو Nemo أو «شعور المرء بأنه نكرة وعديم الأهمية وتافه للغاية» وينجم عن هذا قيام المرء بمقارنة نفسه بالآخرين على نحو سلبي وضار. والضغوط الاجتماعية التي تمارس بمعرفة النيمو قد حطمت الدور الذي يقوم به كليج من حيث هو مكتشف أو مغامر. وتعمق هذا الاتجاه في كيان كليج منذ عام ١٩٤٥ فأصبح إنسانا ضعيف الشخصية ولا يعرف كيف يتلاءم مع العمق أو التفرّد؛ مما جعله في نهاية الأمر شخصاً سخيفاً للغاية.

ومن العوامل التي جعلته قزماً منكمشاً ذلك المنزل الذي نشأ وتربى فيه.. فهو منذ أن كان ولَداً صغيراً نشأ في بيت لا يوجد به رجل بحيث يمكن له أن يتخذ منه مثلاً أعلى يحتذي به أو يتواءم معه. وعدم توافر

هذا النفوذ الصحي في داخل بيته قد جعل منه إنسانا ملتوياً غير سوي وخاصة بالنسبة لاتجاهاته نحو النساء. وهو يشعر بالاستياء نحو خالته آني ونحو ابنتها المعوقة التي تسمي مابيل بسبب تملقها السخيف له على نحو غير طبيعي. كما يشعر أيضاً بالاستياء من والدته بسبب نزوعها إلى حياة التشرّد والعيش في أماكن مختلفة، كما أنه يتعلم كيف يستاء من الناس الطيبين وهو أمر ناجم عن الروابط الضعيفة التي تربط أفراد أسرته بالكنيسة، ولذلك نجده عقب إرساله لخالته وبنت خالته إلى أستراليا يصبح متفرغاً لكي يصب غضبه الهائل الاجتماعي والجنسي على ميراندا.

وهو يقول لميراندا إنه لم يتعرض للعقاب أبداً عندما كان تلميذاً بالمدرسة، وهو دائماً ما يتخذ طابع الشخص البائس الحقير. ومع ذلك فإن الشيء الوحيد الذي جعله مقبولاً بعض الشيء كطفل وكشاب صغير هو الغموض الخاص به... وتبذل ميراندا محاولات ولكنها لا تستطيع أن تجعله يرتفع بعقليته المتسمة بطابع القذارة والرذيلة، فهو لا يستطيع أن يتوافق مع شخصيتها المتفردة من حيث هي إنسانة ومن حيث هي عقلية ووسيلة للاتصالات، فجمالها الآسر الجذاب يصيبه بالارتباك والحيرة في بادئ الأمر ثم يفجر مشاعر الغضب في داخله فيما بعد، وكان احتقاره لنفسه هو الذي يسدّ قنوات الاتصال معها وربما كان خوفها الباثولوجي من الجنس ينبع من الطبيعة الديمقراطية للجنس، حيث نجد أنه عندما عرضت ميراندا نفسها عليه لكي يمارس معها الجنس فإن ذلك قد أدى إلى حدوث تصدّع كبير بينهما مما أدى بالتالي إلى اتساع الفجوة بينهما تماماً. وتتدهور العلاقة بينهما للغاية عقب حدوث هذه الواقعة: حيث تتصادم الدوافع على نحو مكشوف وصريح وتتصاعد العداوات ثم تموت ميراندا في فترة تقل عن شهر واحد.

لقد كانت الوسيلة الوحيدة التي تعينها على البقاء على قيد الحياة هي أن تتصرف وتسلك مثل إحدى الفراشات المسجونة مع مجموعة الفراشات الخاصة به.

وتقليله من النواحي الإنسانية الخاصة بها وتحويلها إلى مجرد شيء يخلو من الطابع الإنساني ينطوي على معنى سياسي، فكلما يقول جون فاولز في روايته «أرستوس» فإنه رأي الحرية ينبغي أن تحترم الحريات الأخرى: «إن جميع أنواع التشويه لحقوق الاختيار التي من شأنها أن تجعل الفرد سعيداً... هو أمر يتسم أساساً بالشمولية والاستبداد». وكليج لا يسمح لميراندا باختيار نوعية حياتها ناهيك عن اختيارها للمباهج والملذات الخاصة بها.. وعزله إياها عن العالم الخارجي يعتبر بمثابة الرقابة المطلقة التي توجد في الدولة الفاشستية.........

وفي المرة الوحيدة التي تقوم فيها بإلقاء نظرة على مجموعة الفراشات الخاصة به فإنها تؤنبه وتوبخه قائلة له.. بل إنك لا تدع أيّ شخص آخر يشارك معك في دراسة هذه الفراشات والاستمتاع بالنظر إليها. فأنت مثل شخص بخيل لأنك تدخر وتكتنز كل هذا الجمال وتضعه في هذه الأدراج» وجون فاولز يؤمن تماماً بأن القيم الإنسانية تنبع من التوتر المضاد. ولذلك عندما يقوم كليج بحرمان ميراندا من تعايش مبدأين متعارضين جنبا إلى جنب في آن واحد وهو التعايش اللازم للحياة السوية الطبيعية.... فإننا نجد أن إرادته هذه قد خلقت دائرة مغلقة يتعذر على أي شيء إنساني اختراقها. فهو بذلك قد جعل من نفسه المخلوق الحساس الوحيد الموجود في داخل دولته الكاملة المتقنة. ولأن لديه كل شيء فإن الاحتياج لا وجود له. ولأنه إنسان أناني وانعزإلى وغير نزاع إلى الاختلاط بالآخرين؛ فإننا نجد أن مملكته أو دنياه ليس بها مجتمع أو سياسات، فإرادته لها الطابع الشمولي المطلق ونهايته هي بدايته.

فاللحظات الأولى لميراندا كأسيرة عنده تشبه اللحظات الأخيرة لها، فهي إنسانة مستلقية على سرير خفيف نقّال بينما أنفاسها لاهثة ومتلاحقة. وعلى نحو حتمي نجد أن كليج يبحث عن فتاة أخرى لكي تحلّ محل ميراندا عقب وفاتها. وعندما يعرف أن الفتاة التي ستحل محلّ ميراندا تسمى «ماريان» فإنه يقول لنفسه» إنها م. أخرى وماريان هذه هي أقل ذكاء من ميراندا وأقل مقدرة على تعليم كليج بل وأقل تلاؤما مع الحياة كسجينة».

وعلى الرغم من الفوارق بينهما نجد أن الفتاتين تتعرضان لنفس المصير الأسود. فالاستبداد والفكر الشمولي لا يحترم الفوارق البشرية أو التفرّد الإنساني، بل إن نجاح الاستبداد يعتمد أساساً على محو وإلغاء الفوارق. فالاستبداد لا يمكنه أن يتسامح مع التفرّد ولا يمكن لأي دولة تقوم على نظام الحزب الواحد أن تظل على قيْد الحياة إذا سمحت بتوجيه الاستجواب لأهدافها وطرائقها ومناهجها، وتسقط ميراندا ضحية لنفس الضوابط التي تمارس بمعرفة الدولة البوليسية.

ونظراً لأن كليج قد وضع الترتيبات لنفسه لكي يقوم بدور السجان والقاضي ومنفذ أحكام الإعدام؛ فإنه بذلك يغلق كل الحلوُل الممكنة المتعلقة بالتفاوض معه. وهو بذلك يعبر تعبيراً دقيقاً عن اللااتصالات. وهو عقب انتقاله إلى منزله يقطع خط التليفون بمنزله ويغلق جميع الأبواب والبوابات بالقفل ويطردِ القسيس المحلي بوقاحة. وقبل إلقائه القبض على ميراندا كان يرغب في أن يرسل إليها ورقتين من فئة الخمسة جنيهات بدون أن يذكر اسمه بوصفه مرسل لهذه النقود، ولكنه لم ينف ذلك. وعقب إلقاء القبض عليه فإنه يرفض إبلاغ والديها بأنها مازالت على قيد الحياة ويرفض توفير راديو أو تليفزيون أو صحف أو مجلات ويكذب عليها بشأن قيامه بإرسال مائة جنيه كتبرع «لهيئة نزع السلاح

النووى» وهو يفشل إزاء النواحى الجنسية في حين أنه لم يتخاذل أو يضعف أبداً إزاء الروتين الذي يقوم به دائماً والمتعلق بإغلاق وفتح أبواب زنزانة ميراندا في أثناء الزيارات التي يقوم بها، بل والأغرب من ذلك أنه يقوم بإغلاق الباب عليها بالترباس حتى عقب وفاتها. فأي شيء من شأنه أن يضع الحواجز بين الناس يلقى كل الترحيب منه... ونفوذ كليج وسيطرته على ميراندا هو نفوذ شامل للغاية حتى إنه يحرم ميراندا من النواحي الطبيعية، مثل حرمانها من استنشاق الهواء الطلق والتعرض لأشعة الشمس. وهما أمران ضروريان من أجل الكائنات الحية. وهذا النفوذ الشامل في حدّ ذاته يحطم المتعة لدى كليج لأن حريته وراحته العامة تتضاءلان تدريجيّاً كلما تزايد حجم نفوذه الشامل. فالنفوذ الشامل يخفف من حدة سيطرته على حقائق الحياة.

وعلى نحو مضاد لما يهدف إليه نجد أن الحالة البوليسية التي يفرضها كليج من خلال سلب حقوق ميراندا تسبب الإعاقة له وهو القائم بدور الطاغية أكثر من ميراندا، ولأنها تقاومه فإنه يجب أن يكبح جماحها، ونتيجة لذلك فإنه يحرم نفسه من مصدر حي للقيم الإنسانية. فبدلاً من أن يتعامل معها بصراحة نجده يلجأ إلى الكذب، وهو إما أن يغير موضوع الحديث أو ينصرف بعيداً عنها كلما أثارت موضوع الحرية الخاصة بها. وكل الحالات الطارئة المتعلقة بصحتها تنجم عنها نفس ردود الفعل ـ ألا وهو عدم اتخاذه أي إجراء، وهذا هو نفس موقف الفاشستية الحديثة، فهو بذلك يدمرها بدلاً من أن يقوم بمراجعة العقيدة الخاصة به، ومن هنا يمكن القول إنه يتخذ طابع السجين أكثر منها...... ومرة أخرى نقول إن هذا الإنكار أو الرفض للتفاعل، بين ميراندا وكليج يجعل حياتهما سويّاً بمثابة دائرة مغلقة، فلا شيء جديد يمكن أن ينجم عن لقائهما مع بعضهما البعض. والفشل الجنسي لدى كليج هو نتيجة

طبيعية ومنطقية لانحرافه التدريجي نحو الموت الخاص به، فممارسة الجنس الذي هو أمر طبيعي يشارك فيه جميع الناس، هو أمر غير متاح بالنسبة له ومن ثم يمكن القول إنه غير قادر على إجراء أية اتصالات سواء أكانت اتصالات ذهنية أم حسية، وبذلك نجد أن العنف وعدم اتخاذ إجراء عملي هما فقط بمثابة ردود الفعل المتاحة أمامه؛ ولذلك فقد قيل عن رواية «جامع الفراشات» إن بها منطقاً صارماً. فالطابع الإنساني لدى ميراندا يظل يتدفق في تفجّر وانتشار بحثاً عن اتصالات دافئة. ونظراً لأن هذه التفجرات والتدفقات تتعارض مع رغبات كليج فإنه لا يكون أمامه سوى أن يقتلها.

ولقد أشار جون فاولز في عام ١٩٧٠ إلى أخطار النظام الشمولي الاستبدادي القائم على الجمْع أو السيطرة على الأفكار، حيث قال: «إن أي شخص لا يقوم بجمع (أي يقوم بقتل) مجال من مجالات الحياة الحية لمجرد المتعة أو الغرور تكون لديه كل الخصال التي يتميز بها قائد معسكرات الاعتقال» وبعدئذٍ نجد أن جون فاولز يسمي عملية الجمع أو السيطرة على الأفكار بأنها هواية «متسمة بالنرجسية والطفيلية»، ولذلك فإن القتل والجمع وممارسة النفوذ يكون دائماً مستمراً وقابلاً للتبادل، بمعنى أنه يمكن وضع أحدهما أو استعماله في مكان الآخر.

وكليج ومجموعة الفراشات الخاصة به يلوثان التراث البريطاني. فهو يتلف «بيته القديم المحبب للنفس» من خلال استخدامه لديكورات شنيعة وأثاث بشع. وهنا تقول له ميراندا: «أي منزل قديم هنا يكون له روح أو نفس» وذلك بعد أن تضايقت لدى رؤيتها أثاث وتجهيزات المنزل المبهرجة الخالية من الذوق الفني السليم. وإن كليج يدنس ويشوه التراث من خلال قيامه بإغلاق منزل من المنازل الأثرية القديمة التي

تعتبر جزءاً من التراث علاوة على تحويله المحراب الخاص بهذا المنزل إلى سجن.

ولكن لماذا ينبغي له أن يقلق إزاء تحطيم التراث؟ وما الذي فعله التراث له لكي يرغب في حمايته؟ وهو لم يتعلم احترام القانون لأن القانون لم يحترمه بالقدر الكافي وعلى النحو الذي يسمح بتعليمه بطريقة سليمة. ومشكلته هي مشكلة عالمية؛ فالمساواة الاجتماعية والعدالة لا يمكن لهما أن ينبعا من الممتلكات المادية. فالأمر يستلزم أولاً وقبل كل شيء حدوث إصلاح في مجال التعليم.

والمواجهة التي حدثت بين ميراندا وكليج توضح لنا بالتفصيل الحاجة إلى ضرورة حدوث إصلاح في مجال التعليم. فكون المرء ينتمي إلى الأقلية ينبغي ألا يؤدي إلى التعالى بقدر ما يؤدي إلى الشعور بالمسئولية إزاء ضرورة تعليم ومساعدة الأكثرية. وموتها المادي وكذلك موته المعنوي يعبران عن الصعوبة التي تكتنف الاستفادة من المسئولية. وأقوال ميراندا تعبّر عن الاعتراضات ذات الطابع الإنساني التي يسوقها جون فاولز، كما تعبر عن اهتمام جون فاولز الشديد بضرورة تحقيق الإصلاح التعليمي.

ويقوم جون فاولز بإدخال مذكرات ميراندا (الجزء الثاني) عقب تعرضها لنوبة من البرد. ويستمر الجزء الثاني إلى حلول الوقت الذي تصاب فيه بالهذيان. ولا توجد فترة زمنية تفصل بين الجزء الأول وبين نهاية الجزء الثاني وبداية الجزء الثالث حيث يستأنف صوت كليج الكلام مرة أخرى. والفوارق في الأسلوب بين الاثنين هي فوارق مذهلة؛ فأسلوب كليج يتميز بأنه حاد وأجوف وتقليدي. أما أسلوب ميراندا فإنه يعبر عن طبيعتها الفنية علاوة على روح الودّ والرغبة في الاختلاط مع

الآخرين، وأسلوبها يشع بالألوان والأصوات، وهي تستخدم لغة شبيهة بلغة الرسم والطلاء بالألوان على لوحة استكشاف. وعباراتها الغنائية تتماسك من خلال ترابط متسم بالحرية. وهي أحيانا تستخدم فقرات تتكون من كلمة واحدة.

على الرغم من أن مذكراتها تكرر نفس الأحداث التي رواها كليج فإنه لا يمكن لنا أن نعيب عليها التكرار؛ فمذكراتها لا تقحم معلومات إخبارية، والهدف الرئيسي من ورائها هو وصف مدى ابتذال وتفاهة الحياة في داخل السجن علاوة على وصف ردود الفعل الخلاقة لديها والناجمة عن استبعادها، فكليج لم يقم بسجن ذهنها علاوة على سجن جسدها. وهو في هذا الصدد يقول: «كان الأمر يبدو وكأننا الشخصان الوحيدان في العالم» ولكن مذكراتها تبرهن على أنه على خطأ؛ فهي تقضي وقتاً طويلاً في مناقشة جورج ستون أو .P.T في حين أن كليج لا يتنافس مع أحد سواها. والكلام المدون المكرس من أجل P.T يوضح لنا أنها لديها حياة لا يستطيع كليج أن يلمسها أو يقترب منها؛ فهو بدلاً من أن يتمكن من تقريبها إلى نفسه في حبّ ومودة نجد أن استبعاده لها قد أتى بنتيجة عكسية؛ حيث زاد ذلك من تعاظم وعيها وإحساسها بباستون، والكلام المُدوّن الذي كتبته عن كليج يتسم معظمه بالإيجاز والاقتضاب والتقطع والواقعية الجامدة، في حين أن الكلام الذي دونته عن باستون يتسم بطابع التأمل الخلاق والإسهاب والتعبير عن شخصيتها...... بل وفي بعض الأحيان نجد أنها تبدأ بالكلام عن مناقشة شخصية كليج ولكن الفقرة تنتهي بالكلام عن باستون.

وعندما سئل جون فاولز عما إذا كانت لديه في ذهنه صورة معينة عن العالم يريد تعميقها وإلقاء الضوء عليها من خلال رواياته ومؤلفاته فإنه قال:

«نعم. إنها الحرية. كيف يمكن للمرء أن يحقق الحرية؟ فهذا الأمر يشغل ذهني باستمرار، وجميع مؤلفاتى تدور حول الحرية. والمسألة هي: هل توجد هناك حرية إرادة بالفعل؟ وهل نحن لدينا حرية اختيار بالفعل؟ وهل يمكن لنا أن نتصرف ونسلك في حرية؟ هل يمكن لنا أن نختار بين الأمور؟ وكيف يمكن لنا أن نفعل ذلك؟».

الفصل الأول

عندما كانت تعود من المدرسة الداخلية الخاصة بها إلى منزلها اعتدت أن أشاهدها في بعض الأحيان في كل يوم تقريباً لأن منزلهم كان يقع أمام ملحق دار البلدية مباشرة. فقد اعتادت هي وأختها أن تدخلا إلى منزلهما وتخرجا منه مرات عديدة برفقة شباب في معظم الأحيان، وهو أمر لم أكن أشعر بالارتياح نحوه بالطبع. وعندما تكون لديَّ لحظات شاغرة بعيداً عن الملفات والدفاتر وسجلات الحسابات الجارية، كنت أقف عند النافذة مع الاعتياد على النظر لآسفل إلى الطريق ومن خلال الصقيع؛ مما كان يمكنني أحيأنا من مشاهدتها. وفي المساء أشرت إليها في المفكرة اليومية الخاصة بي بأن وضعت علامة X، وبعدئذٍ أشرت إليها بحرف M بعد أن عرفت اسمها. ولقد شاهدتها مرات عديدة بالخارج أيضاً، وذات مرة وقفت وراءها مباشرة في طابور المنتظرين في المكتبة العامة بشارع كروسفيلد. وهي لم تنظر إلى ولو مرة واحدة على الإطلاق ولكنني شاهدت الجزء الخلفي من رأسها عن كثب ورأيت شعرها المضفر في ضفيرة واحدة طويلة. كان شعرها يميل إلى اللون الأصفر الفاتح وكان حريريا مثل شرنقات بيرنيت Pernet، كل الشعر على هيئة ضفيرة واحدة تهبط لآسفل حتى خصرها تقريبا. وفي بعض الأحيان الضفيرة ملقاة أمامها وأحيأنا أخرى تكون مسدلة على ظهرها. وفي مرة واحدة فقط وقبل أن تصبح ضيفتى هنا استمتعت

بمشاهدة شعرها وهو منساب وكان جميلاً للغاية وشبيهاً بشعر عروس البحر حتى إنني شعرت أن أنفاسي لاهثة ومتقطعة.

وفي مرة أخرى عندما انطلقت في إجازة يوم من أيام السبت إلى متحف التاريخ الطبيعي فإنني رجعتُ على نفس القطار. كانت تجلس على مسافة ثلاثة مقاعد مني وعلى جانب، وكانت تقرأ في كتاب؛ مما مكنني من مشاهدتها ومراقبتها على مدى ٣٥ دقيقة. ومشاهدتي لها باستمرار جعلتني أشعر وكأنني أصطاد شيئاً نادراً وأتقدم نحوه في حرص شديد وقلبي في فمي كما يقولون. لون «أصفر شاحب ومعتم» على سبيل المثال. دائماً ما فكرتُ فيها على ذلك النحو.

في السنة التي كانت هي لاتزال بالمدرسة لم أكن أعرف مَنْ تكون هي، لم أكن أعرف أية معلومات بخلاف أن والدها هو الدكتور جراي. علاوة على بعض الكلام الذي سمعته عرضاً ذات مرة في اجتماع قسم الحشرات عن أن والدتها كانت تحتسي الخمور بكميات كبيرة، ولقد سمعتُ والدتها ذات يوم تتحدث في دكان، وكان لها صوت متكبر في عجرفة، وكانت تبدو من النوع الذي يحتسي الخمور إلى درجة السُّكر، كما كانت تضع الكثير من المكياج في وجهها... إلخ.

وبعدئذ نُشر عنها ذلك الخبر الصغير في الجريدة المحلية والذي أشار إلى المنحة الدراسية التي حصلت عليها، كما أشار إلى ذكائها وتفوقها وكان اسمها جميلاً تماماً مثلها. كانت تسمى ميراندا Miranda؛ لذلك أدركت أنها كانت طالبة بجامعة لندن تدرس الفنون. وحقيقة الأمر أن تلك المقالة التي وردت بالجريدة المحلية قد أحدثت تأثيراً علي. إذ بدا لي الأمر وكأننا أصبحنا أكثر صداقة عن ذي قبل رغم أننا بالطبع لم نكن حتى ذلك لوقت نعرف بعضنا البعض بالطريقة العادية.

لا أستطيع أن أقول ماذا دهاني عندما رأيتها لأول مرة ولكنني أدركت أنها الإنسانة الوحيدة في هذا الكون، وأنا بالطبع لست مجنوناً ولكنني كنت أدرك أن المسألة ليست سوى حلم، وكان سيظل دائماً مجرد حلم لو لم تتدخل النقود في الأحداث. لقد اعتدتُ أن أعيش في أحلام يقظة تتعلق بها، واعتدت أن أفكر في قصص وروايات تتناول مقابلتى لها وإتياني بأعمال وأفعال تثير إعجابها، بل وتتناول زواجي منها وغير ذلك من الأمور. لم يكن هناك أي شيء رديء على الإطلاق حتى حلول تلك المرحلة التي سأوضحها لكم فيما بعد.

كانت هي ترسم اللوحات الفنية وكنت أنا أرعى مجموعتي وأهتم بها (في أحلامي) وكانت هي دائماً تحبني وتحب مجموعتي، حيث كانت تقوم برسم مجموعتي وتلوينها بالألوان. وكنا نعمل سويّاً في منزل حديث جميل وفي غرفة ضخمة لها إحدى تلك النوافذ الزجاجية الهائلة، بل وكانت تتم اجتماعات قسم الحشرات هنالك؛ مما جعلنا بمثابة المضيف والمضيفة المحبوبين بحيث كان يتم التغاضي وعدم قول أي شيء في حالة ارتكابي لبعض الأخطاء. وكانت هي آية في الجمال والفتنة بشعرها الأشقر الشاحب وبعينيها الرماديتين وبالطبع كان جميع الرجال الآخرين ممتقعي اللون.

والمرات القليلةس التي لم أشهد فيها أحلاماً جميلة تتعلق بها هي تلك المرات التي شاهدتها فيها مع شاب معين، وهو شاب مبهرج كثير الضوضاء من طراز طلبة المدارس العمومية، وكان ذلك الشاب يمتلك سيارة للسباق. ولقد وقفت إلى جواره ذات مرة في بنك باركليز منتظراً قيامي بإيداع نقود في حسابي بالبنك فسمعته يقول إنه يريد المبلغ الخاص به على شكل أوراق مإلية من فئة الخمسة جنيهات والنكتة تكمن في أن الشيك الذي هو بصدد صرفه كانت قيمته عشرة جنيهات فقط.

وهم جميعاً يتصرفون على ذلك النحو. ولقد شاهدتها وهي تصعد إلى داخل سيارته في بعض الأحيان أو شاهدتها معه وهما يجوبان شوارع المدينة في سيارته.

وفي تلك الأيام كنت سريع الغضب والانفعال للغاية مع الآخرين في المكتب وكنت لا أستخدم عادة العلامة X في المفكرة التي أكتب فيها ملاحظاتي المتعلقة بعلم الحشرات (كل هذا كان قبل ذهابها إلى لندن حيث تخلت عنه بعدئذ). تلك كانت الأيام التي سمحت فيها لنفسي أن أشهد الأحلام الرديئة، حيث كانت تبكي أو كانت تركع عادةً. وفي إحدى المرات جعلت نفسي أحلم بأنني أضربها على وجهها مثل تلك الصفعة التي قام بها رجل ذات مرة والتي شاهدتها في مسرحية تليفزيونية.

لقد قتل والدي في أثناء قيادته للسيارة. وكان عمرى آنئذ سنتين وكان ذلك في عام ١٩٣٧. فقد كان مخموراً ولكن عمتى آني Annie كانت تقول دائماً إن والدتي هي التي كانت تدفعه إلى تناول الخمور بكميات كبيرة، ولكنهم لم يقصوا على أبداً حقيقة ما حدث، ولكن والدتي انطلقت عقب وفاة والدي وتركتني مع عمتي آني، حيث كانت تريد فقط أن تقضي وقتها في هدوء. ولقد قالت: لي مابيل ابنة عمي ذات مرة (في أثناء مشاجرة عندما كنا طفلين صغيرين) إن والدتي هي امرأة شوارع، وهي تنطلق مع الأشخاص الغرباء. وكنت غبيا وساذجا في ذلك الوقت فاتجهتُ مباشرة إلى عمتي آني وسألتها عن ذلك الأمر فردت على بالطبع. وأنا لا أهتم حإليا بما إذا كانت والدتي لا تزال على قيد الحياة أم لا؛ فأنا لا أرغب في مقابلتها وليس لديَّ أدنى اهتمام بذلك الموضوع. وكانت عمتي آني تقول دائماً عنها: إلى حيث ألقت أو إلى غير عودة، وكثيراً من التعبيرات العديدة المماثلة، وأنا كنت أوافقها على رأيها.

ولذلك فقد تربيت ونشأت مع العمة آني ومع العمّ ديك Dick ومع ابنتهما مابيل Mabel وكانت عمتي آني هي الشقيقة الكبرى لوالدي.

ومات العم ديك عندما كان عمرى ١٥ عاماً وكان ذلك في عام ١٩٥٠ فقد ذهبنا إلى منطقة ترينج ريزيرفوار لاصطياد الأسماك. وكالمعتاد انطلقت مع شبكة الصيد والمعدات الخاصة بي وعندما شعرتُ بالجوع رجعت إلى المكان الذي تركته فيه فشاهدت زمرة من الناس المحتشدين فاعتقدتُ أنه قد اصطاد شيئاً ضخماً. ولكنه كان قد تعرض لجلطة في المخ فنقلوه إلى المنزل ولكنه لم ينطق بأية كلمات أخرى على الإطلاق، بل ولم يتعرف على أي واحد منا مرة أخرى.

وأمضينا الأيام سوياً أو ليس سوياً على وجه الدقة لأنني كنت أنطلق دائماً لكي أجمع وألتقط الفراشات بينما كان هو يجلس بجوار القضبان الحديدية الرفيعة الخاصة به ولو أننا كنا نتناول دائماً طعام الغداء سويا والعودة سويا من الرحلة إلى المنزل. وتلك الأيام تعتبر بشكل قاطع هي أفضل الأيام التي شهدتها في حياتي (وذلك بعد الأيام التي سوف أحدثكم عنها). لقد اعتادت كل من العمة آني ومابيل على النظر في احتقار إلى الفراشات الخاصة بي عندما كنت صغيراً ولكن العم ديك كان يدافع عني بحرارة وحماس دائما. وكان يبدي إعجابه دائماً بالأعمال التي أقوم بها. وكان يشعر بنفس مشاعري إزاء كل حشرة جديدة تدخل في آخر مراحل تطورها الجنسي حيث كان يجلس ويراقب الأجنحة وهي تمتدّ وتجف ويراقب الطريقة اللطيفة التي تجرب بها الحشرات أجنحتها. هذا بالإضافة إلى أنه أفسح لي مكاناً في الحظيرة الخاصة به من أجل أواني وبرطمأنات يرقات الفراشات. وعندما حصلتُ على جائزة للهواة من مجموعة الفَراشات التي لها ألوان متعددة في أجنحتها فإنه أعطاني جنيها بشرط ألا أخبر العمة آني بذلك. وخلاصة القول إنه كان

لطيفا معي وكان كالأب بالنسبة لي. وعندما أمسكت بالشيك الذي كسبته في المراهنات في يدي فإنه كان الشخص الذي فكرت فيه بالإضافة إلى ميراندا بالطبع. إذ شعرت بأني على استعداد بأن أزوده بأفضل أنواع الحبال والبكرات والقضبان الطويلة والرفيعة وأية أشياء أخرى يريدها.

لقد بدأت في ممارسة لعب القمار ابتداء من الأسبوع الذي وصلت فيه إلى سن الواحد والعشرين عاما. وفي كل أسبوع كنت أراهن بنفس المبلغ وهو خمسة جنيهات. ولقد تعاون كل من توم العجوز وكروتشلي وهما يعملان معي في قسم العوائد والضرائب بالبلدية كما تعاونت معهما بعض الفتيات ودخلوا كلهم في رهان واحد مشترك. وكانوا كلهم يحاولون دائماً إشراكي معهم ولكنني ظللت دائماً انعزإلى النزعة ومنفردا بنفسي. إذ لم أكن أشعر بالحب تجاه توم العجوز أو كروتشلي على الإطلاق، فتوم العجوز هو شخص كريه ومفرط في التملق والتزلف ودائماً ما يسترشد بإدارة الحكم ويتزلف إلى المستر وليامز أمين صندوق المدينة المتمتعة بالحكم الذاتي. أما كروتشلي فهو إنسان غشاش ومخادع بالإضافة إلى أنه سادي النزعة فهو لم يترك أي فرصة إلا وأثار السخرية من اهتماماتي خاصة إذا كانت هناك فتيات موجودات معنا. فقد اعتاد أن يقول «الإرهاق يبدو على فريد. فهو قد قضى فترة أجازة نهاية الأسبوع في أعمال قذرة، أو يقول» مَنْ هي تلك السيدة المغرقة في المكياج التي شاهدتك معها في الليلة الماضية؟». وعندئذ كان توم العجوز يضحك ضحكات خفيفة مكتومة كما كانت جين Jane وهي صديقة كروتشلي والتي تعمل في مصلحة الصرف الصحي والتي كانت توجد دائماً في مكتبنا تضحك ضحكات بلهاء. فقد كانت جين على النقيض تماماً من ميراندا في كل الأمور. وأنا دائماً ما كنت أكره النساء السوقيات وخاصة الفتيات السوقيات.

كان الشيك بمبلغ ٧٣,٩ ألف جنيه وعدد فردي من الشلنات والبنسات، واتصلت بالمستر وليامز تليفونيا وشعرتُ أنه مسرور، كما قال إن الناس الآخرين مسرورين رغم أنني أعرف بالطبع أنهم لم يكونوا كذلك. بل ولقد اقترح على أن أستثمر في المجلس ٥٪ من المبلغ. وبعض الناس في دار البلدية لا يزنون الأمور بميزانها الصحيح.

وفعلتُ ما اقترحه على الناس: إذ ذهبت مباشرة إلى لندن مع العمة آني ومابيل إلى أن هدأت الضجة حول هذا الموضوع. وبعدئذ أرسلت لتوم العجوز شيكاً بمبلغ ٥٠٠ جنيه وطلبت منه أن يتقاسم هذا المبلغ مع كروتشلي والآخرين. ولم أردّ على خطابات الشكر التي أرسلوها لي ويمكن لك أن تدرك أنهم اعتقدوا أنني إنسان وضيع.

كانت ميراندا هي مصدر القلق والإزعاج الوحيد أو هي فقط التي أفسدت على شعوري بالسرور؛ إذ كانت في منزلها في الوقت الذي كسبت فيه تلك النقود حيث كانت في أجازة من مدرستها الفنية ولم أشاهدها إلا في صباح السبت لليوم العظيم. وطال الوقت الذي قضيناه في لندن، رحنا ننفق الأموال والأموال وكان يخطر على ذهني كثيراً أنني لن أتمكن من مشاهدتها مرة أخرى: وبعدئذ خطر على ذهني أنني طالما قد أصبحتُ غنيا فإنني بذلك أكون زوجا مناسبا لها ولكنني فكرتُ بعدئذ أن ذلك سيكون أمراً مثيراً للسخرية لأن الناس لا يتزوجون إلا بدافع من الحب فقط وليس بسبب الأموال وخاصة الفتيات اللائي يشبهن ميراندا، بل وجاءت على أوقات فكرت فيها بأنه ينبغي لي نسيانها ولكن النسيان ليس أمراً يفعله الإنسان وإنما هو شيء ما يحدث للإنسان. وكل ما هنالك أن النسيان لم يهبط .على.

لو كنت مغتصبا وخطافا وغير أخلاقي مثل معظم الناس الموجودين

في العالم في هذه الأيام فإنني أعتقد أنه يمكن لك أن تقضي وقتاً طيبا مع وجود كمية كبيرة من النقود معك عندما تهبط النقود عليك. ولكن يمكن القول أنني لم أكن على ذلك النحو على الإطلاق. على الذهاب إلى الكنيسة أو أيّ شيء من هذا القبيل ولكنني قد نشأتُ في ذلك الجو رغم أن العمّ ديك قد اعتاد الذهاب إلى الحانة سراً في بعض الأحيان وسمحتْ لي العمة آني بتدخين السجائر عقب سلسلة من المشاجرات عندما خرجتُ من الجيش. ولكنها لم تشعر بالارتياح نحو تدخيني للسجائر في أي وقت من الأوقات على الإطلاق. وحتى مع كل تلك النقود يعتبر ضد مبادئها. ولكن مابيل كانت تهاجمها في السرّ. فقد سمعتها وهي تتشاجر معها ذات يوم، وعلى كل حال فلقد قلت إن النقود هي نقودي وإن الضمير هو ضميري، كما أوضحت أنني أرحب بتلبية كل طلباتها وأرحب بعدم تقديم أي شيء إذا كانت لا ترغب في الحصول على أي شيء، ولم يكن هناك شيء فيما يتعلق بتقبيل الهدايا في البروتستانتية.

وما يؤدي إليه كل هذا هو أنني تعرضت للسكر بعض الشيء مرة أو مرتين عندما كنت في فيلق باي Pay corps وخاصة في ألمانيا ولكنني لم تكن لي أية علاقة مع النساء. فأنا لم أفكر في النساء على الإطلاق في فترة ما قبل ميراندا. إذ أعرف أنني ليس لديَّ تلك الأمور التي تنشدها الفتيات، وأعرف أن الشبان من أمثال كروتشلي والذين يعاملونني في غلظة وقسوة يحرزون تقدما ونجاحا مع الفتيات، وأعرف النظرات التي توجهها بعض الفتيات في ملحق دار البلدية إلى، وهي نظرات كانت تثير اشمئزازي حقا. إنه شيء ما حيواني خشن قد وُلدت بدونه (وأنا سعيد بأنني قد وُلدت على ذلك النحو. ولو كان هناك المزيد من الناس من أمثالي قد ولدوا أيضاً على ذلك النحو لأصبح العالم أفضل وأحسن من وجهة نظري).

عندما لا يكون لديك نقود فإنك تظن دائماً أن الأمور ستكون مختلفة للغاية فيما بعد. وأنا لم أكن أريد ما هو أكثر من استحقاقاتى. لم أكن أريد أي شيء زائد عن الحدّ المطلوب. ولكننا أدركنا على الفور ونحن بالفندق أنهم كانوا يحترموننا احتراما سطحيا فقط حيث كانوا في حقيقة الأمر يحتقروننا بسبب وجود كل هذه النقود معنا ولأننا لا نعرف ماذا سنفعله بكل تلك النقود وكانوا لا يزالون يعاملونني في الخفاء على أساس أنني مجرد كاتب في مصلحة حكومية. وكان من السفه تبذير النقود هنا وهناك. وكنا بمجرد أن نتكلم أو نفعل أي شيء نذيع النبأ على الآخرين. وكان استطاعتك أن تشاهدهم وهم يقولون «لا تغيطونا.. فأنتم تعرفون مَنْ تكونون ولماذا لا ترجعون من حيث أتيتم؟».

وأذكر ليلة ذهبنا فيها إلى الخارج وتناولنا العشاء في مطعم ممتاز. وكان اسم ذلك المطعم ضمن قائمة بأسماء المطاعم أعطاها لنا الناس المختصون بالمراهنات وإليانصيب. وكان الطعام جيداً وأكلناه ولكنني لم أتذوق ذلك الطعام بسبب الطريقة التي كان الناس ينظرون بها إلينا والطريقة التي كان الجرسونات الأجانب المفرطون في التملق والتزلق وكل شخص آخر يعاملوننا بها وكيف أن كل شيء في داخل صالة الطعام قد بدا وكأنه ينظر في احتقار إلينا لأننا لم ننشأ على أسلوبهم وطريقتهم في الحياة. ولقد قرأت في الآونة الأخيرة مقالا عن مواصفات الطبقة الاجتماعية ـ وقد حدثتهم عن أمور في هذا الشأن. وإذا سألتني فإن لندن معدة كلها من أجل الناس الذين يتصرفون مثل تلاميذ أولاد المدارس العمومية ولا يمكن لك أن تذهب إلى أي مكان إذا لم تكن لديك الطريقة بالفطرة وإذا لم يكن لديك الصوت المتكبر المتعجرف بالطريقة السليمة والذي يتميز به أهإلى لندن الأغنياء وأهإلى الوست إيند West End. بالطبع.

وفي إحدى الأمسيات ـ وكان ذلك عقب تناول الطعام في المطعم الممتاز وكنت أشعر بالاكتئاب ـ فقلت: للعمة آني أنني أرغب في الذهاب للتريض والنزهة ثم فعلتُ ذلك بالفعل. وسرتُ. وفجأة شعرت أنني أودّ أن تكون لي امرأة.. أقصد أن أكون قادراً على أن أدرك أنني قد امتلكت امرأة. لذلك أدرتُ رقم تليفون كان قد أعطاه لي رجل في احتفالات إعطاء الشيك.

وردت امرأة قائلة: «إنني مخطوبة» فسألتها عما إذا كانت تعرف أي رقم تليفوني آخر فأعطتني رقمين اثنين. وأخذت تاكسيا واتجهت به إلى عنوان رقم التليفون الثاني. ولن أقول ما حدث باستثناء لم أكن جيدا، إذ كنت عصبيا للغاية وحاولت أن أبدو وكأنني أعرف كل ما يتعلق بذلك الأمر وهي بالطبع أدركت أنها كانت عجوزا وكانت رهيبة ومريعة. أقصد أنها كانت رهيبة من حيث شكلها ومن حيث الطريقة القذرة التي كانت تتصرف بها. إذ كانت امرأة مستهلكة ومتداولة بين الناس. مثل عيّنة تصرف النظر عنها وتخرجها من بين مجموعة العينات الأخرى التي تحتفظ بها. وفكرتُ في ميراندا إذا ما قُدر لها أن تشاهدني هنالك وأنا على ذلك النحو. وكما قلت فقط حاولت أن أفعل ذلك الأمر ولكنه جاء بطريقة غير جيدة وأنا لم أحاول في شيء من الشدة والصرامة.

وأنا لستُ من النوع الذي يُقحم نفسه على غيره بطريقة فظة ونابية، لم أكن من ذلك النوع من الناس في أي وقت من الأوقات على الإطلاق إذ كانت لديّ دائماً آمال وتطلعات عإلية كما يقولون. ولقد اعتاد كروتشلي أن يقول إن المرء ينبغي عليه أن يتدافع ويضغط في هذه الأيام من أجل الوصول إلى أي مكان وقد اعتاد أن يقول أنظر إلى توم العجوز وانظر إلى كيف أن افراطه في التملق والتزلف قد عاد عليه بالكثير». ولقد اعتاد كروتشلي أن يكون مألوفا للغاية ولو أنه كان يعرف

متى ينبغي عليه أن يكون متملقا للغاية بهدف الحصول على بعض المكاسب من المستر وليامز على سبيل المثال. ولقد قال لي المستر وليامز ذات مرة عندما كنت في قسم التحريات» أرجو أن تتصف بقدر أكثر من الحياة والحيوية. فجماهير الناس ـ يا كليج ciegg يحبون الابتسامة أو النكتة الخفيفة من وقت لآخر. فنحن جميعاً لم نولد مزودين بموهبة المزاح مثل كروتشلي ومع ذلك فيمكنك أن تحاول أن تكون طريفا». وقد أغاظنى كلامه هذا بالفعل ويمكنني القول أنني كنت متضايقا للغاية من العمل في دار البلدية وكنت مصمما على ترك العمل بها على كل حال.

لم أكن شخصاً مختلفاً عن الآخرين. ويمكنني أن أبرهن على ذلك. فمن بين الأسباب التي جعلتني أتضايق من العمة آني هو أنني بدأت أهتم ببعض الكتب التي يمكن للمرء أن يشتريها من المحلات في سوهو Soho وهي كتب عن النساء العاريات وكل تلك الأمور. وكان بمقدورى إخفاء المجلات ولكن كانت هناك كتب أريد شراءها ولم أكن أستطيع شراءها في حالة إدراكها لجوانب الموقف فجأة. وكنت أريد دائماً التقاط الصور الفوتوغرافية واشتريتُ كاميرا على الفور بالطبع وهي كاميرا ماركة لايكا والتي تعتبر أفضل الأنواع والتي لها عدسات للتصوير من على مسافات بعيدة وكان الهدف الرئيسي من وراء ذلك هو التقاط صور حية لحياة الفراشات مثلما يفعل الأستاذ المشهور المستر س. بوفوى.

ولدى اشتاقت عمتى آني من كل قلبها إلى الانطلاق في رحلة بحرية إلى أستراليا لكي تزور ابنها بوب Bob وعمى Steve ستيف وهو شقيقها الأصغر وأسرته. وكانت تريد لي أن أذهب معها أيضاً. ولكنني لم أكن أرغب في الوجود مع عمتى آن ومابيل أكثر من ذلك. ولم يكن هذا يعنى أنني أكرههما ولكنك كنت تلحظ ما يقصدان إليه على الفور بل

وعلى نحو أكثر منيّ. إذ كانتا ـ على سبيل المثال ـ ينتقدان تصرفاتى وكانتا تتواقعان مني دائماً أن أنجز كل الأمور معهما وأن أقول لهما ما أقدمتُ عليه في حالة انفرادى بنفسي لمدة ساعة بعيداً عنهما. ولقد اضطرتُ أن أقول لهما صراحة أنني لا أرغب في الذهاب معهما إلى استرإليا. ولكنها لم تشعرا بالاستياء الشديد. وأظن أنهما كان لديهما الوقت لأن تعتقدا أن المسألة تتعلق بنفودى في آخر الأمر.

والمرة الأولي التي ذهبت فيها للبحث عن ميراندا كانت عقب ذهابي إلى ساوثهامبتون بأيام قليلة لتوديع العمة آني وكان ذلك في يوم ١٠ مايو على وجه التحديد. وكنت قد عدتُ إلى لندن ولم يكن لدى أي خطة حقيقية ولقد أبلغت العمة آني ومابيل أنني ربما أذهب إلى الخارج ولكنني لم أكن أعرف خطتى على وجه الدقة في حقيقة الأمر. ولقد شعرتَ العمة آني بالذعر بالفعل وفي الليلة السابقة على سفرها تحدثت معي حديثا جادا رزينا وقالت: إنه ينبغي لي ألاَّ أتزوج بدون أن تتمكن هي من مقابلة العروسة قبل الزواج. وتحدثت معي كثيراً عن أن النقود هي نقودى وأن الحياة هي حياتي وأبدت رأيها في وقالت: أنني إنسان كريم للغاية وغير ذلك من الكلام ولكنني أدركت أنها كانت مذعورة بالفعل حيث كانت تخشى أن أتزوج من فتاة ما مما قد يؤدي إلى فقدانها كل النقود التي كأنا يخجلان منها على أية حال. وأنا لا ألومها فقد كان ذلك أمراً طبيعياً وخاصة مع ابنة لها تتصف بأنها كسيحة وعرجاء. وأعتقد أن الفتيات من أمثال مابيل يجب آخراجهن من الحسبان في ألم وذلك أمر خارج الموضوع ولا يمت له بصلة.

والذي فكرت في أن أفعله (وأنا بالفعل وفي مجال الاستعدادات قمت بشراء أفضل المعدات والتجهيزات الريفية التي توجد بها أنواع نادرة غير مألوفة والحصول على مجموعات مسلسلة وصحيحة. أقصد

أن أغير في أسلوب حياتي وأقيم في مكان ما لفترة طويلة كما يحلو لي وآخرج إلى الحقول وأجمع الفراشات وأقوم بالتقاط الصور الفوتوغرافية. وكنت قد حصلت على دروس في قيادة السيارات قبل ذهابهما وحصلتً على سيارة «فان» خاصة. وكانت هناك الكثير من النوعيات التي أريدها مثل نوع السنونو والأزرق الكبير وفراشات الفرتيلاريا و......... وهي كلها أشياء يحصل عليها معظم جامعي الفراشات دفعة واحدة ولمرة واحدة طوال حياتهم. وكانت هناك أيضاً تلك الفراشات العثة Moths وفكرت في أن أتناول تلك الفراشات أيضاً.

ما أحاول أن أقوله أن فكرة الاحتفاظ بميراندا كضيفة عندى قد خطرتْ على ذهني فجأة. إذ لم يكن ذلك أمراً قمتُ بالتخطيط له عقب حصولي على النقود.

حسناً. ومع ابتعاد العمة آني ومابيل عن طريقى بسبب سفرهما إلى استرإليا فإنني قمت بشرا كل الكتب التي أردت شراءها بالطبع ولم تكن لديّ فكرة عن وجود بعض كتب من هذه النوعية بل وشعرت بالاشمئزاز من بعض ما جاء من صور بهذه الكتب واعتقدت أنني ملتصق بهذه الغرفة الفندقية مع تلك النوعية من الكتب التي اتضح لي أنها مختلفة كثيراً عما اعتدت أن أحلم به فيما يتعلق بنفسي وبميراندا. وفجأة شاهدت أنني تخيلت نفسي وأنا أفكر في أنها قد خرجت بالفعل تماماً من حياتي وكأننا لم نكن نعيش على مسافة أميال قليلة من بعضنا البعض (وكنت قد انتقلت إلى الفندق الموجود في بادينجتون آنئذ) وشعرت أنني لم أتمكن من الحصول على كل الوقت الموجود في العالم والذي يعينني على اكتشاف ومعرفة المكان الذي تسكن فيه. وكان من السهل البحث في دليل التليفونات عن رقم تليفون مدرسة سليد Stade للفنون. وانتظرت بالخارج في صباح أحد الأيام في السيارة «الفان» الخاصة بي.

وكانت تلك السيارة الفان هي الشيء الفآخر الوحيد الهائل الذي وفُرته لنفسي. إذ كانت مزودة بمقصورة في الخلف تضم سريراً سفرياً من النوع الذي يمكن طيه أو نشه والنوم عليه. ولقد اشتريت تلك السيارة لكي أتمكن من أن آخذ كل المعدات الخاصة بي لدى ذهابي إلى المناطق الريفية ولقد اشتريت تلك السيارة لأنني اعتقد أنني بشرائي لسيارة «فان» فإنني لن أضطر دائماً لأن أصطحب معي العمة آني ومابيل في السيارة عقب رجوعهما من استرإليا. وأنا لم أشتر تلك السيارة من أجل السبب الذي استخدمتها فيه بالفعل. فالفكرة كلها قد هبطت على ذهني فجأة. وعلى نحو أقرب إلى فكرة عبقرية.

في الصباح الأول لم أشاهدها. ولكنني شاهدتها في اليوم التالي أخيراً. إذ شاهدتها وهي تخرج ومعها مجموعة كبيرة من الطالبات والطلبة الآخرين ولكن معظمهم من الطلبة. فتلاحقت ضربات قلبي بسرعة كبيرة وشعرت أنني على وشك التعرّض للغثيان. وكانت الكاميرا معي بالفعل ولكن لم يكن لديّ الجرأة والشجاعة التي تعينني على استخدامها. كانت على نفس ما كانت عليه دائما. إذ كانت تمشى بنفس طريقتها الخفيفة في السير وهي كانت دائماً ترتدي حذاء له كعب منخفض ولذلك فهي لم يكن لديها ذلك التأنق والخيلاء الذي تتسم به معظم الفتيات. وهي لم تكن تفكر في الرجال والشبان على الإطلاق أثناء سيرها. كانت تنطلق مثل طائر. وطوال الوقت كانت تتحدث مع شاب له شعر أسود قصير مع وجود كتلة صغيرة من الشعر مصففة فوق الجبين مما كان يضفي عليه منظراً فنيا للغاية. وكان عددهم يبلغ ستة أشخاص ولكنها عبرت الشارع ومعها ذلك الشاب فقط. فخرجت من السيارة الفان وتتبعتهما. ولم يسيرا لمسافة بعيدة حيث سرعان ما دخلا إلى مقهى.

فوجدتُ نفسي أدخل أيضاً وبطريقة فجائية إلى نفس المقهى دون أن أدري السبب الذي دعاني لأن أفعل ذلك وكأنني كنت منجذبا وراء شيء ما آخر بدون رغبة مني. كان المقهى مليئاً بالناس والطلبة والطالبات والفنانين والفنانات وما أشبه ذلك. ومعظمهم كان يرتدي ملابس غريبة شاذة ويتصرفون في شذوذ ربما كتعبير عن تمردهم على المجتمع. وأذكر أنه كانت هناك وجوه وأشياء غريبة مرسرمة على الحوائط. وأظن أن تلك الرسومات كانت لها طابع أفريقى.

كان هناك عدد كبير للغاية من الناس والأصوات فشعرتُ بأنني مضطرب وعصبي للغاية حتى إنني لم أشدهدهما في بادئ الأمر. كانت تجلس في المكان الثاني من الجزء الخلفي فجلستُ على كرسي طويل بدون مسند عند الكاونتر في مكان يمكنني من مراقبتهما. ولم أجرؤ على النظر إليهما مرات عديدة للغاية وكان الضوء في الصالة غير جيدّ للغاية.

وبعدئذ وجدتها واقفة إلى جواري مباشرة. فقد كنت أتظاهر بأنني أقرأ جريدة ولذلك لم أشدهدها وهي تنهض وتترك المكان الذي كانت تجلس فيه. وشعرتُ بالدماء تتدفق إلى وجهي ورحت أحملق في الكلمات ولكنني لم أستطع قراءة أي شيء ولم أجرؤ على النظر إليها ـ إذ كادت أن تتلامس معي وهي واقفة هناك. كانت مرتدية فستأنا من قماش به مربعات أو كاروهات ذات ألوان زرقاء داكنة بيضاء. وكانت ذراعاها عاريتين ولهما لون بني. وكان شعرها منسابا ومنثورا على ظهرها.

قالت: ميراندا: «يا جينى Jenny نحن مفلسان تماماً.

ـ كونى رقيقة مثل الملائكة ودعينا نحصل على سيجارتين».

فقالت: الفتاة الموجودة خلف الكاونتر: «ليس مرة أخرى «أو قالت:

كلاماً مشابها لذلك وعندئذ قالت: ميراندا: «غداً. أقسم لك». ثم أضافت: «بارك الله فيك» عندما أعطتها الفتاة سيجارتين. وقد تم كل ذلك في خمس ثوان ثم رجعت مع الشاب ولكن سماعي لصوتها حولها من إنسانة سابحة في دنيا الخيال والأحلام إلى إنسانة حقيقية. لا أستطيع أن أحدد ذلك الطابع الخصوصي الذي تميز به صوتها. وبالطبع كان صوتها يدل على أنها مثقفة ثقافة عإلية ولكن صوتها لم يكن متعجرفا ومتكبرا ولم يكن لزجا وقذرا فهي لم تتوسل من أجل الحصول على السجائر وإنما طلبت السجائر بطريقة سلسلة وسهلة ولم يظهر في صوتها أية أحاسيس تتعلق بأية طبقة اجتماعية. ويمكن القول إنها كانت تتكلم بنفس أسلوب مشيتها.

دفعتُ الحساب بأسرع ما يمكنني ثم رجعتُ إلى السيارة الفان وإلى الكريمورن وإلى غرفتي. كنت منزعجا انزعاجا حقيقيا. ومن بين أسباب انزعاجي أنها قد اضطرت لأن تستدين سيجارتين لأنه لم تكن لديها أية نقود بينما كانت أنا أمتلك ٦٠ ألف جنيه (فقد أعطيت العمة آني عشرة آلاف جنيه) وكنت على استعداد لأن أضع كل نقودي تحت قدميها ـ لأن ذلك هو ما كنت أشعر به حيالها. كنت أشعر أنني على استعداد لأن أفعل أي شيء من أجل أن أتعرف عليها وأدخل عليها السرور وأكون صديقها الخاص بها وأكون قادراً على مراقبتها والنظر إليها علناً بدون أن أكون في حاجة لأن أتجسس عليها. ولكي أوضح لكم الحالة التي كانت عليها فإنني وضعت خمس ورقات من فئة الجنيهات الخمسة في ظرف وكتبت العنوان على الظرف موجهاً إلى الآنسة ميراندا جراي/ بمدرسة سليد للفنون... كل ما هنالك أنني لم أضع الظرف في صندوق البريد. وكنت على استعداد لأن أرسل ذلك الظرف لو أمكنني مشاهدة وجهها لدى قيامها بفض الظرف.

كان هناك هو اليوم الذي أعطيت فيه لنفسي لأول مرة الحلم الذي تحقق. إذ بدأ الحلم بلقطة لها وهي تتعرض لهجوم يقوم به رجل فجريتُ أنا نحوها وأنقذتها. وبعدئذ وعلى نحو ما كنت أنا هو نفس الرجل الذي هاجمها وكل ما هنالك هو أنني لم ألحق بها الضرر والأذى حيث اكتفيت بالإمساك بها ووضعها في السيارة الفان والانطلاق بها إلى منزل بعيد وهنالك في ذلك المنزل احتفظت بها أسيرة لديَّ بطريقة لطيفة. وهي بدأتْ تتعرف على تدريجيا وترتاح إلي. وتعاظم الحلم بحيث تناول معيشتنا معا في منزل جميل من الطراز الحديث بحيث أصبحنا متزوجين وأنجبنا أطفالاً صغارا وكل الأمور التي هي من هذا القبيل.

واستحوذ ذلك الحُلم على كل مشاعري بحيث جعلني ساهدا وساهراً في الليالي. وجعلني ذلك الحلم أنسى ما كنت أقوم به من أعمال أثناء النهار. وطالت إقامتي في كريمورن ولم يعد الحلم يتخذ طابع الحلم وإنما بدأ يتخذ طابع الشيء الذي أدعي أنه بصدد الحدوث والتحقق بالفعل (بالطبع كنت أعتقد أن المسألة هي مجرد ادعاء وتظاهر) لذلك رحت أفكر في الطرق والوسائل ـ وكل الأمور والأشياء التي ينبغي لي عمل الترتيبات لها والتفكير فيها وكيفية التنفيذ ولك ما يتعلق بذلك الموضوع. وكنت أعتقد أنه لا يمكن لي أن أتعرف عليها وأختلط معها بالطريقة العادية ولكنها إذا ما قُدّر لها أن توجد معي فإنها ستدرك صفاتي وخصائلي الحسنة وستفهم كل جوانبي تماماً. وكانت تراودني دائماً هذه الفكرة: وهي أنها ستفهمني فهما جديداً وستعرفني حقّ المعرفة.

وهناك شيء آخر بدأت أفعله ألا وهو قراءة الجرائد الفاخرة الأرستقراطية ولنفس هذا السبب ذهبت إلى المعرض القومي وإلى معرض تاتي Tate Gallery . ولكني لم أستمتع بهما كثيراً. إذ كان الأمر

شبيها بالمقصورات والغرف الصغيرة الخاصة بالأنواع الأجنبية في قاعة علم الحشرات في متحف التاريخ الطبيعي. حيث كان يمكن لك أن تدرك أنها جميلة ولكنك لم تكن تعرفها، أقصد أنني لم أعرفها مثلما كنت أعرف البريطانيين. ولكنني ذهبت في تقديراتي إلى أنني باستطاعتي أن أتحدث إليها وذلك لكي لا أبدو جاهلاً.

وفي إحدى جرائد «الصنداي» شاهدت إعلانا مكتوبا بالحروف الكبيرة في صفحة تتناول المنازل والبيوت المعروضة للبيع. ولم أكن أبحث عن منازل من ذلك النوع. إذ وقع نظري على ذلك الإعلان وأنا أقلب الصفحة، وكان عنوان الإعلان كالآتي: «بعيداً عن الزحام المجنون؟» هكذا على ذلك النحو. ثم وردت تفاصيل الإعلان على النحو التالي:

كوخ قديم وموقع جميل جذاب ومنعزل بعيداً عن الناس وملحق به حديقة كبيرة. ويقع على مسافة ساعة بالسيارة من لندن ويبعد عن أقرب قرية بمسافة ميلين.

وفي صباح اليوم التالي وجدت نفسي أنطلق بالسيارة لإلقاء نظرة على ذلك الكوخ. واتصلت تليفونيا بوكيل هذا العقار الموجود في لويس Lewes واتفقت على مقابلة شخص ما في ذلك الكوخ. واشتريت خريطة لمنطقة ساسيكس Sassex. وذلك أمر يتعلق بالنقود. ولا توجد عقبات بالنسبة للنقود.

وتوقعت وجود أشياء منهارة أو مكسورة أو محطمة. كان يبدو قديماً بالفعل. وكانت به ألواح خشبية لها لون أسود وكان مطليا باللون الأبيض من الخارج وكان به قرميد من الأحجار القديمة. وكان يقف في مكان منعزل بمفرده. وخرج وكيل العقار عندما وصلت بسيارتي إلى الكوخ

وكنت قد تخيلته كبيرا في السن ولكنه كان من نفس سني. كان من طراز تلاميذ المدارس العمومية وكان يكثر من التعليقات السخيفة التي يقصد بها أن تكون فكاهية الطابع وبدا كأنه ليس في مستوى القيام ببيع أي شيء وكان هناك تباين ما بين بيع المنازل وبيع شيء ما في دكان. وهبط من عزيمتي على الفور لأنه كان فضوليا ومحبا للاستطلاع والتحري ولكني مع ذلك فضلت أن ألقي نظرة على ذلك الكوخ مادمت قد جئت وقطعتُ تلك المسافة، لم تكن الغرف عظيمة ولكن الكوخ كان مزودا بكافة الخدمات الرئيسية من كهرباء وتليفون وغير ذلك من المرافق الضرورية، وكان ذلك الكوخ من ممتلكات أدميرال بحري متقاعد انتقل إلى رحمة الله وبعدئذ مات المشتري التالي بطريقة فجائية أيضاً ولذلك فقد عُرض للبيع في السوق.

ومازلت أقول لكم أنني لم أذهب إلى ذلك المكان بهدف مشاهدة ما إذا كان هناك أي مكان به يصلح للاحتفاظ فيه بضيف سري. لا أستطيع في الواقع القول بأنه كان هناك هدف في ذهني أرغب في تحقيقه.

كل ما هنالك أنني لا أعرف ما أريده على وجه الدقة، فما أفعله يزيد من تعتيم وتشويش ما فعلته من قبل.

وأراد ذلك الشاب أن يعرف ما إذا كنت أريد الحصول عليه من أجل عمتي. وأخبرته بحقيقة ما يدور في ذهني حيث قلت له أنني أريد أن أقدم مفاجأة لعمتي عندما ترجع من أستراليا وهلم جرا.

وتساءل عن الحالة المإلية لعمتي فرددت عليه بإجابة لاذعة بهدف أن أسكته حيث قلت له «لقد ورثت مبلغا كبيرا من المال». وكنا نهبط على السلالم عندما قال كلامه هذا وعقب مشاهدة كل شيء من وجهة نظري أو وفقا لما اعتقدته. بل وكنت على وشك أن أقول له إن ذلك الكوخ

ليس هو المسكن الذي أريده لأنه ليس كبيرا بالقدر الكافي وذلك بهدف أن أسكته وأخذله أكثر عندما قال: «حسناً. هذا هو كل ما يحتويه الكوخ باستثناء المخازن والسراديب».

وكان الأمر يستلزم الخروج من خلال الباب الخلفي حيث كان يوجد هناك باب بجوار الباب الخلفي. وأخذ المفتاح من تحت إصيص الزهر وبالطبع كانت الكهرباء مقطوعة ولكنه كان معه مصباح كهربائي يدوي (بطارية جيب). وكان ذلك المكان بارداً بسبب عدم دخول الشمس إليه كما كان رطبا ورديئا. وكانت هناك سلالم حجرية تؤدى إلى آسفل. وعند القاع وجه إضاءة بطاريته إلى أرجاء المكان هنا وهناك. فأدركتُ أن شخصاً ما كان قد طلي الجدران باللون الأبيض ولكن ذلك كان قد تم منذ فترة طويلة للغاية، كما لاحظت أن بعض أجزاء الطلاء قد تساقطت حتى إن الحوائط بدت مزركشة بألوان شتى.

وقال: «وعلى امتداد الحوائط كلها يوجد هذا أيضا» وأضاء بطارية الجيب فشاهدت مدْخلاً في ركن من الحائط الذي يواجهنا لدى نزولنا على السلالم. وكان هذا بمثابة مخزن آخر كبير يقع على مسافة أربع درجات كبيرة آسفل المخزن الأول ولكن هذا المخزن الكبير كان سقفه أكثر انخفاضا كما كان مقوسا بعض الشيء مثل الغرف التي يشاهدها المرء تحت الكنائس في بعض الأحيان. وكان السلالم تتجه لآسفل في ميل وانحراف عند أحد الأركان حتى إن الغرفة كانت تجري في جموح إذا جاز هذا القول.

وقال: «وهذا مكان ملائم تماماً للطقوس السرية الصاخبة وحفلات المجون الصاخبة».

فتساءلت: متجاهلا دعاباته السخيفة: «ولأي شيء كانت تستخدم هذه الغرفة السفلية؟»

فقال إنهم قد اعتقدوا أنه ربما كان كذلك لأن الكوخ كان يقع منعزلاً في ذلك المكان وكان عليهم أن يخزنوا فيه كميات كبيرة من الأطعمة، أو ربما كان بمثابة كنيسة صغيرة سرية رومانية كاثوليكية ولقد أفاد أحد عمال الكهرباء فيما بعد أنه كان مكاناً خاصاً بالمهربين عندما اعتادوا على الذهاب من نيوهافين إلى لندن.

ثم عُدْناَ صاعدين على السلالم ومنها إلى الخارج. وعندما أغلق الباب بالمفتاح وأعاده إلى مكانه تحت إصيص الزهر بدا الجزء السفلي من الكوخ وكأنه لا وجود له على الإطلاق. لقد كان ذلك الكوخ يضم عالمْين. ولقد ظل دائماً على ذلك النحو. وبدا لي الأمر شبيها بالحلم إلى أن هبطت على السلالم نازلاً مرة أخرى.

فنظر إلى ساعته.

فقلت: «إنني شغوف بهذا المكان. شغوف ومهتم به للغاية». وكنتُ عصبيا للغاية حتى إنه نظر إلى وقد اعترته الدهشة، ثم قلت: «أعتقد أنني سوف أحصل على هذا الكوخ». ولقد دهشتُ من نفسي في حقيقة الأمر لدى قولي تلك العبارة. لأنني قبل مشاهدتي لهذا الكوخ كنت أرغب دائماً في الحصول على منزل من الطراز الحديث أو منزل من النوع الذي يسمونه «منزل معاصر». وليس كوخاً قديماً منعزلاً.

ووقف هنالك وقد أدهشه اهتمامي الشديد بذلك الكوخ كما أدهشه ـ على ما أعتقد ـ أن يكون لديَّ النقود التي تكفي لشراء هذا الكوخ ـ وهي الدهشة التي يصاب بها معظم الناس عندما يعرفون مقدار ما أمتلكه من نقود كثيرة.

وبعدئذ رجع عائدا إلى لويس Lewes . إذ كان عليه أن يحضر شخصاً

ما آخر مهتماً بنفس هذا الكوخ. لذلك قلت له أنني سأبقى في الحديقة لكي أفكر في الأمر مليا قبل اتخاذ قرار نهائي.

كانت حديقة جميلة. كانت ممتدة إلى الوراء نحو حقل كان يوجد به آنئذ برسيم حجازة. وهو نبات محبب للغاية لدى الفراشات. وكان ذلك الحقل ممتدا حتى مشارف تل (من جهة الشمال). أما من جهة الشرق فكانت توجد غابات على جانبي الطريق الذي يمتد من الوادي في اتجاه لويس. وفي جهة الغرب كانت توجد حقول. وكان يوجد بيت ريفي على مسافة ٣/٤ ميل من سفح التل وهو يعتبر أقرب منزل من الكوخ. وفي الاتجاه الجنوبي يوجد منظر طبيعي جميل ولكنه كان محتجبا بعض الشيء وراء السياج الأمامي وبعض الأشجار. وهو مكان ممتاز لوقوف السيارات أيضاً.

رجعت إلى المنزل واستخرجت المفتاح ونزلتُ إلى السراديب السفلية مرة أخرى، وكان المخزن الداخلي على عمق خمسة أو ستة أقدام تحت الأرض بالتأكيد. وكان مليئاً بالرطوبة وكانت حوائطه مثل الأخشاب المبللة في الشتاء. ولم أستطع الرؤية جيدا لأنني لم يكن لديَّ سوى ولاعة السجائر الخاصة بي. وكان المنظر مخيفا بعض الشيء ولكنني لم أكن من النوع الذي يميل إلى الخرافات.

وقد يقول البعض أنني كنت سأصبح سعيد الحظ لو أن هذا الكوخ قد تعرقل شراؤه بمعرفتي ولكنني أقول لهم أنني كنت سأتمكن من العثور على أي مكان آخر إن عاجلاً أو آجلاً؛ لأنه كانت لديَّ النقود الكثيرة وكانت لديَّ قوة الإرادة. والكلام الذي قاله لي كروتشلي كان غريبا حقاً إذ قال لي «ينبغي لك أن تتدافع وتضغط في هذه الأيام» وأنا لم أمارس الضغط من مكاني في دار البلدية. لأن ذلك لم يكن يتلاءم

معي. ولكنني أود أن أشاهد كروتشلي ينظم ما قمت بتنظيمه في الصيف الماضي وينجز ذلك الأمر. أنني لست بصدد القيام بامتداح نفسي في تفآخر وتباه ولكنه لم يكن أمراً يسيراً هيّناً.

لقد قرأت في الجريدة منذ بضعة أيام ما يلي: «إن الماء بالنسبة للجسد مثل الهدف بالنسبة للذهن» وهذا أمر صحيح تماماً من وجهة نظري المتواضعة، فعندما أصبحت ميراندا هي الهدف الأسمى في حياتي فإنه ينبغي لي أن أقول أنني كننت على الأقل في نفس طيبة الرجل التالي مثلما اتضح فيما بعد.

وكان على أن أقدم سعراً يزيد ٥٠٠ جنيه عن السعر الوارد في الإعلان، وكان هناك آخرون وراء اتخاذى لهذا الإجراء، فكل شخص كان يرغب في نهب أموإلى. وكان على أن أجري اتصالات مع أناس في لويس مثل مساح الأراضي والبناء ومهندسي الديكور والناس المختصين بالأثاث. ولم أشعر بالقلق إزاء كل ذلك، ولماذا أشعر بالقلق والاهتمام؟ فالنقود في حد ذاتها لم تكن هدفاً. ولقد تسلمتُ رسائل مطولة من العمة آني وقمتُ بالرد على تلك الخطابات وذكرتُ لها في خطاباتي أرقاما تعتبر نصف ما دفعته بالفعل من نقود.

وطلبت من عمال الكهرباء توصيل سلك كهربائي إلى آسفل نحو القبو السردابي، وطلبتُ من السباكين توصيل المياه إلى ذلك القبو وتركيب خوض للماء، وأوضحت أنني أرغب في القيام ببعض أعمال النجارة والتصوير الفوتوغرافي وأن تلك الغرفة السفلية ستكون هي الغرفة الخاصة بالأعمال المتعلقة بي. ولم يكن كلامي هذا كذبا؛ إذ كانت أمامي بعض أعمال النجارة بالفعل. كما أنني قد التقطت بالفعل بعض الصور الفوتوغرافية التي لم أستطع تحميضها في دكان. ولم تكن

اللقطات الفوتوغرافية تعبر عن شيء ما رديء. كانت مجرد لقطات لثنائيات تضم شابا وفتاة.

وفي نهاية شهر أغسطس انتهى الفنيون من أعمالهم وخرجوا من الكوخ ثم انتقلت أنا إلى هذا الكوخ. وفي بداية الأمر شعرت وكأنني في حلم. إلا أن هذا الإحساس سرعان ما تبدَّد؛ إذ لم أترك بمفردي لفترة طويلة كما كنت أتوقع. حيث جاء رجل وطلب مني أن أسمح له بالإشراف على شئون الحديقة ورعايتها لأنه كان يقوم دائماً بذلك العمل، وشعر بالاستياء الشديد عندما رفضتُ طلبه. وبعدئذ جاء القسيس من القرية فاضطررتُ لأن أعامله في وقاحة وأوضحت له أنني أرغب في أن أترك وشأني بعيداً عن أي إزعاج، وقلت له أنني لا تتفق عقائدى مع عقائد الكنيسة وأنني لا أرغب في أن تكون لي علاقات مع القرية، فشعر بالإهانة وانصرف في عجرفة وخيلاء. وبعدئذ جاء إلى أناس عديدون في عربات متنقلة تبيع مواد البقالة وكافة الأغذية التي تُعرض في الدكاكين وكان على أن أُرجئ التعامل معهم وقلت لهم أنني اشتريت كل احتياجاتى من لويس.

بل وطلبت رفع الخط التليفوني أيضاً من الكوخ وتم تحقيق ذلك بالفعل.

وسرعان ما أصبحت معتادا على غلق البوابة الأمامية بالقفل وكانت بمثابة حاجز من القضبان الحديدية على شباك ولكن كان لها قفل. ومرة أو مرتين شاهدت الباعة الجائلين ينظرون من خلال البوابة ولكن يبدو أن الناس سرعان ما أدركوا جوانب الموقف. فتركونى وشأني، وبذلك تمكنتُ من مباشرة أعمإلى بدون إزعاج.

عملتُ لمدة شهر أو أكثر في مجال تجهيز خططي. كنت بمفردي

طوال الوقت. وكنت أشعر أنني سعيد الحظ لعدم وجود أي أصدقاء حقيقيين لي.

(لا يمكن لك أن تعتبر زملائي في دار البلدية أصدقاء؛ فأنا لم أشعر بافتقادهم وهم لم يشعروا بافتقادي).

وقد علمني العم ديك كيفية الاعتياد على الإتيان بأعمال غريبة وشاذة من أجل عمتي آني، فأنا لم أكن رديئاً في أعمال النجارة وغير ذلك من الأعمال المماثلة وتمكنت من إعداد وتجهيز تلك الغرفة السفلية تجهيزا حسناً للغاية، وإن كنت أنا الذي أقول ذلك لنفسي. وبعد أن تركتها لكي تجف تماماً وضعت طبقات عديدة من اللبّاد العازل للأصوات وبعدئذ وضعت سجادة جميلة لها لون برتقإلى فاتح (لون مثير للبهجة والسرور) وهو لون يتلاءم مع لون الحوائط التي كانت مطلية باللون الأبيض ووضعت بهذه الغرفة سريراً ودولاباً له أدراج ومنضدة وكرسي فوتيه إلى آخره. وعلقتُ حاجزا في أحد الأركان وجهزت المكان وراءه حيث زودته بتسريحة ودورة مياه وغير ذلك من مستلزمات ـ وكان أشبه بغرفة صغيرة منفصلة عن الغرفة الأخرى.

كما أحضرت إلى هذه الغرفة أشياء أخرى وعلب وصناديق وكمية كبيرة من الكتب التي تتناول الفنون وبعض القصص والروايات لكي تبدو الغرفة متسمة بالجو العائلي، وهو ما اكتسبته الغرفة بالفعل في نهاية الأمر. ولم أخاطر بوضع لوحات زيتية فنية لأنني كنت أدرك أنها ربما يكون لها ذوق فني متقدم ورفيع.

وكانت هناك مشكلة واحدة بالطبع ألا وهي الأبواب والضوضاء. فقد كان هناك إطار ممتاز مٰن خشب البلوط القديم في الباب المؤدي إلى غرفتها ولكن لم يكن هناك باب؛ لذلك كان ينبغي لي أن أصنع باباً

يتلاءم مع ذلك الإطار، وتلك كانت أصعب مهمة قمت بها. فالباب الأول الذي صنعته لم يتلاءم مع الإطار ولكن الباب الثاني الذي أعددته كان أفضل من الباب الأول. وكان باباً متيناً بحيث لا يستطيع رجل أن يكسره، ناهيك عن إنسانة ضئيلة مثلها. كان مصنوعاً من خشب مجفف يبلغ سمكه بوصتين ومغطى بطبقة معدنية من الداخل حتى لا تتمكن من الوصول إلى الطبقة الخشبية بسهولة. كان وزنه ثقيلاً في حدود طن وكان من الصعب تركيبه ولكنني نجحت في ذلك. وركبتُ به من الخارج ترابيس يبلغ طول كل منها عشر بوصات. وبعدئذ فعلتُ شيئاً ما يتسم بالمهارة، إذ صنعت شيئاً شبيهاً بالمكتبة أو خزانة الكتب من أجل أن أضع بها الآلات والأدوات والأشياء فقط واستخدمت في ذلك بعض قطع الأخشاب القديمة وزودتها بمزإليج خشبية في فتحة الباب بحيث إذا ألقيت نظرة عابرة فإنها تبدو لك وكأنها تجويف قديم بالحائط مزود بالأرفف. وإذا رفعتها فإنك تجد الباب من خلالها. هذا بالإضافة إلى أنها كانت تمنع نفاذ أي صوت إلى الخارج، كما أنني ركبّتُ ترباسا على الجانب الداخلي من الباب الذي كان به قفل منخفض للغاية بالنسبة للغرفة السفلية لكي لا أتعرض للإزعاج. كما ركبتُ جرس إنذار بالسرقة. وهو جرس من النوع البسيط من أجل مواجهة فترات الليل.

ووضعت في الغرفة السفلية الأولي جهازاً للطبخ ومعه كافة التسهيلات الأخرى. فأنا لم أكن أعرف أنه لن يكون هناك أناس ممن يدسون أنوفهم في شئون الآخرين. وكان الأمر سيصبح غريبا لو أنني دأبت دائماً على حمل صينيات الطعام صعوداً وهبوطاً. ولكن نظراً لأن هذه الغرف التحتية كانت تقع في الجزء الخلفي من المنزل فإنني لم أشعر بالقلق حيث لم يكن يوجد هناك سوى الحقول والغابات. وعلى كل حال فإن جانبين من جوانب الحديقة كأنا على هيئة حائط أما

الجانبان الآخران فكأنا بمثابة سياج لا يستطيع المرء النظر من خلاله. وكان هذا الكوخ ملائما إلى حدّ كبير. ولقد فكرت في عمل سلالم تربط الجزء الأمامي بالكوخ بهذه الغرفة السفلية ولكن التكاليف كانت عالية للغاية كما أنني لم أرغب في إثارة الشكوك. ولا يمكن للمرء أن يثق بالعمال في هذه الأيام لأنهم يرغبون دائماً في معرفة كل شيء.

وطول هذا الوقت لم أفكر على الإطلاق في هذا الموضوع تفكيراً جديا. وكنت أدرك أن ذلك الأمر سيبدو غريبا للغاية بكل تأكيد. ولكنه كان غريبا بالفعل ولقد اعتدت أن أقول لنفسي: «إنني بالطبع لن أفعل هذا العمل على الإطلاق. وأن هذا مجرد ادعاء وتظاهر». بل ولم يكن باستطاعتي أن أتظاهر على ذلك النحو لو لم يكن لديَّ الوقت والأموال التي تعينني على ذلك. وفي رأيي أن هناك عددا كبيرا من الناس الذين قد يبدون سعداء الآن كانوا سيفعلون ما فعلته أو سيفعلون أمورا مماثلة لو كان هناك قد توفر لهم الوقت والمال اللازمان لذلك، ولقد كان مدرس لي يقول دائماً: إن القوة تفسد أخلاق الإنسان. والنقود هي شكل من أشكال القوة.

وفعلتُ شيئاً آخر، إذ قمتُ بشراء كمية كبيرة من الملابس من أجلها من محلّ كبير في لندن، حيث شاهدتُ بائعة في ذلك المحل لها نفس حجم ميراندا وطلبت شراء ملابس لها نفس ألوان الملابس التي ترتديها ميراندا دائماً، كما اشتريت كافة الأشياء الأخرى الموجودة هناك والتي قالوا إن الفتاة الصغيرة تكون في حاجة إليها. ولقد قلت لهم في ذلك المحل إن لي صديقة من الشمال وكل أمتعتها قد سرقت ولذلك فأنا أريد أن أعدّ لها مفاجأة بشراء كل هذه الحاجيات والملابس... إلى آخره. ولا أظن أن البائعة في ذلك المحل قد صدقت كلامي ولكن حجم المبيعات كان كُبيراً للغاية فقد دفعت نحو ٩٠ جنيهاً في ذلك الصباح.

وكنت أقضى الليالي في دراسة التدابير الاحتياطية لتجنب المخاطر، إذ اعتدت على الذهاب والجلوس في غرفتها والتفكير فيما يمكن أن تفعله لكي تهرب. ورحت أفكر في أنها ربما تكون لديها فكرة عن الكهرباء، فالمرء لا يمكن له أن يعرف طبيعة الفتيات في هذه الأيام؛ لذلك كنت أرتدي دائماً أحذية لها نعل من المطاط. ولم ألمس أبداً مفتاحاً كهربائيّاً بدون أن ألقي نظرة فاحصة أولاً. وأحضرت جهازا لحرق الفضلات والقمامة حرقا تاما وذلك لكي أحرق القمامة المتخلفة عنها. ووضعت في تقديراتى أنها يجب ألا تترك أو تخرج من منزلي طوال حياتها على الإطلاق. لا توجد حجرة لغسل الملابس في هذا الكوخ. فدائماً ما يكون هناك شيء ما أولاً، ورجعت إلى لندن وإلى فندق كريمورن. ورحت أنتظر مشاهدتها لأيام عديدة ولكنني لم أشاهدها. كان وقتاً عصيبا للغاية ولكنني تحليتُ بالصبر وداومت على الترقب والانتظار. ولم آخذ الكاميرا معي؛ حيث كنت أدرك أن في ذلك مخاطرة كبيرة، إذ كنت بصدد تحقيق خطة هائلة ماكرة وليس مجرد التقاط صورة فوتوغرافية لها أثناء وجودها في الشارع. وذهبت مرتين إلى المقهى. وفي أحد الأيام قضيت هناك نحو ساعتين مدعيا أنني أقرأ كتاباً ولكنها لم تحضر. وبدأت تهبط على ذهني أفكار متهورة ومسعورة... ربما تكون قد ماتت.. أو ربما توقفت تماماً عن دراسة الفنون. وبعدئذ وفي أحد الأيام (ولم أكن أرغب في أن تصبح السيارة الفان الخاصة بي مألوفة للغاية) وبينما كنت خارجاً من القطار الذي ينطلق تحت الأرض عند شارع وارين شاهدتها. إذ كانت تهبط خارجة من قطار قادم من الشمال على الرصيف الآخر. وكان الأمر سهلاً. إذ سرت وراءها وهي تخرج من المحطة وشاهدتها وهي تسير في اتجاه الكلية، وفي الأيام التالية رحت أرقب محطة نفق السكة الحديدية. ربما لم تكن تستخدم دائماً قطار

الأنفاق في رحلة عودتها إلى بيتها. إذ لم أشاهدها على مدى يومين متتإلين. ولكن في اليوم الثالث شاهدتها وهي تعبر الطريق وتدخل إلى المحطة. وبذلك اكتشفت المكان الذي كانت تجيء منه. لقد كان ذلك المكان هو هامبستيد. وفعلتُ نفس الشيء هناك، انتظرت خروجها في اليوم التالي وعندما خرجت تتبعتها نحو عشر دقائق عبْر مجموعة من الشوارع الجانبية إلى حيث كانت تعيش. وسرتُ متجاوزاً المنزل الذي دخلت إليه وعرفتُ رقم المنزل. وواصلت سيري حتى نهاية الشارع إلى أن عرفت اسم الشارع.

لقد حققت إنجازاً عظيماً في ذلك اليوم.

وكنت قد سجلت اسمي للخروج من فندق كريمورن منذ ثلاثة أيام سابقة وفي كل ليلة كنت أدخل إلى فندق جديد وآخرج منه في صباح اليوم التالي لكي لا يتمكن أحد من مراقبتي واقتفاء أثري. وكنت قد جهزت السرير في داخل العربة الفان الخاصة بي كما جهزت السيور والأشرطة الجلدية والتلفيعات والإيشاربات الحريمي. وكنت وقد وضعت في الاعتبار استخدام مادة الكلوروفورم المخدرة، وكنت قد استخدمت هذه المادة في زجاجة القتل فقد سمح لي شاب يعمل في قسم التحليلات العمومية بالحصول على كمية من هذه المادة. وهي مادة ليست ضعيفة ولكن لكي أتأكد أكثر فإنني قررت أن أخلطها بمادة رابع كلوريد الكربون والتي تسمى CTC وهي مادة يمكن للمرء شراؤها من أي مكان.

ورحت أجوب بسيارتي جميع أرجاء منطقة هامبستيد ودرست تلك المنطقة مستعينا بالدليل الذي يسمى «من الألف إلى الياء Aroz» وكيفية وصولي على أن أرقب وأنتظر الفرصة الملائمة وعندما يكون معدّاً

وجاهزاً. لذلك أصبح على أن أرقب وأنتظر الفرصة الملائمة، وعندما تتاح لي الفرصة أنفذ الفكرة على الفور. وكنت غريب الشأن بالفعل في تلك الأيام إذ كنت أفكر في كل شيء وفي كل الاحتمالات وكما لو كنت أقوم بمثل هذه الأعمال طوال حياتي. وكما لو كنت قد عملت من قبل كجاسوس أو مخبر سرّي.

وأخيراً وبعد عشرة أيام حدث ذلك الأمر مثلما يحدث أحيأنا مع الفراشات. أقصد أن المرء قد يذهب إلى مكان وهو يدرك أنه ربما يشاهد شيئاً ما نادراً ولكنه لا يشاهد شيئاً من هذا القبيل ولكن في المرة التالية والتي لا يبحث فيها عن ذلك الشيء فإنه يشاهده فوق زهرة أمامه مباشرة ومقدماً له على طبق من فضة كما يقولون.

في هذه الليلة كنت خارج محطة السكة الحديدية التي هي تحت الأرض كالمعتاد مع سيارتي الفان في شارع جانبي. كان يوم جميل ولكن سرعان ما بدأ الرعد والمطر. وكنت واقفا في فتحة باب أحد الدكاكين في مواجهة باب الخروج الخاص بمحطة السكة الحديدية الموجودة تحت الأرض. وشاهدتها تصعد على السلالم في نفس اللحظة التي بدأ فيها المطر ينهال مدراراً وأدركت أنها لا ترتدي معطف مطر وإنما كانت ترتدي بلوزة من التريكو فقط، ثم شاهدتها وهي تجري عند ناصية في اتجاه الجزء الرئيسي من محطة السكة الحديدية. فعبرت الطريق وكانت هناك كتل من الجماهير تتدافع هنا وهناك. وبعدئذٍ شاهدتها وهي واقفة في داخل كابينة تليفون. ثم خرجت من الكابينة وبدلاً من الاتجاه نحو التلّ كالمعتاد فإنها سارت في شارع آخر. فسرتُ وراءها وظننتُ أن سيرها في ذلك الشارع ليس في صالحي لأنني لم أكن أعرف ما هي مقدمة عليه. وبعدئذ دخلت فجأة في شارع جانبي وكانت هناك سينما في ذلك الشارع وشاهدتها وهي تدخل إلى السينما وعندئذٍ

أدركت جوانب الموقف. فهي قد اتصلت تليفونيا بالمكان الذي تسكن فيه لكي تقول إن المطر يهطل مدراراً وإنها قد دخلت إلى السينما بهدف الانتظار لحين أن يصبح الجو صحوا. وأدركت أن فرصتي الذهبية قد حانت اللهم إلا إذا جاء شخص ما لمقابلتها. وبعد أن دخلتْ هي إلى السينما ذهبتُ إلى السينما لكي أعرف مدة العرض السينمائي. إن فترة العرض تستغرق ساعتين. وقمتُ بالمجازفة وربما أردت أن أعطي للقدر فرصة لإيقافي ومنعي من تنفيذ الخطة الموجودة في ذهني. فذهبت إلى مقهى وتناولتُ طعام العشاء. ولم أكن أعرف ما يمكنني أن أتوقعه، فلربما هي كانت في انتظار صديق لها. أقصد أنني شعرت وكأنني أنحدر نحو الهاوية مثل الشلالات بحيث كان هناك احتمال في أن أرتطم في شيء ما أو أتوصل إلى تحقيق هدفي.

وخرجت ميراندا من السينما بمفردها بعد مرور ساعتين على وجه الدقة وكانت الأمطار قد توقفت بعض الشيء وكان الجو يكاد يكون مظلما وكانت السماء ملبدة بالغيوم. وشاهدتها وهي ترجع متخذة الطريق الاعتيادي نحو التل. وبعدئذ قُدْتُ سيارتي متخطيا إياها إلى مكان كنت أعرف أنها ستمرّ من عنده بكل تاكيد. وهي الناصية التي ينحني عندها الشارع الذي تعيش فيه مبتعدا عن شارع آخر. وكانت هناك أشجار وشجيرات على أحد الجانبين، وعلى الجانب الآخر كان يوجد منزل ضخم وهائل يشغل مساحة كبيرة من الأرض. وأعتقد أن ذلك المنزل الهائل كان شاغرا. ومع ارتفاع الشارع كانت هناك منازل أخرى وكلها من المنازل الضخمة الهائلة الحجم. وتمت المراحل الأولي من مشيها في شوارع مضاءة بأنوار ساطعة.

لم يكن هناك سوى ذلك المكان الوحيد. وكان هناك جيب صغير من البلاستيك محاط في داخل جيب معطف المطر الخاص بي. وكنت قد

وضعت في ذلك الجيب البلاستيك قَدْراً من مادة الكلوروفورم الـ CTC ولذلك كان ذلك الجيب البلاستيك منتفخاً وطرياً. وحرصت على جعل حاشية الجيب أو قبعة الجيب متجهة لآسفل بهدف أن تظل الرائحة محجوزة في داخل الجيب وبعدئذ يمكن لي في خلال ثانية واحدة استخراج تلك المواد في وقت الحاجة إليها.

وظهرت امرأتان عجوزان تمسك كل منهما بمظلة (إذ بدأ المطر يتساقط مرة أخرى).

وسارتا في الشارع في اتجاهي وهو أمر لم أكن أريد أن يحدث على الإطلاق. وكنت أدرك أن وصولها أصبح متوقعا وكنت على وشك أن أصرف النظر عن هذا الموضوع في التوّ واللحظة. ولكنني انحنيتُ لآسفل ومرت المرأتان بجواري وهما تتحدثان بسرعة وبدون انقطاع. ولا أظن أنهما شاهدتاني أو شاهدتا السيارة. وكانت هناك سيارات واقفة في المساحة المخصصة لوقوف السيارات هنا وهناك في تلك المنطقة. وبعد مرور دقيقة خرجتُ من سيارتي وفتحت الجزء الخلفي منها. وكان كل شيء معُداً وفقا للخطة الموضوعة. وشاهدتها وهي تجيء مقتربة. وازداد اقترابها بدون أن تشاهدني حيث كانت تسير بسرعة وأصبحت على مسافة عشرين ياردة مني فقط. ولو كانت السماء صافية في تلك الليلة فإنني لا أعرف ما الذي كنت سأفعله. ولكن كانت هناك تلك الرياح العاصفة بين الأشجار. كان الجو عاصفا ومليئاً بالزوابع. وأدركت أنه لا يوجد هناك أي شخص وراءها وبعدئذ أصبحت موجودة خلفي مباشرة وهي منطلقة على رصيف الشارع ومن الغريب أنها كانت تغّنى لنفسها.

قلت لها: «لو سمحت، هل تعرفين أية معلومات عن الكلاب؟».

فتوقفت عن السير في دهشة وقالت:

«لماذا؟».

فقلت: «إنه لأمر شنيع، فقد دهمتُ بسيارتى كلبا منذ لحظات. فهو قد انطلق مندفعا فارتطم بالسيارة. ولست أدري ما الذي أفعله من أجله». ثم نظرت إلى الجزء الخلفي من سيارتي في قلق واهتمام شديد وقلتُ: «ولكنه لم يتعرض للموت، فهو مازال على قيْد الحياة».

فقالت: «أوه! يا له من كلب مسكين».

واقتربت مني لكي تلقي نظرة، تماماً على النحو الذي كنت آمله وأتوقعه.

وقلت لها: «لا توجد به دماء، ولكنه لا يستطيع أن يتحرك».

وبعدئذ اتجهتُ إلى حافة الباب الخلفي المفتوح واتخذت أنا خطوة للوراء وكأنني أفسح لها المكان لكي أدعها تلقي نظرة. وانحنتْ هي للأمام لكي تحملق في داخل السيارة فنظرت أنا إلى الطريق وأدركت أنه لا يوجد هناك أي شخص وبعدئذ أمسكت بها. فلم تصدر عنها أية أصوات ويبدو أنها أصيبت بذهول تام. وآخرجت كيس البلاستيك الصغير الذي كنت ممسكا به في داخل جيبي ووضعته على فمها وأنفها وشددت من قبضتى عليها وتصاعدت بعض الغازات الضارة إلى أنفي وبدأت أشم رائحتها. وراحت هي تقاوم مثل العصافير الصغيرة ولكنها لم تكن قوية بل وكانت أكثر ضآلة مما كنت أتصور وصدر عنها نوع من الغرغرة والبقبقة فنظرت إلى الطريق مرة أخرى. وكنت أتخيل بعد هذا الذي حدث أنها ستقاوم في استماتة مما يضطرني إلى إلحاق الأذى بها أو اللجوء للفرار. وكنت على استعداد لأن ألوذ بالفرار فجأة. ولكنها ارتمت فجأة في تراخ من شدة الإعياء. واضطررتُ لأن أرفعها لأعلى

بدلا من مساندتها. وأدخلت نصف جسدها في داخل السيارة ثم فتحت الباب الآخر ودخلت إلى السيارة وجذبتها تماماً إلى داخل السيارة ثم أغلقت البابين في هدوء. وتدحرجت وقمت برفعها ووضعها على السرير. لقد أصبحت ملْكاً لي وشعرت فجأة بالإثارة البالغة وأدركت أنني نجحتُ تماماً في إنجاز هذه الفكرة. ووضعت الكمامة في فمها أولاً ثم قمت بعدئذ بربطها بالحبال والأشرطة في غير تسرع وبدون هلع أو خوف تماماً على النحو الذي وضعته في خطتي. ثم تدافعتُ زاحفا إلى كرسي القيادة. كل ذلك استغرق فترة أقل من دقيقة. ثم انطلقت بالسيارة على الطريق في بطء وهدوء وانحرفت بالسيارة نحو أرض بور تابعة للهامبستيد وهو مكان كنت قد لاحظت وجوده من قبل وأوقفت السيارة. ثم دخلتُ إلى المكان الخلفي بالسيارة مرة أخرى وقمت بربطها في إحكام وبطريقة سليمة مستخدما التلفيعات وكل الأشياء الأخرى لكي لا تتعرض للأذى والضرر وبذلك لم يكن باستطاعتها أن تصرخ مستغيثة أو أن تطرق على جوانب السيارة من الداخل أو أي شيء من هذا القبيل. كانت لا تزال مغشيا عليها في إغماء ولكنها كانت تتنفس كما لو كانت مصابة بالتهاب في الغشاء المخاطي أو مصابة بالزكام حيث كنت أسمع أصوات تنفسها ولذلك أدركت أنها على ما يرام.

وبالقرب من ريدهيل Redhill قدت سيارتي بعيداً عن الطريق الرئيسي وفقا للخطة الموضوعة. وانطلقتُ في شارع جانبي مهجور وبعدئذ دخلتُ إلى الجزء الخلفي من السيارة لإلقاء نظرة عليها. وأضأت بطارية جيب تعطي ضوءاً خفيفاً وتمكنت من مشاهدتها بوضوح. لقد كانت مستيقظة وبدت عيناها متسعتين للغاية. لم يكن الخوف يطل من عينيها على ما يبدو، بل وبدت عيناها وكأنهما فخورتان وكما لو كانت قد قررت ألاَّ يتسرب الخوف إلى قلبها مهما كان الثمن.

قلتُ لها: «لا تشعري بالذعر والخوف؛ فأنا لن أسبب لك أي ضرر أو إيذاء». فاستمرتْ في الحملقة في وجهي.

كان الموقف مليئاً بالارتباك والخجل. لم أكن أعرف ما ينبغي لي أن أقوله. فقلت لها: «هل أنت على ما يرام؟ هل تريدين أي شيء؟»

ولكن بدا تساؤلي هذا سخيفاً، فأنا كنت أقصد في الحقيقة ما إذا كانت ترغب في الخروج من السيارة.

وراحت تهزّ رأسها وأدركت أنها تريد أن تقول إن الكمامة تسبب لها آلاماً.

فقلت لها: «نحن على مسافة أميل في أعماق الريف. ولا فائدة تُرجى من وراء الصراخ إذا شرعت في الصراخ لأنني عندئذ سأعيد الكمامة إلى فمك بسرعة. هل تفهمينني؟».

فأومأت برأسها؛ لذلك قمت بفك التلفيعة وقبل أن أتمكن من عمل أي شيء فإنها ارتفعت بهامتها إلى أعلى بقدر ما تستطيع وراحت تتقيأ. وكان التقيؤ رهيبا. وترامت إلى أنفي رائحة الكلوروفورم ورائحة التقيؤ. ولم تقل لي أي كلام، كانت تكتفي بالأنين والتأوه، وفقدت صوابي وشعرتُ بالارتباك، ولم أكن أعرف ماذا أفعل، وأدركت فجأة أنه ينبغي لنا الذهاب إلى منزلي بأسرع ما يمكن. لذلك وضعتُ الكمامة مرة أخرى بينما راحت هي تقاومني وسمعتها تقول من تحت القماش: «لا. لا. الكمامة رهيبة» ولكنني أرغمت نفسي على الالتزام بضرورة وضع الكمامة حيث أدركت أن ذلك أفضل كإجراء وقائي. ثم جلست في كرسي القيادة وانطلقنا بالسيارة.

ووصلنا إلى الكوخ بعد الساعة العاشرة والنصف مباشرة. واتجهت بالسيارة إلى الجراج. ثم ذهبت لإلقاء نظرة على الكوخ بغرض التأكد من

أن شيئاً ما لم يحدث أثناء غيابي وليس لأنني كنت أتوقع حدوث أي شيء ولكنني لم أكن أرغب في إتلاف السفينة من أجل كمية ضئيلة من القطران. فنزلت هابطاً إلى حجرتها وأدركت أن كل شيء في تلك الغرفة كان على ما يرام؛ حيث لم يكن الهواء بها فاسدا للغاية لأنني كنت قد تركت باب تلك الغرفة مفتوحاً. ولقد سبق لي أن نمت في تلك الغرفة في إحدى الليالي من قبل لكي أتاكد من أن بها قدراً كافيا من الهواء، وتأكدت أن الهواء كافيا بها. وكانت توجد بالغرفة كل الأدوات التي تعين على إعداد الشاي وغير ذلك من المشروبات الأخرى. وكانت تبدو مريحة ودافئة ومتسمة بالجو العائلي.

وأخيرا جاءت اللحظات الهائلة العظيمة، اتجهتُ إلى الجراج وفتحت الباب الخلفي للسيارة الفان، كان كل شيء يسير وفقا للخطة الموضوعة مثل مراحلي السابقة في العملية، قمتُ بفك الأشرطة عنها وجعلتها تجلس معتدلة بينما كانت ساقاها وقدماها مازالت مربوطة بالطبع. وراحت هي تركل وترفس هنا وهناك للحظات فاضطررت لأن أقول لها أنني سأضطر إلى اللجوء إلى الكلورو ومادة الـ CTC إذا لم تلتزم بالهدوء (وجعلتها تشاهد هذه المواد) ثم أوضحت لها أنني لن أسبب لها أي أذى إذا كفت عن المقاومة، فالتزمت بالهدوء بالفعل. فقمت بحملها ولم يكن وزنها ثقيلا للغاية كما توقعت ونزلت بها لآسفل في سهولة كبيرة وتعرضنا لقدر ضئيل من الكفاح والمجهود عند باب غرفتها ولكن لم يكن بمقدورها أن تفعل الكثير آنئذ. ثم وضعتها على السرير. لقد تم إنجاز الخطة تماماً.

كان وجهها شاحبا وكان قدر من القيء قد سقط على بلوزتها التريكو البحرية. كانت رائعة وفاتنة للغاية، ولكن لم يكن هناك خوف في عينيها وكان ذلك أمراً غريبا بالفعل. كانت مكتفية بالحملقة في وجهي في انتظار وترقّب.

قلتُ لها: «هذه هي غرفتك، وإذا تصرفت وفقا لما أقوله لك لن تصابي بأي ضرر. ولا فائدة من وراء لجوئك للصراخ والصياح؛ فلن يصل صراخك إلى خارج الكوخ، وحتى إذا وصل صراخك إلى الخارج فلا يوجد هناك أي شخص قريب من هذا المكان لكي يسمعك على الإطلاق، ولسوف أتركك الآن، ويوجد هنا قدْر من البسكويت والساندوتشات (وكنت قد اشتريت هذه المأكولات من هامبستيد) ويمكن لك أن تعدّي لنفسك الشاي أو الكاكاو إذا رغبت في ذلك. ولسوف أرجع إليك في صباح الغد».

وأدركت أنها تريد مني أن أرفع الكمامة عن فمها ولكنني لم أوافق على ذلك. واكتفيت بأن قمت بفك قيود يديها ثم تراجعت خارجاً على الفور وراحت تقاوم محاولة التخلص من الكمامة ولكنني أغلقتُ الباب أولاً ثم أغلقتُ الترابيس. وسمعتها تصيح «ارجعْ إلى» ثم صاحت بنفس العبارة مرة أخرى بصوت منخفض. وحاولت أن تفتح الباب في غير لجوء إلى العنف وبعدئذ راحت تطرق على الباب في عنف بعض الشيء مستخدمة شيئاً ما وأظن أنها استخدمت فرشاة الشعر. وعلى كل حال لم تصدر أصوات عالية للغاية عن هذه الفرشاة وكنت واثقاً بأن تلك الأصوات لن تصل مطلقاً إلى خارج الكوخ. وظللت منتظرا لمدة ساعة في الغرفة التحتية الخارجية لمواجهة أية أمور طارئة ولكن لم يكن هناك داع لذلك إذ لم يكن هناك أي شيء في غرفتها يمكنها من أن تستعين به لكسر الباب حتى ولو كانت عندها القوة التي تعينها على ذلك فقد حرصت على أن تكون كل الأطباق والفناجين مصنوعة من البلاستيك وبراد الشاي وما يلزم المائدة من سكاكين وملاعق وشوكات مصنوعة من الألومنيوم.

وأخيراً صعدتُ وذهبت إلى سريري. لقد أصبحتت هي ضيفتى أخيراً

وذلك هو كل ما كان يهمني. وظللتُ مستيقظاً لفترة طويلة مفكراً في الأمور والأشياء. وشعرت بأنني غير متاكد من أن سيارتي الفان قد اقتُفي أثرها. ولكن كانت هناك مئات السيارات الفان التي تشبهها والناس الوحيدون الذين شعرت بالقلق من ناحيتهم هما هاتان المرأتان اللتان مرتا بجواري.

حسناً، واستلقيت في سريري مفكراً في كيانها الموجود آسفلي، حيث تخيلتها وهي مستيقظة هي الأخرى ثم استغرقتُ في أحلام إليقظة وحلمت أحلاماً جميلة: حلمت أنني نزلت إليها بالغرفة السفلية ورحت أهدئ من روعها وأواسيها وكنت أشعر بالإثارة أثناء الحلم ربما أكون قد تماديت بعض الشيء فيما يتعلق بما سمحت لنفسي أن أحلم به ولكنني لم أكن أشعر بالقلق في حقيقة الأمر؛ حيث كنت أدرك أن حبي كان جديرا بها، وبعدئذٍ أسلمت نفسي للنوم.

وبعدئذ كانت تقول لي أنني فعلت أمراً سيئاً وأنه ينبغي لي أن أحاول وأدرك في مزيد من الدقة مدى ما أقدمت عليه من سوء وأذى. ويمكنني القول أنني كنت سعيداً للغاية في ذلك المساء كما سبق أن قلت؛ إذ كنت أشعر أنني أقدمت على شيء ما يتسم بالجرأة الشديدة.. شيء ما أشبه بتسلق قمة جبل إيفرست أو أشبه بعمل شيء ما في أرض الأعداء، كانت مشاعري تموج بالسعادة والغبطة الهائلة لأن نواياي كانت من أفضل النوايا. وهو أمر لم تفهمه هي في أي وقت من الأوقات على الإطلاق.

قصارى القول أن تلك الليلة كانت تعبر عن أفضل شيء فعلته طوال حياتي (فيما عدا كسبي لليانصيب الذي يجيء في المرتبة الأولي) كان الأمر أشبه ما يكون بإمساكي بالمازارين بلو Mazarine Blue مرة أخرى

أو بإمساكي لفراشة الفريتييريا التي تسمى ملكة أسبانيا Qucen of Spain Fritillary أقصد أنه كان يشبه شيئاً ما لا تفعله سوى مرة واحدة طوال حياتك.... شيئاً ما تحلم به أكثر مما تتوقع أن تشاهده يتحقق.

لم أكن بحاجة للمنبه لكي يوقظني، فقد استيقظت من النوم قبل أن يدق المنبه. ثم نزلت هابطاً وأغلقت باب السرداب بالقفل ورائي، كنت قد وضعت خطة لكل شيء. ثم طرقتُ على بابها وصحت قائلاً: «استيقظي من النوم لو سمحت». وانتظرت عشر دقائق ثم سحبت الترابيس ودخلت إلى حجرتها، كانت حقيبة يدها معي وكنت قد فتشت في تلك الحقيبة بالطبع. لم يكن هناك شيء بها يمكنها استخدامه سوى شفرة الحلاقة التي نقلتها إلى مكان آخر.

كان المصباح الكهربائي مضاء بالحجرة وكانت هي واقفة بجوار الكرسي الفوتيهن، وكانت مرتدية ملابسها بالكامل ثم راحت تحملق في وجهي مرة أخرى بدون أن يبدو عليها أي دلائل تدلّ على خوفها، بل وكانت جريئة إلى درجة الوقاحة. وكان من الغريب أنها لم تبد على النحو الذي كنت أتخيلها عليه دائماً، وأنا بالطبع لم يسبق لي أن شاهدتها عن كثب شديد للغاية من قبل.

قلت لها: «آمل أن تكوني قد نمت نوماً هادئاً وعميقاً».

فقالت: في برود شديد وفي غير عنف على الإطلاق: «أين يوجد هذا المكان؟ ومَنْ تكون أنت؟ ولماذا قمت باحضارى إلى هنا؟».

ـ «لا أستطيع الإجابة على أسئلتك هذه».

فقالت: «إنني أطالب بإطلاق سراحي على الفور، فهذا أمر يتسم بالوحشية».

كنا نقف ونحملق في بعضنا البعض.

ثم قالت: «ابتعد عن طريقي؛ فأنا بصدد مغادرة هذا المكان»

ثم سارت نحوي مباشرة في اتجاه الباب ولكنني لم أتزحزح من مكاني وظننتُ للوهلة الأولي أنها بصدد مهاجمتي ولكن من المؤكد أنها أدركت أن ذلك سيكون أمراً سخيفاً، فقد كنت مصمماً ولم يكن بمقدورها أن تكسب الجولة، فتوقفت عن السير أمامي مباشرة وقالت: «ابتعد عنّي».

فقلت: «لم يحن الوقت الملائم لذهابك، وأرجو ألا أضطر لاستخدام القوة مرة أخرى».

فنظرت إلى نظرات مليئة بالبرودة والشراسة ثم استدارت مبتعدة عني وقالت: «إذا كنت تظن أنني ابنة رجل غني وبالتالي فإنك ستحصل على فدية كبيرة من المال فإنك ستصاب بصدمة كبيرة».

فقلت لها: «إنني أعرف مَنْ تكونين، والمسألة لا تتعلق بالنقود».

لم أكن أعرف ماذا أقول، كنت أشعر بالإثارة البالغة بعد أن أصبحت موجودة أمامي أخيراً بجسدها وكيانها، كنت عصبيّاً للغاية، كنت أريد الاستمتاع بالنظر إلى وجهها وإلى شعرها الجميل، فكل شيء فيها كان منمقاً وجميلاً ولكنني لم أستطع؛ ولذلك راحت هي تحملق في وجهي.

وكانت هناك فترة من الصمت تتسم بالغرابة.

وفجأة قالت: في لهجة مليئة بالاتهام: «وهل أنا لا أعرف مَنْ تكون أنت؟».

فبدأت الدماء تتصاعد إلى وجهي، لم يكن باستطاعتي أن أفعل شيئاً إزاء تساؤلها هذا، فأنا لم أخطط أبداً لمواجهة ذلك؛ إذ لم يخطر على ذهني مطلقاً أنها ربما تعرفني شخصيّاً.

وقالت: في بطء: «دار البلدية».

فقلت: «لا أعرف ماذا تقصدين».

فقالت: «وأنت قد ربيت شاربك».

كنت مازلت لا أعرف كيف عرفتني، وأعتقد أنها قد شاهدتني مرات قليلة من خلال نوافذ منزلهم في بعض الأحيان، ولم يخطر ذلك على ذهني من قبل، وشعرت أن ذهني يدور في دوامة.

وقالت: «وصورتك الفوتوغرافية كانت في الجريدة».

لقد كنت أكره دائماً أن يتم اكتشافي، ولا أعرف السبب في ذلك، ولقد حاولت دائماً أن أشرح ـ أقصد أن أبتكر قصصاً وروايات لكي أشرح.

وفجأة تراءى لي مخرج.

فقلت: «إنني لا أفعل سوى تنفيذ الأوامر الصادرة إلى».

فقالت: «أوامر؟!» وأضافت: «أوامر صادرة عن مَنْ؟».

قلت: «لا أستطيع أن أخبرك».

كانت لا تزال تحملق في وجهي مع الاحتفاظ بمسافة بينها وبيني في نفس الوقت، وأظن أنها كانت تعتقد أنني قد أهجم عليها.

وتساءلت: مرة أخرى: «مَنْ الذي أصدر لك تلك الأوامر؟».

حاولت أن أفكر في اسم شخص ما. كان الاسم الوحيد الذي اعتقدت أنها يمكن لها أن تعرفه هو المستر سنجلتون Singleton ولست أدرى السبب في اعتقادي هذا. وكان هذا الرجل مديراً لبنك باركليز، وكنت أعرف أن والدها يودع نقوده في ذلك البنك، فقد شاهدته مرات عديدة هناك عندما كنت موجوداً وقد رأيته وهو يتحدث مع المستر سنجلتون.

فقالت: أوامر المستر سنجلتون؟!!.

وظهرت على وجهها دلائل الدهشة الشديدة لذلك سارعت إلى القول: «من المفروض ألا أخبرك بذلك، وهو سوف يقتلني إذا عرف أنني أخبرتك».

فقالت: كما لو كانت لا تسمعني جيّداً: «المستر سنجلتون؟».

فقلت: إنه ليس على النحو الذي تظنينه.

وجلست فجأة على ذراع الكرسي الفوتيه. كما لو كان الكرسي ضخماً للغاية بالنسبة لجسدها الضئيل، ثم تساءلت: «أنت تقصد أن المستر سنجلتون هو الذي أصدر لك الأوامر باختطافي؟».

فأومأت برأسي.

فقالت: ولكنني أعرف ابنته، إنه... أوه! إن هذا عمل يتسم بالجنون.

ـ هل تذكرين الفتاة التي كانت تسكن في شارع بنهارست؟.

ـ مَنْ هي تلك الفتاة التي كانت في شارع بنهارست؟.

ـ الفتاة التي اختفت منذ ثلاث سنوات.

وكانت تلك قصة أقوم بتلفيقها وكان عقلي نشطاً للغاية وسريعاً في ذلك الصباح، أو هكذا كنت أعتقد.

فقالت: ربما كنت في ذلك الوقت بعيدة في المدرسة، ما الذي حدث لتلك الفتاة؟.

ـ لست أدرى، كل ما أعرفه أنه هو الذي فعل ذلك.

ـ ماذا فعل؟

ـ لست أدرى، لا أعرف ماذا حدث لها، ولكنه هو الذي فعل ذلك

الأمر مهما كانت نوعية ذلك الأمر، إذ لم يعرف عنها أحد أية معلومات منذ اختفائها.

فقالت: فجأة: هل لديك سيجارة؟.

كنت مرتبكا للغاية، استخرجت علبة السجائر من جيبي كما استخرجت الولاعة واتجهت إليها وأعطيتهما لها. ولم أكن أعرف ما إذا كان ينبغي لي أن أشعْل لها سيجارتها ولكن ذلك بدا سخيفاً.

وقلتُ لها: أنت لم تأكلي أي طعام.

فأمسكت بالسيجارة بين أصابعها مثل سيدة محترمة للغاية، وكانت قد نظفت بلوزة التريكو الخاصة بها، وكان الجو خانقا بسبب عدم التهوية.

ولم تأبه لكلامى، وكان ذلك أمراً غريباً. وأدركت أنها عرفتْ أنني كنت أكذب عليها.

وقالت: «أنت تريد أن تقول لي إن المستر سنجلتون هو إنسان مجنون بالنواحى الجنسية، وإنه يختطف الفتيات وإنك تساعده على تحقيق ذلك؟».

فقلت لها: «إنني مضطر لأن أساعده؛ فأنا قد سرقت بعض النقود من البنك وسوف يتم إيداعي في السجن إذا اكتشفوا ذلك. وكما ترين فإنه يمسك على هذه الغلطة».

وطوال الوقت كانت تحملق في وجهي، كانت لها عينان عظيمتان «كبيرتان صافيتان فضوليتان، وكانت تلتزم دائماً بالانتظار والترقب بغية اكتشاف الحقائق. (ولم تكن عيناها متعجرفتين بالطبع).

- لقد ربحت قدرا كبيراً من الأموال في إليانصيب، إليس كذلك؟.

وأدركت أن الكلام الذي قلته كان مشوشاً ومتضاربا وشعرت بالدماء الساخنة تتدفق إلى وجهي ودبّ القلق والانزعاج في نفسي.

وأضافت: قائلة: ولماذا لم تقم بردّ النقود التي سرقتها من البنك بعد أن كسبت ورقة إليانصيب؟ وما هو مقدار الأموال التي ربحتها في إليانصيب؟ هل هي ٧٠ ألف جنيه؟ أعتقد أنك لم تسرق من البنك كل ذلك المبلغ، أم أنك ربما تساعده لمجرد تحقيق المتعة من وراء ذلك؟.

فقلت: هناك أشياء أخرى لا أستطيع أن أقولها لك، فأنا واقع تحت سيطرته.

فوقفت وقد وضعتْ يديها في جيبي جونلتها، وراحت تحملق في نفسها في المرآة (وهي مرآة من المعدن بالطبع وليس من الزجاج) لمجرد أن تغير من وضعها.

ثم تساءلت: وما الذي سيفعله هو معي؟

- لست أدرى.

- وأين هو الآن؟

- أتوقع أنه سوف يجيء.

وظلت صامتة لمدة دقيقة، وبعدئذ بدا عليها وكأنها قد فكرت في شيء ما كريه أو فكرت في أن ما قلته ربما يكون صحيحا في بعض جوانبه.

وقالت: من المؤكد أن هذا هو منزله الموجود في سفولك، بالطبع.

فقلت: نعم

معتقدا أنني ماهر في إجابتى.

فقالت: في برود شديد: إنه لا يمتلك منزلا في سفولك.

فقلت: أنت لا تعرفين.

ولكن كلامي بدا واهنا ومتخاذلاً

وكانت على وشك أن تستأنف الكلام ولكنني أدركت أنه ينبغي لي أن أوقف أسئلتها؛ إذ لم أكن أعرف أنها ذكية إلى هذه الدرجة الكبيرة.. فهي لم تكن مثل الناس العاديين.

قلتُ لها: لقد جئت لكي أسألك عما تودين أن تاكليه في وجبة الإفطار... توجد أكلة معدة من الحبوب كما يوجد بيض وغير ذلك من مأكولات.

فقالت: لا أريد أي إفطار، فهذه الغرفة الصغيرة مريعة، إنها تجعل المرء يشعر بالتخدير أو الغثيان، لأي شى كانت تُستخدم هذه الغرفة؟.

ـ لم أكن أعرف أن هذه الغرفة ستجعلك تشعرين بالغثيان حقا.

فقالت: كان ينبغي للمستر سنجلتون أن يقول لك ذلك.

وكان من الواضح أنها لم تصدق تلك القصة التي أوردتها عن المستر سنجلتون؛ إذ قالت: تلك العبارة على سبيل السخرية اللاذعة.

فقلت: على وجه السرعة: أتودين تناول الشاي أو القهوة؟

فقالت: القهوة، وأضافت: بشرط أن تشرب من القهوة أمامى أولاً.

فتركتها وخرجتُ إلى الغرفة التحتية الخارجية، وقبل أن أغلق الباب قالت: لقد نسيت الولاعة الخاصة بك.

فقلت لها: لديَّ ولاعة أخرى. (ولم يكن لديَّ ولاعة أخرى).

فقالت: شكراً.

ومن الغريب حقاً أن طيف ابتسامة لاح على وجهها.

أعددت (القهوة) وذهبت بها إلى دخل غرفتها وراحت ترقبنى وأن

أحتسى كمية منها وبعدئذ شرعت في تناول قذْر منها. كانت توجه لي أسئلة طوال الوقت. أو بالأحرى أحسست طوال الوقت أنها قد توجه إلى سؤالاً في محاولة منها لإيقاعي في الشرك واستخلاص الحقائق مني سؤالاً عن الفترة الزمنية التي ينبغي لها أن تقضيها في ذلك المكان أو سؤالاً عن السبب الذي دفعني لأن أعاملها بمثل هذه الشفقة الشديدة. وأعددت الإجابات في ذهني على مثل هذه الأسئلة. ولكنني أدركت أنها إجابات ضعيفة وغير شافية. إذ لم يكن من السهل تلفيق إجابات سريعة معها، وأخيراً قلت لها أنني بصدد الذهاب إلى الدكاكين لشراء بعض الحاجيات وأنه ينبغي لها أن تخبرني بالأشياء التي تريدها لكي أشتريها لها. وقلت لها أنني على استعداد لشراء أي شيء تريده.

فقالت: أي شيء؟

فقلت: أي شيء في حدود المعقول.

ـ هل طلب منك المستر سنجلتون أن تشتري لي أي شيء؟

ـ أي، فهذا العرض نابع مني شخصياً.

فقالت: إن كل ما أريده هو إطلاق سراحي.

ولم أستطع إرغامها على أن تقول أي كلام آخر، كان الأمر شنيعاً إذ أصرت فجأة على عدم التكلم، لذلك اضطررت لأن أتركها وأغادر الكوخ.

ظلّت ملتزمة بالصمت مرة أخرى أثناء تناول طعام الغداء، وقد طهيت وجبة الغداء في الغرفة التحتية الخارجية ونقلته إلى غرفتها ولكنها لم تأكل منه إلا قذْراً ضئيلاً للغاية، وحاولتْ الاستمرار في مخادعتي ومراوغتي مرة أخرى على الرغم من أنها كانت ملتزمة بالبرود والهدوء.

وفي ذلك المساء وعقب تناولها طعام العشاء الذي لم تتناول منه

سوى قدر ضئيل للغاية، ذهبتُ عند الباب، وجلستْ هي لبعض الوقت تدخن السيجارة وقد أغلقت عينيها كما لو كان منظري يسبب إرهاقا لعينيها.

ـ لقد كنت أفكر في الأمر، إن كل ما قلته لي عن المستر سنجلتون هو مجرد قصة ملفقة، وأنا لا أصدق هذه القصة. أولاً ـ لأنه رجل ليس من ذلك النوع من الرجال وثانيا ـ حتى لو كان هو من ذلك النوع من الناس فإنه لن يستعين بك للعمل لصالحه؛ فهو ليس من النوع الذي يقوم بكل هذه الاستعدادات العجيبة.

فلم أردّ عليها بأي كلام ولم يكن بمقدوري النظر إليها.

ـ لقد أتعبت نفسك كثيراً، فقد أحضرت كل تلك الملابس الكثيرة وكل هذه الكتب الفنية، ولقد رحت أحسب جملة تكاليف هذه الأشياء بعد ظهر هذا اليوم فاكتشفتُ أن جملة المبلغ ٤٣ جنيها.

وكان يبدو عليها وكأنها تكلم نفسها، ثم أضافت: أنني سجينتك ولكنك تريد لي أن أكون سجينة سعيدة؛ لذلك فيوجد هناك احتمالات: الاحتمال الأول هو أنك تحتجزني من أجل الحصول على فدية مإلية. والاحتمال الثاني هو أنك عضو في عصابة أو شيء من هذا القبيل.

فقلت لها: لست كذلك.

ـ أنت تعرف مَنْ أكون أنا، ومن المؤكد أنك تعرف أن والدي ليس غنيا أو أي شيء من هذا القبيل، ولذلك فأنا أستبعد أن تكون قد احتجزتني من أجل الحصول على فدية مالية.

وكان من الغريب أن أسمعها وهي تفكر على ذلك النحو السليم.

وأضافت: إذن فالشيء الوحيد المتبقى هو الجنس، أنت تريد أن تفعل بي شيئاً ما.

وراحت ترقبنى في إمعان.

وكانت عبارتها الأخيرة على هيئة تساؤل، وقد صدمنى هذا التساؤل.

قلت: الأمر لا يتعلق بالجنس على الإطلاق، ولسوف أكون ملتزما بكل مبادئ الاحترام والتقدير لك، فأنا لست من ذلك النوع من الناس.

وبدا ردّى مقتضبا للغاية.

فقالت: إذن فأنت بكل تأكيد إنسان مجنون، وأضافت: بطريقة لطيفة شفوقة بالطبع.

ثم تساءلت: هل أنت تعترف بأن القصة التي أوردتها عن المستر سنجلتون هي قصة غير حقيقية؟

فقلت: لقد أردت أن أفشى لك الأمر تدريجيا وفي رفق.

فتساءلت: تفشى ماذا؟ وأضافت متسائلة:

أهي عملية اغتصاب؟ أم عملية اغتيال؟

فقلت: أنني لم أقل ذلك أبداً». ويبدو أنها كانت تضعنى دائماً في وضع المتحفز للدفاع. وفي أحلامى كان الوضع عكس ذلك دائما.

- لماذا أنا محتجزة هنا؟

- أريد لك أن تكوني ضيفتي.

- ضيفتك؟!

ثم نهضت واقفة وسارت حول الكرسي الفوتيه وانحنت على ظهر الكرسي بينما عيناها مسلطتان على طول الوقت. وكانت قد خلعت بلوزتها التريكو الزرقاء ووقفت هناك مرتدية فستأنا صوفيا مزخرفا بمربعات ملونة بلون أخضر داكن، وهو فستان شبيه برداء تلميذات المدارس علاوة على ارتدائها بلوزة بيضاء مفتوحة عند الرقبة، وكان

شعرها ملقى على ظهرها على شكل ضفيرة، وكان وجهها رائعا ومحببا للنفس وممتعا، وكانت تبدو شجاعة وجريئة. ولست أدرى السبب في أنني تخيلتها وهي تجلس فوق ركبتى في هدوء شديد بينما رحت أقوم بالمسح على شعرها الأشقر المنساب على النحو الذي شاهدته بعد ذلك.

قلت لها فجأة: أنا أحبك. ولقد دفعنى حبك إلى الجنون بك.

فقالت: في صوت غريب ووقور: أدرك ذلك.

وبعدئذ لم تعد تنظر إلى على الإطلاق.

أنني أعرف أن القول ـ بأنك تحب امرأة ـ يعتبر موضة قديمة. ولم أكن أهدف إلى أن أقول تلك العبارة لها. في أحلامى كنا دائماً نتبادل النظرات العميقة وبعد فترة تبادلنا القبلات ولم نتبادل أي كلام بعد ذلك. ولقد كان هناك ولد يسمى نوبي في الأكاديمية الملكية للبطريكية الرئيسية R.A.C.P . وكان يعرف كل الأمور المتعلقة بالنساء وكان يقول دائماً إنه ينبغي للشاب ألا يقول لامرأة إنه يحبها على الإطلاق، وحتى لو قال لها إنه يحبها فينبغي أن يقول لها ذلك على سبيل المزاح. وهو يؤكد أن ذلك يجعل الفتيات يداومن على ملاحقتك. إذ ينبغي أن تتلاعب بشدة لكي تتمكن من الحصول على ما تريده. والشيء السخيف هو أنني قلتُ لنفسي عشرات المرات أنه ينبغي لي ألا أقول لها: «أنني أحبك» وإنما أترك هذا الأمر ليحدث بشكل طبيعي من الطرفين في آن واحد. ولكنني بعد أن امتلكتُها وأصبحتْ بين يديَّ تعرض رأسي للدوران والتخاذل بحيث أصبحت أقول في الغالب كلاماً لم أكن أقصد أن أقوله. ولا أعني أنني أخبرتها بكل شيْء. فقد حدثتها عن عملي في دار البلدية وعن مشاهدتي لها وعن تفكيرى وانشغال ذهني بها وبطريقة سلوكها ومشيتها

وعن أنها أصبحت تمثل كل شيء في حياتي ثم حدثتها عن حصولي على تلك الأموال الوفيرة وعن أنها لا يمكن لها أن تلتفت إلى على الرغم من حصولي على كل تلك الأموال وأوضحت لها أنني أشعر بالوحدة القاسية. وعندما انتهيتُ من كلامي كانت هي جالسة على السرير بينما نظراتها متجهة إلى السجادة ولم نتحدث لفترة بدت طويلة للغاية. لم يكن هناك سوى صوت المروحة الذي كان يترامى من الغرفة السفلية الخارجية.

وشعرت بالخجل من نفسي. وتدفقت الدماء في عنف إلى وجهي.

ـ هل تظن أنك ستجعلنى أحبك من خلال احتفاظك بي كسجينة لديك؟

ـ أنني أريد لك أن تتعرفي على جوانب شخصيتي.

ـ طالما أنني موجودة هنا فأنت لست سوى إنسان مختطف من وجهة نظري. هل تدرك ذلك؟

فنهضتُ واقفا. حيث لم أعد أرغب في الوجود معها.

فقالت: انتظر، وسارت في اتجاهي وأضافت: أنني سأقدم لك تعهداً، فأنا الآن أدرك جوانب الموقف حقا، دعنى أذهب وأتعهد لك بأنني لن أبلغ أي شخص بما حدث ولن يحدث أي شيء لك بعد ذلك.

وكانت تلك هي أول مرة تنظر فيها إلى نظرة مليئة بالعطف والشفقة وكررت القول بنظراتها التي هي في نفس وضوح الكلمات: ضع ثقتك بي.

بل وظهرت ابتسامة خفيفة حول عينيها وهي تلقى بنظرها لأعلى نحوي وقد ظهرت اللهفة الشديدة في عينيها وهي تقول:

يمكن لك، يمكن لنا أن نكون صديقين، بل ويمكنني أن أقدم لك يد العون والمساعدة.

وكانت نظراتها متجهة لأعلى نحوي.

لم يكن بمقدوري أن أعبر عما يجيش في صدري من مشاعر، فاضطررت للاكتفاء بأن أتركها؛ فقد سببت لي آلاما حقيقية، لذلك أغلقتُ الباب وتركتها، بل وبدون أن أقول لها: طابت ليلتك.

لن يفهمني أحد، فهم سيعتقدون أنني قد تعقبتها من أجل الإمساك بها والاعتداء عليها. في بعض الأحيان عندما كنت أنظر إلى الكتب قبل مجيئها كان الأمر يتمشى مع ما أعتقده أو أنني لم أكن أعرف، ولكن بعد مجيئها فقط أصبح الأمر مختلفا تماماً، إذ لم أفكر في الكتب ولا في طريقتها الخاصة في الوقوف أو الجلوس إذ أصبحت الأمور المماثلة لذلك تثير اشمئزازي لأنني كنت أدرك أنها ستثير اشمئزازها أيضاً. كان هناك شيء ما في داخلها لطيف للغاية مما يجعلك تضطر لأن تكون لطيفا أيضاً ويمكن لك أن تدرك أنها كانت تتوقع ذلك على نحو ما، أقصد أن امتلاكي لها في عالم الحقيقة جعل الأمور الأخرى تبدو رديئة. فهي لم تكن مثل بعض النساء اللائي لا يحظين باحترامك وبالتالي فأنت لا تهتم بما تفعله. أما هذه الفتاة فكنت أحترمها وبالتالي فكان لزاما على أن أكون حريصاً وحذراً للغاية.

لم أنم نوما عميقا في تلك الليلة لأنني قد صدُمت من الاتجاه الذي سارت إليه الأمور ومن قولي لها كلاماً كثيراً للغاية ـ في نفس اليوم الأول ـ ومن كونها جعلتني أبدو إنساناً مغفل وعبيط. وجاءت على لحظات فكرت فيها بأنه ينبغي لي أن أهبط إليها وأصطحبها إلى سيارتي وأعيدها إلى لندن محققا لها رغبتها. وبعدئذ أسافر إلى خارج البلاد.

ولكنني بعدئذ فكرت في وجهها الممتع وفي الطريقة التي تتدلى بها ضفيرتها على جانب بعض الشيء فوق ظهرها وطريقة وقفتها ومشيتها وعينيها الصافيتين المحببتين للنفس. وأدركت أنني لا يمكن لي أن أعيدها إلى لندن.

وبعد الافطار ـ وفي ذلك الصباح تناولت قدرا ضئيلا من الحبوب وبعض القهوة وبدون أن نتكلم على الإطلاق ـ نهضت وارتدت ملابسها ولكن سريرها كان مُرتبا بأسلوب مختلف عن ذى قبل مما يؤكد أنها قد نامت في السرير. وعلى كل حال فإنها قد أوقفتني عندما كنت بصدد الخروج من غرفتها حيث قالت: لي:

أودّ أن أتحدث معك.

فتوقفتُ.

قالت: اجلس.

فجسلتُ على الكرسي الموجود بجوار السلالم المتجهة لآسفل.

قالت: استمع إلى، إن هذا التصرف من جانبك يتسم بالجنون، فإذا كنت تحبني بالمعنى الحقيقي لكلمة حب فإنه لا يمكن لك أن تحبسني هنا، ولعلك تدرك أنني تعيسة للغاية هنا. فالهواء هنا رهيب حتى إنني لا أستطيع أن أتنفس بطريقة طبيعية أثناء الليل، ولقد استيقظت من النوم بسبب تعرضي للصداع، ولسوف أتعرض للموت إذا احتفظت بي هنا لفترة طويلة».

وبدا عليها القلق الشديد بالفعل.

فقلت لها: لن يدوم ذلك لفترة طويلة، وأنا أعدك بذلك.

فنهضت ووقفت بجوار صوان الملابس وحملقتْ في وجهي،

ثم قالت: ما اسمك؟

فقلت: «كليج»

ـ ما هو اسمك الأول؟

ـ فرديناند.

فألقت على نظرة حادة سريعة.

وقالت: هذا ليس صحيحا.

وتذكرتُ أن حافظة نقودى الموجودة في معطفي بها الحروف الأولى من اسمي فعرضت عليها محفظتى لكي تشاهدها بنفسها. فتشككت في أن الحرف F يقابل كلمة Ferdinand ولقد كنت أحب دائماً الاسم فرديناند حتى قبل أن أعرفها. فهو اسم فيه شيء ما أجنبي أو شيء ما مميز. ولقد اعتاد العم ديك أن يناديني بهذا الاسم في بعض الأحيان على سبيل المزاح، إذ اعتاد أن يقول لي: «اللورد فرديناند كليج. ماركيز البق والحشرات».

قلت: إنها مجرد مصادفة.

قالت: أعتقد أن الناس ينادونك باسم فريدي Fredie أو فريد Fred.

ـ يقولون ـ دائماً ـ فرديناند.

ـ استمع إلى يا فرديناند، أنني لا أعرف الأمور التي تجعلك تنبهر بي. لا أعرف الأسباب التي جعلتك تقع في حبي. ولربما أقع أنا في حبك في أي مكان آخر بخلاف هذا المكان. أنني..... وبدا عليها أنها لا تعرف ماذا تقول وأضافت: أنني أشعر بالارتياح بالفعل نحو الرجال الذين يتسمون بالعطف والشفقة والرقة. ولكنني لا يمكنني أن أقع في

حبك في هذه الغرفة الرهيبة. ولا يمكن لي أن أقع في حب أي إنسان على الإطلاق في هذا المكان. أبداً.

فقلت: أنني أريد فقط التعرف على جوانب شخصيتك.

وطوال هذا الوقت كانت تجلس على صوان الملابس حيث كانت ترقبني لتعرف مدى التأثير الذي أحدثه كلامها على. لذلك كانت الشكوك تراودني. وأدركت أن ذلك كان مجرد اختبار لي.

وقالت: ولكن لا يمكن لك أن تختطف الناس لمجرد التعرف على جوانب شخصياتهم!

- أنني أريد التعرف أكثر على شخصيتك، ولا توجد أمامى فرصة لتحقيق ذلك في لندن، وأنا لست إنساناً لبقا وماهرا، كما أنني لست من نفس طبقتك الاجتماعية، ولا يمكن لك أن تصادقينى وأنت في لندن.

- ليس من العدل والإنصاف أن تقول هذا الكلام، وأنا لست ممن يتكبر ويتعالى على أفراد طبقته الاجتماعية. وأنا أكره الذين يتعالون على طبقتهم الاجتماعية. فأنا لست من النوع الذي ينحاز ضد الناس».

فقلت: أنني لا ألومك.

فقالت: في عنف شديد: إنني أكره التنفجية[١] Snobism.

وكانت لها طريقة في قول بعض الكلمات في عنف وتأكيد شديدين. وأضافت: فأنا لي أصدقاء حميمون في لندن ينتمون لطبقة العمال، ونحن لا نفكر في التفرقة الطبقية على الإطلاق.

---

(١) تقليد المرء للطبقة الاجتماعية الأعلى والتشبه بها مع احتقار طبقته الاجتماعية والطبقة الاجتماعية الآخرى التي هي أدنى من طبقته.

فقلت: لك أصدقاء من أمثال بيتر كاتسبي (وكان ذلك هو اسم الشاب الذي يمتلك سيارة سباق تحمل اسمه).

ـ هذا الشاب! أنني لم أشاهده منذ عدة شهور، إنه ولد ساذج وأحمق وهو من سكان الضواحى وينتمي للطبقة المتوسطة.

كان لا يزال بمقدورى مشاهدتها وهي تصعد إلى سيارته ماركة M.G المبهرجة الزاهية الألوان. ولم أعرف ما إذا كان عليَّ أن أثق بكلامها.

ـ وأعتقد أن هذه المعلومات عنه قد وردت في كل الجرائد.

ـ أنني لم اتصفح الجرائد.

ـ ربما يصدر عليك حكم بالسجن لعدة سنوات.

فقلت: أنني أستحق هذا الحكم، بل أستحق السجن مدى الحياة، السجن المؤبد.

ـ أنني أعدك، وأقسم لك أنك إذا أطلقت سراحي فإنني لن أخبر أي شخص بما حدث، سأقول لهم جميعاً أي رواية ملفقة ولسوف أعمل الترتيبات اللازمة لكي أتقابل معك كلما أردت ذلك وكلما استطعتُ ذلك في الأوقات التي لا أكون فيها مشغولة بإنجاز الأعمال، ولن يعرف أي شخص آخر أي شيء عن هذه الترتيبات باستثنائك أنت فقط.

فقلت: لا أستطيع أن أطلق سراحك، ليس الآن.

وشعرت أنني مثل ملك يتسم بالقسوة.

ـ إذا سمحت لي بالانصراف الآن سأبدأ في الإعجاب بك، وسأقول لنفسي: (أنني قد وُقعت تحت رحمته ولكنه كان متسما بالفروسية والشهامة وتصرف معي كجنتلمان حقيقي)

فقلت: لا أستطيع ولا تسألينى عن السبب أرجوك ألا تسألينى عن السبب.

ـ ينبغي أن أقول لنفسي إن شخصاً كهذا يستأهل بكل تأكيد التعرف عليه وتعميق الصداقة معه.

وكانت تجلس جاثمة هناك وراحت ترقبنى.

فقلت: ينبغي لي أن أنصرف الآن.

ثم خرجتُ مهرولاً بسرعة كبيرة حتى إنني تعثرت ووقعت فوق السلمة العليا، فنهضتْ من فوق صوان الملابس ووقفت تنظر إليَّ من خلال فتحة الباب وقد ظهرت على وجهها تعبيرات غريبة.

وقالت: «أرجوك»

ونطقت تلك الكلمة في رقة وعذوبة بالغة. وكان من الصعب عليَّ للغاية مقاومة كلمتها الرقيقة. كان الأمر أشبه بقيامك باصطياد ـ رغم عدم وجود شبكة معك ـ عيّنة تريدها والإمساك بها بإصبع الإبهام والسبابة (ولقد كنت دائماً ماهرا للغاية في اصطياد الفراشات بتلك الطريقة) بحيث تقترب خلفها في بطء شديد وتمسك بها ولكن ينبغي لك أن تضغط على القفص الصدرى الذي يكون في حالة ارتعاش. ولم تكن هذه الطريقة في الاصطياد سهلة مثل طريقة استخدام زجاجة القتل. ولقد واجهت صعوبة مضاعفة مع ميراندا لأنني لم أكن أرغب في قتلها. فذلك هو آخر شيء كنت أريده.

وغالبا ما كانت تستطرد في الكلام عن كيف أنها كانت تكره التمييز الطبقى. ولكنها لم تستطع إقناعى بذلك على الإطلاق. فالطريقة التي يتحدث بها الناس هي التي تفضحهم وتكشف سرهم وليس الكلام الذي يقولونه في حدّ ذاته هو الذي يفضحهم. عليك فقط أن تشاهد طرائقها

الأنيقة الرقيقة لكي تدرك الكيفية التي تربت عليها. صحيح أنها لم تكن متعجرفة مثل العديد من الفتيات ولكن العجرفة كانت موجودة هناك رغم كل ذلك. ويمكن لك أن تلحظ تلك العجرفة عندما تتحول إلى التهكم على في نفاد صبر لأنني لم أستطع أن أعرض وجهة نظري أو لأنني فعلتُ أمورا خاطئة. إذ كانت تقول لي «توقف عن التفكير في الطبقات الاجتماعية» مثل رجل غنى يأمر رجلاً فقيراً أن يتوقف عن التفكير في النواحى المالية.

وأنا لا أمسك عليها هذه الغلطة فهي ربما قالت: وفعلت بعض الأشياء الشنيعة التي فعلتها لكي تظهر لي أنها ليست مهذبة ولكنها كانت مهذبة وهي عندما كانت تغضب فإنها كانت تعتلي حصانها العالى وتغير موقفها وتتحول إلى الجانب الآخر.

كانت الطبقة الاجتماعية تقف دائماً حائلا بيني وبينها.

ذهبت إلى لويس في ذلك الصباح. لأنني كنت أرغب في إلقاء نظرة على الجرائد ولذلك اشتريت كمية كبيرة منها. وكل الصحف قد أوردت إشارة إلى هذا الحادث.. وبعض الجرائد التافهة تناولت هذا الحادث في إسهاب. واثنتان منها نشرتا صورا فوتوغرافية. وقرأت التقارير الواردة بتلك الصحف. وجاءت بها معلومات لم أكن أعرفها من قبل.

«ميراندا الفتاة الشقراء والتي حصلت على منحة دراسية كبرى في مدرسة سليد للفنون بلندن قد فُقدت ولقد كانت تعيش أثناء فترة الدراسة في المنزل رقم ٢٩ شارع هامنت N.W.3 مع عمتها الآنسة س. فابنروخ جونز. التي قامت في فترة متآخرة من ليلة الأمس بإبلاغ الشرطة.

وبعد الانتهاء من الدراسة في يوم الثلاثاء اتصلت ميراندا تليفونيا

لتقول إنها ستذهب إلى السينما وأنها ستصل إلى المنزل بعد الساعة الثامنة مساء.

وتلك كانت هي آخر مرة شوهدت فيها.

وكانت هناك صورة فوتوغرافية كبيرة لها وإلى جوار الصورة كُتبت هذه العبارة: هل شاهدت هذه الفتاة؟

وأثارت جريدة أخرى ضحكاتي حيث جاء بها ما يلي:

«إن سكان منطقة هامبستيد قد تزايد قلقهم في خلال الشهور الأخيرة بسبب الذئاب التي تطوف خلسة في أرجاء المنطقة مستخدمة السيارات. ولقد قال لي بيير بروجتون وهو زميل لميراندا وصديق حميم لها في المقهى الذي كثيراً ما اصطحب ميراندا إليه إنها كانت تبدو سعيدة للغاية في نفس اليوم الذي اختفت فيه وكانت قد عملت ترتيباتها للذهاب إلى مَعْرِض معه، وأضاف قائلاً: «وميراندا تعرف لندن حقّ المعرفة وهي لا يمكن لها أن تسمح لشخص أجنبي لا تعرفه أن يوصلها بسيارته إلى أي مكان أو أي شيء من هذا القبيل. وأنني لأشعر بالقلق الشديد إزاء اختفائها».

ويقوم رجال الشرطة باستجواب أي شخص يكون قد شاهد ميراندا في مساء يوم الثلاثاء أو يكون قد سمع أو لاحظ أي شيء مثير للشكوك في منطقة هامبستيد حتى يمكنهم التوصل إلى كشف غموض هذا الحادث.

وجاءت بالصحف أوصاف للملابس التي كانت ترتديها وغير ذلك من أمور أخرى مع نشر صور فوتوغرافية لها. وقالت: صحيفة أخرى إن الشرطة ستقوم بالتفتيش في كل مكان في جميع الأراضى البور التابعة لهامبستيد. وتحدثت صحيفة أخرى عن بيير بروجتون وكيف أنه وميراندا

كأنا مخطوبين على نحو غير رسمي. فساءلت نفسي في تعجب: تُرى هل هو ذلك الشاب ذو الملابس الغريبة الذي شاهدتها معه؟ وقالت: جريدة أخرى «إن ميراندا من أكثر الطالبات شعبية بين زملائها وكانت تبدى دائماً رغبتها في مساعدة الآخرين». وأجمعت كل الجرائد على أنها كانت جمِيلة للغاية وكانت هناك صورة فوتوغرافية لها. ولو كانت هي قبيحة المنظر لأوردت الصحف سطرين فقط عنها على الصفحات الأخيرة.

ولقد جلستُ في سيارتى الفان الموجودة على حافة الممر في طريق العودة إلى الكوخ وقرأت جميع الصحف سالفة الذكر فأحسست بمشاعر النفوذ والقوة. ولست أدرى السبب في ذلك. فكل هؤلاء الناس يبحثون ويتساءلون وأنا الوحيد الذي أعرف الإجابة على تساؤلاتهم.

وعندما بدأت في قيادة سيارتي في طريق العودة إلى الكوخ قررت ألا أخبرها بما قرأت في هذه الصحف.

وكما توقعت فإن أول شيء سألتني عنه لدى عودتى إليها كان هو الصحف والمجلات. إذ قالت: ألم تذكر الصحف أي شيء عني؟ فقلت لها: أنني لم ألق نظرة على الصحف وأنني سأقوم بقراءتها. كما أوضحت لها أنني غير مشغوف بالصحف لأنها كلها تنشر كميات هائلة من الكلام الفارغ فلم تبد إصرارها.

ولم أسمح لها على الإطلاق بقراءة الصحف كما لم أسمح لها بالحصول على مذياع أو تليفزيون. ولقد تصادف أنني رحت أقرأ كتابا ذات يوم قبل أن تجيء هي إلى المنزل وكان ذلك الكتاب تحت عنوان «أسرار الجستابو» ـ وكان يتناول كل المعلومات التي تتعلق بوسائل التعذيب وكل الأمور التي كان عليهم أن يفعلوها أثناء الحرب، وكيف

أنهم يحرصون تماماً إذا كنت سجينا لديهم على ألا تعرف أية معلومات عما يدور في خارج السجن. أقصد أنهم كانوا يتعمدون عدم تمكين السجناء من معرفة أية معلومات بل وعدم السماح للسجناء بالتحدث مع بعضهم البعض بحيث يصبحون منعزلين تماماً عن عالمهم القديم. وكانت تلك الوسيلة تسبب الانهيار التام لهم. وأنا بالطبع لم أكن أريد لميراندا أن تصاب بالانهيار التام على النحو الذي أراده الجستابو لسجنائهم. ولكنني كنت أعتقد أنه من الأفضل أن تُعزل ميراندا عن العالم الخارجى وأن تنشغل في التفكير في بشكل أكبر. ولذلك فإنه على الرغم من محاولاتها العديدة لحفزى على تزويدها بالصحف وراديو فإنني لم أدعها تحصل على هذه الأشياء على الإطلاق. وفي خلال الأيام الأولي لم أرد لها أن تقرأ عن الإجراءات التي تتخذها الشرطة لأن ذلك من شأنه أن يثير شجونها ويسبب لها الكثير من الإزعاج ويمكن لك أن تقول إن حجب الصحف عنها كان من قبيل الشفقة والعطف عليها.

في تلك الليلة طبخت لها عشاء مكونا من البازلاء الطازجة المجمدة والدواجن في صلصة بيضاء فأكلت ذلك الطعام وبدا عليها أنها أحبت تلك الوجبة. وبعد أن انتهت من تناول طعامها قلتُ لها: «هل يمكن لي البقاء هنا إلى جوارك قليلاً؟».

فقالت: «إذا كنت تريد ذلك». كانت تجلس على السرير وقد طوت البطانية ووضعتها عند ظهرها على الحائط وكأنها وسادة. وكانت قدماها مطويتين تحتها. وراحت لبعض الوقت تدخن سيجارتها وتنظر في إحدى الكتب الفنية المصورة التي أحضرتها لها.

ثم سألتني: هل تعرف أي شيء عن الفن.

- لا أعرف شيئاً عن الفن يمكن أن يقال عنه إنه معرفة حقيقية بالفن.

ـ لقد كنت أدرك أنك لن تعرف الفن حق المعرفة. فلو كنت تعرف الفن لما قمت بإيداع إنسانة بريئة في السجن.

فقلت: أنني لا أرى أية علاقة بين الفن وبين إيداعك في السجن.

فأغلقت الكتاب وقالت: حدثني عن نفسك، وعما تفعله في أوقات فراغك.

فقلت: أنني عالم في علم الحشرات، وأنا أجمع الفراشات.

فقالت: بالطبع. وأنا أذكر أنهم قالوا ذلك في الجريدة، وها أنت الآن قد قمت باصطيادى.

وبدا عليها أنها تعتقد أن ذلك أمر هزلي؛ لذلك قلت لها: أنني قمت باصطيادك على سبيل المجاز.

فقالت: «لا، ليس على سبيل المجاز وإنما هو اصطياد حرفي وحقيقي وبدون أدنى مبالغة، فأنت قد حبستني في هذه الغرفة الصغيرة ويمكن لك أن تجيء وتنظر إليَّ في نهم وشراسة وشماتة.

ـ أنني لا أفكر في ذلك على هذا النحو على الإطلاق.

ـ هل تعرف أنني بوذية؟ أنني أكره أي شيء من شأنه أن يسلب الحياة حتى لو كان ذلك يتعلق بحياة الحشرات.

فقلت لها: ولكنك أكلت الدواجن، وشعرت أنني أمسكت عليها هذه الغلطة.

فقالت: ولكنني أحتقر نفسي؛ فأنا لو كنت إنسانة أفضل مما أنا عليه لكنت قد أصبحتُ إنسانة نباتية.

فقلت: إذا طلبت مني أن أتوقف عن جمْع الفراشات فإنني سأتوقف

عن جمعها على الفور، فأنا على استعداد لأن أفعل أي شيء تطلبينه مني.

ـ باستثناء إطلاق سراحي والسماح لي بالطيران بعيداً.

ـ أفضل ألا نتكلم في هذا الموضوع، فهو لن يفضى بنا إلى أية نتيجة.

ـ على كل حال لا يمكنني أن أحترم أي شخص وخاصة أي رجل يقوم بعمل الأشياء لمجرد أن يدخل عليَّ السرور، فأنا أريد له أن يفعل الأشياء لأنه يؤمن بأن ما يفعله هو الصواب.

وقد اعتادت طوال الوقت أن تنتقدنى، فقد يخطر على بالك أننا نتحدث في شيء ما يتسم بالبراءة التامة وإذا بها فجأة تطعنني بتعليقاتها اللاذعة، ولا أستطيع أن أتكلم.

قالت: كم من الوقت سأقضيه هنا؟

فقلت: لا أدرى. فهذا يتوقف.

فقالت: يتوقف على ماذا؟

فلم أردّ بأي كلام، لم أستطع أن أقول أي شيء.

فقالت: يتوقف على وقوعى في حبك؟

وبدا الأمر وكأنها تؤنبنى تأنيبا مستمرا.

واستطردت: لأنه لو كان الأمر يتوقف على حبي لك فإنني سأظل موجودة هنا إلى أن موت.

فلم أردّ عليها.

وأضافت: انصرف من أمامى، انصرف من أمامى وفكر في الأمر جيداً.

وفي صباح اليوم التالي قامت بأول محاولة للهروب. وهي لم تضبطني غافلا عن حراستها ولكنني تعلمت درسا مما حدث، فبعد أن تناولتْ طعام إفطارها أوضحت لي أن سريرها كان مفكوكا وغير ثابت وكانت رجل السرير الخلفية الموجودة في الركن غير محكمة وغير مثبتة تماماً وقالت: لي إن هناك صامولة مفكوكة وإن السرير بصدد الانهيار على الأرض. ومثل أي إنسان مغفل ذهبت لمساعدتها في الإمساك بالصامولة وعندئذ قامت بدفعي دفعة قوية للغاية في نفس اللحظة التي كنت فيها فاقداً للتوازن وانطلقت متخطية إياي وصعدت لأعلى على السلالم مثل البرق. وكان هناك خطاف أمان ممسك بالباب كالشنكل ليظل مفتوحاً كما كانت هناك قطعة من الخشب على هيئة حرف V من أجل أن يظل الباب مفتوحا وبينما كانت تحاول أن تركل بقدمها تلك القطعة الخشبية انطلقت وراءها فاستدارت وجرت وصرخت بأعلى صوتها: النجدة. النجدة. النجدة. وصعدت على السلالم إلى الباب الخارجى الذي كان مغلقا بالقفل بالطبع. فراحت تجذب في ذلك الباب وتطرق عليه بيدها في عنف وتصرخ في حدة ولكنني أمسكت بها عندئذ. وكرهت ما فعلته بها ولكن الإجراء العملي كان ضروريا إذ أمسكت بها من خصرها ووضعت إحدى يدي على فمها وجذبتها لآسفل عائداً بها وراحت تركلنى بقدميها وتجاهد وتقاوم ولكنها بالطبع كانت ضئيلة الحجم للغاية وأنا ربما لا أكون المستر أطلاس ولكنني لست ضعيفا، وفي نهاية الأمر ارتخت وارتمت من شدة الإعياء فرفعتُ قبضة يدي عنها. فوقفتُ للحظات قليلة وفجأة هجمت على وضربتني على وجهي. ولم أشعر بالألم الشديد في حقيقة الأمر ولكن الصدمة النفسية كانت شديدة للغاية حيث جاءت الضربة بدون أن أكون متوقعا أن يحدث ذلك وفي الوقت الذي قد يفعله الآخرون في مثل هذه

المواقف. وبعدئذ دخلت إلى الغرفة وصفعتْ الباب وراءها في عنف. وخطر على ذهني أن أدخل إلى غرفتها وأصفي حسابي معها بالعراك أو المجادلة معها ولكنني أدركت أنها كانت غاضبة للغاية. وكانت هناك كراهية حقيقية في عينيها. لذلك قمت بغلق الباب بالترباس ووضعت الباب الزائف. وكان تصرفها بعد ذلك هو الالتزام بعدم التكلم. وفي ذلك الغداء التالي لم تلفظ كلمة واحدة عندما تحدثتُ إليها وقلت لها: «عفا الله عما سلف» حيث اكتفت بإلقاء نظرة احتقار هائلة عليَّ. وحدث نفس الشيء في ذلك المساء. فعندما جئت إليها لآخذ الأواني الشاغرة وناولتني الصينية وأشاحت بوجهها بعيداً عني. وجعلتني أدرك في وضوح تام أنها لا ترغب في أن أبقى عندها. واعتقدت أنها ستتغلب على هذه الحالة النفسية ولكن الأمور كانت أسوأ في اليوم التالي. فهي لم تكتف بعدم الكلام وإنما امتنعت عن تناول الطعام أيضاً.

فقلت لها: «أرجوك ألا تفعلى هذا. فهذا ليس بالأمر الحسن».

ولكنها لم تنطق بكلمة واحدة بل ولم تنظر إليَّ نظرة واحدة.

وفي اليوم التالي ظل الحال على ما هو عليه. إذ امتنعت عن الكلام والطعام. وكنت قد ظللت منتظرا لأن أشاهدها ترتدي بعض الملابس التي اشتريتها لها. ولكنها ظللت مرتدية البلوزة التريكو البيضاء ورداءها النسائي الصوفي ذا المربعات. وبدأت أشعر بالقلق الشديد عليها ولم أكن أعرف الفترة الزمنية التي يمكن للناس أن يظلوا على قيد الحياة بدون تناول طعام. وبدا الشحوب على وجهها والضعف في جسدها أو هكذا خُيلِ إليَّ. وكانت تقضي كل الوقت جالسة على السرير معطية ظهرها للحائط وقد تقوس ظهرها وظهرت عليها النعاسة الشديدة حتى إنني لم أكن أعرف ماذا ينبغي لي أن أفعل.

وفي اليوم التالي ذهبتُ إليها ومعي القهوة وبعض التوست الشّهي وبعض الحبوب والمربة لكي تتناول طعام الأفطار. وظللتُ منتظراً بالطعام لحظات قليلة حتى أتيح لها الفرصة لكي تشم رائحته الشهية.

وبعدئذ قلتُ: أنني لا أتوقع لك أن تفهميني، ولا أتوقع منك أن تحبيني مثلما تحبين معظم الناس، كل ما أريده منك أن تحاولي أن تفهميني بقدر ما تستطيعين مع الشعور بالارتياح نحوي قليلا إذا أمكنك ذلك.

فلم تتحرك من مكانها.

فقلت لها: سأعقد اتفاقا معك، لسوف أقول لك متى يمكنك أن تنصرفي ولكن سيكون ذلك وفق شروط معينة.

ولا أعرف لماذا قلت لها تلك العبارة.

كنت أدرك أنني لا يمكن لي في حقيقة الأمر أن أتركها تذهب إلى حال سبيلها. ومع ذلك فهذه لم تكن مجرد كذبة وقحة أفاكة، فأنا في كثير من الأحيان كنت أعتقد أنه يمكن لها أن تنصرف عندما نتوصل إلى اتفاق ما ونتبادل كلمة شرف وغير ذلك من أمور. وفي أوقات أخرى كنت أعتقد أنني لا يمكن أن أسمح لها بالانصراف على الإطلاق.

استدارت عندئذ وحملقت في وجهي. وكانت هذه هي أول مرة تبدى فيها دليلا على أنها على قيْد الحياة على مدىٰ ثلاثة أيام.

وقلتُ لها: شروطى هي أن تأكلي الطعام وتتحدثي معي مثلما كنت تفعلين في بداية الأمر مع عدم المحاولة للهروب على ذلك النحو مرة أخرى.

فقالت: لا أستطيع مطلقا الموافقة على الشرط الأخير.

فقلت: وماذا عن الشرطين الأولين؟

(واعتقدت أنها حتى إذا وعدتني بالفعل بأنها لن تحاول الهرب مرة أخرى فإنه ينبغي لي اتخاذ كافة الاحتياطات والتدابير اللازمة ولذلك فإن ذلك الشرط لم تكن له علاقة بالموضوع، فهو شرط لا طائل تحته ولا أهمية له).

وقالت: أنت لم تقل متى ستطلق سراحي.

فقلت: في خلال ستة أسابيع.

فاكتفت بالإشاحة بوجهها مرة أخرى.

فقلت: بعد لحظات قليلة: إذن، بعد خمسة أسابيع.

- سوف أبقى هنا أسبوعاً واحداً فقط، ولا يوم واحد زيادة بعد انقضاء الأسبوع.

فقلت: وأنا لا يمكنني الموافقة على ذلك. فأشاحت بوجهها بعيداً عني مرة أخرى. وبعدئذ انخرطت في البكاء حيث شاهدت كتفيها يهتزان. وأردت أن أتقدم مقتربا منها واقتربت بالفعل من سريرها فاستدارت في حدة شديدة نحوي حتى إنني ظننت أنها اعتقدت أنني بصدد القيام بمهاجمتها. وكانت عيناها مليئتين بالدموع وكانت وجنتاها مبللتين. وشعرت بالهمّ والقلق الشديد عندما شاهدتها وهي على هذا النحو.

- أرجوكي أن تكوني معتدلة وحكيمة في رأيك، فأنت وضعك مهم بالنسبة لي الآن. ألا ترين معي أنني لا يمكن لي أن أقوم بكل تلك الترتيبات من أجل أن تمكثي معي أسبوعا فقط؟

- أنني أكرهك، وأمقتك بشدة.

فقلت: أنني سأعطيك كلمة شرف، عندما ينتهي الوقت المحدد يمكن لك الانصراف بسرعة كما يحلو لك.

ولم تقتنع بكلامى وانخرطت في البكاء مرة أخرى وهي تحملق في وجهي وقد امتقع وجهها كله في احتقان شديد وخُيّلِ إليَّ أنها بصدد الهجوم عليَّ مرة أخرى إذ بدا عليها وكأنها ترغب في ذلك. ولكنها بدأت بعدئذ تجفف الدموع في عينيها. ثم أشعلت سيجارة وقالت: أسبوعين.

فقلت: أنت تقولين أسبوعين وأنا أقول خمسة أسابيع، ولسوف أوافق على أن تكون المدة شهراً، بمعنى أن موعد انصرافك سيكون يوم ١٤ نوفمبر.

كنت أشعر بالقلق الشديد عليها وأردت أن أحسم الأمر نهائيا لذلك قلت لها: لقد كنت أعني شهراً شمسياً، ولكن فلنجعله شهرا يضم ٢٨ يوماً ولسوف أمنحك الأيام الثلاثة الوترية.

فقالت: في تهكم لاذع بالطبع: شكراً جزيلاً.

ثم ناولتها فنجان القهوة فمدت يدها ممسكة به. وقالت: قبل أن تشرع في احتساء القهوة: وأنا لي بعض الشروط أيضاً، فأنا لا يمكنني أن أعيش طوال الوقت في هذه الغرفة السفلية هنا؛ إذ ينبغي أن أحصل على قدْر من الهواء الطلق والضوء وينبغي لي الاستحمام من وقت لآخر. وينبغي أن تتوافر لدى الأدوات والمواد الخاصة بالرسم. ويجب أن يكون لدى راديو أو جهاز للأسطوأنات الفوتوغرافية. كما أريد أشياء من الصيدلية. ويجب أن أحصل على الفواكه الطازجة والسلطات الخضراء الطازجة. ويجب أن أحصل على نوع من الرياضة البدنية».

فقلت: إذا سمحتُ لك بالخروج من هذا الكوخ فسوف تلوذين بالفرار.

فاعتدلت في جلستها. ومن المؤكد أنها كانت تمثل عليَّ في تظاهر

بعض الشيء من قبل حيث تغيرت حالتها بسرعة كبيرة وقالت: هل تعرف معنى الارتباط بوعد شرف أقطعه على نفسي؟

فقلت: نعم.

- يمكن لك أن تسمح لي بالخروج من هنا على أساس أن أقدم لك وعد شرف. فأنا أعدك بألا أصرخ أو أحاول الهرب.

فقلت لها: تناولي طعام الإفطار وأنا سوف أفكر في ذلك الأمر.

فقالت: لا، فأنا لا أطلب منك شيئاً له أهمية فلو كان هذا المنزل منعزلا حقيقة فلن تكون هناك مخاطرة من وراء السماح لي بالخروج من هذه الغرفة السفلية».

فقلت: إن هذا المنزل منعزل بالفعل بما فيه الكفاية. ولكنني لا أستطيع اتخاذ قرار في هذا الشأن.

فاستدارت وقالت: لسوف أواصل الإضراب عن الطعام.

وكانت بذلك تمارس ضغوطاً حقيقية عليَّ كما يقولون.

فقلت: بالطبع يمكن لك الحصول على المواد والأدوات الخاصة بالرسم، عليك فقط أن تطلبي ما تريدين. وجراموفون وأية أسطوأنات وتسجيلات تريدينها. وأية كتب. ونفس الأمر ينطبق على الطعام. ولقد سبق أن قلت لك أنه ما عليك إلا أن تطلبي ما تريدين وأنا سوف ألبي أي طلبات لك من هذا القبيل.

وظلت معطية ظهرها لي وقالت: وماذا عن الهواء الطلق؟

- إنه لأمر خطير للغاية.

وساد الصمت للحظات قصيرة. ولكنها عندما تكلمت جاء كلامها

واضحاً وبسيطاً ومقنعاً مما جعلنى أذعن لرغبتها في نهاية الأمر فقلت لها:

ـ ربما سأسمح لك بذلك في فترات الليل، ولسوف أنظر في هذا الأمر.

فاستدارت لتواجهنى وقالت: متى؟

ـ الأمر يتطلب مني التفكير جيداً في هذا الموضوع، ولسوف أضطر لأن أربطك وأقيدك.

ـ ولكني سأكون ملتزمة بالوعد الشرف الذي قطعته على نفسي.

فقلت: يمكن أن تلتزمى به أو لا.

ـ وماذا عن الحمام؟

فقلت: يمكن لي أن أضع الترتيبات اللازمة لذلك.

فقالت: أنني أريد أن آخذ حماماً حقيقياً في غرفة حمام حقيقية ومن المؤكد أن هناك حماما بالدور العلوي.

ومن الأمور التي كنت أفكر فيها كثيراً هي أنني كنت أرغب في أن أجعلها تتجول في أرجاء منزلي وتشاهد كل التجهيزات والأثاثات الموجودة فيه. وكانت أحلامي تنصب جزئيا على أنني أرغب في أن أشاهدها تتجول في داخل منزلي في الدور العلوي وليس حبيسة على هذا النحو في الغرفة السفلية. وأنا أحيأنا أتصرف وفق نزواتى وأدخل في مخاطر لا يمكن للآخرين القيام بها.

فقلت: سأنظر في الأمر، وعليَّ اتخاذ الترتيبات اللازمة لذلك.

ـ إذا أعطيتك كلمة الشرف فلن أحنث في وعدى.

فقلت لها: وأنا متأكد من ذلك.

وسارت الأمور على ذلك النحو.

ويبدو أن ذلك قد أدى إلى تنقية الأجواء بيننا إن صحّ هذا التعبير. إذ زاد الاحترام المتبادل بيننا بعد ذلك. وأول شيء فعلته هي عقب تنقية الأجواء هو أنها قامت بكتابة قائمة الأشياء التي تريدها. وكان عليَّ أن أعثر على محل لبيع الأدوات الفنية في لويس لكي أشتري لها ورقا من نوع خاص علاوة على شراء جميع أنواع الأقلام الرصاص والأشياء الآخري: حبر السبيدج والحبر الصينى وأنواع الفرش التي لها شعر معين وماركات معينة وأحجام معينة. وبعدئذ كانت هناك أشياء مطلوبة من الصيدلية: مواد لإزالة الرائحة وغير ذلك من أمور. وكان من المخاطر أن أقوم بشراء أشياء حريمى لا يمكن لي أن أريدها لنفسي ولكنني أقدمت على هذه المخاطرة. وبعدئذ قامت بكتابة قائمة بأنواع من الأطعمة. كانت ترغب في الحصول على قهوة طازجة وكميات كبيرة من الفواكه والخضروات الطازجة اللون ـ وكانت مهتمة للغاية ومدققة تماماً بشأن تلك المأكولات. وبعد أن اعتادت أن تكتب لي في كل يوم تقريبا ما ينبغي لي أن أشتريه من مأكولات فإنها اعتادت أن توضح لي كيفية طهي تلك المأكولات أيضاً وبدا الأمر وكأنني أمتلك زوجة... زوجة مريضة أو عاجزة بحيث ينبغي أن أقوم بشراء الحاجيات نيابة عنها. وكنت ألتزم بالحرص والحذر في لويس حيث لم أذهب مطلقا إلى دكان مرتين لشراء الحاجيات لكي لا يشكوا في أنني أشتري كميات كبيرة بالنسبة لي كفرد واحد. فعلى نحو ما كنت أظن دائماً أن الناس يعرفون أنني أعيش بمفردي.

وفي نفس ذلك اليوم قمت بشراء جهاز جراموفون أيضاً. وهو جهاز صغير. ولكن ينبغي لي أن أوضح أنها بدا عليها السرور الشديد. ولم أرغب لها أن تعرف أنني لم أكن أعرف أية معلومات عن الموسيقى

ولكنني شاهدت أسطوانة مسجلا عليها موسيقى للأوركسترا من تأليف موزارت فاشتريتها. وكان ذلك شراء حسناً لأنها أعجبت بهذه الأسطوانة وأعجبت بي بالتالي لقيامي بشراء هذه الأسطوانة. وذات يوم عقب الشراء بفترة طويلة شاهدتها تبكي أثناء إدارة تلك الأسطوانة للاستماع إليها. أعني أنني شاهدت عينيها مليئتين بالدموع. وبعد ذلك قالت: إن موزارت كان في النزع الأخير حيث كان يلفظ أنفاسه الأخيرة عندما ألف وكتب هذه الموسيقى وكان يدرك أنه يلفظ أنفاسه الأخيرة. وبدت لي هذه الأسطوانة عادية مثل باقى الأسطوأنات ولكنها كانت إنسانة ذات عقلية موسيقية بالطبع.

وفي يالتالي أثارت مسألة رغبتها في أن تأخذ حماما مع الحصول على قدر من الهواء الطلق مرة أخرى. لم أكن أعرف ماذا أفعل: فذهبت إلى غرفة الحمام الموجودة بالدور الأول لكي أفكر في ذلك الأمر بدون أن أعدها بأي شيء كانت نافذة غرفة الحمام تطل على الشرفة المحيطة بباب الغرفة التحتية. وهي تقع في الجزء الخلفي من المنزل وهو أمر يوحي بالمزيد من الأمن والأمان. وفي النهاية أحضرت بعض الأخشاب وكسوت الإطار بالألواح الخشبية وثبتها بمسامير قلاووظ طولها ثلاث بوصات وذلك لكي لا تعطي إشارات ضوئية بالمصباح أو تقفز خارجة من النافذة. ولو أنه لم يكن من المحتمل أن يوجد شخص ما في الجزء الخلفي من المنزل في فترة متآخرة من الليل.

وأصبحت مطمئنا من جهة الحمام بعد غلق نافذته على ذلك النحو.

وما فعلته بعدئذ هو أنني تخيلتها موجودة معي ثم صعدنا سويا لأعلى من الغرفة السفلية لكي أشاهد نقاط الخطر التي يمكن أن تواجهنى. كان لأبواب الغرف السفلية شيش خشبي من الداخل وكان من السهل جذب

الشيش وغلقه وذلك حتّى لا يمكنها أن تجذب الانتباه من خلال نافذة ولكي لا يتمكن المتطفلون من النظر إلى داخل المنزل ومشاهدة الأشياء والأمور. وفي المطبخ حرصتُ على أن تكون جميع السكاكين وما شابهها بعيدة عن الخطر. وفكرت في كل شيء يمكنها أن تفعله من أجل محاولة الهرب. وفي نهاية الأمر شعرت أن كل التدابير تعتبر كافية.

وبعد تناول العشاء تطرقتُ مرة أخرى إلى موضوع الحمام وتركتها تلجأ للعبوس في بادئ الأمر بعدئذ قلت لها: «وهو كذلك. سأجازف وأسمح لك بالصعود لكي تأخذى حماما ولكنك إذا نقضت وعدك فإنني سأضطر إلى إبقائك دائماً في الغرفة السفلية».

«إنني لا أنقض وعودى على الإطلاق».

«هل ستعدينني وعْد شرف؟».

«إنني أعدك بكلمة شرف بأنني لن أحاول الهرب».

«أو تحاولي إعطاء اشارات ضوئية؟ مع العلم بأنني سأقوم بربطك وتقييدك».

«ولكن ربطى يتضمن إهانة بالغة لي».

فقلت: «لن ألومك إذا نكثت في وعدك».

«ولكنني......» ولم تكمل عبارتها واكتفت بهزّ كتفيها واستدارت ومدت يديها خلفها. وكنت قد جهزت كوفية أو تلفيعة لكي أستخدمها في ربط يديها بدلاً من الحبْل وقمت بربط يديها بالفعل على نحو محكم ولكن ليس على النحو الذي يسبب لها آلاما وبعدئذ شرعت في وضع الكمامة على فمها ولكن بعد أن جعلتني أجمع لها أشياء الاستحمام التي هي بحاجة إليها وكانت قد اختارت ـ وهذا مما أسعدنى كثيراً ـ بعض الملابس التي سبق أن اشتريتها لها.

وحملتُ لها الأشياء والملابس الخاصة بها وذهبت أولاً صاعدا على السلالم إلى الغرفة السفلية العلوية وانتظرت هي قليلا إلى أن فتحت قفل الباب ثم صعدت لأعلى عندما أمرتها بذلك عقب قيامي بالإصغاء أولاً للتاكد من أنه لم يكن هناك أي شخص موجودا بالقرب من المنزل.

كان الجو مظلما للغاية بالطبع ولكنه كان صافيا. إذ كان بالمستطاع مشاهدة بعض النجوم. وأمسكت بذراعها في إحكام وجعلتها تقف هنالك لمدة خمس دقائق. وتمكنت من سماع أنفاسها اللاهثة العميقة. كان المشهد رومانتيكيا للغاية حيث كان رأسها يصل إلى مستوى كتفي.

قلتُ لها: «يمكن أن تدركي أن هذا المنزل يقع على مسافة بعيدة من أي مكان آخر».

وعندما انتهت الدقائق الخمس كان على أن أجذبها لأعلى وصعدنا إلى المطبخ وغرفة الطعام ومنها إلى الصالة ومنها إلى السلالم الصاعدة إلى غرفة الحمام.

وقلتُ لها: «لا يوجد ترباس على الباب بل ولا يمكن لك أن تغلقى الباب إغلاقا تاما. ولكني سأحترم خلوتك بنفسك بشرط أن تحافظى على وعدك لي ولسوف أكون في انتظارك هنا».

وكنتُ قد وضعت كرسياً على بسطة السلم بالخارج.

وقلتُ «وأنا سأقوم الآن بفك قيود يديك إذا وعدتني بالإبقاء على الكمامة في فمك. أومىء برأسك».

فأومأت برأسها فقمتُ بفك قيود يديها. وراحت تحك يديها قليلاً ثم دخلت في غرفة الحمام.

وسارت الأمور على ما يرام بدون متاعب. وسمعتها وهي تأخذ الحمام وتطرطس في الماء على نحو طبيعي للغاية. ولكني شعرت

بالصدمة لدى خروجها. إذ لم تكن الكمامة موضوعة على فمها. وكانت تلك هي الصدمة الأولي. أما الصدمة الثانية فقد نجمت عن التغير الذي حدث لها بعد أن ارتدت الملابس الجديدة وغسلت شعرها حيث كان شعرها متدليا ومنسابا ومبللا على كتفيها. وبدت لي أكثر رقة بل وأصغر سنا وشعرت أنها لم تكن في أي وقت من الأوقات متصفة بالصلابة أو القبح. ومن المؤكد أن الغباء قد ظهر عليَّ وأنا أتفجر بالغضب لأنها قد رفعت الكمامة عن فمها مع عدم التمكن من إظهار غضبي لأنها بدت رائعة الجمال وفاتنة للغاية.

وتكلمتُ بسرعة كبيرة للغاية.

«استمع إليَّ. الكمامة بدأت تسبب لي آلاما رهيبة. ولقد أعطيتك كلمتي ووعدي. وأنا أوعدك مرة أخرى. يمكن لك أن تعيد الكمامة إلى فمي إذا كنت ترغب في ذلك الآن. ولكني أوضح لك أنه كان باستطاعتي أن أصرخ في خلال الفترة منذ أن خلعتُ الكمامة وحتى الآن إذا كنت مصممة على الصراخ».

ثم ناولتني الكمامة وكان هناك شيء ما في نظراتها فلم أستطع وضع الكمامة على فمها مرة أخرى. وقلت «يكفي تقييد اليدين». وكانت ترتدي فستانها الصوفي ذا المربعات الخضراء ولكنها ارتدت معه أحد القمصان التي اشتريتها لها. وقد خمنتُ أنها ارتدت الملاس الداخلية الجديدة.

ثم قمت بتقييد يديها خلف ظهرها وقلت لها: «آسف لأنني متشكك للغاية. كل ما هنالك أنك الإنسانة الوحيدة التي تملأ عليَّ حياتي وتجعل حياتي لها قيمة». وكنت أدرك أن الوقت غير ملائم لأن أقول لها ذلك

الكلام ولكني لم أتمالك نفسي عندما شاهدتها واقفة أمامى على ذلك النحو وقد بهرتني بجمالها الساحق.

وقلت لها: «إذا ذهبت سأتعرض للانهيار التام».

«أنت بحاجة إلى طبيب لكي يعالجك من هذه الحالة النفسية».

فاكتفيت بالزمجرة بعض الشيء.

«إنني أود أن أقدم لك يد العون والمساعدة».

«أنت تعتقدين أنني مجنون بسبب ما أقدمت عليه من أفعال غريبة. ولكنني في حقيقة الأمر لستُ مجنونا. فأنا على ما يرام وإنه لمن الملائم تماماً أنني ليس لديَّ أي إنسان آخر. ولم تكن هناك أية إنسانة أخرى أريد أن أعرفها سواك».

فقالت: «ذلك هو أسوأ أنواع الأمراض» وأعطتني وجهها بعدئذ. وكان كل ذلك الكلام قد تم أثناء قيامي بربط يديها خلف ظهرها ثم نظرت بعينيها لآسفل وقالت: «إنني أشعر بالآسف من أجلك».

ثم غيرتُ موضوع الحديث حيث تساءلت:

«وماذا عن غسيل الملابس؟ فلقد قمت بغسل بعض الأشياء. هل يمكن لي أن أعلقها في الخارج لكي تجف؟ إن كان يوجد مغسل لغسل الملابس وكّيها؟».

فقلت: «سأقوم بتجفيف ملابسك في المطبخ. إذ لا يمكن لك أن ترسلي أي شيء إلى المغسل».

«وماذا الآن؟».

ثم نظرت فيما حولها. كان هناك شيء ما يتسم بالشقاوة والمشاغبة في تصرفاتها في بعض الأحيان إذ كانت تبحث عن المتاعب بطريقة

لطيفة. كانت من النوع المثير للمتاعب والمضايقات. قالت: ألن تجعلنى أشاهد جميع أرجاء منزلك؟

وكانت تبتسم ابتسامة حقيقية. أول ابتسامة حقيقية أشاهدها على وجهها. فلم أملك إلا أن أردّ عليها بابتسامة من جانبي.

وقلت «الوقت متآخر للغاية».

فقالت: وكأنها لم تسمعنى «ما هو العمر الزمنى لمنزلك هذا؟».

فقلت لها: «هناك لافتة حجرية عند الباب تفيد بأنه شيد في عام ١٦٢١».

فقالت: «هذه السجادة لونها لا يتماشى مع هذا المكان. كان ينبغي أن تضع حصيرة مشغولة من السمار النباتى أو أي شيء من هذا القبيل. وتلك اللوحات الزيتية ـ إنها رهيبة!»

وتحركتُ على طول منبسط الدرج لكي تشاهد اللوحات الزيتية. في براعة ومهارة.

فقلت: «هذه اللوحات كلفتني أموالا كثيرة».

«المسألة ليست هي النقود».

ولا يمكنني القول إن وقوفنا هنالك سويا كان أمراً غريبا. وكانت تقوم بالنقد الفنيّ مثل امرأة مثالية ونموذجية.

«أيمكن لي إلقاء نظرة على الغرف؟».

كنت إنساناً مختلفاً ولم أستطع مقاومة المتعة التي سأحصل علها من وراء السماح لها بمشاهدة باقى المنزل لذلك وقفتُ إلى جوارها في مداخل الغرف وأتحت لها الفرصة لمشاهدة كل الغرف: الغرفة المعدة من أجل العمة آني الغرفة الخاصة بمابيل إذا ما قُدّر لهما المجيء في أي

وقت ثم الغرفة الخاصة بي. وألقت ميراندا نظرات فاحصة على كل غرفة من تلك الغرف. وبالطبع كانت الستائر مُسدلة.

وقلتُ لها عندما وصلنا إلى باب الغرفة الخاصة بي «لقد استعنتُ بشركة لإنجاز كل هذه الأشياء».

فقالت: «أنت أنيق للغاية».

ثم شاهدتُ بعض صور قديمة لفراشات اشتريتها من محلّ قديم فقلت لها: «لقد قمتُ باختيار تلك الصور».

فقالت: «إنها الأشياء الوحيدة الظريفة هنا».

وهكذا كنا متواجدين سويا. وكانت هي تبدى تهانيها وأعترف أنني كنت مسرورا بذلك.

ثم قالت: «يا له من مكان هادئ للغاية! لقد كنت أصغى لصوت السيارات وأعتقد أن هذا المكان يقع في إسيكس الشمالية North Essex» وأدركت أنها كانت تختبرنى حيث كانت ترقبنى.

فقلت: متظاهرا بالدهشة «تخمينك جاء صحيحا»

فقالت: فجأة: من الغريب أنه كان ينبغي لي أن أرتعد رعبا ولكنني أشعر بالأمن والأمان معك».

«لن أسبب لك الأذى أبداً اللهم إلا إذا أرغمتني على أن أفعل ذلك».

وبدا الأمر فجأة وكأنه يسير على النحو الذي كنت آمله دائما. إذ بدأنا في التعرف على بعضنا البعض في مزيد من العمق وبدأت هي تشاهدني على طبيعتي الحقيقية.

وقالت: «ذلك الهواء كان رائعاً. لا يمكنك أن تتصور ذلك. حتى هذا الهواء. إنه هواء طلق. إنه هواء حرّ طليق بعكسي أنا تماما».

ثم سارت مبتعدة عني لذلك اضطررت للسير وراءها هابطاً على السلالم. وعند آسفل الصالة قالت: «هل يمكن لي أن ألقى نظرة هنا؟». فرحتُ أفكر: إن مَنْ يسرق ينبغي له أن يسرق جملاً وعلى كل حال فقد كان الشيش مغلقاً وكانت الستائر مسدلة. ثم دخلتْ هي إلى غرفة الصالون ونظرت فيما حولها وتجولتْ هنا وهناك وهي تنظر إلى كل شيء بينما يداها ملقاتان وراء ظهرها مما جعل المنظر يبدو هزليًا بالفعل.

وقالت: «إنها غرفة محببة للنفس. ومن الحماقة أن تملأ هذه الغرفة بهذه الأشياء الرديئة غير متقنة الصنع. إنها مزبلة. إنها كومة من النفايات». بل وقامت بركل أحد الكراسي بقدمها. وأظن أن مشاعر الإساءة قد ظهرت على وجهي لأنها قالت: «ولكن كان ينبغي لك أن تدرك أن هذه الديكورات غير ملائمة! «ووقع بصرها فجأة على لمبات حائطية فأضافت: «وتلك اللمبات الحائطية Chichi الرهيبة إنها ليست من نوع البط البرى الصينى».

ثم نظرت إليَّ في غضب حقيقي ثم رجعت ببصرها إلى البطّ.

وقالت: «أشعر بالآلام تسرى في ذراعي هل يمكن لك أن تربط يديّ بحيث تكونان موجودتين أمامى كنوع من التغيير؟».

فلم أرغب في إتلاف المزاج النفسي كما يقولون. وكنت أدرك أنه لا يوجد أي ضرر من وراء إحداث ذلك التغيير. وبمجرد أن انتهيت من فك القيود عن يديها (وكنت على استعداد لمواجهة أية متاعب قد تلجأ إليها) استدارت ورفعت يديها أمامى لكي أقوم بربطها مرة أخرى ففعلت ذلك على الفور. وبعدئذ أصابتني بصدمة. إذ ذهبت إلى المدفأة حيث يوجد البط البرى الصينى ـ وكانت هناك ثلاثة بطات معلقة وثمن الواحدة منها ٣٠ شلناً ـ ورفعتهما عن الخطاف الخاص بهما وألقت بهما على

الأرض المحيطة بالمدفأة فتحطمت في صوت مرتفع على الفور. وتناثرت الأشتات المحطمة.

فقلت لها في سخرية لاذعة: «شكراً جزيلاً».

فقالت: «إن أي منزل قديم كهذا له روح معينة. وأنت لا يمكن لك أن تفعل أمورا كهذه في إِشياء جميلة مثل هذه الغرفة الموغلة في القدم والتي عاش فيها أناس عديدون للغاية من قبل. ألا تشعر بذلك؟».

فقلت لها: «ليس لديَّ أي خبرة سابقة في مجال تاثيث الأماكن وتجهيزها بالمفروشات».

فاكتفت بأن نظرت إلى نظرات غريبة وتخطتني ودخلت إلى الغرفة المقابلة.

وهي الغرفة التي سميتها بغرفة الطعام وإن كان رجال الديكورات قد سموها الغرفة المزدوجة الغرض حيث كان مجهزة بعض الشيء من أجلي لكي أعمل بها. وكان يوجد بها الدواليب الثلاثة الخاصة بي فشاهدت تلك الدواليب على الفور.

«هل ستسمح لي بمشاهدة زملائي من الضحايا»؟

وأنا لم أكن أريد شيئاً أفضل من هذا بالطبع فجذبتُ درجا أو درجيْن من أجمل الأدراج عندى - وهما من نفس أدراج الأجناس لمجرد أن أجعلها تلقى نظرة.

«هل قمت بشرائها»؟.

فقلت: «بالطبع لا. إنها جميعاً قد تم اصطيادها بمعرفتى أو تم تربيتها بمعرفتى علاوة على قيامي بتصنيفها وترتيبها.

«إنها مرتبة ترتيباً جميلا».

وجذبت لها درجا آخر يضم تشوكهيل Chalkhill وأدونيس بلوز Adonis Blucs وأوضحت لها أن تلك الفراشات المعروضة أمامها أفضل من المعروض منها في متحف التاريخ الطبيعي. وكنت أشعر بالفخر لتمكني من إخبارها بمعلومات لا تعرفها. فهي لم يسبق لها أن سمعت عن abcrations.

«إنها جميلة للغاية. ولكنها جزينة» فقلت: «كل شيء يكون حزينا إذا جعلته حزيناً».

فقالت: وهي تحملق في وجهي عبْر الدّرج: «ولكنك أنت الذي جعلتها حزينة» وأضافت: «كم عدد الفراشات التي قمت بقتلها؟».

يمكنك أن تعرفي العدد من مشاهدة كل هذه الفراشات الموجودة بالأدراج».

«لا. يمكنني أن أعرف العدد الحقيقي. فأنا أفكر في الفراشات التي كانت ستنجبها هذه الفراشات التي قمت باصطيادها إذا كنت قد أبقيتها على قيْد الحياة. أنني أفكر في كل الجمال النابض بالحياة والذي وضعت حداً لحياته».

«لا يمكنك معرفة العدد الحقيقي».

«ومَنْ الذي يشاهد هذه الفراشات؟

إن موقفك مثل انسان بخيل. إنك تكتنز كل هذا الجمال في هذه الأدراج.

فشعرتُ بالفعل بإحباط شديد واعتقدتُ أن كل كلامها كان كلاماً سخيِفا. فماذا لو أخذتُ ١٢ عينة من نوع معين من الفراشات؟

وما هو التأثير الذي قد يصيب نوعا معينا من الفراشات إذا أخذت منه مجرد عينات؟

ثم قالت: «إنني أكره العلماء وأكره الناس الذين يقومون بجمع الأشياء وتصنيف الأشياء وإعطاء أسماء للأشياء وبعدئذ ينسون كل ما يتعلق بتلك الأشياء. وذلك هو ما يفعله الناس دائماً في الفنون فهم يقولون عن رسام أنه تأثيرى أو تكعيبي أو أي صفة من هذه الصفات وبعدئذ يضعونه في أحد الأدراج ويكفون عن النظر إليه كإنسان فرد رسام مفعم بالحياة. ولكنني ألاحظ أنك قمت بترتيب الفراشات ترتيبا حسنا».

كانت تحاول أن تكون لطيفة معي مرة أخرى. وبعدئذ قلت لها أنني أعشق التصوير الفوتوغرافي أيضاً.

وكنت قد قمت بالتقاط صور فوتوغرافية للغابات التي تقع خلف المنزل وصور لمياه الحبر التي تهجم على الأسوار في منطقة سيفورد وهي لقطات جميلة بالفعل ثم قمت بكبير تلك اللقطات بنفسي. فوضعت تلك اللقطات الفوتوغرافية على المنضدة حيث يمكن لها مشاهدتها.

فنظرت إليها ولكنها لم تعلّق عليها بأية تعليقات.

فقلت لها: «ولكنني لم ألتقط مناظر فوتوغرافية كثيرة. لأنني لم أبدأ في هذه الهواية منذ فترة طويلة».

«إنها مناظر ميتة وغير مليئة بالحياة» ثم نظرتُ إليَّ نظرة جانبية وأضافت: «ليست هذه اللقطات الفوتوغرافية التي قمت بالتقاطها بصفة خاصة. فأنا أقصد أن جميع الصور الفوتوغرافية تعتبر صورا ميتة. ولكنك عندما ترسم شيئاً ما فإن ذلك الشيء يعيش ولكن عندما تلتقط صورة فوتوغرافية لشيء ما فإنه يموت».

فقلت: «الصور الفوتوغرافية مثل التسجيل».

فقالت: «نعم. كلها جافة وميتة».

وكنت على وشك أن أتجادل معها ولكنها أضافت: قائلة «هذه اللقطات الفوتوغرافية تتسم بالمهارة. فهي لقطات جيدة من حيث هي لقطات فوتوغرافية». وبعد برهة قصيرة قلت لها: «أنني أود أن ألتقط لك الصور الفوتوغرافية».

«لماذا»؟.

«لأن وجهك من النوع الذي يسمونه فوتوجنيك أي وجه يصلح لصورة فوتوغرافية رائعة».

فنظرت لآسفل ثم نظرت لأعلى نحوي وقالت:

«وهو كذلك. إذا كنت ترغب في ذلك. غداً».

وعندئذ شعرتُ بإثارة وغبطة حقيقية.

فلقد تغيرت الأمور تغيرا جوهريا.

واعتقدتُ أن الوقت الملائم قد حان لأن تذهب إلى الغرفة السفلية. فلم تعترض اعتراضا شديداً واكتفت بهز كتفيها ودعتني لأربط لها الكمامة وسارت الأمور على ما يرام.

وبعد أن نزلنا إلى الغرفة السفلية أرادت أن تتناول فنجأنا من الشاي (وهو نوع معين من الشاي الصينى كانت قد طلبت مني أن أشتريه من أجلها) وقمتُ بنزع الكمامة عن فمها وخرجتْ إلى الغرفة السفلية الخارجية (وكانت يداها مازالتا مربوطتين) وراحت تنظر إلى المكان الذي أطهي فيه الوجبات لها وكل ما تريده من طلبات أخرى. ولم نتبادل أطراف الحديث: وكان الموقف لطيفا. وكان براد الشاي يغلي وكانت هي موجودة هناك. وبالطبع كنت حريصاً على مراقبتها في حذر شديد

باستمرار. وعندما انتهيت من إعداد الشاي قلت لها: «هل أقوم بتدليلك مثل تدليك الأم لابنتها»؟.

فقالت: «ذلك تعبير رهيب».

«وما هو الخطأ في ذلك التعبير»؟

«إنه تعبير شبيه بتلك البطات البريات الصينيات. إنه تعبير له طابع ضواحى المدينة. إنه تعبير مبتذل. إنه تعبير ميت. إنه..... أوه...... دقّة قديمة. هل تفهمني»؟.

فقلت: «أظن أنه من الأفضل لك أن تصحبينى أَمًّا».

وعندئذ تغّير موقفها على نحو غريب. إذ ابتسمت ابتسامة وكأنها على وشك أن تنفجر ضاحكة ثم توقفتْ عن الابتسام وذهبت إلى حجرتها فسرتُ وراءها ممسكا بالصينية. وقامت بصب الشاي لنفسها ولكن يبدو أن شيئاً ما قد جعلها تشعر بالغضب لأنها لم تنظر لأعلى نحوي.

فقلت: «إنني لم أقصد أن أسيء إليك أو أجرح مشاعرك».

فقالت: «لقد فكرت فجأة في أسرتي. فهم لن يكونوا مبتهجين لدى تناولهم الشاي في هذا المساء».

فقلت: «أربعة اسابيع».

«لا تذكرنى بذلك».

كان شأنها شأن جميع النساء. لا يمكن للمرء أن يتنبأ بحالتهن النفسية. فهن إذا ابتسمْن في إحدى اللحظات قد يظهرن الضغينة والحقد في اللحظة التالية.

وقالت: «أنت مثيرٌ للضجر والاشمئزاز. كما أنك تجعلنى مثيرة للضجر أيضا».

«لن تكون الفترة طويلة».

وبعدئذ قالت: كلاماً لم أسمعه من قبل من أية امرأة على الإطلاق. مما سبب لي صدمة حقيقية.

فقلت لها: «إنني لا أحب سماع كلمات كهذه. إنها كلمات مثيرة للضجر».

ولكنها قالت: نفس الكلمات مرة أخرى وهي تصرخ بها في وجهي.

ولم يكن بمقدوري تتبع حالاتها النفسية في بعض الأحيان.

كانت على ما يرام في صباح اليوم التالي رغم أنها لم تعتذر لي عن قولها تلك الكلمات. وأيضاً كانت الزهريتان الموجودتان بغرفتها مكسورتين على السلالم لدى دخولي إلى غرفتها. وكانت هي كالمعتاد دائماً مستيقظة وفي انتظارى عندماً دخلتُ إلى غرفتها حاملا معي طعام إفطارها.

وكان أول شيء أرادت أن تعرفه هو ما إذا كنت سأسمح لها بمشاهدة ضوء الشمس. فأوضحت لها أن المطر ينهمر مدراراً.

فقالت: «ولماذا لا يمكن لي الخروج إلى الغرفة السفلية الخارجية والتريض بها جيئة وذهابا. فأنا أريد أن أتريض قليلا».

ودخلنا في نفس المناقشات القديمة القوية التي تتعلق بهذا الموضوع. وفي نهاية الأمر تم التوصل إلى أنها إذا أرادت أن تمشى وتتريض هناك في فترات النهار فإنه ينبغي لها أن توافق على وضع الكمامة على فمها إذ لم يكن بمقدورى أن أغامر لأنه من المحتمل أن يظهر شخص ما بطريق المصادفة عند الجزء الخلفي من المنزل ـ ولو أن ذلك لم يكن محتملاً بالطبع حيث كانت البوابة الأمامية وبوابة الجراج مغلقتين بالقفل دائماً ولكن في الليل فإن الاكتفاء بربط يدها سيفي بالغرض المطلوب. فقلت

لها: أنني لن أعدها بأكثر من أخذ حمَام واحد أسبوعيا. ولا شيء بالنسبة لضوء النهار. واعتقدتُ للحظات أنها ستلجأ إلى حالة العبوس الصامت مرة أخرى ولكنها كانت قد بدأت تدرك بحلول ذلك الوقت أنه لا فائدة من وراء لجوئها للعبوس الصامت لذلك اضطرت لأن توافق على القرارات التي أصدرتُها.

ربما كنت صارما أكثر من اللازم فقد تجاوزت الحدّ المعيَن لتفادى الضّرر. ولكن كان ينبغي أن أكون ملتزما تماماً بالحرص والحذر ففي أجازات نهاية الأسبوع ـ على سبيل المثال ـ كان هناك المزيد من حركة مرور السيارات في هذه المنطقة. وفي أيام الآحاد المشرقة الساطعة كانت هناك تمرّ كل خمس دقائق وكثيراً ما كانوا يبطئون من سرعة سياراتهم لدى مرورهم بجور فوسترز Fosiers بل وكان بعضهم يتراجعون بسياراتهم للوراء لإلقاء نظرة أخرى بل وكان بعضهم يصل به حدّ الجرأة إلى دفع كاميراتهم من خلال البوابة الأمامية لكي يلتقطوا الصور الفوتوغرافية. ولهذا السبب فإنني لم أسمح لها على الإطلاق بترك غرفتها خلال عطلات نهاية الأسبوع.

وذات يوم بينما كنت آخرج بسيارتى من المنزل من أجل الذهاب إلى مدينة لويس استوقفنى رجل جالس في سيارة وسألنى «هل أنت صاحب هذا المنزل؟» وكان واحداً من هؤلاء الناس العميقى الثقافة الذين تتوقف الكلمات في حلوقهم والذين يوحون لك بأنهم على صداقة وطيدة مع الجهات الحكومية.

وتحدث معي كثيراً عن منزلي هذا وكيف أنه يكتب مقالاً عن منزلي من أجل إحدى المجلات وطلب مني السماح له بإلقاء نظرة على المنزل

والتقاط بعض الصور الفوتوغرافية كما أفاد بأنه يرغب في إلقاء نظرة على معبد القسيس بصفة خاصة.

فقلت له: «لا يوجد معبد هنا».

فقال.. ولكن من الغريب ألا يكون هناك معبد. فهذه المعلومات قد وردت في سجلات «تاريخ المقاطعة» كما وردت في عشرات الكتب».

فقلت: كما لو كنت قد أدركت ما يهدف إليه فجأة «أنت تقصد ذلك المكان القديم الموجود في السرداب بالمنزل. لقد تمّ سدّ وإغلاق ذلك السراب تمّ غلقه بالطوب»

«ولكن ذلك المبنى من المباني الموثَّقة والتي يوجد بشأنها بيان بكافة محتوياتها من غرف».

فقلت: «حسناً. السرداب مازال موجوداً في مكانه. كل ما هنالك أنك لاتستطيع أن تشاهد شيئاً فقد تم غلق هذا السرداب قبل مجيئي».

وبعدئذ أراد أن يلقى نظرة على المنزل من الداخل. فقلت له: «إنني في عجلة من أمرى. ولا أستطيع الانتظار. ويمكن لك أن تجيء إلى هنا مرة أخرى» فقال: «حددّ لي يوماً أجيء لك فيه» فقلت: «لا أستطيع. فأنا لديَّ الكثير من طلبات الناس الذين يرغبون في إلقاء نظرة» فاستمر في دسّ أنفه بل وشرع في تهديدي بأنه سيستصدر أمراً من الجهات المختصة لكي يتمكن من إلقاء نظرة على المنزل وأشار إلى أن رجال الآثار القديمة يساندون مطلبه وكان إنساناً مزعجاً وكريها إلى حدّ بعيد في آن واحد. وفي نهاية الأمر انطلق بسيارته. وكانت كل التهديدات التي قالها هي تهديدات جوفاء ولكن كان ينبغي لي أن أفكر في مثل هذه المواقف التي قد تتكرر.

التقطت الصور الفوتوغرافية لها في ذلك المساء. مجرد صور

فوتوغرافية عادية لها أثناء جلوسها وقراءتها في الكتب أو المجلات. وكانت لقطات جديدة للغاية.

وفي يوم ما بعد ذلك بقليل قامت ميراندا برسم لوحة زيتية لي وكأنها تردّ على مجاملتى لها بالتقاطى صورا فوتوغرافية لها. وكان على أن أجلس على كرسى وأنظر نحو ركن الغرفة. وبعد نصف ساعة قامت بتمزيق الرسم قبل أن أتمكن من منعها من ذلك. (وكانت تمزق اللوحات في كثير من الأحيان. وأعتقد أن ذلك يرجع إلى المزاج الفني عندها)

قلتُ لها: «من المؤكد أن الرسم كان سيعجبنى» ولكنها لم تردّ على كلامي واكتفت بالقول: «عليك فقط بعد التحرك من مكانك».

وكانت تنهض وتتمشى من وقت لآخر. وكانت تبدى تعليقات لها الطابع الشخصي في معظمها.

قالت: «من الصعب للغاية الإلمام بجوانب شخصيتك. فأنت بدون ملامح أو صفات مميزة فكل شيء فيك لا يتميز بصفة خاصة. كل شيء عادي للغاية. حتى «أنني أفكر فيك من حيث إنك مجرد شيء وليس شخصا».

وبعد قليل قالت: «أنت لست قبيحا. ولكن وجهك له كل أنوع العادات القبيحة. وأسوأ شيء فيك هو شفتك السفلية. إنها تفضحك وتفشي عن أسرارك». فنظرتُ في المرآة في الدور العلوي ولكنني لم أفهم المعنى الذي كانت تقصده ميراندا.

وفي بعض الأحيان كانت تسألنى فجأة أسئلة غريبة. إذ سألتني ذات مرة:

«هل تؤمن بالله؟»:

فأجبتُ «ليس كثيراً».

«ينبغي أن يكون ردك جازما... إما بنعم أو لا».

«إنني لا أفكر في هذا الأمر. وفي رأيي أن ذلك أمر ليست له أهمية معينة».

فقالت: «أنت هو الشخص المسجون في البدروم».

فتساءلت: «هل أنت تؤمنين بالله؟»

فقالت: «بالطبع أنا أؤمن بالله. لأنني إنسانة» وعندما كنت بصدد الاستطراد في المناقشة قالت: لي «كفُ عن الكلام».

ثم اشتكت من الضوء الكهربائي الاصطناعى. فأنا لا يمكنني أبداً أن أرسم تحت هذا الضوء.

«إنه ضوء ممعن في الكذب».

وأدركت ما كانت تهدف إليه. لذلك أبقيت فمي مغلقا.

وبعدئذ قالت: لي فجأة ـ وربما لم يكن ذلك الصباح الأول الذي قامت فيه برسمي فأنا لا أذكر في أي الأيام قالت: لي ذلك ـ «من حسن حظك أنك ليس لديك والدان: أماً والداي فقد حرصاً على أن يظلا يعيشان سويا بسبب أختى وأنا».

فقلت: «وكيف عرفت ذلك؟»

فقالت: «لأن والدتى قد قالت: لي ذلك. ولقد قال لي والدي ذلك أيضاً. مع العلم أن والدتى امرأة داعرة وكلبة. كلبة رديئة طموحة من الطبقة الاجتماعية المتوسطة. وهي تحتسى الخمور بكثرة».

فقلت: «لقد سمعت ذلك عنها».

«ولا يمكن أن يدوم معي أصدقائي أبداً.

فقلت: «أنا آسف» فألقت على نظرة حادة ولكنني لم أنطق تلك

العبارة في سخرية لاذعة. وأخبرتها بأن والدي والدتى كأنا يحستيان الخمر بكميات هائلة.

وقالت: «والدي رجل ضعيف ومع ذلك فأنا أحبه حبا شديدا. هل تعرف ما قاله لي ذات يوم؟ لقد قال لي (إني لا أعرف كيف أن والدين سيئين للغاية مثلي أنا وأمك قد أنجبا ابنتين رائعتين للغاية مثلك أنت وأختك) وهو في الواقع كان يفكر دائماً في أختى. فهي الإنسانة التي تتمتع بذكاء ومهارة حقيقية».

«بل أنت التي تتمتعين بالذكاء والشطارة. فأنت قد حصلت على منحة دراسية عظيمة».

فقالت: «إنني رسّامة هندسية ممتازة».

وأضافت: «.. وربما أصبح مهندسة معمارية بالغة المهارة. ولكني لن أصبح مهندسة معمارية عظيمة إلى حدّ بعيد. على الأقل لا أعتقد ذلك».

فقلت: «ومنْ يدرى؟ فقد يحدث ما لا يتوقعة أحد».

فقالت: «أنا لست ممن يركز اهتماماته في ذاته أولاً. ليست اهتماماتى متركزة على ذاتى. فأنا امرأة. وينبغي لي أن أستند على شيء ما» ولست أدرى السبب الذي جعلها تغير موضوع الحديث فجأة حيث قالت: متسائلة «هل أنت إنسان شاذ»؟.

فقلت لها وقد احمرّ وجهي خجلاً: «بالطبع لا. بكل تأكيد».

فقالت: «هذا أمر لا يسبب الخجل. فهناك الكثير من الرجال الممتازين مصابون بالشذوذ» ثم أضافت: «أنت تريد أن تستند عليّ وتعتمد عليّ. وهذا هو ما أشعر به. وأنا أتوقع أن الأمر يرجع إلى والدتك. فأنت بصدد البحث عن والدتك».

فقلت: «إنني لا أؤمن بكل هذا الكلام» فقالت: «علاقاتنا سويا لن

تعود بالخير علينا. لإننا نحن الاثنان بحاجة لأن نستند على شيء ما أو شخص آخر ما».

فقلت: «يمكن لك أن تعتمدى عليَّ من الناحية المالية».

«وأنت تعتمد عليَّ بالنسبة لكافة الأمور الأخرى؟ لا قدّر الله».

وهنا رفعتُ اللوحة الزيتية لأعلى. كانت ممتازة بالفعل مما جعلنى وكأنه جعلنى أكثر وقارا واحتراما بل وأكثر جمالاً مما أنا عليه.

فتساءلت: «هل تفكرين في بيع هذه اللوحة؟» فقالت: «إنني لم أفكر في بيعها. ولكنني سوف أبيعها. بمبلغ ٢٠٠ جنيه؟».

فقلت: «وهو كذلك. أنا موافق على هذا الثمن».

فألقت نظرة حادة عليَّ مرة أخرى وتساءلت: «ستعطينى ٢٠٠ جنيه من أجل تلك اللوحة؟».

فقلت: «نعم. لأنك أنت التي قمت برسمها» فقالت: «اعطني اللوحة». فأعطيتها اللوحة فقامت على الفور بتمزيقها إلى نصفين قبل أن أدرك أنها تفعل ذلك.

فقلت: «أرجوك لا تفعلى ذلك». فتوقفت ولكن اللوحة كانت قد مزْقت إلى نصفين.

وقالت: «إنها رديئة. ورديئة ورديئة» ثم فجأة ألقت باللوحة الممزقة نحوي وقالت: «إليك ما طلبتْ. ضعها في الدرج مع الفراشات».

وفي المرة التالية التي ذهبتُ فيها إلى مدينة لويس اشتريت لها المزيد من الأسطوأنات الموسيقية حيث اشتريت لها كل الأسطوأنات التي هي من تأليف موزارت والتي أمكنني العثور عليها لأنها كانت تحب موزارت على ما يبدو.

وفي يوم آخر قامت برسم سلطانية مليئة بالفاكهة. وقامت برسم نفس المنظر عشرة مرات. ثم ثبتت جميع هذه اللوحات بالدبابيس على الشاشة وطلبت مني أن أختار أفضل لوحة بينها. فقلت لها: إن اللوحات كلها جميلة بالفعل.

ولكنها أصرت فقمت باختيار واحدة أفضل بعض الشيء من الآخريات من وجهة نظري.

فقالت: «تلك هي أسوأ اللوحات جميعاً فهي مجرد رسم يقوم به طالب فنون مجتهد» وأضافت: «ولكن توجد بين هذه الوحات لوحة جديدة بالفعل. وقيمتها الفنية تساوى مئات أضعاف باقى اللوحات الأخرى. فإذا تمكنت من اختيارها وتحديدها من خلال ثلاثة تخمينات فإنني سأعطيها لك مجأنا عندما أنصرف من هنا. إذا ما قُدَر لي أن أذهب من هنا. وإذا لم تتمكن من معرفة تلك اللوحة فإنه يجب عليك أن تعطينى عشرة جنيهات ثمنا لها».

وتجاهلتُ ملاحظاتها القاسية وقمت باختيار ثلاثا من خلال التخمين ولكنها كانت خاطئة فاللوحة الممتازة من وجهة نظرها قد بدت لي غير مكتملة بعض الشيء من وجهة نظري. إذ كان من الصعب على المرء معرفة نوعية الفواكه بل وكانت كلها مائلة وغير متوازنة.

وقالت: «إنني في هذه اللوحة بصدد أن أقول شيئاً ما عن الفواكة. وأنا في حقيقة الأمر لا أفصح عن ذلك الشيء ولكن ينبغي للمرء أن يصل إلى الفكرة التي كنت أنا بصدد التعبير عنها. هل تشعر بذلك؟».

فقلت: «إنني لم أشعر بذلك في حقيقة الأمر» فذهبت وأحضرت كتابا يضم صورا بقلم سيزان Cezanne[١].

---

(١) بول سيزان: رسام فرنسي يتبع مذهب الانطباعية المتآخرة ١٨٢٩ ـ ١٩٠٦.

وقالت: وهي تشير إلى صورة ملونة عن طبق به تفاح «في هذه اللوحة إنه لا يقول فقط إن كل شيء باللوحة يتعلق بالتفاحات وإنما يقول كل شيء يتعلق بجميع أنواع التفاح بل وكل الأشكال والألوان».

فقلت: «كل الصور التي رسمتيها جميلة».

فاكتفت بالنظر إليَّ. ثم قالت: «يا فرديناند. كان ينبغي لهم أن يطلقوا عليك اسم كاليبان Caliban[١]».

وذات يوم عقب حصولها على الحمام الأول بثلاثة أيام أو أربعة أيام ظهر عليها القلق الشديد. وراحت تجوب الغرفة السفلية الخارجية جيئة وذهابا عقب تناول طعام العشاء ثم جلست على السرير وبعدئذ نهضت واقفة. وكنت أنا ألقي نظرة على الرسوم التي رسمتها بعد ظهر ذلك اليوم. وكانت كلها على ما أعتقد نسخاً منقولة عن صور واردة بالكتب الفنية وكانت متشابهة للغاية.

ثم قالت: فجأة «ألا يمكن لنا أن نذهب للنزهة والتريض؟ مع الارتباط بوعد الشرف الذي قطعته على نفسي؟».

فقلت: «ولكن الجو ممطر وبارد» حيث كان الوقت هو الأسبوع الثاني من شهر أكتوبر.

فقالت: «ولكني سأتعرض للجنون بسبب حبسى هنا. ألا يمكن لنا أن نكتفي بمجرد التريض حول الحديقة؟».

واقتربت مني للغاية وهو أمر دائماً ما كانت تتجنبه عادة. ومدت لي معصميها. وكانت قد اعتادت على التسريحة المنسابة للشعر مع ربط شعرها بشريط أزرق كان من ضمن الأشياء التي كتبتها في القائمة لكي

---

(١) كاليبان: هو اسم العبد الخاص بروسبيرو في «العاصفة» لشكسبير.

أشتريها. وكان شعرها جميلا دائما. لم يسبق لي في حياتي أن شاهدتُ شعرا أجمل من شعرها. وكثيراً ما كانت لديَّ رغبة شديدة في أن ألمس شعرها. مجرد لمسه والإحساس به. وكانت الفرصة تتاح لي عندما أقوم بوضع الكمامة على فمها.

وخرجنا معا. وكانت ليلة غريبة. كان هناك قمر خلف السحب وكانت تتحرك ولكن في الأماكن القريبة من الأرض لم تكن هناك أية رياح على الإطلاق تقريباً. ولدى خروجنا فإنها أمضت دقائق قليلة في مجرد استنشاق الهواء في عمق. وبعدئذ أمسكت بذراعها في احترام شديد وسرتُ بها في الممر الذي يقع ما بين الحائط وبين المساحة المزروعة بالحشائش. وتخطينا السياج الخاص بالحديقة ودخلنا إلى حديقة الخضراوات التي توجد بها استغلال الموقف حيث كنت ملتزما دائماً بالاحترام الشديد لها (إلى أن فعلت هي ما فعلته) ولكن ربما كان الأمر يرجع إلى الظلام حيث كنا نسير معا هناك وكنت أشعر بذراعها من خلال كُمها وكنتُ أتمنى بالفعل أن أحتضنها بين ذراعي وأقوم بتقبيلها بل وكانت الرعشة تدبّ في أوصالى في حقيقة الأمر. وكان عليَّ أن أقول لها أي كلام لكي لا أصاب بالارتباك وأفقد السيطرة على أعصابي.

قلت لها: «هل ستصدقينى إذا قلت لك أنني أشعر بأي شيء على النحو الصحيح فإنك لا تدركين أنني لديَّ مشاعر عميقة للغاية ولكنني لا أستطيع التعبير عن تلك المشاعر مثلما تستطيعين أنت».

واستطردت قائلاً «إذا كان المرء لا يستطيع التعبير عن مشاعره فهذا لا يعنى أن مشاعره غير عميقة» وطوال ذلك الوقت كنا نواصل السير تحت أغصان الأشجار المظلمة.

ثم قلتُ «كل ما أريده منك هو أن تدركي مدى حبي الشديد لك ومدى احتياجى الشديد إليك وأنّ مشاعرى نحوك عميقة للغاية».

كما قلتُ لها: «أنني أبذل مجهوداً في بعض الأحيان. ولكنني أحب أن أتفآخر. وأريد لك أن تفكرى مليا فيما كان سيفعله الناس الآخرون معك إذا ما قْدَر لهم الاستحواذ عليك تحت سيطرتهم».

ووصلنا إلى المساحة العشبية عند الجانب الآخر مرة أخرى ومنها إلى المنزل. ودوّت سيارة وأصبح دويّها قريبا وواصلت انطلاقها على الحارة متخطية المنزل. فشددتُ من قبضة يدي عليها.

ووصلنا إلى باب الغرفة السفلية فقلت لها: «أتودين التريض مرة أخرى؟».

فهزت رأسها مما أثار دهشتى. قعدتُ بها لآسفل مرة أخرى. وبعد أن نزعتُ عنها الكمامة والحبال قالت: «أود تناول الشاي. لو سمحت. اذهب وأعدّ لي بعض الشاي. وأغلق الباب بالمفتاح. ولسوف أبقى هنا».

وأعددتُ الشاي. وبمجرد أن ذهبت به إليها تكلمتُ قائلة:

«أريد أن أقول لك شيئاً ما. وهو أمر قد حان الوقت لأن أقوله لك».

فأصغيت لها.

«لقد كنتَ تريد أن تقبلنى ونحن بالخارج هنالك. أليس كذلك؟».

فقلت لها: «إنني آسف لذلك» وبدأ وجهي يحمرّ خجلا كالمعتاد.

ـ أولا أودّ أن أشكرك على عدم قيامك بتقبيلي لأنني لا أريد لك أن تقبلنى. وأنني أدرك أنني واقعة تحت رحمتك. وأنا أدرك أنني سعيدة الحظ للغاية لأنك مهذب تماماً فيما يتعلق بهذا الأمر».

فقلت لها: «لن يحدث ذلك مني مرة أخرى» فقالت: «ذلك هو ما أردت أن أقوله لك. وإذا خطر على ذهنك هذا الموضوع مرة أخرى في

مزيد من العمق وعلى نحو يجعلك ترضخ لرغبتك فأنا أريد منك أن تعدنى بشيء ما».

فقلت: «لن يحدث ذلك مني مرة أخرى» فأضافت: «أريدأن تفقدنى الوعى من خلال ضربة قوية أو عن طريق إعطائي الكلوروفورم أو أي شيء من هذا القبيل. فأنا سوف أستسلم لك ولن أقاومك. ولسوف أسمح لك بأن تفعل ما يحلو لك».

فقلت لها: «لن يحدث ذلك مني مرة أخرى. لقد نسيت نفسي. ولا أستطيع توضيح الأمور لك».

فقالت: «وأحب أن أوضح لك أنك إذا فعلت أي شيء من هذا القبيل معي فلن أشعر بأي احترام نحوك على الإطلاق مرة أخرى. هل تفهمني؟».

فقلت لها: «وأنا أتوقع منك أن تشعرى نحوي بالاحتقار إذا فعلتُ ذلك» وكان وجهي قد تفجّر بالاحمرار الشديد آنئذ.

ثم مدتْ يدها نحوي فصافحتها. ولا أدرى كيف تمكنت من الخروج من الغرفة. لقد سببتْ لي اضطراباً شديداً في ذلك المساء.

وكان كل يوم يشهد نفس الروتين:

كنت أنزل إليها فيما بين الساعة الثامنة والتاسعة صباحا وأحضر لها طعام الإفطار وأفرغ الجرادل وفي بعض الأحيان كنا نتحدث قليلا أو كانت تعطينى قائمة ببعض المشتريات التي تحتاجها.

وفي بعض الأحيان كنت أظل موجودا بالمنزل ولكني كنت آخرج من المنزل في معظم الأحيان بهدف إحضار الخضراوات الطازجة واللبن الطازج الذي تحبه وفي معظم الفترات الصباحية كنت أقوم بتنظيف المنزل عقب عودتى من مدينة لويس ثم أقدم لها طعام الغذاء وبعد

الغذاء كنا في العادة نجلس ونتحدث سويا لبعض الوقت أو كانت هي تقوم بتشغيل الأسطوأنات الموسيقية التي اشتريتها لها أو كنت أجلس بجوارها وأرقبها وهي ترسم اللوحات. وبعدئذ كان يجيء موعد تقديم طعام العشاء لها وبعد تناولها العشاء كنا في الغالب نتجاذب أطراف الحديث لفترة أطول. وفي بعض الأحيان كانت ترحب بوجودى معها وعادة ما كانت ترغب في التريض في الغرفة السفلية الخارجية. وأحيأنا كانت تطلب مني الانصراف بمجرد انتهائها من تناول طعام العشاء.

وكنت ألتقط لها صورا فوتوغرافية كلما سمحت لي بذلك. وقد أخذت مني بعض هذه اللقطات الفوتوغرافية. كما أخذت صورا في أوضاع عديدة مختلفة وكانت كلها لقطات جميلة بالطبع. وكنت أريد لها ارتداء ملابس خاصة ولكنني لم أحب أن أطلب منها ذلك. وكانت دائماً ما تقول لي «أنني لا أعرف الأسباب التي تجعلك ترغب في التقاط كل هذه الصور لي. فأنت باستطاعتك أن تشاهدني في كل يوم».

لذلك لم يحدث شيء ما في حقيقة الأمر. كانت هناك فقط تلك الأمسيات التي كنا نجلس فيها معا ولم يخطر على بالى على الإطلاق أن تلك الأمسيات التي كنا نجلس فيها معا يمكن أن تتوقف في المستقبل. بدا الأمر لي وكأننا الشخصان الوحيدان في العالم ولن يدرك أحد على الإطلاق مدى السعادة التي كنا نرفل فيها ـ باستثنائي أنا بالطبع ولكن كانت هناك أوقات أدركت فيها أنها لم يكن يهمها. على الرغم مما قالته. إذا هي فكرت في ذلك. وكنت على استعداد لأن أجلس هناك طوال الليل لأستمتع بالنظر إليها والنظر إلى شكل رأسها والطريقة التي ينسدل بها الشعر من رأسها في تموج معين على نحو رائع للغاية مثل شكل ذيل عصفور السنونو. كان شعرها شبيها بالحجاب أو بالسحاب وكان من الممكن أن يظل ملقى مثل خصلات من الحرير المفكوكة غير الممشطة

ومع ذلك يبدو رائعاً للغاية فوق كتفيها. وأتمنى لو كانت لديَّ الكلمات التي تعينني على وصف شعرها مثلما يفعل الشعراء أو الفنانون. وكانت لها طريقة خاصة في إلقاء شعرها للوراء في حالة سقوط كميات كبيرة منه للأمام. وكانت تلك مجرد حركة طبيعية متسمة بالبساطة تقوم بها من وقت لآخر. وفي بعض الأحيان كنت أرغب في أن أقول لها: «لو سمحت افعلى تلك الحركة مرة أخرى لو سمحت اجعلى شعرك يسقط للأمام ثم ألقى به إلى الوراء مرة أخرى». ولكنني اذا قلت هذا الكلام فيكون ذلك أمراً سخيفا مني بالطبع. كان كل شيء تفعله رقيقا ولطيفا على ذلك النحو. مجرد قيامها بتصفح ورقة في كتاب. مجرد نهوضها واقفة أو جلوسها أو تناولها للمشروبات أو تدخينها للسيجارة أو أي شيء آخر تفعله. بل وحتى إذا فعلت أشياء من الأشياء التي تُعتبر قبيحة. إذ كانت أية من الفتنة والجمال الأسطورى.

وكانت دائماً تتصف بالنظافة الشديدة. لم تظهر عليها أية رائحة معينة على الإطلاق ولا شيء سوى الرائحة الجميلة والمنعشة وذلك بخلاف بعض النساء الآخريات اللائي يمكن لي أن أذكر أسماءهن. كانت تكره القذارة كرهاً شديداً مثلي تماماً ولو أنها قد اعتادت أن تسخر مني يسبب كراهيتي الشديدة للقذارة. ولقد قالت: لي ذات مرة إنه من الجنون أن يرغب المرء في أن يكون كل شيء نظيفا تماماً. فإذا كان الأمر كذلك فإننا بالتأكيد نكون نحن الاثنان من المجانين.

وبالطبع لم نكن نرفل طوال الوقت في الهدوء والسلام والتهلل والإشراق. فهي قد حاولت الهروب مرات عديدة ولكن من حسن حظي أنني كنت دائماً في غاية التيقظ والحذر الشديد.

فذات يوم كادت أن تنجح في خداعي وإيقاعى في الشرك. إذ كانت

غاية في المكر والدهاء. فعندما ذهبت إلى غرفتها كانت تتعرض لمتاعب صحية وبدت وكأنها تعاني بالفعل من اضطراب حقيقي. فظللت أقول لها: «ما هي الأمور الخاطئة التي حدثت؟ ماذا حدث لك؟» ولكنها اكتفت بالاستلقاء هنالك وبدا عليها وكأنها تعاني من الآلام.

ثم نهضت في نهاية الأمر وقالت: «إنني مصابة بالتهاب الزائدة الدودية».

فتساءلت: «وكيف عرفت ذلك؟».

فقالت: «لقد اعتقدت أنني سأتعرض للموت في الليل» كانت تتكلم وكأنها تجد صعوبة في الكلام.

فقلت: «ربما تكونين مصابة بمرض آخر وليس الزائدة الدودية.

ولكنها اكتفت بأن أدارت رأسها نحو الحائط وقالت: «أوه. يا إلهي».

وعندما امتصصتُ الصدمة وتغلبتُ على مشاعر القلق التي اجتاحتني أدركت أن الأمر ربما يكون خدعة من جانبها.

وبعدئذ راحت تتضور في ألم وكأنها تعاني من نوبة تشنج ثم اعتدلتْ في جلستها ونظرت إليَّ وقالت: إنها على استعداد لأن تعدني بأي شيء في سبيل أن أحضر لها طبيبا. أو السماح لها بالذهاب إلى مستشفي.

فقلت لها: «سيؤدي هذا الإجراء إلى القضاء عليَّ قضاء مبرما. لأنك ستقومين بإخبارهم بما حدث لك».

فقالت: «إنني أعدك. أنني أعدك» وكان كلامها مقنعا لي تماماً. إذ كانت قديرة في التمثيل بكل تأكيد.

فقلت لها: «سأعدّ لك كوبا من الشاي».

كنت أريد أن أتيح لنفسي بعض الوقت لكي أفكر في الأمر مليا. ولكنها راحت تتضور من الألم مرة أخرى.

وكانت هناك كمية من القيء فوق الأرض. وتذكرت كلام العمة آني عن التهاب الزائدة الدودية وأنه يمكن أن يؤدي إلى موت المريض وقالت: إن الولد الذي كان يسكن في المنزل المجاور قد أصيب بذلك المرض منذ عام وتباطأ أهله في عرضه على طبيب لعلاجه على طبيب لعلاجه أكثر من اللازم وحدثت المعجزة لأنه قد ظل على قيد الحياة رغم عرضه على الطبيب لذلك كان ينبغي لي أن أتخذ أي إجراء.

وقلت لميراندا «يوجد منزل به تليفون في آخر الشارع الفرعى. ولسوف أنطلق إلى هناك».

فقالت: «انقلنى إلى المستشفي. فذلك أكثر أمنا بالنسبة لك».

فقلت: «ماذا في الأمر» وكنت أبدو وكأنني أشعر باليأس الحقيقي. وأضفت «إنها النهاية بالنسبة لي. هذا معناه أنني أودعك للأبد». وكان باستطاعتي أن أمثُل عليها أيضاً.

ثم اندفعت خارجا مدعيا أنني في حالة من القلق الشديد. وتعمدتُ أن أترك الباب مفتوحا وكذلك الباب الخارجى تركته مفتوحا. ثم ظللتُ منتظراً هناك.

وبعدئذ خرجت ميراندا في خلال دقيقة. كانت في صحة وعافية مثلي تماماً. ولم تحدث متاعب بيننا. إذ اكتفت بإلقاء نظرة واحدة عليَّ ثم رجعنا معا إلى آسفل نحو الغرفة السفلية. وتعمدتُ أن يظهر عليَّ الضيق والبذاءة والقرف لمجرد أن أدخل عليها الخوف والرعب منّى.

كانت تغّير حالاتها النفسية بسرعة كبيرة حتى إنني كنت أجد نفسي في معظم الأحيان عاجزا عن متابعتها وكانت تستمتع لدى مشاهدتها لي

وأنا أتعثر خلفها (حيث سبق أن قالت: في يوماً ما: «مسكين كاليبان.. إنه يتعثر دائماً وراء ميراندا..) وأحيأنا كانت تناديني باسم كاليبان وأحيأنا أخرى كانت تناديني باسم فرديناند. في بعض الأحيان تبدو بذيئة معي ولاذعة. حيث كانت تتهكم عليَّ وتقلدنى في سخرية وتجعلنى أشعر باليأس والقنوط وتسألنى أسئلة لا أستطيع التمكن من الإجابة عليها. وبعدئذ في أوقات أخرى كانت تتعاطف معي تعاطفا حقيقاً مما كان يجعلنى أشعر بأنها أول إنسانة تفهمني بعد العمّ ديك.

وأذكر الكثير من الأمور الصغيرة.

فذات يوم كانت تجلس وتقوم بتوضيح أسرار بعض اللوحات الفنية لي ـ وكانت الأسرار هي الأمور التي ينبغي أن تفكر فيها لكي تشاهدها وهي الأسرار التي تسميها ميراندا بالنسب والهارمونى. وجلسنا وقد وضُع الكتاب بيننا وراحت هي تتحدث عن اللوحات الفنية. وكنا نجلس على السرير (وقد جعلتني أحضر وسائد وبطانية صوفية من أجل ذلك اليوم) متقاربين للغاية ولكن بدون تلامس. وقد حرصتُ على عدم التلامس عقب أحداث النزهة في الحديقة. ولكنها ذات مساء قالت: لي: «لا تكن متخشيا وجامدا على هذا النحو. فإنني لن أقتلك إذا تلامس كُمك مع كُمى».

فقلت لها: «وهو كذلك»

ولكنني لم أتحرك قيْد أنملة.

وبعدئذ تحركتْ هي مما جعل أذرعنا وأكتافنا تتلامس. وطوال الوقت ظلت تتكلم وتتكلم عن اللوحة الفنية التي كنا ننظر إليها. واعتقدتُ أنها لم تكن تفكر في ذلك التلامس الذي حدث ولكنها عقب تصفح بعض الصفحات القليلة ألقتْ على نظرة فجائية وقالت:

«أنت لا تصغى إلى كلامى».

فقلت: «إنني أصغى إليك في انتباه» فقالت: «لا. أنت لا تستمع إليَّ. إنك تفكر في مسألة التلامس معي. وأنت متخشب للغاية الآن. عليك بالاسترخاء».

ولم أستطع الخلود إلى الاسترخاء إذ كانت تسبب لي توتراً شديداً ثم نهضتْ هي واقفة كانت ترتدي جونلة زرقاء قصيرة كنت قد اشتريتها لها علاوة على بلوزة تريكو سوداء وبلوزة بيضاء وكانت ألوان الملابس تتماشى معها تماماً. وظلت واقفة أمامى للحظات ثم قالت: «أوه. يا إلهي».

ثم ذهبتْ وراحت تطرق بُجماع يدها على الحائط. وقد اعتادتْ أن تفعل ذلك في بعض الأحيان. ثم قالت:

«هناك صديق لي يقوم يتقبيلي في كل مرة يشاهدني فيها. وهو لا يقصد أي شيء من وراء ذلك ـ فقبلاته لا معنى لها. وهو يقوم بتقبيل كل شخص آخر. وهو على العكس منك تماماً. فأنت لا تجرى أي اتصال مع أي شخص هو يجرى كل الاتصالات مع كل فرد. وأنتما الاثنان مريضان على حد سواء».

فابتسمت لها. وقد اعتدتُ أن أبتسم لها لدى قيامها بانتقادى وذلك كنوع من الدفاع عن نفسي.

فقالت: «لا تلجأ إلى هذه الابتسامة الشنيعة» فقلت: «لا يوجد هناك شيء آخر يمكنني أن أفعله. فأنت دائماً على حق».

«ولكنني لا أريد أن أكون على حقّ دائماً. قلْ لي أنني على خطأ».

فقلت: «أوه. أنت على حق، وأنت تدركين أنك على حقّ».

فقالت: «أوه. يا فرديناند» ثم كررت كلمة فرديناند مرتين وانخرطتْ

في نوع من الصلاة لله وتظاهرتْ بأنها تعاني من آلام رهيبة مما جعلنى أضطر للانفجار في الضحك ولكنها ظهرت عليها ملامح الجدية فجأة أو ربما كانت تتظاهر بالجدية.

«هذا ليس أمراً يسيرا. إنه لأمر شنيع لأنك لا تستطيع أن تعاملنى كصديقة لك. عليك أن تتسى الجنس الخاص بي. عليك أن تنسى أنني فتاة. وهدئ من روعك وارخ عضلاتك».

فقلت: «سأحاول أن أسترخى». ولكنها لم تعد تجلس إلى جواري مرة أخرى حيث استندت بظهرها إلى الحائط وراحت تقرأ في كتاب آخر.

وفي يوم آخر وبينما كنا بالغرفة السفلية قامت بالصراخ فجأة. ولم يكن هناك سبب يدعو للصراخ على الإطلاق حيث كنت أقوم بتثبيت لوحة فنية كانت قد انتهت من رسمها وأرادت أن تشاهدها وهي معلقة على الحائط وإذا بها تجلس فجأة على السرير وتصرخ. وكانت صرخة تقشعرّ لها الأبدان مما جعلنى أقفز فيما حولي وأسقط الشريط. ثم انفجرتْ هي في الضحك عليَّ.

قلتُ «ماذا حدث؟».

فقالت: «لقد شعرت فقط بالرغبة في الصراخ بصرخة هائلة مدوية».

كانت من النوع الذي لا يمكن لك أن تتنبأ بما سيقدم عليه.

وكانت دائماً ما تنتقد طريقتى في التكلّم. وأذكر أنها قالت: لي ذات يوم «هل تعرف ما الذي تفعله؟ هل تعرف كيف تمحو الأمطار الألوان عن شيء؟ ذلك هو ما تفعله أنت في اللغة الإنجليزية. فأنت تحدث تشويشا وتعتيما في كل مرة تفتح فيها فمك».

وذلك هو مثال واحد فقط من الأمثلة العديدة التي توضح الطريقة التي كانت تعاملني بها.

وفي يوم آخر أثارت معي موضوع والديها. واستمرت في التطرق إلى ذلك الموضوع لأيام عديدة موضحة كيف أنهما يعانيان بالتأكيد من القلق والهمّ والكرب الشديد وكيف أنني أعتبر إنساناً وضيعا للغاية لأنني لا أسمح لهما بمعرفة أية معلومات عني. فقلت لها: «إنني لا أستطيع أن أقدم على هذه المخاطر المميتة». ولكنها في يوم ما عقب تناول العشاء قالت: لي: «لسوف أقول لك كيف تعطي معلومات عني لوالديَّ بدون أن تعرّض نفسك لأية مخاطر: عليك بأن تضع قفازا في يدك. وتشتري ورقا وبعض الأطراف من محل وولورث Woolwonh ثم تُملي على خطابا لكي أكتبه بخط يدي. وتذهب بعد ذلك إلى أقرب مدينة كبيرة وتضع الخطاب في صندوق البريد. وبهذه الطريقة لا يمكن للشرطة أن تعرف مكانك. فهناك فروع كثيرة لمحلات وولورث منتشرة في أرجاء البلاد».

وظلت تلحّ عليَّ لكي أنفذ تلك الخطة إلى أن قمتُ بتنفيذ اقتراحها ذات يوم واشتريت أوراقا وأظرف. وفي ذلك المساء ناولتها ورقة وطلبتُ منها أن تكتب ما أمليه عليها.

وقلتُ لها: «اكتبي هذه العبارة (أنني في أمان ولست في خطر I am Sable And not in danger) فراحت تكتب تلك العبارة وهي تقول «تلك لغة إنجليزية ركيكة. ولكن هذا لا يهم».

فقلت لها: «عليك فقط أن تكتبي ما أمليه عليك بالنص الحرفي» ثم استطردتُ: «لا تحاولا البحث عني والعثور عليَّ لأن ذلك من رابع

المستحيلات». فقالت: «لا شيء يعتبر مستحيلاً» وقد بدت عليها الجرأة والوقاحة كالمعتاد.

وأضفتُ قائلاً: «وأنا أتلقى الرعاية الكاملة عن طريق أحد الأصدقاء» ثم قلتُ لها: «وذلك هو كل ما في الأمر. وعليك الآن أن تكتبي اسمك في آسفل الخطاب».

فقالت: ألا يمكن لي أن أقول لهما إن المستر كليج يبلغكما تحياته؟».

فقلت لها: «هذا شيء طريف للغاية» ثم كتبتْ هي شيئاً ما آخر وناولتني الورقة وقرأت العبارة التي أضافت: ها. لقد كتبت في آسفل الورقة جملة «آمل أن أشاهدكما في القريب العاجل». حبيبتكما «ناندا Nanda».

فسألتها: «ما هذه العبارة الأخيرة؟» ناندا هو اسمي عندما كنت طفلة رضيعة. وعندئذ سيتاكدان أنني من أرسلتُ الخطاب لهما».

فقلت لها: «إنني أفضل اسم ميراندا. فهو أجل اسم من وجهة نظري» وبعد أن قامتْ بكتابة العنوان على الظرف قمتُ أنا بوضع الورقة المكتوبة بخط يدها في داخل الظرف وعندئذ ولحسن حظي نظرتُ في داخل الظرف. ففي داخله وعند القاع بالظرف كانت هناك قصاصة صغيرة من الورقة لا يزيد حجمها على نصف الورقة التي تلف فيها السيجارة. ولست أدرى كيف تمكنت هي من فعل ذلك ولكن من المؤكد أنها كانت قد جهزّت تلك الورقة ودفعت بها إلى داخل الظرف بدون أن أتمكن من مشاهدتها وهي تفعل ذلك. وفتحتُ تلك الورقة الصغيرة ونظرتُ إلى ميراندا. كانت صفيقة الوجه وجريئة للغاية إذ اكتفت بإلقاء ظهرها إلى الوراء في الكرسي وراحت تحملق في وجهي.

لقد كتبتُ حروفا صغيرة ودقيقة للغاية بقلم رصاص رفيع للغاية ولكن الحروف كانت واضحة. وكان نص العبارات التي كتبتها كالآتى:

لقد اختطفنى رجل مجنون يسمى ف. كليج وهو كاتب حسابات في المبنى الملحق بدار البلدية والذي كسب مبلغا كبيراً في اليانصيب. وأنا مسجونة في غرفة سفلية بكوخ منعزل مشيد بالأخشاب وتوجد له لافتة حجرية مكتوب عليها أن الكوخ شيد في عام ١٦٢١ والكوخ يقع في منطقة تلال على مسافة ساعتين من لندن. وأنا في حالة من الأمن والأمان تماماً. ولكني أشعر بالخوف.

م. (ميراندا)

عندئذ شعرت بالغضب الحقيقي يتصاعد في داخل كياني بل وشعرت بالصدمة الهائلة. ولم أعرف ماذا ينبغي لي أن أفعل. وفي نهاية الأمر قلت لها: «هل تشعرين بالخوف؟» فلم تردّ بأي كلام واكتفت بأن أومأت برأسها.

وسألتها «ولكن ما الذي فعلته لك لكي تشعرى بالخوف؟».

«أنت لم تفعل لي شيئا. وذلك هو السبب في أنني أشعر بالخوف».

«إنني لا أفهم ما تهدفين إليه».

فنظرت ببصرها لآسفل. ثم قالت: أنني في حالة انتظار وأتوقع أنك سوف تفعل شيئاً ما».

فقلت لها: «لقد وعدتك. ولسوف أعدك مرة أخرى. وأنت تشعرين بالغرور والكبرياء لأنني لا أصدقك. وأنا لا أعرف لماذا الأمر مختلف بالنسبة لي».

«إنني لآسفة».

فقلت لها: «لقد وثقتُ بك. وكنت أعتقد أنك قد أدركت أنني لطيف معك وشفوق نحوك. ولكنني لن أسمح لك باستغفالى واستغلالى ولن أعطي أي اهتمام لرسالتك».

ثم وضعتُ الخطاب في جيبي.

وسارت فترة طويلة من الصمت. وكنت أدرك أنها كانت تنظر إليَّ في تمعن ولكنني لم أنظر إليها. ثم نهضتْ هي فجأة ووقفتْ أمامى ووضعتْ يديها على كتفي لكي ترغمنى على أن أنظر إليها. وأرغمتني على أن أنظر لآسفل إلى عينيها. ولا أستطيع أن أوضح الموقف فهي عندما تكون مخلصة وصادقة فإنه يمكنها أن تسحب روحي من داخل كياني بحيث أصبح في حالة ذويان كامل بين يديها.

وقالت: «أنت الآن تتصرف مثل ولد صغير في السن. هل نسيت أنك تحتفظ بي هنا بالقوة؟ وأنا أعترف أنك تستخدم معي نوعا من القوة التي تتسم بالذوق واللطف ولكن الموقف مثير للخوف بالفعل».

فقلت: وقد تصاعدتْ دماء الغضب إلى وجهي بالطبع «سأحافظ على وعدى لك بقدر ما تحافظين على وعدك معي».

«ولكنني لم أعدك بأنني لن أحاول اللجوء للهرب. أليس كذلك؟».

فقلت: «إنك تتطلعين إلى اليوم الذي تهربين فيه بحيث لا تشاهدينني بعد ذلك على الإطلاق. فأنا مازلت بمثابة شخص نكرة لا قيمة له بالنسبة لك. أليس كذلك؟».

فاستدارت قليلاً وقالت: «إنني أتطلع إلى مجيء اليوم الذي لا أشاهد فيه هذا المنزل.

ولا أتطلع إلى اليوم الذي لا أشاهدك فيه».

فقلت: «وتقولين عني أنني رجل مجنون. هل تظنين أن الرجل

المجنون كان سيعاملك بالطريقة التي عاملتك بها؟ هل تعرفين ماذا كان سيفعل الرجل المجنون معك؟ إنه كان من المتوقع له أن يكون قد قتلك بحلول هذا الوقت. أنني أفترض أنك تعتقدين أنني بصدد تقطيعك بسكينة من النوع الذي يستخدم في تقطيع شرائح اللحم من أجل الشواء أو شيء ما من ذلك القبيل مثلما فعل ذلك الشخص الذي يسمي كريستي» (وكنتُ متضايقا منها للغاية في ذلك اليوم) يا لك من إنسانة حمقاء. كيف تصبحين حمقاء إلى هذا الحد؟ أنت تعتقدين أنني إنسان غير طبيعي لأنني أحتفظ بك هنا على هذا النحو. وليكن الأمر كذلك. ولربما أكون بالفعل إنساناً غير طبيعي من هذه الناحية. ولكن يمكنني أن أقول لك إنه كانت ستكون هناك المزيد من الأعمال اللعينة المماثلة لهذا العمل الذي قمتُ به لو أن المزيد من الناس قد توافر لهم المال والوقت اللازمان لذلك. وعلى كل حال فهناك المزيد من تلك الأفعال المماثلة ولكن أحدا لا علم له بها. والشرطة تعرف الأرقام الحقيقية لمثل هذه الأحداث ولكنهم لا يجرأون على الإعلان عنها لجماهير الناس».

كانت تحملق في وجهي. وبدا الأمر وكأننا شخصان غريبان عن بعضهما البعض تماماً ومن المؤكد أنني قد ظهرت أمامها إنساناً غريباً للغاية. وكان ذلك هو الحدّ الأقصى لما قلته لها من كلام في هذا الشأن.

وقالت: «لا تبدو على ذلك النحو. إن ما أخاف منه هو شيء ما في داخلك ولكنك لا تعرف أنه موجود في داخلك. فقلت: «وما هو ذلك الشيء؟» وكنت لا أزال أموج بالغضب.

فقالت: «لاأدرى، أنه شيء ما متربص وكامن في مكان ما في هذا المنزل في هذه الغرفة في هذا الموقف وبصدد الخروج من حالة الكمون

والقفز إلى السطح. ونحن الاثنان على نحو ما نقف في صف واحد ضد ذلك الشيء.

«ذلك هو مجرد كلام».

فقالت: «نحن جميعاً نريد أشياء لا نستطيع أن نحصل عليها. والإنسان المهذب هو الذي يتقبل تلك الحقيقة».

فقلت: «نحن جميعاً نأخذ ما يمكننا الحصول عليه. وإذا كنا لم نحصل على الكثير في معظم فترات حياتنا فإننا نعوض ذلك عندما تتحسن الظروف. وبالطبع أنت لم تسمعي عن تلك الحقائق».

وبعدئذ راحت تبتسم في وجهي كما لو كانت أكبر مني في السن بكثير وقالت: «أنت بحاجة إلى علاج من الناحية النفسية».

«إن العلاج الوحيد الذي أنا بحاجة إليه أن تعاملينى كصديق لك».

فقالت: «إنني أعاملك كصديق. ألا تدرك ذلك؟».

وسادت فترة طويلة من الصمت وأخيراً تكلمت هي قائلة «ألا ترى معي أن هذا الأمر قد استغرق فترة طويلة بيننا أكثر من اللازم».

فقلت: «لا»

«ألن تسمح لي بالانصراف الآن؟».

«لا».

«يمكن لك أن تضع الكمامة على فمي وتقيدنى بالحبال وتعود بي بسيارتك إلى لندن. ولن أخبر أي شخص بما حدث».

«لا».

«ولكن من المؤكد أن هناك شيئاً ما تريد أن تفعله معي؟».

«كل ما أريده هو أن أكون معك. طوال الوقت».

«معي في السرير».

«لا بالطبع. وسبق أن أوضحت ذلك».

«ولكنك تريد أن تضطجع معي. أليس كذلك؟»

«أفضل عدم الكلام في هذا الشأن» وعندئذ توقفتُ عن الكلام.

فقلت: «إنني لا أسمح لنفسي بالتفكير في شيء أعرف أنه شيء خاطئ. وأنا لا أنظر إلى الاضطجاع معك في السرير على أنه أمر لطيف».

«أنت إنسان غير عادي».

فقلت: «شكرا»

«إذا سمحت لي بأن أنصراف فإنني سأشعر بالرغبة في مقابلتك لأنك تثير تشغفي وانتباهي إلى حدّ بعيد».

فتساءلت: «أثير شغفك على ذلك النحو مثلما تودين الذهاب إلى حديقة الحيوان؟».

«من أجل أن أحاول أن أفهمك».

فقلت: «ولكنك لن تفعلى ذلك على الإطلاق». (ولعلى أعترف لكم أيضاً أنني كنت أحب ذلك الجانب من حديثنا الذي يتناول غموض الجنس الخشن ـ الرجل ـ حيث شعرت بأن ذلك قد أوضح لها أنها لم تعرف كل شيء).

«لا أظن أنه ينبغي عليَّ أن أفعل ذلك».

وفجأة شاهدتها وهي تركع أمامى وقد رفعت يديها لأعلى مع لمس أعلى قمة رأسها بأسلوب شرقى تماماً. ثم فعلت هذه الحركة ثلاث مرات.

وقالت: «هل سيتقبَل السيد العظيم الغامض اعتذارات العبدة المتواضعة الذليلة للغاية؟».

فقلت: «سأفكر في ذلك الأمر» فقالت: «عبدة ذليلة تآسف تماماً على هذا الخطاب غير الرحيم».

ووجدت نفسي مضطرا لأن أضحك فقد كان بمقدورها أن تقوم بتمثيل أي شيء.

وظلت هنالك راكعة وقد وضعت يديها على الأرض بجوارها في مزيد من الجدية والوقار مستعرضة فتنتها وسحرها وجمالها.

ثم تساءلت: «هل ستقوم بإرسال الخطاب؟ وجعلتها تسأل مرة أخرى ولكنني رضختُ بعدئذ. وكانت تلك هي تقريبا الغلطة الكبرى في حياتي.

وفي اليوم التالي ذهبت بسيارتى إلى لندن وقلتُ لها ـ مثل رجل مغفل وعبيط ـ أنني ذاهب إلى لندن فأعطتني قائمة بأشياء لكي أشتريها لها. وكانت القائمة تضم أشياء كثيرة للغاية (وعرفت السبب في ذلك فيما بعد حيث كانت ترغب في أن أظل مشغولا لفترة طويلة) إذ كان عليَّ أن أشتري لها نوعا معينا من الجبن الأجنبي وأذهب إلى مكان معين في سوق يباع فيه السجق الألماني الذي تفضله. كما كانت القائمة تضم بعض الأسطوأنات الموسيقية والملابس وأشياء عديدة أخرى. كما كانت تريد لوحات فنية مرسومة بمعرفة أحد الفنانين الكبار وينبغي أن تكون اللوحات عليها توقيع نفس هذا الفنان الكبير ولا أحد غيره. وكنت سعيدا بالفعل في ذلك اليوم حيث كانت السماء صافية تماماً وخالية من السحب. وظننتُ أنها قد نسيت مسألة الأسابيع الأربعة وربما هي لم

تنس وإنما توقعت أنني أرغب في مدّ هذه الفترة ورضيت بالأمر الواقع. وانشغل ذهني بعالم مليء بالأحلام.

ولم أتمكن من العودة إلا في الوقت الذي يقدم فيه الشاي. واتجهت على الفور بالطبع إلى الغرفة السفلية مباشرة لكي أشاهدها ولكنني أدركت على الفور أنهاغير مسرورة على الإطلاق لمشاهدتي بل ولم تنظر إلى الأشياء التي اشتريتها لها.

وسرعان ما أدركت جوانب الموقف. إذ أدركت أنها قامت بتفكيك أربعة أحجار من أجل أن تعمل نفقا تحت الجدار على ما أعتقد. وكان هناك تراب ورماد فوق السلالم. وظلت جالسة على السرير بدون أن تنظر إليَّ. وأدركت اللعبة التي لعبتها عليَّ وعرفتُ الأسباب التي جعلتها تطلب مني شراء السجق واللوحات الفنية الخاصة وكل تلك الأشياء. لقد كانت تراوغ وتتعلق على نحو جيّد.

قلت لها: «لقد حاولت أن تهربي» فصرختْ «أوه. آخرس!» وبدأتُ أبحث عن الآلة التي استخدمتْها في الحفر. وفجأة طار شيء ما في الهواء متخطيا إياي وقعقع مرتطما بالأرض. كان عبارة من مسمار قديم طوله ست بوصات ولا أعرف كيف حصلت عليه.

وقلتُ لها: «هذه هي آخر مرة أتركك فيها لمدة طويلة. ولا يمكن لي أن أثق بك بعد ذلك».

فاكتفت بالاستدارة ولم تردّ على كلامى. وبدأتُ أشعر بالخوف الشديد حيث خشيتُ أن تلجأ إلى الإضراب عن الطعام مرة أخرى. لذلك لم أمارس ضغطاً عليها وتركتها. وبعدئذ أحضرت لها طعام العشاء الخاص بها فلم تتكلم.معي لذلك اضطررت إلى تركها.

وفي اليوم التالي كانت على ما يرام مرة أخرى. ولو أنها لم تتكلم

سوى كلمات قليلة عن هربها الذي كان على وشك أن يتحقق. ولكنها لم تتطرق إلى ذلك الموضوع مرة أخرى فيما بعد على الإطلاق. ولكنني شاهدتُ جرحاً شديداً في معصم يدها مما جعلها تلوى فمها في ازدارء عندما حاولتُ الإمساك بقلم رصاص بغية البدء في الرسم.

لم أضع الخطاب في صندوق البريد. فالشرطة تتسم بالدهاء الشديد مع بعض الأمور. إذ كنت أعرف شخصاً يعمل في أسكتلانديارد. وعرفت منه أن الشرطة لا تحتاج إلا لشنُ غارة وبعدها يعرفون كل شيء بالتفصيل.

وبالطبع عندما سألتني عما إذا كنت قد وضعتُ الخطاب في صندوق البريد احمَر وجهي بسبب مشاعر الاضطراب التي اجتاحتني وقلتُ لها إن السبب في احمرار وجهي هو أنني كنت أدرك أنها لن تصدقنى ولن تثق بكلامى. ويبدو أنها قد اقتنعت بوجهة نظري وربما كان هذا التصرف من جانبي لا يتسم بالعطف على والديها ولكن من واقع ما قالته عن والديها فإنهما لن يكونا مشغولي البال كثيراً ولا يمكن للمرء أن يفكر في مشاعر كل إنسان آخر. فهناك أولويات للأمور كما يقولون.

وفعلتُ نفس الشيء فيما يتعلق بالنقود التي أرادت لي أن أرسلها إلى الحركة السياسية الاجتماعية الخاصة بالقنبلة الهيدورجينية. إذ قمت بتحرير شيك وجعلتها تشاهده ولكنني لم أرسله.. وأرادت أن تشاهد دليلاً على إرسالي ذلك الشيك (الإيصال) فقلت لها: أنني أرسلته بدون ذكر اسمي على طريقة «فاعل خير» وقد قمت بهذا التصرف (تحرير الشيك) أمامها بهدف أن أجعلها تشعر بالتحسَن ولكنني أرى أنه لا داعي لتبذير الأموال على أمور لا أؤمن بها. وأنا أعرف أناسا أغنية يهبون أموالاً طائلة لمثل هذه الأغراض ولكنهم يفعلون ذلك من أجل أن تُنشر أسماؤهم أو لتقادى دفع الضرائب الهائلة المستحقة عليهم وذلك من

وجهة نظري وفي كل مرة تأخذ فيها ميراندا حماما كنت أضطر لإعادة تثبيت المسامير القلاووظ في الألواح الخشبية مرة أخرى. وكان كل شيء يسير على ما يرام. وذات مرة كان الوقت متآخرا للغاية (الساعة الحادة عشرة) لذلك قمت برفع الكمامة عن فمها عندما دخلتُ وكانت ليلة عاصفة للغاية كانت عاصفة هوجاء حقيقية تهبَ. وعندما كنا بصدد النزول لآسفل أرادت أن تجلس في غرفة الجلوس وكانت يداها مربوطتين بالطبع. وبدا لي أنه لا ضرر من وراء جلوسها في غرفة الجلوس لذلك قمتُ بتشغيل التدفئة الكهربائية. (وأشارت عليَّ أن أشعل نيرأنا حقيقية باستخدام الكتل الخشبية) وجلسنا هناك لبعض الوقت. كانت هي تجلس على السجادة حيث تجفف شعرها المبتل بالطبع وأنا كنت مكتفيا بمراقبتها. كانت ترتدي بنطلونا فضفاضا كنت قد اشتريته لها. وكانت تبدو فاتنة وجذابة للغاية في ملابسها السوداء باستثناء تلفيحة صغيرة حمراء اللون. وكانت قد ضفرت شعرها إلى ضفيرتين طوال اليوم قبل أن تدخل إلى الحمام. ومن دواعى سرورى الشديد أن أشاهد الكيفية التي يكون عليها شعرها في كل يوم. ولكن شعرها أثناء جلوسها أمام النيران كان مسدلاً ومنشوراً وهو أفضل منظر لشعرها من وجهة نظري.

وبعد برهة نهضتُ واقفة وراحت تتجول في أرجاء الغرفة وهي تموج بالقلق الشديد. وظلت تردد كلمات «إنني أشعر بالملل والسأم الشديد» مرات ومرات عديدة. وبدا ذلك أمراً غريبا مع وجود الرياح العاصفة بالخارج وغير ذلك من الأحوال الجوية السيئة.

وتوقفت عن السير فجأة أمامى وقالت:

«حاول أن تدخل التسلية عليَّ بأن تفعل أي شيء».

فتساءلت: «حسناً. مثل ماذا؟ ألتقط لك صورا فوتوغرافية؟»

ولكنها لم ترد لي أن ألتقط لها صوراً.

وقالت: «لست أدرى. يمكنك أن تغنى أو ترقص أو تفعل أي شيء».

فقلت: «ولكني لا أعرف كيف أغنى أو أرقص».

- «قُصّ على كل القصص الطريفة التي تعرفها» فقلت: «ولكني لا أعرف أية قصص» وكانت هذه حقيقة إذ لم أستطع أن أتذكر أية قصص.

- «ولكن ينبغي لك أن تفعل أي شيء، ولقد كنت أعتقد أن جميع الرجال يعرفون بالتأكيد النكات القذرة غير الأخلاقية».

«ولكني لست على استعداد لأن أحكي لك أيا من النكات القذرة إذا كنت أعرف تلك النكات غير الأخلاقية».

«ولم لا؟»

«لأنها نكات يتداولها الرجال فيما بينهم فقط. فهي نكات خاصة بالرجال».

فقالت: «وما هي الموضوعات التي تتحدث فيها النساء من وجهة نظرك؟ أراهن على أنني أعرف عدداً من النكات القذرة يزيد على ما تعرفه أنت من هذه النوعية من النكات».

فقلت: «لن أدهش إذا كنت تعرفين نكاتا قذرة أكثر مني».

فقالت: «أوه. أنت تشبه الزئبق ولذلك فإنه من الصعب التعرف على جوانب شخصيتك» وسارت مبتعدة عني. ثم التقطت فجأة وسادة من فوق كرسى واستدارت وركلتها في اتجاهي مباشرة. فاعترتني الدهشة بالطبع ونهضت واقفا. وبعدئذ قامت بعمل نفسي الشيء مع وسادة

أخرى ثم مع وسادة ثالثة أخطأت اتجاهها وأطاحت ببراد شأي نحاسي من فوق الكومودينو.

فقلت لها: «هدئي من روعك».

فصرخت قائلة «أقبلي أيتها السلحفاة الطبيئة» (وأظن أن تلك العبارة كانت عبارة أدبية اقتبستها) وعلى كل حال. فإنها انتزعت فجأة وعاءَ فخاريا من فوق رف المستوقد وألقت به إليَّ قائلة على ما أظن «امسك» ولكنني لم أتمكن من الإمساك به فارتطم بالحائط وتناثر حطامه.

فقلت لها: «التزمي بالثبات والهدوء».

ولكنها ألقت بآنية فخارية أخرى. وكانت مستغرقة في الضحك طوال الوقت. ولم تكن هناك وحشية وقسوة في تصرفاتها ولكنها بدت وكأنها مجنونة ومتهورة مثل الأولاد. وكانت هناك لوحة خضراء جميلة تضم منظراً لكوخ بالحفر البارز وكانت تلك اللوحة معلقة على الحائط بجوار النافذة فنزعتها عن الحائط وقامت بتهشيمها ولا أعرف الأسباب التي دفعتها للقيام بهذه التصرفات وقد كنت أحب دائماً تلك اللوحة ولم أحب أن أراها تحطم تلك اللوحة لذلك صرختُ فيها بشدة قائلاً: «توقفي عن هذه الأعمال».

وكل ما فعلته هو أنها وضعت إصبع الإبهام على أنفها وقامت بحركة وقحة وآخرجت لي لسانها. كانت تشبه تماماً ولدا من أولاد الشوارع.

وقلت لها: «كان ينبغي لك أن تكوني أكثر دراية». فقالت: مقلدة كلامي في سخرية: «كان ينبغي لكي أن تكوني أكثر دراية» ثم أضافت: «لو سمحت تعال إلى هذا الجانب من الغرفة حتى يمكنني الوصول إلى تلك اللوحات الجميلة الموجودة خلفك» وكانت هناك لوحتان جميلتان عند الباب واستطردت قائلة «اللهم إلا إذا كنت ترغب في تحطيم هذه اللوحات الجميلة بنفسك».

فقلت مرة أخرى: «توقفي عن هذه الأعمال يكفي ما قمت به من تدمير».

ولكنها وصلت إلى خلف الأريكة فجأة متجهة نحو اللوحات. ووقفت أنا في مكان متوسط بينها وبين الباب فحاولت هي المراوغة والمرور من تحت ذراعي ولكنني تمكنت من الإمساك بها.

عندئذ تغيرت حالتها النفسية فجأة إذ قالت في هدوء تام: «اتركني، دعني، ولكنني لم أرفع قبضتي عنها بالطبع لأنني ظننت أنها ربما تكون مستمرة في مزاحها».

ولكنها قالت فجأة في صوت بذيء: «اتركني» فتركتها على الفور. وبعدئذ ذهبت وجلست بجوار المدفأة.

وبعد برهة قالت: «أحضر مقشة، لسوف أقوم بكنس هذا الحطام».

«سأفعل ذلك غدا».

«ولكنني أريد أن أنظف هذا المكان بنفسي» وقالت تلك العبارة في لهجة توحي وكأنها زوجتي بالفعل. فقلت: «سأنظف كل شيء بنفسي».

الغلطة هي غلطتك «بالطبع»

«أنت بمثابة أفضل عينة لانحراف البرجوازية الصغيرة شاهدتها في حياتي».

«أنا؟».

«نعم أنت أفضل عينة لذلك النوع. وأنت تحتقر الطبقات الاجتماعية البرجوازية الحقيقية لما يتميزون به من تنفجية[1] Snoberry وأصوات

---

(١) التنفجية: تقليد وتملق الطبقة الاجتماعية الأعلى مع احتقار الطبقة الاجتماعية التي هي أدنى.

مميزة للنفاج وطرائق تتمشى مع النفاج. أنت تتصرف على ذلك النحو. أليس كذلك؟ ومع ذلك فإن كل ما تضعه في مكانهم هو رفض مريع لأن تكون لديك أفكار رديئة أو إتيان أمور سيئة أو أن تكون رديئاً بأية طريقة هل تعرف أن كل شيء عظيم في تاريخ الفنون وكل شيء جميل في الحياة هو في حقيقة الأمر ما تسميه رديئا؟ من خلال العاطفة من خلال الحب من خلال الكراهية من خلال الحقيقة. هل تدرك ذلك؟».

فقلت: «إنني لا أعرف عمّ تتحدثين».

«بل أنت تعرف. لماذا تداوم على استخدام هذه الكلمات الغبية ـ رديء ـ لطيف ـ سليم ـ صحيح؟ ولماذا أنت قلق للغاية فيما يتعلق بما هو سليم؟ أنت تشبه خادمة عجوزا بعض الشيء تعتقد أن الزواج يتسم بالقذارة وأن كل شيء آخر يعتبر قذرا باستثناء فنجان شاي خفيف في غرفة قديمة فاسدة الهواء. ولماذا تسلب الحياة كلها من الحياة؟ لماذا تقتل الفتنة والجمال؟ «لم يسبق لي على الإطلاق أن حصلت على نفس المزايا التي تتمتعين بها».

«يمكن لك أن تغير من طبيعتك. وأنت الآن مازلت شابا صغيرا. كما أن لديك الآن أموالا وفيرة. ويمكن لك أن تدرس.. مالذي فعلته؟ لقد عشت في حلم صغير من نفس نوع الأحلام التي تراود الأولاد الصغار والتي تجعلهم يمارسون العادة السرية وأنت تخوض معركة مع نفسك لكي تبدو لطيفا معي ولكي لا تضطر لأن تعترف لنفسك أن احتفاظك بي محبوسة هنا هو إجراء سيئ للغاية.»

وتوقفت عن الكلام فجأة ثم قالت: «لا فائدة من وراء كلامي هذا، يبدو كلامي وكأنه باللغة اليونانية».

فقلت: «إنني أدرك أنني غير متعلم وغير مثقف».

فقالت في شبه صرخة: «أنت في غاية الغباء وأحمق ومنحرف وفاسد».

ثم أضافت: «أنت لديك نقود كثيرة ـ وأنت في حقيقة الأمر لست غبيا. إذ بإمكانك أن تصبح على النحو الذي تريده. عليك فقط أن تزيح عن نفسك غبار الماضي. ينبغي لك أن تقتلع من ذهنك عمتك والمنزل الذي عشت فيه والناس الذين عشت معهم. يجب أن تصبح إنساناً آدمياً جديداً» ودفعت بوجهها على نحو ما نحوي كما لو كان ذلك أمراً سهلا يمكنني أن أفعله ولكنني لا أرغب في تنفيذه.

فقلت: «هناك بعض الأمل».

فقالت: «انظر إلى الأمور التي يمكن لك أن تفعلها. باستطاعتك أن.. تجمع الصور واللوحات الفنية ولسوف أرشدك إلى اللوحات التي ينبغي لك أن تقتنيها ولسوف أعرفك على أناس وخبراء يرشدونك عن كيفية جمع اللوحات الفنية. ويمكن لك أن تفكر في الفنانين المساكين الفقراء الذين يمكن لك أن تقدم لهم يد العون والمساعدة وذلك بدلا من اغتيال الفراشات مثل تلميذ المدارس الغبي العبيط».

فقلت لها: «هناك بعض الناس الأذكياء الذين يقومون بجمع الفراشات».

فتساءلت: «ماذا تقصدين».

فقالت: «إذا كان عليك أن تسأل فإنني لا أستطيع أن أقدم لك الإجابة».

ثم أضافت: «يبدو أنني دائماً ما أنتهي إلى التكلم معك بطريقة مبسطة للغاية على أساس أنك تجهل الموضوع الذي أتطرق إليه. وأنا

أكره ذلك، وأنت السبب في ذلك فأنت دائماً ما تتدنى وتتلوى لمسافة خطوة آسفل ما يمكنني الذهاب إليه».

وكانت تنتقدنى على هذا النحو في بعض الأحيان وبالطبع كنت أغفر لها ذلك وإن كان ذلك يؤذى مشاعرى في حينه ما كانت تنشده هو شخص آخر ما مختلف عني. شخص ما آخر يتعذر عليَّ أن أكونه. مثال ذلك أنني طوال تلك الليلة عقب ما قالت له عني بأنه يمكن لي أن أجمع اللوحات الفنية رحت أفكر في ذلك الأمر مليا.. رحت أحلم بأنني أجمع اللوحات والصور الفنية وأنني أمتلك منزلا ضخما به لوحات لمشاهير الفنانين معلقة على الحوائط بداخله مع مجيء أناس كثيرين إلى منزلي لمشاهدة تلك اللوحات، وكانت ميراندا موجودة بالمنزل بالطبع. ولكنني طوال الوقت كنت أدرك أن ذلك أمر سخيف. وكنت أدرك أنني لن أجمع أي شيء في أية فترة من فترات حياتي بخلاف الفراشات.

فاللوحات الفنية لا تعنى أي شيء بالنسبة لي.

وإذا جمعت اللوحات فلن يكون ذلك نابعا من إرادتي الحرة ولذلك فلن يكون هناك داع على الإطلاق لأن أفعل ذلك وهي لم تستطع أن تفهم وجهة نظري هذه على الإطلاق.

ورسمت لي العديد من اللوحات الأخرى وهي لوحات جيدة للغاية ولكن كان هناك شيء ما في تلك اللوحات لا يعجبنى. فهي لم يكن يهمها تحقيق التشابه بين شكلي الحقيقي وشكلي في اللوحة بقدر ما كان يهمها الوصول إلى ما تسميه بشخصيتي الداخلية الحقيقية ولذلك فهي في بعض اللوحات كانت تجعل أنفي مدببا للغاية حتى يكاد يثقب وجه من يشاهد اللوحة. كما كانت تحرص على أن يكون فمي رفيعا للغاية وغير ممتع أعني أنها ترسمه على نحو مبالغ فيه أكثر مما هو عليه في

حقيقة الأمر لأنني أدرك أنني لا اتمتع بأسى مسحة من الوسامة. ولم أجرؤ على التفكير في مسألة انتهاء فترة الأسابيع الأربعة ولم أكن أعرف ماذا سيحدث عقب انتهاء تلك الفترة.

واعتقد فقط أنه ستظهر مجادلات ومناقشات وبعدئذ تصاب بالتجهم والعبوس والامتناع عن الكلام ثم أجعلها تبقى لمدة أربعة أسابيع أخرى ـ أعني أنني على ما أعتقد كان لديَّ بعض النفوذ والسيطرة عليها بحيث كانت تفعل ما أريده. كنت أعيش يوماً بيوم في حقيقة الأمر. أعني أنه لم تكن لديَّ خطة. كنت أكتفي فقط بالانتظار والترقب بل ولم أكن أتوقع كثيراً مجيء الشرطة إلى ولقد حلمت ذات ليلة حلما رهيبا حيث وصل رجال الشرطة إلى منزلي في الحلم مما جعلنى أضطر إلى قتل ميراندا قبل أن يصلوا إلى غرفتها السفلية وبدا لي الأمر وكأن قتلها هو واجب ملقى على عاتقي ولم يكن لدى سوى وسادة لأقوم بقتلها بها. فرحت أضربها وأضربها بالوسادة وراحت هي تضحك وتضحك وعندما قمت بإبعاد الوسادة كانت هي مستلقية هنالك وغارقة في الضحك وكانت تتظاهر فقط بأنها أنفاسها الأخيرة. واستيقظت من النوم وأنا غارق في العرق وكانت تلك هي أول مرة أحلم فيها أنني أقوم بقتل أي شخص.

وبدأت تتحدث عن رغبتها في الانصراف قبل حلول الموعد المحدد بأيام عديدة ودأبت على القول بأنها لن تخبر أي مخلوق بما حدث لها وكان عليَّ أن أقول لها أنني أصدقها ولكني كنت أدرك أنها تعنى أن الشرطة أو والديها سيتمكنون من استخلاص الحقائق منها في نهاية الأمر ودأبت على القول بأننا سنكون صديقين حميمين وأنها ستساعدنى على اختيار اللوحات الفنية وسوف تعرفني على الناس علاوة على رعايتها لشئونى وكانت لطيفة معي للغاية في تلك الأيام وهي كانت لديها الأسباب التي تجعلها تتخذ هذا الاتجاه بالطبع.

وأخيرا جاء اليوم الحاسم.. اليوم المحتوم.

اليوم العاشر من نوفمبر. حيث كان يوم ١١ نوفمبر هو يوم إطلاق سراحها. وكان أول شيء قالته لي عندما قدمت لها القهوة الخاصة بها: «هل يمكن لنا أن نقيم حفلة بهذه المناسبة»؟ فقلت مازحاً: «وماذا عن الضيوف»؟ ولم يكن كلامي هذا ناجماً عن خلو بالي من الهموم

«مجرد أنا وأنت فقط.. لأنه.. أوه لأننا قد خرجنا سالمين من هذه المحنة «أليس كذلك؟».

ثم أضافت: وفي الدور العلوي في غرفة الجلوس الخاصة بك. ما رأيك؟».

ووافقت على رأيها لم يكن أمامى مجال للاختيار.

وبعدئذ أعطتني قائمة بأشياء أشتريها من البقال الممتاز في مدينة لويس وسألتني عما إذا كنت سأشتري خمرة الشيرى وزجاجة من الشمبانيا وبالطبع قلت لها أنني سأشتري تلك الخمور وكانت في حالة من الإثارة والبهجة البالغة وعلى نحو لم أشهدها عليه من قبل. وأعتقد أن مشاعر البهجة والإثارة قد تملكتني أيضاً. وحتى في تلك الآونة كنت أشعر بنفس المشاعر التي تحس هي بها.

ولكي أجعلها تضحك قلت لها: «وأنت تحتاجين أيضاً إلى فستان للسهرة بالطبع» فقالت: «أوه. أتمنى لو كان لديَّ فستان جميل للسهرة وينبغي أن أحصل على المزيد من الماء الساخن لكي أغسل شعرى».

فقلت: «سأشتري لك فستاناً» قولي لي المواصفات واللون ولسوف أختار من بين الفساتين المعروضة في لويس.

ومن الغريب أنني كنت حريصاً للغاية ومع ذلك بدأت الدماء الحمراء تتصاعد إلى وجهي بما يدل على شعورى بالخجل أو الارتباك. ولكنها

ردت عليَّ بابتسامة. وقالت: كنت أعرف أن هذا المكان الخاص بك قريب من لويس. فهناك تيكت ملصق بإحدى الوسائد. وأنا أفضل أن يكون لون الفستان إما أسود أو أسمر فاتح أو في لون الخوخ ـ «أوه انتظر» ثم ذهبت إلى صندوق الطلاء وراحت تمزج بين عدة ألوان مثلما كانت تفعل من قبل عندما كانت تريد لي أن أشتري لها تلفيحة ذات لون معين عندما كنت بصدد الذهاب إلى لندن ثم أضافت: «هذا هو اللون الذي أريده. وهو لون يتميز بالبساطة بكل تأكيد. ويصل طوله إلى الركبة لا أريده فستأنا طويلا. والكمان لهما هذا الشكل ورسمت الشكل أو بدون أكمام. شيء ما على هذا الشكل أو على ذلك الشكل» وكنت أستمتع كثيراً عندما أشاهدها وهي ترسم إذ كانت ترسم بسرعة وفي رفرفة حيث تشعر أنها لا تستطيع الانتظار لكي ترسم ما تريد أن ترسمه.

ومن الطبيعي أن تكون مشاعرى أبعد ما تكون عن السعادة في ذلك اليوم. ولم تكن لديَّ أي خطة في ذهني ولا أعرف ما يمكن أن تسفر عنه الأحداث. بل ولم أكن أعرف ما إذا كنت سأحافظ على وعدي وأوفي بكلمتي أم لا رغم أن الوعد الذي وعدت به قد أرغمت عليه إرغاما. والوعود التي تستخلص بالإرغام والضغط لا تعتبر وعودا كما يقولون.

وذهبت بالفعل إلى محل برينجتون وبعد أن ألقيت نظرة على العديد من الفساتين. شاهدت الفستان الملائم تماماً في دكان صغير وكان فستأنا فآخرا إلى أقصى درجة ولكنهم لم يرغبوا في بيع ذلك الفستان لي بدون أن تتم تجربته على مقاس جسد الفتاة التي سترتديه رغم أن حجمه كان ملائما للغاية وأثناء رجوعى إلى المكان الذي أوقفت به سيارتى مررت على دكان آخر وهو محل جواهرجى وعندئذ خطر على ذهني أن أشتري لها هدية من المجوهرات هذا بالإضافة إلى أن ذلك من شأنه أن يسهل

الأمور عندما تجيء لحظة تنفيذ الوعد الذي قطعته على نفسي. وكانت توجد قطعة من الياقوت الأزرق وماسة في قلادة راقدة على قطيفة سوداء وكان الشكل على هيئة قلب على ما أذكر أقصد أن القلادة كانت على شكل قلب. فدخلت إلى ذلك الدكان. وكان ثمن تلك القلادة ٣٠٠ جنيه. كنت على وشك الخروج من المحل مرة أخرى ولكن طبيعتي التي تتصف بالكرم تغلبت وانتصرت. هذا بالإضافة إلى أن الإمكانيات المالية كانت جاهزة في جيبي. قامت البائعة في ذلك المحل بارتداء تلك القلادة وبدت القلادة جميلة للغاية وغالية الثمن.

وقالت: «القلادة مليئة بالماسات والأحجار الكريمة الصغيرة ولكنها ماسات وأحجار كريمة بالغة الصفاء والنقاء علاوة على ما بها من رسومات وتصميمات فكتورية» وتذكرت أن ميراندا قد حدثتني ذات يوم عن أنها تحب التصميمات الفكتورية للغاية ولذلك فإن هذه القلادة قد أوفت بالغرض المطلوب وكانت هناك بعض المتاعب بالنسبة للشيك بالطبع. إذ رفضت البائعة أخذ الشيك في بادئ الأمر ولكنني جعلتها تتصل تليفونيا بالبنك الذي أتعامل معه فغيرت نغمة كلامها بسرعة كبيرة ولو كنت قد تكلمت بصوت متعجرف في كبرياء وقلت لها أنني اللورد ماك Mack أو أي اسم من هذا القبيل لكان الموقف قد تغير الموقف قد تغير.

ومن الغريب حقاً أن الفكرة الواحدة كثيراً ما تؤدى إلى فكرة أخرى. فبينما كنت أشتري القلادة شاهدت بعض الخواتم فهبطت على ذهني فكرة: وهي أن أطلب منها أن تتزوجنى فإذا رفضت فكرة الزواج مني فإن ذلك قد يعنى أنه ينبغي عليَّ الاحتفاظ بها. وسيكون ذلك بمثابة مخرج لي من الوعد الذي قطعته على نفسي. وكنت أدرك تماماً أنها لن توافق على الزواج مني. لذلك قمت بشراء دبلة. وكانت دبلة جميلة للغاية ولكنها ليست غالية الثمن لمجرد أن أريها لها وأعرضها عليها.

وعندما وصلت إلى المنزل قمت بغسل القلادة إذ لم أكن أرغب في أن يخطر في ذهني أن القلادة قد تلامست مع بشرة تلك الفتاة الأخرى. ثم أخفيتها حتى يمكنني استخراجها في الوقت الملائم. وبعدئذ قمت بإعداد كافة التجهيزات والترتيبات التي أشارت إليها وطلبتها: كانت الزهور موجودة ووضعت الزجاجات على الكومودينو ووضعت كل شيء بأسلوب الفنادق الكبيرة مع اتخاذ كافة الاحتياطات المعتادة بالطبع. كنا قد اتفقنا على أن أنزل إليها بالغرفة السفلية في الساعة السابعة ولذلك فإنني لم أذهب لمشاهدتها عقب إحضارى الطرود واللفائف. وكان الأمر شبيها بالفترة التي تسبق حفل الزفاف.

كنت قد قررت أن أدعها تصعد إلى غرفة الجلوس بدون الكمامة وبدون ربط أيديها في هذه المرة قط وكانت هذه مخاطرة بالطبع ولكني وضعت في الحسبان أن أرقبها في حذر شديد علاوة على وضع مادة الكلوروفوم ومادة ctc في مكان قريب من تناول يدي لاستخدامهما في حالة ظهور أية متاعب. وإذا قام شخص ما بالطرق على الباب فإنه يمكنني استخدام اللبادة مع القيام بربطها بالحبال ووضع الكمامة في فمها في المطبخ وفي وقت قصير للغاية وبعدئذ أقوم بفتح الباب.

وفي تمام الساعة السابعة ارتديت أجمل بدلة لديَّ وأفضل قميص وأحسن رباط للعنق ونزلت إلى الغرفة السفلية لمشاهدتها وكان المطر يهطل مدراراً وكان ذلك في صالحي تماماً. وجعلتني أنتظر خارج بابها لمدة عشر دقائق وبعدئذ خرجت من غرفتها وكان باستطاعتها أن تطرحنى أرضا إذا ضربتني بريشة خفيفة. وللحظات الأولي ظننت أنها ليست هي. إذ كان منظرها وشكلها مختلفا تماماً.

كانت قد وضعت كمية كبيرة من العطور الفرنسية التي كنت قد

أعطيتها لها وكانت قد وضعت مكياجاً حقيقياً لأول مرة منذ أن جاءت إلى منزلي قد ارتدت الفستان الجديد وكان على مقاسها تماماً وكان له لو أصفر شاحب كما بدا غاية في الأناقة والبساطة وكان يكشف عن ذراعيها ورقبتها لم يكن فستان تلميذة صغيرة على الإطلاق. كانت بدت في الفستان الجديد امرأة متكاملة ناضجة وبدا شعرها ممشطاً لأعلى وعالياً ورائعاً للغاية. وكانت هي تطلق على هذه التسريحة اسم «الامبراطورية» إنها تشبه إحدى الفتيات الموديلات اللاتي يشاهدهن المرء في المجلات المصورة وقد دهشت للغاية من مقدرتها الفائقة على اتخاذ الشكل الذي تريده. لا أذكر أن عينيها كانتا مختلفتين أيضاً.. حيث رسمت خطوطاً سوداء حولهما لكي تبدو رفيعة الثقافة وممتعة عقليا لكي تبدو عالية الثقافة Sophisticated وتلك بالضبط هي الكلمة المعبرة تماماً. وعندما طلت عليَّ بهذا المنظر الرائع شعرت بالارتباك الشديد بالطبع. وهبط عليَّ نفس الشعور الذي كان ينتابنى عندما كنت أشاهد اليافعة (حشرة في كامل نضجها الجنسي) تبزغ عليَّ حيث كنت أضطر لأن أقتلها بعدئذ. أقصد أن الجمال الخالق يصيب المرء بالتشويش والارتباك الشديد بحيث لا يعد يعرف ما الذي يريده أو ما ينبغي له أن يفعله قالت: «ما رأيك؟» واستدارت فيما حولها في تباه وفخر.

فقلت: «رائعة للغاية».

قالت: «هل هذا هو كل ما هو مطلوب؟» وألقت عليَّ نظرة من تحت حاجبي عينيها. وبدت مثيرة للغاية في ناظريَّ.

فقلت: «أنت جميلة للغاية» لم أكن أعرف ماذا أقول. كنت أرغب في النظر إليها باستمرار طوال الوقت كله ولكنني لم أستطع أن أفعل ذلك. كما كنت أشعر بنوع من الخوف أيضاً.

أعنى أنه بدا علينا وكأننا قد أصبحنا متباعدين عن بعضنا البعض أكثر من ذى قبل وبدأت أدرك في مزيد من العمق أنني لا أستطيع أن أدعها تتركني وتنصرف.

وقلت لها: «حسناً، هل نصعد الآن إلى الدور العلوي؟»

«بدون تقييد بالحبال وبدون كمامة؟»

فقلت: «لم يعد هناك متسع من الوقت لذلك لقد انتهي كل ذلك».

وقالت: «أعتقد أن ما تفعله الآن وما ستفعله غداً سيعتبر من أحسن الأعمال والتصرفات التي قمت بها في حياتك».

ولم يسعنى إلا أن أقول «بل من أكثر اللحظات حزنا واكتئابا في حياتي».

فقالت: «لا. ليس الأمر كذلك. إنها نقطة البداية بالنسبة لك لكي تبدأ حياة جديدة وهذا مولد جديد لك». ثم مدت يدها وأمسكت بيدي وقادتني لدى العدو على السلالم.

كان المطر يهطل بغزارة وأخذت هي نفساً واحداً فقط قبل دخولها إلى المطبخ ومنه إلى غرفة الجلوس.

وقالت: «غرفة الجلوس لطيفة it is nice فقلت: «أعتقد أنه سبق لك أن قلت أن تعبير it is nice لا يعنى أي شيء. بمعنى أنه ليس له معنى.

فقالت: «بعض الأشياء تكون لطيفة. هل لي أن أتناول كأسا من الشيرى؟».

فملأت كأسين لنا ووقفنا هناك.

ودفعتني للضحك حيث ظلت تتظاهر بأن الغرفة مليئة بالناس وراحت تلوح لهم في تحية وتحدثني عنهم وتحدثهم عن حياتي الجديدة وبعدئذ

وضعت أسطوانة موسيقية في جهاز الجراموفون وكانت الموسيقى هادئة وخفيفة. بدت ميراندا جميلة للغاية وكانت قد تغيرت تغييرا كبيرا حيث بدت عيناها مليئتين بالحياة والحيوية. ومع انتشار العطور الفرنسية في أرجاء الغرفة ومع وجود الشيرى وتصاعد الدفء من الكتل الخشبية الحقيقية بدأت أنسى ما ينبغي لي أن أفعله بعد ذلك. بل ورحت أروى لها بعض النكت السخيفة ومع ذلك أخذت ميراندا تضحك.

وتناولت ميراندا كأسا أخرى. ثم دخلنا سويا إلى الغرفة الأخرى حيث قمت بوضع هديتي في المكان الخاص بها فشاهدت الهدية على الفور.

وقالت: «من أجلي أنا؟»

فقالت لها: «انظري وشاهدى» فانتزعت الورقة التي تغلف الهدية. وعندئذ ظهرت تلك العلبة ذات الجلد الأزرق الداكن وقامت بالضغط على الزر ولم تنطق بأي كلام. وراحت تحملق في محتويات العلبة.

وتساءلت: «هل هذه الأحجار والماسات حقيقية؟» لقد شعرت بالرهبة والترويع الحقيقي.

فقلت: «بالطبع. إنها ليست سوى أحجار صغيرة ولكنها من نوعية ممتازة للغاية».

فقالت: «إنها خيالية وعلى نحو لا يصدقه العقل» ثم مدت يدها بالصندوق نحوي وقالت: «لا يمكن لي أن أقبل هذه الهدية. وأظن أنني أفهم الأسباب التي دعتك لأن تقدم هذه الهدية إليَّ وأنا أقدر تماماً هذا التصرف من جانبك... ولكنني لا يمكن أن أقبل هذه الأشياء».

فقلت: «أنا أريد منك أن تقبلي هذه الهدية».

فقالت: «ولكن........ يا فرديناند إذا قام شاب بإعطاء فتاة هدية كهذه فإنه لا يكون هناك سوى معنى واحد».

فتساءلت: «ما هو المعنى؟».

فقالت: «الناس الآخرون لهم عقليات رديئة».

فقلت: «لو سمحت أرجوك أن تقبلي هذه الهدية».

فقالت: «سأرتدى هذه الأشياء الآن مؤقتا. ولسوف أتظاهر بأنها ملكي».

فقلت: «إنها ملكك».

فسارت حول المنضدة ومعها العلبة.

وقالت: «ألبسنى هذه المجوهرات. فإذا قُمتَ بإعطاء فتاة مجوهرات فإنه ينبغي لك أن تلبسها المجوهرات بنفسك».

ووقفت هنالك وراحت ترقبنى وكانت مقتربة مني للغاية وبعدئذ استدارت لدى التقاطى للمجوهرات ووضعها حول رقبتها. ووجدت صعوبة في ربط سلسلة القلادة حيث كانت يداي ترتعشان. إذ كانت تلك هي أول مرة ألمس فيها بشرتها في مكان بخلاف يدها. وكانت رائحة ميراندا جميلة للغاية حتى إنني كنت أرغب في الوقوف هكذا طوال الليل. وبدا الأمر وكأن الحياة الحقيقية قد دبت في إحدى تلك الإعلانات الدعائية. وأخيرا استدارت لكي تواجهنى ثم راحت تنظر إليَّ. ثم سألتني «هل القلادة جميلة على صدرى؟» فأومأتُ برأسي حيث لم أستطع أن أنطلق بكلمة واحدة. وكنت أودّ لو تمكنتُ من قوْل كلام جميل يتسم بالثناء والمدح والمجاملة.

ثم تساءلت: هل تودَ أن تقبلنى على خدّى؟

فلم أردّ عليها ولكنها وضعت يدها على كتفي وارتفعت بهامتها قليلاً وقبُلت خدَى. ومن المؤكد أن قبلتها بدت ساخنة ولقد كان وجهي مضطرما بالاحمرار والتوهج في ذلك الوقت حتى قبل أن تبدأ هي بتقبيلي.

وشرعنا في تناول الدواجن الباردة وأشياء أخرى وقمت بفتح زجاجة الشمبانيا وقد أدهشني أنها كانت لذيذة للغاية. وتمنيت لو كنت قد اشتريت زجاجة أخرى حيث بدا لي أنه من السهل تناولها كلها في فترة وجيزة حيث لم تكن مسكرة للغاية. وضحكنا كثيراً حيث كانت إنسانة لبقة وماهرة حقاً وكانت تتحدث مع أناس آخرين غير موجودين معنا مرة أخرى وغير ذلك من أمور.

وبعد تناول العشاء رحنا نُعدّ القهوة سويا في المطبخ (وحرصت على التيقظ وسرعة الملاحظة بالطبع) ونقلنا فناجين القهوة إلى حجرة الصالون. وقامت بتشغيل أسطوأنات موسيقى الجاز كنت قد اشتريتها لها. وجلسنا بالفعل سويا على الأريكة.

وبعدئذ بدأنا نلعب لعبة الفوازير. وراحت هي تمثل الأشياء ومقاطع الكلمات وأنا عليَّ أن أقوم بتخمين المعاني. ولم أظهر تفوقا في هذه اللعبة سواء من حيث التمثيل أو التخمين. وأذكر أن من بين الكلمات التي مثلتها هي كلمة «فراشة» وظلت تمثل تلك الكلمة مرات عديدة ولكنني لم أتمكن من تخمين المعنى. حيث ذكرت لها الطائرة وكافة الطيور التي خطرت على ذهني ولم أستطع التوصل إلى كلمة «فراشة» وفي نهاية الأمر ألقت ميراندا نفسها في انهيار على كرسى وقالت: أنني انسان ميئوس منه. وبعدئذ جاءت مرحلة الرقص. حاولتُ أن تعلمنى كيف أرقص رقصات الجاز والسامبا العنيفة ولكن هذه الرقصات كانت

تقتضي أن ألمسها فدب الارتباك الشديد في كياني ولم أستطع الحفاظ على الإيقاع السليم في الوقت المناسب. ومن المؤكد أنها ظنت أنني إنسان بطيء الحركة في حقيقة الأمر.

وبعدئذ كان عليها أن تنصرف لفترة قصيرة. ولم أشعر بالارتياح لذلك ولكنني أدركت أنه لا يمكن لي أن أتوقع لها أن تذهب إلى الغرفة السفلية واضطررت بأن أسمح لها بالصعود ثم وقفت على السلالم حيث يمكنني معرفة ما إذا كانت ستلجأ إلى النصب والاحتيال عليَّ وذلك باستخدامها للأضواء. وكانت النافذة عالية وأدركت أنها لا يمكن لها أن تخرج من النافذة بدون أن أسمعها كما أن المسافة بين النافذة والأرض كانت كبيرة للغاية. وعلى كل حال فإنها قد رجعتْ فشاهدتني واقفا عند السلالم.

فقالت في حدة بعض الشيء: «ألا يمكن لك أن تثق بي؟»

فقلت لها: «إنني أثق بك ولكن الموقف لم يكن على النحو الذي خطر على ذهنك».

وسرنا سويا عائدين إلى غرفة الجلوس. ة

«إذن فما هو الموقف؟»

فقلت: «لو أنك تمكنت من الهرب الآن فإنه يمكن لك أن تقولي أنني كنت أحتفظ بك سجينة لديَّ. ولكنني إذا اصطحبتك إلى منزلك فإنه يمكن لي أن أقول أنني أطلقتُ سراحك». وكنت أدرك أن كلامي هذا سخيف وأنا كنت بالطبع ألفق الكلام وأمثل عليها بعض الشيء. وكان موقفي في حقيقة الأمر في غاية الصعوبة.

قالت: «حسناً» ونظرت إليَّ ثم قالت: «فلنتحدث معا. تعال واجلس هنا إلى جواري».

فذهبتْ وجلستُ إلى جوارها.

«ما الذي ستفعله عقب انصرافي؟»

فقلت: «إنني لا أفكر في هذا الأمر».

«هل سترغب في الاستمرار في مشاهدتي؟»

«بالطبع سأرغب في ذلك بكل تأكيد».

قالت: «من المؤكد أنك ستجيء لكي تعيش في لندن؟ ولسوف نخلق منك إنساناً عصريا تماماً. سنخلق منك إنساناً «مودرن» يستمتع الناس بلقائه بالفعل ويسعدون بالتحدث معه».

«ولكنك أنت وأصدقاؤك ستخجلون من لقائي أو التحدث معي».

وكانت هذه كلها أمور غير حقيقية. وكنت أدرك أنها تدّعى وتتظاهر مثلما كنت أدعى وأتظاهر وشعرتُ بالصداع يدبَ في رأسي. لقد كان كل شيء يسير في الاتجاه الخاطئ.

وقالت: «أنا لديَّ العديد من الأصدقاء والصديقات. هل تعرف السبب في ذلك؟ لأنني لا أخجل منهم على الإطلاق. أصدقاء من كافة الأنواع والأشكال. علما بأنك لست أكثرهم غرابة وشذوذا. فهناك واحد منهم يتصف بالبذاءة الأخلاقية وقلة الحياء إلى حدّ بعيد ولكنه فنان ورسَّام ممتاز ولذلك فنحن نغفر له قلة أدبه. وهو لا يشعر بالخجل من نفسه ومن أخلاقه السيئة. وأنت ستكون مثل هذا الرجل في شلة أصدقائنا. فلا تخجل ولسوف أساعدك، وهو أمر سهل إذا حاولت ذلك».

وبدا لي أن اللحظة المناسبة قد جاءت وعلى كل حالة لم يعد بمقدورى تحمّل الموقف أكثر من ذلك.

قلتُ لها: «أرجوك أن تتزوجينى. وأنا لديَّ الدبلة جاهزة في جيبي».

فسادت فترة طويلة من الصمت.

وأضفتُ قائلاً: «كل شيء أمتكله قد وهبته لك»

فقالت: «الزواج معناه الحب».

فقلت: «إنني لا أتوقع أي شيء. أنني لا أتوقع منك أن تفعلى أي شيء لا تريدين أن تفعليه. ويكن لك أن تفعلى ما تحبينه مثل دراسة الفنون وغير ذلك من أمور. ولن أطلب منك أي شيء باستثناء أن تكوني زوجتي من الناحية الاسمية وأن تعيشي معي في نفس المنزل.

فجلستْ محملقة في السجادة.

وأضفتُ «سوف تكون لك غرفة نوم خاصة بك بحيث تغلقينها على نفسك في كل ليلة».

فقالت: «ولكن ذلك أمر شنيع، ذلك أمر لا إنساني. لن نفهم بعضنا البعض في أي وقت من الأوقات على الإطلاق. نحن ليس لنا نفس النوع من القلوب».

فقلت: «إنني لديَّ الاستعداد لمواجهة كل ذلك».

فقالت: «إنني أفكر فقط في الأمور من حيث هي جميلة أو لا. ألا يمكنك أن تفهمني؟ أنني لا أفكر في الأمور من حيث هي خيرة أم شريرة ولكن من زاوية الجمال أو القبح فقط. فأنا أنظر إلى كثير من الأمور الخيرة على أنها قبيحة وإلى كثير من الأمور الرديئة على أنها جميلة».

فقلت لها: «أنت تتلاعبين بالكلمات».

فاكتفتْ بالحملقة في وجهي ثم ابتسمتْ ونهضتْ ووقفتْ بجوار

المدفأة وكانت رائعة الجمال للغاية. ولكن كان كل شيء منسحبا إلى الداخل كان كل شيء متساميا ومتعاظما.

وقلت لها: «إنني أعتقد أنك واقعة في حبّ ذلك الشاب الذي يسمى بييرز بروغتون» أردت بتلك العبارة أن أسبب لها صدمة نفسية فجائية فظهرت عليها الدهشة بالفعل. وتساءلت:

«وكيف عرفت تلك المعلومات عنه؟»

فقلت: «لقد قرأت تلك الأنباء في الصحف. وقرأت أنكما مخطوبان لبعضكما البعض خطوبة غير رسمية».

وأدركتُ على الفور أنهما لم يكونا مخطوبين. واكتفتْ بالضحك وقالت: «إنه آخر شخص يمكنني أن أتزوجه. بل أنني أفضل الزواج منك على أن أتزوجه».

«إذن فلماذا لا أكون أنا زوجا لك؟».

فقالت: «لأنني لا أستطيع أن أتزوج رجلاً لا أشعر أنني أنتمى إليه من جميع النواحى. فعقلي ينبغي أن يكون هو عقله وقلبي ينبغي أن يكون هو قلبه وجسدي ينبغي أن يكون هو جسده. تماماً مثلما ينبغي عليَّ أن أشعر أنه ينتمي إليَّ تماماً.

فقلت لها: «إنني أنتمى لك».

فقالت: «ولكنك لا تنتمى إليَّ. فالانتماء له شيئان. الشخص الذي يُعطَى والشخص الذي يتقبل ما يُعطَى. وأنت لا تنتمى إليَّ لأنني لم أستطع أن أتقبْلك، وأنا لا أستطيع أن أردّ عليك بإعطائك أي شيء».

فقلت: «لأنني لا أريد الكثير».

فقالت: «أعرف أنك لا تريد الكثير».

لا شيء سوى الأمور التي أضطر لأن أقدمها مثل الطريقة التي أبدو عليها وطريقة كلامي وأسلوب حركاتى. ولكنني عبارة عن مجموعة أشياء أخرى. ولديَّ أشياء أخرى أقدمها لمنْ أحبّ وهذه الأشياء الأخرى لا أستطيع أن أقدمها لك لأنني لا أحبك».

فقلت: «ذلك الكلام من شأنه أن يغيّر كل شيء. أليس كذلك؟».

ثم نهضتُ واقفا. وكان رأسي يخفق نابضاً وأدركتْ هي ما كنت أهدف إليه على الفور. واستطعتُ مشاهدة ذلك على وجهها ولكنها تظاهرتْ بأنها لا تفهم. وتساءلت:

«ماذا تعنى؟».

فقلت: «أنت تعرفين ما أعنيه».

فقالت: «لسوف أتزوجك. لسوف أتزوجك بأسرع ما يمكن كما تحب».

فقلت: ضاحكا «ها، ها، ها»

قالت: «أليس هذا هو ما تريد لي أن أقوله؟».

قلتُ «إنني أفترض أنك تعتقدين أنني لا أعرف أنك لست بحاجة إلى شهود وغير ذلك من إجراءات».

فقالت: «حسنا؟»

فقلت: «إنني لا أثق بك على الإطلاق».

وكانت تنظر إليَّ بطريقة جعلتني أشعر بالغثيان الحقيقي. كانت تنظر إليَّ كما لو كنت أنا غير آدمي، لم تكن نظراتها مليئة بالسخرية والاستهزاء وإنما كانت تنظر إليَّ كما لو كنت شيئاً ما خارج نطاق الفضاء الخارجى شيئاً ما يكاد يسلب القدرة على الحركة أو الهرب.

وقلت «هل تظنين أنني لا أدرك جوانب الموقف؟» فاكتفت بأن قالت: «يا فرديناند» كما لو كانت تناشدنى، إنها خدعة أخرى من حيلها الخادعة.

فقلت لها: «لا تتملقينى بذكر كلمة فرديناند».

فقالت: «لقد وعدتني. ولا يمكن لك أن تخلف وعدك».

فقلت: «باستطاعتي أن أفعل ما يروق لي».

فقالت: «ولكنني لا أعرف ما الذي تريده مني. وكيف يمكن لي أن أبرهن لك على أنني صديقة لك إذا كنت لا تعطينى أبداً الفرصة للبرهنة على ذلك؟».

فقلت: «آخرسى».

وعندئذ لجأت فجأة للتمثيل، وكنت أدرك أنها ستلجأ لذلك وكنت مستعدا لمواجهة ذلك، ولكن الشيء الذي لم أكن مستعدا لمواجهته هو صوت سيارة بالخارج، وبمجرد أن توقفت السيارة عند المنزل فإنها مدت قدمها وكأنها ترغب في تدفئة قدمها ولكنها قامت فجأة بركل كتلة خشبية محترقة فاندفعت خارجة من المدفئة وسقطت على السجادة وفي نفس الوقت صرخت واتجهت نحو النافذة وبعدئذ اكتشفت أن النافذة مغلقة بالقفل، ولكنني تمكنت من الإمساك بها أولاً، ولم أتمكن من إحضار مادة الكلوروفورم التي كانت موجودة في أحد الأدراج وتلاحقت الأحداث بسرعة حيث استدارت نحوي وراحت تخربشني وتنشب أظافرها في جسدي مع الاستمرار في الصراخ ولكنني لم أكن في حالة تسمح لي بأن أكون لطيفا معها. حيث رحت أضرب ذراعيها في عنف ثم تمكنت من وضع يدي على فمها، فنشبت أظافرها في يدي وعضتني وركلتني، ولكني أصبت بحالة من الهلع والذعر الشديد بحلول ذلك

الوقت، فأمسكتها من كتفيها ورحت أجذبها وأشدها نحو الدرج الذي يوجد به كيس البلاستيك الذي يحتوي على الكلوروفورم، وشاهدت ميراندا ذلك الكيس وعرفت محتوياته فحاولت التملص بعيداً وقد أمالت رأسها على جانب ولكنني تمكنت من استخراج الكيس ووضعه على فمها، وطوال الوقت كنت أصغى لصوت السيارة بالخارج، وفي نفس الوقت كنت أرقب الكتلة الخشبية المحترقة، كانت تحترق على نحو رديء للغاية بحيث أصبحت الغرفة مليئة بالدخان، وما أن أصبحت ميراندا تحت سيطرتى تماماً تركتها تذهب ورحت أطفئ النيران، وصببت الماء من زهرية على النيران وكان ينبغي لي أن أتصرف بسرعة كبيرة، وقررت أن أصطحبها إلى الغرفة السفلية بمجرد أن يتوافر لديَّ الوقت لذلك، وقمت بذلك بالفعل ووضعتها على سريرها ثم صعدت لأعلى مرة أخرى لكي أتأكد تماماً أن النيران قد أخمدت وأنه لا يوجد هناك أحد بالخارج.

وفتحت الباب الأمامى للمنزل بطريقة عرضية تماماً ولم يكن يوجد هناك أي شخص بالخارج، كانت الأمور تسير على ما يرام.

كانت لا تزال في حالة من الإعياء الشديد فوق السرير وكان منظرها مثيراً للسخرية والاستهزاء، إذ كان الفستان منحسراً تماماً عن إحدى كتفيها، وقد أحدث منظرها هذا نوع من الإثارة في داخلي بل وجعل بعض الأفكار تهبط عليَّ لدى مشاهدتها ملقاة هنالك على ذلك النحو، وبدا لي الأمر وكأنني قد أوضحت لها من هو صاحب السلطة الحقيقية في ذلك المنزل، كان الفستان منحسراً تماماً عن كتفها حتى إنني تمكنت من مشاهدة الجزء العلوي من جوربها، ولست أعرف السبب الذي جعلنى أتذكر فيلما أمريكيا شاهدته ذات مرة (أو ربما هذا الذي شاهدته كان في إحدى المجلات) عن رجل أخذ معه فتاة مخمورة إلى منزله

وخلع لها ملابسها ووضعها في السرير ولم يفعل بها أي شيء رديء فهو قد اكتفي بهذا الإجراء ولا شيء أكثر من ذلك وعندما استيقظت تلك الفتاة وجدت نفسها مرتدية بيجامته.

لذلك فقد فعلت نفس الشيء مع ميراندا خلعت لها فستانها وجوربها وتركتها مرتدية بعض قطع الملابس الأخرى مثل حمالة الصدر وغيرها من ملابس داخلية وذلك لكي لا أمضى إلى نهاية الشوط. وبدت مثل لوحة فنية حقيقية مستلقية هناك ومتجردة من ملابسها على حد تعبير العمة آني (ولقد قالت: إن التجرد عن الملابس وخلع الملابس بكثرة هو السبب في إصابة المزيد من النساء بالسرطان). وكانت ميراندا تبدو وكأنها مرتدية مايوه بكيني.

وكانت تلك هي الفرصة التي كنت أنتظرها، فأمسكت بالكاميرا القديمة وقمت بالتقاط بعض الصور الفوتوغرافية لها، وكنت على استعداد لالتقاط المزيد من اللقطات لها ولكنها بدأت تتحرك قليلا لذلك اضطررت لأن أكف عن ذلك وأسارع بالخروج.

وبدأت في تحميض وطبع الصور على الفور، وكانت صوراً لطيفة للغاية، وصحيح أنها لم تكن متسمة بالطابع الفني ولكنها كانت ممتعة.

ولم أستطع النوم على الإطلاق في تلك الليلة بسبب ذلك الذي حدث وجاءت عليَّ أوقات فكرت فيها بأن أنزل إليها وأعطيها الكلوروفورم مرة أخرى وألتقط لها المزيد من الصور الفوتوغرافية، وكان تفكيرى مترديا إلى ذلك الحد، وأنا في حقيقة الأمر لم أكن أميل إلى التردى والسوء في تلك الليلة بسبب كل ذلك الذي حدث وبسبب الضغوط التي وقعت على كاهلي، كما أن الشمبانيا كان لها تأثير سيئ

عليَّ هذا علاوة على كل ما قلته من كلام. إذ كانت هناك ظروف كثيرة متراكمة كما يقولون.

ولم تعد الأمور بيني وبينها إلى ما كانت عليه من قبل على الإطلاق على الرغم من كل ما حدث، إذ برهن هذا الحادث على نحو ما على أنه لا يمكن لنا أن نتوافق مع بعض أبداً لأنها لا يمكن لها أن تفهمني وأعتقد أنها تقول لنفسها أنني لا يمكن لي أن أفهمها على الإطلاق ومن ثم فإنها لن تسمح لي بالحصول عليها بأية طريقة.

وعندما رحت أفكر فيما بعد فيما أقدمت عليه من حيث قيامي بنزع ملابسها أدركت أن ذلك العمل الذي قمت به لم يكن رديئاً للغاية، لأن أي شخص آخر في مكاني كان سيفقد السيطرة على نفسه بحيث لا يكتفي بمجرد التقاط الصور الفوتوغرافية لها، وكانت تلك نقطة في صالحي إلى حد كبير.

ورحت أفكر فيما ينبغي لي أن أفعله، ورأيت أن أفضل وسيلة هي أن أقوم بكتابة خطاب لها، وأورد فيما يلي نص الخطاب الذي كتبته لها.

أنني آسف لما حدث في الليلة الماضية، ويمكن أن أقول إنك تظنين الآن أنه لا يمكن أن تغفرى لي أبداً.

لقد سبق لي أن قلت لك أنني لن أستخدم العنف معك أبداً اللهم إلا إذا اضطررت إلى ذلك واعتقد أنك سوف تعترفين أنك أرغمتني على استخدام العنف بسبب ما أقدمت عليه من أعمال.

وأرجو أن تفهمى أنني لم أفعل سوى الإجراءات الضرورية، ولقد قمت بخلع فستانك عنك حيث اعتقدت بأنك قد تتعرضين للمرض مرة أخرى.

ولقد أظهرت كل ما أستطيع من احترام نحوك تحت تلك الظروف،

وأرجو أن تعتزى بي وتثقى بي لأنني لم أفعل معك ما كان سيفعله أي شخص آخر في مكاني.

ولن أقول لك أي كلام آخر، باستثناء أنه يجب عليَّ أن احتفظ بك هنا لفترة أطول.

المخلص

فرديناند

ولم أكتب أية بداية للخطاب، إذ لم أستطع أن أعرف بماذا أسميها، إذ بدت عبارة (عزيزتى ميراندا) عادية ومألوفة.

ونزلت إلى الغرفة السفلية حاملا معي طعام الإفطار الخاص بها، وكان الموقف على النحو الذي تخيلته تماماً، كانت جالسة في الكرسي الخاص بها وكانت تحملق في وجهي، قلت لها: «صباح الخير» فلم ترد عليَّ فقلت لها: «أتريدين تناول فطائر الكريز أو الكورون فليك؟» ـ فاكتفت بالحملقة في وجهي، لذلك تركت لها طعام الإفطار على الصينية ووضعت الخطاب في الصينية وانتظرت بالخارج لبعض الوقت وعندما رجعت إليها أدركت أنها لم تتناول الطعام ولم تفتح الظرف وكانت لا تزال تجلس هنالك محملقة في وجهي، وعرفت أنه لا فائدة ترجى من وراء التحدث معها، كانت مصممة على الالتزام بالصمت وعدم تناول الطعام.

وظلت على ذلك النحو أياما عديدة، وبقدر ما أعلم فإنها لم تتناول سوى بعض الماء، وكنت أتجادل معها مرة واحدة على الأقل يوميا، عندما كنت أحضر لها الطعام فترفض دائماً تناوله، وأحضرت لها الخطاب مرة أخرى فقرأته في هذه المرة أو هي قدرت الظروف على الأقل ولذلك فهي قد لمست الخطاب، وجربت معها كل الوسائل

الممكنة: تكلمت معها في لطف ورقة وتظاهرت أنني أشعر بالغضب والمرارة وتوسلت إليها ولكن لم تفلح معها كل هذه الوسائل، ففي معظم الحالات كانت تكتفي بالجلوس وقد أعطت ظهرها لي وكأنها لم تسمع كلامى، وأحضرت لها مأكولات خاصة مثل الشيكولاته الكونتنتال والكافيار وأغلي المأكولات التي يمكن شراؤها من مدينة لويس ولكنها رفضت تناول تلك المأكولات أيضاً.

وبدأ الهم والقلق يسيطران عليَّ بالفعل، ولكن بعدئذ وفي صباح أحد الأيام عندما دخلت إلى حجرتها وجدتها واقفة بجوار سريرها وقد أعطت ظهرها نحوي، ولكنها استدارات لتواجهنى بمجرد أن دخلت إلى الغرفة وقالت: «صباح الخير». ولكن في لهجة ساخرة ومليئة بالحقد والضغينة.

فقلت لها: «صباح الخير، إنه لمن الطريف أن أسمع صوتك مرة أخرى».

«صحيح؟ لن يكون الأمر طريفا، ولسوف أجعلك تتمنى لو أنك لم تسمع صوتي أبداً».

فقلت لها: «لسوف نرى».

فقالت: «إنني سأقوم بقتلك، أنني أدرك أنك ستجعلنى أتضور جوعاً حتى أموت، ولذلك فأنا سألجأ إلى قتلك مثلما تهدف أنت إلى قتلي، الجزاء من جنس العمل».

فقلت لها: «أعتقد أنني لم أحضر لك أي طعام في خلال تلك الأيام الماضية

فلم تستطع الرد عن هذا السؤال واكتفت بالحملقة في وجهي بطريقتها المعهودة.

وقالت: «لن تحتفظ بي كسجينة عندك بعد اليوم وإنما ستحتفظ بسجينة ميتة».

فقلت لها: «تناولي شيئاً من طعام الإفطار بأية حال».

ومنذ ذلك الوقت فصاعدا بدأت تأكل بطريقة طبيعية ولكن الأمور لم تعد على نفس ما كانت عليه من قبل. إذ نادراً ما كانت تتكلم، وإذا تكلمت كان كلامها يجيء دائماً عنيفا وفي سخرية لاذعة، وكانت دائماً تموج بالغضب الشديد حتى إنه لم يكن هناك مجال لي للبقاء معها لبعض الوقت، فإذا ظللت باقياً عندهاً لدقيقة أخرى بدون أن يكون هناك ما يدعو لذلك فإنها كانت تأمرنى في غضب بالخروج من غرفتها، وذات يوم بعد ذلك بفترة قصيرة أحضرت لها طبقا من اللوبيا المخبوزة مع التوست بطريقة لطيفة فأمسكت بالطبق وقذفت به في اتجاهي مباشرة، وبحلول ذلك الوقت كنت قد سئمت تماماً من المسألة برمتها وبدا لي أنه لا جدوى فقد جربت كل شيء ولكنها ظلت على عنادها، وبدا الأمر وكأننا قد وصلنا إلى طريق مسدود.

وبعدئذ طلبت مني بالفعل شيئاً ما ذات يوم، وكنت قد اعتدت على أن أتركها على الفور عقب العشاء قبل أن تتمكن من الصراخ في وجهي.. ولكنها في هذه المرة قالت: «انتظر قليلاً».

وأضافت: «أريد أن آخذ حماماً».

فقلت لها: «من غير الملائم أن يتم في هذه الليلة» حيث لم أكن مستعدا لذلك.

فتساءلت: «غداً».

«لا مانع أن يتم ذلك غداً، ولكن مع إعطائي كلمة شرف، وعد شرف.

فقالت: «سأقدم لك كلمة شرف» وقالت: تلك العبارة بصوت جاف رديء، وأدركت القيمة التي تنطوى عليها كلمة الشرف الخاصة بها.

وأضافت: «وأنا أريد أن أتمشى قليلا في الغرفة السفلية» ثم مدت يديها أمامها فقمت بربطهما، وكانت تلك أول مرة ألمس فيها يديها منذ أيام، وكالمعتاد ذهبت وجلست على السلالم المؤدية إلى الباب الخارجى وراحت هي تسير جيئة وذهابا بطريقتها الغريبة، وكانت الرياح عاصفة للغاية حيث كان بالمستطاع سماع أصوات الرياح في المنطقة العلوية وسماع صوت أقدامها في المنطقة السفلية، ولم تتحدث على مدى فترة طويلة ولا أعرف السبب في ذلك ولكنني كنت أدرك أنها كانت تريد أن تتكلم.

وأخيراً تكلمت فجأة متسائلة «هل أنت تستمتع بحياتك»؟.

فأجبت عليها في حذر «ليس كثيراً» فسارت جيئة وذهابا على مدى أربع أو خمس دقائق أخرى وبدأت بعد ذلك تدندن بالموسيقى.

فقلت لها: «تلك نغمة موسيقية جميلة».

فتساءلت: «أتحب هذه النعمة؟».

فقلت: «نعم».

فقالت: «إذن لم أعد أحب هذه النغمة» ثم استأنفت سيرها جيئة وذهابا مرتين أو ثلاث مرات.

وقالت: «تحدث معي».

«عن أي شيء؟»

«عن الفراشات»

«عن الفراشات من أي زاوية؟»

وعن الأماكن التي تعثر فيها على الفراشات، وعليك أن تستمر في الكلام في هذا الموضوع».

وبدا لي ذلك أمراً غريبا ولكنني رحت أتكلم، وفي كل مرة أتوقف فيها عن الكلام كانت تقول: «استمر، تكلم». ومن المؤكد أنني أخذت أتحدث على مدى نصف ساعة إلى أن توقفت عن السير وقالت: «كفي». ثم رجعت إلى داخل غرفتها وقمت بفك الحبال عن يديها وذهبت هي مباشرة وجلست على سريرها وقد أدارت ظهرها لي، وسألتها عما إذا كانت تريد أي قدر من الشاي فلم ترد عليَّ. وفجأة أدركت أنها قد انخرطت في البكاء، وكنت أشعر باكتئاب حقيقي كلما شاهدتها تبكي، إذ لم أكن أتحمل مشاهدتها وهي تعيسة إلى ذلك الحد، فاقتربت منها وقلت لها: «قولي لي ما تريدين، أنني على استعداد لأن أشتري لك أي شيء تريدينه». ولكنها استدارت لتواجهني وكانت الدموع تنساب من عينيها ولكن عينيها كانتا ملتهبتين ومتقدتين بالشرر ثم وقفت وسارت نحوي وهي تقول «اغرب عن وجهي، آخرج من هنا» وكانت رهيبة للغاية، وبدت وكأنها قد أصيبت بجنون حقيقي.

وفي اليوم التالي كانت ميراندا هادئة للغاية ولم تنطق بكلمة واحدة وجهزت لها الحمام وكل شيء وأظهرت لي أنها على استعداد تام عندما قامت بالتريض لبعض الوقت (في صمت تام في هذه المرة)، لذلك قمت بوضع الكمامة لها مع ربطها بالحبال واصطحبتها للصعود إلى الدور العلوي وأخذت الحمام الخاص بها ثم خرجت ومدت لي يديها على الفور لكي يتم ربطها مرة أخرى.

وكنت دائماً آخرج من المطبخ أولاً وقد وضعت إحدى يديَّ عليها ولكن كانت هناك سلمة وقد تعثرت فيها ذات مرة ولربما كانت هي نفس

تلك السلمة وعندما سقطت هي بدا لي الأمر طبيعياً وبدا من الطبيعي أيضاً أن كافة الفراشات والزجاجات والأشياء التي كانت تحملها في فوطة، كانت يداها مربوطتين أمامها دائماً ولذلك فهي كانت تحمل الأشياء مستندة على الجزء الأمامى من جسدها) أن تسقط محدثة ضجة وضوضاء في الطرقة ونهضت وقد ظهرت عليها البراءة الكاملة وانحنت وراحت تحك ركبتها وأنا مثل أي إنسان مغفل انحنيت لآسفل لكي ألتقط الأشياء التي وقعت على الأرض، وبالطبع ظللت واضعا إحدى يديّ على الروب دى شامبر الخاص بها لكن غلطتى أنني رفعت عينى عنها وكانت تلك غلطة مميتة.

والشيء التالي الذي أدركته هو أنني تلقيت ضربة رهيبة على جانب رأسي ومن حسن حظي أن الضربة أخطأت رأسي، وحيث تلقى كتفي أو ياقة معطفي قوة الضربة، وسقطت على الأرض في انحراف محاولا تفادى الهجوم التالي أو الضربة الثانية، وكنت فاقداً توازني ولم أتمكن من الوصول إلى ذراعيها رغم أنني كنت لا أزال ممسكا بالروب دى شامبر الخاص بها، وتمكنت من مشاهدتها وهي ممسكة بشيء ما في يديها. وأدركت فجأة أن ذلك الشيء هو الفأس القديم التي أنجز بها الأعمال الطارئة العارضة المختلفة، وكنت قد استخدمتها في الحديقة في ذلك الصباح فقط عندما تهاوى غصن من إحدى أشجار التفاح القديمة بسبب شدة الرياح في الليلة السابقة، وأدركت في ومضة سريعة أنني قد انزلقت إلى الهاوية في نهاية الأمر، حيث كنت قد تركت تلك الفأس على قاعدة نافذة المطبخ ومن المؤكد أنها اكتشفت مكانها، مجرد غلطة واحدة يمكن أن تجعل المرء يفقد كل شيء.

ووضعتني تحت رحمتها للحظات، ومن المعجزات أنها لم تقم بالفتك بي والقضاء عليّ تماماً وهبطت عليَّ بالفأس مرة أخرى ولم

أتمكن إلا من رفع ذراعي لأعلى بعض الشيء فشعرت بضربة رهيبة قاطعة وعميقة فوق صدغي، مما جعل رأسي يدور بالرنين وبدأ لي وكأن الدماء تدفقت على الفور، ولا أعرف كيف تمكنت من الإفلات من هذا الموت المحقق، إنها غريزة حب الحياة على ما أعتقد، حيث رحت أركل بقدمي وأتلوى مما جعلها تسقط على جانب فوق إلى حد ما وسمعت صوت الفأس وهو يرتطم بالأرض الحجرية.

فوضعت يدي على الفأس وجذبتها وألقيت بها فوق العشب وبعدئذ تمكنت من الإمساك بيديها قبل أن تتمكن هي من نزع الكمامة عن فمها، ودخلنا سويا في معركة أخرى، ولكن لمدة ثوان قليلة فقط، ومن المؤكد أنها قررت عدم الاستمرار في المعارك لأن ذلك لن يأتي بالنتيجة المرجوة بالنسبة لها فهي قد جاءت لها الفرصة الذهبية ولكنها أضاعتها، ولذلك توقفت فجأة عن القتال وقمت باصطحابها ونزلت بها لآسفل، وكنت شرساً معها وكانت معنوياتى متردية وهابطة للغاية حيث كانت الدماء تنسال من وجهي، ودفعتها إلى داخل غرفتها في عنف وهي ألقت عليَّ نظرة غريبة للغاية قبل أن أغلق بابها في عنف وأحكم الغلق بالترابيس، ولم أهتم بضرورة قيامي بنزع الكمامة عنها وفك قيود يديها، واعتقدت أنه ينبغي لي أن ألقنها درساً قاسياً.

وصعدت إلى الدور العلوي ورحت أغسل وجهي ورأسي، واعتقدت أنني كنت على وشك الإغماء عندما شاهدت وجهي في المرأة، حيث كانت الدماء موجودة في كل مكان، وعلى كل حال فقد كنت سعيد الحظ لأن الفأس لم تكن حادة للغاية كما أنها سقطت في انزلاق مبتعدة عن منتصف رأسي وكان جرحى يبدو رهيباً ولكنه لم يكن عميقا، وجلست لفترة طويلة وقد ضغطت بقطعة من القماش على الجرح، ولم يخطر على ذهني أبداً أنني سأنجح في إيقاف تدفق الدماء بهذه الطريقة وقد أدهشني أنني تمكنت من إيقاف الدماء في ذلك المساء.

بالطبع كنت أشعر بالمرارة بسبب ما حدث، ولو لم أشعر بالإغماء بعض الشيء لما عرفت ما كنت سأقدم عليه، كان الأمر قد وصل إلى مرحلة القشة التي قصمت ظهر البعير كما يقولون حيث هبطت على ذهني بالفعل أفكار معينة، ولا أعرف ما كان ينبغي لي أن أفعله إذا هي داومت على توبيخى مثلما كانت تفعل من قبل، ومازال هذا لا في العير ولا في النفير الآن.

وفي صباح اليوم التالي نزلت إلى الغرفة السفلية بينما الصداع كان لا يزال منتشراً في رأسي، لذلك كنت متأهبا ومستعدا لأن أكون شرسا ورديئاً معها إذا كانت مصرة على الشراسة معي ولكنني كنت خائر القوى للغاية بحيث يمكن لأي شخص أن يطرحنى أرضاً إذا ضربنى بريشة، وكان أول شيء فعلته ميراندا هو أنها نهضت واقفة وسألتني عن حالتي الصحية وعن رأسي، وأدركت من الطريقة التي سألت بها أنها كانت تحاول أن تكون شفوقة عليَّ ورقيقة معي.

فقلت لها: «إنني سعيد الحظ لأنني لم أنتقل إلى رحمة الله».

وكانت تبدو شاحبة الوجه للغاية كما كانت تبدو وقورة ورزينة، ومدت لي يديها وكانت قد تمكنت من خلع الكمامة ولكن من المؤكد أنها نامت بينما يداها مربوطتان، (وكانت لا تزال مرتدية الروب دى شامبر). فقمت بفك الحبال وتحرير يديها.

«دعنى ألقى نظرة على رأسك».

فتراجعت إلى الوراء، فأمسكت بي في عصبية وقلق وقالت: «لا يوجد في يدي أي شيء، هل قمت بغسل رأسك؟».

«نعم».

«هل قمت بتطهير الجرح من الجراثيم؟».

«الجرح على ما يرام».

فذهبت وأحضرت زجاجة صغيرة بها ديتول كانت تحتفظ بها وبللت قطعة من القطن الطبي بالديتول ورجعت إليَّ.

فقلت: «وما الذي ستفعلينه الآن؟»

قالت: «أريد أن أربت بهذه القطعة من القطن على الجرح اجلس، اجلس». ونطقت تلك العبارة بطريقة توحي بأنها تريد لي خيرا، ومن الغريب أنني كنت أدرك في بعض الأحيان أنها صادقة تماماً وغير قادرة على الكذب.

وانتزعت البلاستار في حرص وبطء شديد، وشعرت بها وهي تجفل لدى مشاهدتها الجرح، لم يكن جرحا كبيراً للغاية ولكنها راحت تغسله بالديتول في رفق شديد ثم وضعت البلاستار عليه مرة أخرى.

فقلت لها: «شكراً جزيلا».

كان كل شيء يتم في إطار رسمي، ثم ابتعدت عني لكي تتناول طعام الإفطار وانتظرت أنا بالخارج، وعندما قمت بالطرق على الباب لكي أدخل وأحمل الصينية الشاغرة وجدتها وقد ارتدت ملابسها ورتبت سريرها فسألتها عما إذا كانت تريد أي شيء فأجابت بالنفي، ثم قالت: إنه ينبغي لي أن أشتري TCP لأعالج به جروحي، وناولتني الصينية وهي تبتسم ابتسامة خفيفة للغاية.

ورغم ضآلة الابتسامة فقد دلت على حدوث تغير كبير، بل وشعرت أنني كنت على استعداد لأن تشج رأسي في سبيل الحصول على مثل هذه الابتسامة الخفيفة، وشعرت بالسعادة الغامرة في ذلك الصباح وكأن الشمس كانت تشرق ساطعة مرة أخرى.

وبعد ذلك وعلى مدى يومين أو ثلاث أيام كانت العلاقة بيننا عادية،

فهي لم تتحدث كثيراً معي ولكنها في نفس الوقت لم تكن وقحة أو بذيئة معي على الإطلاق، وفي يوم ما عقب تناولها طعام الإفطار طلبت مني أن أجلس مثلما أعتدت أن أجلس في البداية لكي تقوم برسم صورة لي، وكان ذلك لمجرد أن تعطي لنفسها المبرر للتحدث معي.

قالت: «أريد منك أن تساعدنى».

قلت «استمرى في التعبير عما تريدين».

قالت: «إن لي صديقة وهي فتاة صغيرة وهناك شاب صغير في السن واقع في حبها»

فقلت: «استمرى في عرض الموضوع». فتوقفت عن الكلام لكي تثير تشوقي على ما أعتقد.

وأضافت: «وهو غارق في حبها تماماً حتى إنه اضطر للقيام بخطفها، وأصبح يحتفظ بها كسجينة عنده».

فقلت: «يا لها من مصادفة».

فقالت: «أليست هي مصادفة بالفعل؟ حسناً، وهي ترغب في أن تصبح حرة طليقة مرة أخرى ولكنها في نفس الوقت لا تريد أن تسبب له الأذى أو الضرر، وهي بذلك لا تعرف ماذا عليها أن تفعل. فما الذي تنصحها به؟»

فقلت: «أنصحها بالتحلي بالصبر».

فقالت: «وما الذي يجب أن يحدث قبل أن يطلق سراحها ذلك الشاب؟»

قلت «قد يحدث أي شيء».

فقالت: «وهو كذلك، والآن لا داعي لأن نلعب على بعضنا، يجب

أن نواجه بعضنا البعض في صراحة تامة، والآن قل لي ما الذي ينبغي لي أن أفعله لكي يتم إطلاق سراحي؟».

ولم أستطع الإجابة على سؤالها، واعتقدت أنني لو طلبت منها أن تعيش معي للأبد فإننا سنعود فقط إلى حيث بدأنا.

وقالت: فجأة «هل ستطلق سراحي إذا نمت معك في السرير؟

وتوقفت عن الرسم ولم أستطع أن أرد عليها فقالت: «ما رأيك؟»

فقلت: «لم أكن أظن أنك من ذلك النوع من الفتيات».

فقالت: «إنني أحاول فقط العثور على الثمن الذي تريده أو معرفة الثمن أو السعر الخاص بك».

كما لو كان الأمر بمثابة غسالة كهربائية جديدة مما يجعلها تتساءل عن الحجج المؤيدة والحجج المعارضة لها.

فقلت لها: «أنت تعرفين ما أريد».

«ولكن ذلك هو بالضبط ما لا أريد».

«أنت تدركين جوانب الموقف تماما».

فقالت: «أوه. يا إلهي. استمع إليَّ، عليك بالإجابة بنعم أو لا على سؤالى هذا، هل تريد أن تذهب إلى الفراش معي؟».

فقلت: «ليس على النحو الذي نحن عليه الآن».

فقالت: «وما هو النحو الذي نحن عليه الآن؟».

فقلت: «لقد كنت أفترض أنك أكثر ذكاء مني».

فأخذت نفسا عميقاً، وكنت أستمتع بقيامي بكبح جماحها.

وقالت: «هل تشعر أنني أبحث فقط عن وسيلة تعينني على الهرب؟

وأن أي شيء أفعله هو من أجل تحقيق هذه الغاية؟ فهل هذا هو موقفي بالضبط؟».

فقلت: «نعم».

فقالت: «وإذا شعرت أنني أريد أن أنام معك لسبب آخر ما... لأنني أشعر بالميل نحوك والارتياح إليك... أو لمجرد أنني أرغب في اللهو والتسلية فهل سترحب عندئذ بالنوم معي؟».

فقلت لها: «باستطاعتي أن أشتري ما تتحدثين عنه في لندن في أي وقت».

وأسكتتها تلك العبارة فلاذت بالصمت لبعض الوقت وشرعت في الرسم مرة أخرى.

وبعد برهة قالت: «أنت لم تحضرنى إلى هنا لأنك تراني جذابة من الناحية الجنسية».

فقلت: «أنت من وجهة نظري جذابة للغاية من الناحية الجنسية».

فقلت: «أنت تشبه اللغز الصينى الذي يتعذر إيجاد الحل له» ثم استأنفت الرسم ولم تقل أي كلام بعد ذلك، وبعدئذ حاولت أن أتحدث معها مرة أخرى ولكنها قالت: إن كلامي سيتلف ذلك الوضع المعين الذي اتخذته أثناء قيامها برسم صورة لي.

وأنا أعرف ما سيظنه البعض فيما يتعلق بهذه النقطة، فهم قد يظنون أن سلوكي شاذ وغريب وغير مألوف، فأنا أدرك أن معظم الناس كانوا سيفكرون في انتهاز الفرصة حيث كانت هناك العديد من الفرص السانحة، ولقد كان باستطاعتي أن أستخدم السرير معها بحيث أفعل ما أريد ولكن لم أكن من ذلك النوع من الناس على الإطلاق، لقد كانت ميراندا تشبه يرقة فراشة يستلزم الأمر إطعامها وتغذيتها على مدى ثلاثة

أشهر ولكني أحاول إطعامها في خلال أيام قليلة، وكنت أدرك أن ذلك لن ينجم عنه أي خير لأنها كانت متسرعة للغاية، والناس في هذه الأيام يريدون دائماً الحصول على الأشياء وما يكادون يفكرون في شيء حتى يرغبون في الحصول عليه في أيديهم، ولكنني إنسان مختلف عنهم فأنا موضة قديمة، فأنا من النوع الذي يستمتع بالتفكير في المستقبل ويدع الأمور تأخذ مجراها بطريقة طبيعية في وقت كاف، ولقد اعتاد العم ديك أن يقول «يجب على المرء ألا يتسرع لدى إنجازه الأمور الضخمة».

والشيء الذي لم تفهمه ميراندا أبداً أن مسألة امتلاكي لها هو كل شيء بالنسبة لي يكفي مجرد امتلاكي لها، فأنا لست بحاجة لأن أفعل أي شيء معها، كل ما أريده هو الحصول عليها وأن تكون في حالة من الأمن والأمان في نهاية الأمر.

ومر يومان أو ثلاثة أيام، ولم تقل كلاماً كثيراً أبداً ولكن بعدئذ قالت: لي ذات يوم عقب تناولها طعام الغداء «يبدو أنني سأصبح سجينة مدى الحياة، أليس كذلك؟»

وبدا لي الأمر وكأنها تحدث نفسها فقط لذلك لم أرد عليها.

ثم تساءلت: «ألا يحسن بنا أن نبدأ في توطيد الصداقة بيننا مرة أخرى؟».

فقلت: «من ناحيتي أنا أرحب بذلك تماما».

فقالت: «أود أن آخذ حماما الليلة».

- «وهو كذلك».

وبعدئذ هل يمكن لنا أن نجلس سويا في الدور العلوي؟ مشكلتي مع هذه الغرفة السفلية، فأنا في مسيس الحاجة إلى التغيير والجلوس في مكان لكي لا أصاب بالجنون».

فقلت: «أدرك ذلك».

وقمت بالفعل بإشعال النيران وبتجهيز كل شيء، وحرصت على عدم وجود أي شيء يمكنها أن تلتقطه وتستخدمه في الهجوم على مرة أخرى فأنا لا أدعى أن ثقتى القديمة فيها قد عادت إليَّ.

وصعدت هي إلى الدور العلوي لتأخذ الحمام وسارت الأمور كالمعتاد. وعندما خرجت من الحمام قمت بربط يديها ولم أضع لها الكمامة ثم سرت وراءها وهي تهبط لآسفل ولاحظت أنها وضعت على جسدها كميات كبيرة من العطور الفرنسية وسرحت شعرها لأعلى بنفس التسريحة التي صنعتها من قبل وكانت ترتدي معطفا له لون قرمزى أبيض كنت قد اشتريته لها.

وطلبت مني أن أقدم لها بعض الشيرى الذي لم نستهلكه أبداً (كان لا يزال هناك نصف زجاجة من الشيرى) وصببت لها الشيرى ووقفت هي بجوار كتل الخشب المشتعلة وراحت تحملق لآسفل نحوها وأخذت ترفع قدميها العاريتين ـ الواحدة تلو الأخرى ـ لكي تدفئهما، ووقفنا هنالك نحتسى الشيرى سويا، ولم ننطق بأي كلام ولكنها نظرت إليَّ مرتين بنظرات غريبة كما لو أنها كانت تعرف شيئاً ما لا أعرفه أنا مما جعلنى متوترا بعض الشيء.

ثم تناولت كأسا أخرى من الشيرى وتجرعت الكمية بسرعة في خلال دقيقة ثم طلبت كأسا أخرى.

وقالت: لي «اجلس» فجلست على الأريكة حيث أشارت لي بالجلوس عليها، وراحت ترقبنى للحظات وأنا جالس هنالك على الأريكة، وبعدئذ وقفت أمامى على نحو غريب للغاية وأخذت تنظر لآسفل نحوي وقد راحت تتناقل بقدميها، وتقدمت نحوي في التواء

وألقت بنفسها جالسة فجأة على ركبتي فأصبت بالدهشة البالغة، وعلى نحو ما وضعت ذراعيها حو رأسي وبدأت تقبلني في فمي. ثم ألقت برأسها على كتفي.

وقالت: «لا تكن متخشبا إلى هذه الدرجة».

وكنت في حالة من الذهول الشديد. كان ذلك هو آخر شيء أتوقعه.

وقالت: «ضع ذراعك حولي» وأضافت: «هنالك. أليس ذلك لطيفا؟ هل أنا ثقيلة الوزن فوق ركبتيك؟» ثم استندت برأسها مرة أخرى على كتفي بينما كنت أضع يدي على خصرها، كان الدفء الشديد ينبعث من كل جسدها وكان العطر يغلفها من جميع الجهات وينبغي لي أن أقول إن معطفها المنزلي كان مفتوحا لمسافة منخفضة للغاية وملقى على جانب فوق الركبتين ولكنها لم تعبأ بذلك على ما يبدو وقامت بتمديد ساقيها على طول الأريكة.

قلت لها: «ما الذي تنوين عليه؟»

فقالت: «أنت متوتر للغاية، عليك فقط بالاسترخاء، لا شيء يدعوك للقلق»، وحاولت الاسترخاء واستقلت هي ساكنة، ولكنني أدركت أنه يوجد هناك شيء ما خاطئ في الموقف.

قالت: «لماذا لا تقوم بتقبيلي؟».

وعندئذ أدركت أن هناك شيئاً ما حقيقياً على وشك أن يحدث، ولم أعرف ماذا أفعل، وقمت بتقبيل الجزء العلوي من رأسها.

فقالت: «ليس على ذلك النحو».

فقلت: «إنني لا أرغب في ذلك».

فاعتدلت في جلستها وهي مازلت موجودة فوق ركبتى ونظرت إلى وقالت: «لا أرغب في ذلك؟».

فأشحت بوجهي، كان الأمر صعبا مع وجود يديها المربوطتين حول عنقى، ولم أعرف ماذا أقول لها لكي أوقفها.

وأضافت: «ولم لا؟» في سخرية واستهزاء.

فقلت: «لأنني قد أتمادى كثيراً».

فقالت: «وأنا أيضاً قد أتمادى».

وأدركت أنها كانت تستهزئ بي وتسخر مني مرة أخرى.

فقلت لها: «إنني أعرف الطبيعة التي أنا عليها» فقالت: «وما هي طبيعتك؟».

قلت: «طبيعتي ليست من النوع الذي يعجبك».

فقالت: «ألا تعرف أنه تجيء هناك أوقات يكون فيها كل رجل جذاباً؟ أتفهمني؟» وقامت بهز رأسها هزة خفيفة كما لو كانت تريد أن تقول لي أنني إنسان غبي.

فقلت: «لم أكن أعرف ذلك».

فقالت: «حسناً. إذن».

فقلت: «المسألة هي ما يمكن أن ينجم عن ذلك.

فقالت: «لا يهمنى ما قد ينجم عن ذلك» وأضافت:.

«أنت بطيء» وفجأة راحت تقبلنى مرة أخرى بل أنني شعرت بلسانها.

وتساءلت: «أليس هذا ظريفا؟».

فاضطررت لأن أقول لها: «بالطبع، نعم هذا ظريف». لم أكن أعرف هدفها الحقيقي من وراء تلك اللعبة فزاد ذلك من شعورى بالعصبية

والتوتر هذا علاوة على شعوري بالتوتر الشديد الناجم عن تقبيلها لي وعما كان يعتمل في ذهني فيما يتعلق بالأمور الأخرى.

فقالت: «أقبل إذن وجرب».

وقامت بجذب رأسي واضطررت لأن أقوم بتقبيلها وكان فمها ممتعا للغاية، ورقيقا وناعما للغاية.

كنت أدرك أنني ضعيف، وكان ينبغي لي أن أقول لها مباشرة «لا تكوني مقرفة». كنت ضعيفا للغاية، وبدا الأمر وكأنني كنت مسحوبا من أنفي ضد إرادتي الحرة.

ووضعت رأسها على مرة أخرى لكي لا أتمكن من مشاهدة وجهها.

وتساءلت: «هل أنا أول فتاة تقوم بتقبيلها في حياتك؟».

فقلت: «لا تكوني سخيفة».

وقالت: «عليك فقط بالاسترخاء، لا لا تكن عصبيا ولا تكن خجولا أو مرتبكا».

ثم استدارت وأخذت تقبلنى مرة أخرى وقد أغلقت عينيها، وهي بالطبع كانت قد تناولت ثلاث كؤوس من الشيرى، وما حدث بعدئذ كان مخجلاً للغاية إذ بدأت أشعر بالإثارة الشديدة وكنت أعرف دائماً (من شيء ما سمعت عنه في الجيش) إن الجنتلمان يسيطر على نفسه دائماً في اللحظة المناسبة ولذلك فإنني لم أكن أعرف ما ينبغي لي أن أفعله إزاء ميراندا. واعتقدت أنني قد أسيء إلى مشاعرها ولذلك حاولت أن أجلس معتدلا بعض الشيء عندما انتهت من تقبيلي ورفعت فمها عن فمي.

وتساءلت: «ماذا في الأمر من أخطاء؟ هل أنا أسبب لك آلاما؟».

فقلت: «نعم».

وعندئذ رفعت نفسها مبتعدة عن ركبتى ورفعت ذراعيها عن رأسي ولكنها ظلت جالسة عن كثب شديد مني للغاية.

وتساءلت: «ألن تقوم بفك قيود يدي؟».

فنهضت واقفا بعد أن أخجلتني بسؤالها هذا... وكان على أن أتجه إلى النافذة مدعيا أنني أفعل شيئاً ما في الستارة بينما كانت هي طوال الوقت ترقبنى من فوق ظهر الأريكة وهي راكعة عليها.

وقالت: «يا فرديناند، ماذا حدث؟ هل حدث خطأ ما؟».

فقلت: «لم تحدث أية أمور خاطئة».

فقالت: «لا يوجد هناك شيء يمكن الخوف منه».

«أنا لست خائفاً».

فقالت: «عليك إذن بالرجوع، وأطفئ الأنوار الكهربائية ولتكتف فقط بالأنوار المنبعثة عن النيران».

وفعلت ما أمرت به حيث قمت بإطفاء الأنوار الكهربائية، ولكنني ظللت واقفا عند النافذة. فقالت: في ملاحظة شديدة «تعال إليّ».

فقلت: «الموقف ليس سليما، فأنت تلجئين فقط إلى التظاهر والادعاء».

«أنا؟».

«وأنت تدركين أنك تتظاهرين».

فقالت: «ولماذا لا تجيء وتشاهد بنفسك؟»

فلم أتحرك مكاني، إذ كنت أدرك طوال الوقت أن الموقف ينطوي

على غلطة شنيعة، والشيء الذي فعلته ميراندا بعد ذلك هو أنها نهضت ووقفت بجوار النيران.

ولكنني لم أعد أشعر بالإثارة حيث شعرت بالبرودة والفتورة يسرى في كياني الداخلي، وتلك كانت هي المفاجأة.

قالت: «تعال واجلس هنا».

فقلت: «إنني على ما يرام هنا».

فجاءت إليَّ فجأة وأمسكت بيدي في يديها وجذبتني نحو النيران فسمحت لها بذلك، وعندما أصبحنا عند النيران مدت يديها لي ونظرت إليَّ نظرة معينة لذلك قمت بفك قيود يديها، وعلى الفور اقتربت مني وقبلتني مرة أخرى وكان عليها أن تقف على أطراف أصابع قدميها لكي تتمكن من تقبيلي.

وبعدئذ فعلت شيئاً ما مثيراً للذهول بالفعل، حتى إنني لم أصدق ما أشاهده بعنى، إذ اتخذت خطوة للوراء وراحت تفك أزرار معطفها المنزلي ولم تكن مرتدية أية ملابس أخرى تحت المعطف، كانت عارية تماماً، فلم ألقي عليها سوى نظرة واحدة سريعة، وكانت هي مكتفية بالوقوف هناك في ابتسام وفي حالة انتظار من أجل أن أقوم أنا بالخطوة التالية، ثم رفعت يديها لأعلى وبدأت تفك شعرها، لقد كانت تتعمد إثارتى بوقوفها هناك عارية تحت الظلال وتحت ضوء النيران، ولم أستطع أن أصدق ما أرى.

وكان الموقف رهيبا، وتسبب في شعورى بالغثيان والارتعاش، وتمنيت لو كنت موجودا في أبعد مكان في العالم، كان الأمر أسوأ مما كنت عليه مع المومس التي لم أشعر بالاحترام نحوها، ولكن مع ميراندا أدرك أنني لن أتمكن من الصمود أمام الخجل والعار.

وقفت هنالك، وكانت هي واقفة أمامي مباشرة حيث كانت تفك شعرها وتهز نفسها لكي ينساب شعرها، فتزايدت مشاعر الخجل والارتباك في داخلي، ثم اقتربت مني أكثر وبدأت تخلع لي معطفي ثم فكت رباط عنقى ثم راحت تفك أزرار قميصي الواحد تلو الآخر، كنت مثل المعجون بين يديها أو مثل شخص سلس ومنقاد تماماً وراء شخصيتها، وبعدئذ شرعت في خلع قميصي.

وظلت أفكارى تناشدها «توقفي عن هذا، كفي عن ذلك العمل الخاطئ» ولكنني كنت في غاية الضعف والاستسلام أمامها، وبعدئذ وجدت نفسي عاريا تماماً وكانت هي واقفة في مواجهتى وممسكة بي ولكنني كنت مشدودا ومتوترا للغاية فقد أصبحت إنساناً مختلفا وأصبحت هي إنسانة مختلفة، وأنا أعرف أنني لم أكن إنساناً طبيعياً وسويا عندئذ بحيث كنت لا أفعل الأمور المتوقعة وقامت هي بعمل بعض الأمور التي لم يخطر على بالى أنها كان يمكن أن تفعلها، وقامت بالاستلقاء إلى جواري على الأريكة وغير ذلك من أمور ولكني كنت ملتويا ومنسحبا إلى الداخل.

وجعلتني أبدو وكأنني إنسان عبيط وأبله تماماً. وأدركت ما كانت تفكر فيه، لقد كانت تفكر في أن هذا هو السبب الذي جعلنى دائماً أبدو محترما للغاية وأردت أن أفعل لها ذلك الأمر وأبين لها أنني باستطاعتي أن أفعل ذلك الأمر حتى يصبح بمقدورى أن أبرهن لها أنني كنت إنساناً محترما في حقيقة الأمر، أردت أن أجعلها تدرك بنفسها أنني أستطيع أن أفعل ذلك الأمر وبعدئذ أقول لها أنني لن أفعل ذلك الأمر لأنه أمر لا يليق بي ولا يليق بها لأنه أمر مثير للاشمئزاز.

واستلقينا معا لبعض الوقت في صمت وسكون، وشعرت أنها كانت تحتقرنى وكانت تنظر إليَّ على أنني إنسان غريب الشأن عجيب الخلقة.

وفي النهاية نهضت عن الأريكة وركعت إلى جواري وأخذت تمر بيدها في رفق على رأسي.

ثم قالت: «هذا يحدث مع عدد كبير من الرجال، فلا تقلق من هذه الناحية» ولدى سماعها وهي تقول لي تلك العبارة اعتقدت أن لها خبرة واسعة في هذا الشأن.

ورجعت إلى جوار النيران وارتدت ثوبها النسائي الطويل وجلست هنالك وراحت ترقبنى، فقمت بارتداء ملابسى، وقلت لها أنني كنت أدرك أنني لا يمكن لي أن أفعل ذلك معها، وحكيت لها قصة طويلة ملفقة غير حقيقة بهدف أن أجعلها تشعر بالعطف على وكانت القصة مليئة بالأكاذيب ولا أدرى ما إذا كانت قد صدقت تلك القصة التي تتلخص في أنني أشعر بالرغبة في ممارسة الحب ولكنني لا أستطيع ممارسته على الإطلاق، وأن ذلك هو السبب الذي جعلنى أضطر للاحتفاظ بها.

فتساءلت: «ولكن ألا تشعر بالسرور على الإطلاق إذا قمت بوضع يدك على بشرتي؟ ولقد بدا عليك أنك تحب تقبيلي».

فقلت: «لقد شعرت بعدم الارتياح عندما تجاوزت الأمور مرحلة التقبيل».

فقالت: «ما كان ينبغي لي أن أسبب لك مثل هذه الصدمة».

فقلت: «الغلطة ليس غلطتك أنت، فأنا لست مثل باقى الناس الآخرين، ولا أحد يفهم ذلك».

قالت: «لقد فهمت ذلك».

وقلت «إنني أرى ذلك في أحلامى، ولا يمكن لذلك أبداً أن يصبح واقعيا وحقيقيا».

فقالت: «مثل تنتالوس Tantalus» وشرحت لي شخصية تنتالوس.

وظلت ملتزمة بالهدوء لبعض الوقت، وشعرت بالرغبة في أن أضع لها الكمامة واصطحبها للهبوط بها إلى الغرفة السفلية ثم أتركها في داخل تلك الغرفة حيث كنت أرغب في أن أكون بمفردي تماماً.

وتساءلت: «وما هو تخصص ذلك الطبيب الذي قال لك إنك لن تتمكن أبداً من القيام بذلك العمل؟»

(وكانت تلك هي الأكاذيب التي قلتها لها، فأنا لم أعرض نفسي على طبيب من قبل على الإطلاق).

فقلت: «إنه مجرد طبيب».

فتساءلت: «هل هو طبيب نفساني؟»

فقلت: «إنه طبيب نفساني. في الجيش».

فقالت: «وما نوع الأحلام التي كانت تتعلق بي؟»

ـ «جميع أنواع الأحلام».

ـ «ألا يكون بينها أحلام جنسية؟»

وكانت على استعداد للاستمرار في المناقشة على ذلك النحو، لم تكن ترغب في أن تتركني وشأني.

وقلت لها: «كنت أحلم بأنني أمسك بك، وذلك هو كل ما في الأمر وكنا ننام جنبا إلى جنب بينما الرياح والأمطار تهب وتهطل بالخارج أو شيء من هذا القبيل».

فقالت: «أتحب أن تجرب ذلك الآن؟»

فقلت: «لا فائدة من وراء ذلك».

قالت: «سأفعل ذلك معك إذا كنت ترغب».

فقلت: «إنني لا أرغب في أن تفعلى ذلك» ثم أضفت «وياليتك لم تبدئي في ذلك أبداً» فالتزمت بالصمت، وبدأ الصمت ثقيلا وممتدا على مدى عهود وعصور.

ثم تساءلت: «ما هو السبب الذي دعاني لأن أفعل ذلك؟ هل لمجرد أن ألوذ بالفرار؟».

فقلت: «أنت لم تفعلى ذلك بدافع من الحب».

فنهضت واقفة وقالت: «هل لي أن أقول لك؟» وأضافت: «يجب عليك أن تدرك أنني قد ضحيت بكل مبادئي في هذه الليلة، أوه، نعم، لقد فعلت ذلك من أجل أن أتمكن من الهرب، فأنا كنت أفكر في الهرب، ولكنني أرغب بالفعل في تقديم يد العون والمساعدة لك، ويجب عليك أن تؤمن بصحة ذلك وكنت أحاول أن أبين لك أن الجنس.. الجنس هو مجرد نشاط مثل باقى الأنشطة الأخرى، فالجنس لا يتسم بالقذارة، إنه ليس سوى شخصين يقومان باللعب بجسد بعضهما البعض، مثل الرقص. مثل أي لعبة رياضية» وبدا عليها أنها تتوقع مني أن أقول أي كلام كتعليق على كلامها ولكنني التزمت بالصمت لكي أتيح لها المجال لمواصلة الكلام. فاستطردت:

«إنني أفعل شيئاً ما من أجلك وهو أمر لم أفعله مع أي رجل آخر في حياتي على الإطلاق، و... حسناً... وأظن أنك مدين لي بشيء ما.

وأدركت اللعبة التي تريد أن تلعبها بالطبع لقد كانت تتسم بالمكر والدهاء الشديد حيث كانت تغلف ما تقصده من معاني في مجموعة من الكلمات. كانت تريد أن تجعلنى أشعر أنني مدين لها بالفعل بشيء ما.

وقالت: «لو سمحت قل أي شيء».

فقلت: «ماذا أقول؟».

قالت: «قل إنك تفهم بالفعل ما قلته لك تواً».

فقلت: «إنني أفهم ما قلته لي».

فقالت: «أذلك هو كل ما في الأمر؟».

فقلت: «إنني لا أشعر بالرغبة في التكلم».

فقالت: «كان بإمكانك أن تخبرنى بذلك، وكان بمقدورك أن توقفنى منذ البداية».

فقلت: «لقد حاولت ذلك».

وركعت أمام النيران.

ثم قالت: «الموقف غريب. فنحن متباعدان أكثر من ذى قبل».

فقلت: «لقد كنت تكرهينني من قبل، وأعتقد أنك الآن تحتقرينني أيضاً بالإضافة إلى كراهيتك لي».

فقالت: «إنني أشفق عليك، وأرثي لحالك بسبب ما أنت عليه وأرثي لحالك بسبب عدم إدراكك لما أنا عليه.

فقلت: «إنني أدرك ما أنت عليه، لا تعتقدى أنني لا أستطيع أن أفهمك».

وظهرت الحدة في صوتي حيث كنت أعاني بما فيه الكفاية، وراحت تنظر حولها بسرعة ثم انحنت لآسفل وقد غطت وجهها بيديها، وأظن أنها كانت تتظاهر بالبكاء، ولكنها قالت أخيراً بصوت هادئ تماماً: «اصطحبنى إلى الغرفة السفلية لو سمحت».

لذلك ذهبنا لآسفل، واستدارت إليّ عندما أصبحت في داخل الغرفة السفلية وكنت أنا على وشك الانصراف بعد أن قمت بفك قيود يديها.

وقالت: «لقد كنا عاريين تماماً أمام بعضنا البعض، ولذلك لا يمكن لنا أن نتباعد أكثر عن بعضنا البعض».

وأصبحت كالمجنون عندما خرجت من الغرفة السفلية، ولا أستطيع أن أشرح الأمر، إذ لم أتمكن من النوم طوال الليل، حيث ظل المشهد يعود إلى ذهني، أنا واقف أو مستلق هنالك بدون ارتداء أية ملابس والأسلوب الذي تصرفت به وما اعتقدته في بالتأكيد، بل وكان بمقدوري مشاهدتها وهي تضحك على أثناء جلوسها هنالك في غرفتها السفلية، وظلت هذه المشاهد تطاردني في كل وقت وخيل إليَّ أن جسدي كله قد احتقن بالدماء الحمراء، ولم أرد لليل أن ينتهي كنت أرغب في أن يسود الظلام أرجاء الدنيا للأبد.

وظللت أتجول في الدور العلوي لساعات، وفي النهاية آخرجت السيارة الفان وانطلقت بها بسرعة كبيرة في اتجاه البحر ولم أهتم بما حدث.

كان بمقدوري أن أفعل أي شيء، كان باستطاعتي أن أقتلها، وكل ما فعلته بعد ذلك كان بسبب تلك الليلة.

لقد بدت وكأنها غبية، وهي لم تكن بالطبع غبية في حقيقة الأمر، كل ما هنالك أنها لم تدرك كيف يمكن لها أن تحبنى بالأسلوب السليم، وكانت توجد هناك العديد من الوسائل والطرائق التي يمكن لها استخدامها لكي تدخل السرور على.

كانت ميراندا مثل باقى النساء في العالم، حيث لم يشغل بالها في الحياة سوى شيء واجد فقط.

لم أشعر نحوها بالاحترام بعد ذلك على الإطلاق. وهذا الذي فعلته

معي قد أثار غضبي لأيام عديدة، لأنني كان بمقدوري أن أفعل ذلك الأمر.

واعتدت أن أنظر إلى الصور الفوتوغرافية الخاصة بها في بعض الأحيان، وكنت أتأمل تلك الصور في مهل، ولكنها صور لا تتجاذب معي أطراف الحديث ولا ترد على كلامي.

وذلك هو ما لم تعرفه على الإطلاق.

ذهبت إلى الغرفة السفلية في صباح اليوم التالي وبدأ الأمر وكأن ذلك العرى لم يحدث بيننا على الإطلاق، فهي لم تتحدث بكلمة واحدة عن ذلك الموضوع، ونفس الشيء بالنسبة لي، وأحضرت لها طعام الإفطار الخاص بها وقالت: لي إنها لا تريد مني أن أشتري لها أي شيء من لويس، ثم خرجت إلى السرداب للتريض بعض الشيء وبعدئذ رجعت إلى مكانها فأغلقت عليها الباب وانطلقت، ثم رحت في نوم عميق.

وكان ذلك المساء مختلفاً.

قالت: «أود التحدث معك».

فقلت: «نعم».

فقالت: «لقد جربت معك كل شيء، ولا يتبقى أمامى الآن سوى شيء واحد أجربه معك، وهو أن أبدأ في الصوم والإضراب عن الطعام مرة أخرى فأنا لن أبدأ في تناول الطعام إلا بعد أن تطلق سراحي».

فقلت: «أشكرك على هذا الإنذار».

فقالت: «اللهم إلا إذا.....».

فقلت: «أوه. إذن فهناك استثناء».

فأضافت: «اللهم إلا إذا توصلنا إلى اتفاق».

وبدأ عليها وكأنها تنتظر الرد مني. فقلت لها: «إنني لم أسمع كلامك بعد».

فقالت: «إنني مستعدة لأن أوافق على ألا تطلق سراحي على الفور. ولكنني لست على استعداد للبقاء في هذه الغرفة السفلية بعد هذا اليوم. أريد أن أكون سجينة بالدور العلوي، فأنا بحاجة إلى ضوء النهار وبعض الهواء الطلق».

فقلت: «على ذلك النحو».

فقالت: «على ذلك النحو».

فقلت: «اعتباراً من هذا المساء على ما اعتقد؟»

فقالت: «في أقرب وقت ممكن».

فقلت: «إنني أفترض أن لديَّ نجارا في هذا المنزل ولديَّ مهندسى الديكور وكافة الأمور اللازمة».

فتنهدت عندئذ، وبدأت تتلقى الرسالة، فقالت: «لا تكن على ذلك النحو لا تكن على هذا الشكل لو سمحت، وألقت عليَّ نظرة غريبة وأضافت: «كل هذه السخرية اللاذعة، أنني لم أهدف إلى إيذاء مشاعرك».

ولم يحدث كلامها أي تأثير علي لأنها كانت قد قتلت في داخلي كل الرومانسيات وجعلت نفسها مثل باقى النساء الآخريات فلم أعد أشعر بالاحترام نحوها على الإطلاق، لم يكن هناك شيء ما تبقى يدعوني لأن أحترمها، وأدركت أنها رجعت إلى عادتها القديمة، وأدركت أنها إذا خرجت من غرفتها السفلية فإنها ستصبح في حكم من أطلق سراحه، بمعنى أنها ستتمكن من الهرب بالفعل إذا سمحت لها بالإقامة في الدور العلوي.

ولكنني في نفس الوقت لم أرغب في لجوئها إلى الامتناع عن الطعام مرة أخرى، لذلك كان من الأفضل بالنسبة لي أن ألعب لكي أكسب بعض الوقت.

قلت: «كيف يمكن لي أن أفعل ذلك سرعة كبيرة؟».

قالت: «يمكن لك أن تحتفظ بي في إحدى غرف النوم العلوية، ويمكن وضع كافة الحواجز على تلك الغرفة، وبحيث أنام في تلك الغرفة، وبعدئذ يمكن لك أن تربط يدي وتضع الكمامة في فمي وتدعنى أجلس في بعض الأحيان بالقرب من نافذة مفتوحة، وذلك هو كل ما أريده منك».

فقلت: «وذلك هو كل ما تريدينه، وماذا سيقول الناس عندما يشاهدون النوافذ مغلقة بالألواح الخشبية والقضبان في جميع أرجاء هذا المنزل؟».

فقالت: «إنني أفضل الامتناع عن الطعام حتى الموت على أن أبقى في هذه الغرفة السفلية، اربطني في سلاسل بالدور العلوي، افعل أي إجراء معي ولكن دعنى أحصل على قدر من الهواء الطلق وضوء النهار وأشعة الشمس».

فقلت: «سأفكر في ذلك الأمر».

فقالت: «لا، فكر الآن».

فقلت: «أنت تنسين من هو سيد الموقف».

فقالت: «الآن».

فقلت: «لا يمكن أن أحدد موقفي الآن، فالأمر يحتاج لقدر من التفكير».

فقالت: «حسناً، قل لي رأيك في صباح الغد. إما أن تقول لي إنه يمكنني الإقامة بالدور العلوي وإلا فسوف أمتنع عن تناول أي طعام، وذلك سيكون بمثابة ارتكابك لجريمة اغتيال»، وبدأ وجهها متوحشا وكريها فاكتفيت بالاستدارة والانصراف.

ورحت أفكر في ذلك الأمر طوال الليل، كنت أدرك أنه ينبغي لي الحصول على المزيد من الوقت وأنه ينبغي لي أن أتظاهر بأنني سأسمح لها بالإقامة بالدور العلوي، وأقوم بالروتين المطلوب كما يقولون.

والشيء الآخر الذي فكرت فيه هو شيء ما يمكنني أن أفعله إذا اقتضت الظروف وإذا لم يكن هناك أي مفر.

وفي صباح اليوم التالي نزلت إليها إلى الغرفة السفلية، وقلت لها أنني قد فكرت في الأمر ملياً وأنني قد أدركت جوانب وجهة نظرها وبحثت في الأمر جيدا ـ وأنه يمكن لي القيام بتحويل إحدى الغرف بحيث تصلح لها ولكن ذلك من شأنه أن يستغرق أسبوع، وتصورت أنها ستبدأ في اللجوء إلى الصمت والأشياء ولكنها وافقت على رأيي تماماً.

ثم قالت: «ولكن إذا كان هذا هو مجرد تسويف فإنني سألجأ إلى الصيام والإضراب عن الطعام. هل تدرك ذلك؟».

فقلت: «سأبدأ بعمل التجهيزات بتلك الغرفة غداً ولكن الغرفة ستكون بحاجة لكمية من الأخشاب والحواجز الخصوصية، وسأحتاج ليوم أو يومين من أجل الحصول على الأخشاب والحواجز الحديدية».

فرمقتني بإحدى نظراتها القديمة الفاحصة، ولكنني اكتفيت بالإمساك بالجردل الخاص بها.

وبعدئذ سارت الأمور بيننا بطريقة سلسلة فيما عدا أنني أتظاهر طوال الوقت، ولم نكن نتبادل كلاماً كثيراً مع بعض ولكنها لم تكن عنيفة

معي. وذات ليلة كانت تريد أن تأخذ حماما وأرادت أن تشاهد الغرفة وما قمت به من إجراءات في تلك الغرفة، ولقد كنت أتوقع منها أن تطلب مشاهدة الغرفة ولذلك فإنني كنت قد أحضرت بعض الأخشاب وجعلت المنظر يوحي بأنني بصدد القيام بأعمال جدية في النافذة (وكانت غرفة نوم خلفية)، وقالت لي: إنها تريد مني أن أحضر لها أحد هذه الكراسي الوندسور القديمة وأضعه في الغرفة التي أقوم بتجهيزها. (رجعت إلى عادتها القديمة من حيث قيامها بطلب أشياء مني) فأحضرت لها ذلك الكرسي في اليوم التالي وحملته بالفعل إلى الغرفة السفلية لكي تراه بنفسها. فلم ترغب في الاحتفاظ به في الغرفة السفلية وأبدت رغبتها في أن أرجع به إلى الدور العلوي، وأوضحت لي أنها لا ترغب في نلق أي أثاث من الغرفة السفلية إلى الغرفة العلوية، وأصبحت الأمور سلسة للغاية فهي بعد أن شاهدت الغرفة العلوية وشاهدت ثقوب مسامير القلاووظ بدأ عليها أنها تعتقد بالفعل أنني سأكون رحيما بها على نحو يسمح بالموافقة على صعودها إلى الغرفة العلوية.

وكانت الخطة تقضي بأن أنزل إليها إلى الغرفة السفلية وأصطحبها إلى أعلى وبحيث نتناول طعام العشاء بالدور العلوي وبعدئذ ستتمكن من قضاء أول ليلة لها بالدور العلوي مما يمكنها من مشاهدة ضوء النهار في الفترات الصباحية.

وسيطرت عليها البهجة الشديدة في بعض الأحيان، واضطررت لأن أضحك، ولكني كنت عصبيا أيضاً عندما جاء اليوم الموعود.

وأول شيء قالته لي عندما نزلت إليها بالغرفة السفلية في الساعة السادسة هو أنها قد أصيبت بالزكام بعد أن انتقلت العدوى مني إليها وهو نفس الزكام الذي أصبت به عند الحلاق في مدينة لويس.

وكانت هي على ما يرام كما كانت متسلطة ومتحكمة، وكانت تضحك في سرها في نوع من الشماتة في، ولكنها هي التي ستقع في الفخ أو المقلب الذي أعدته لها.

وقالت: «هذه هي الأشياء الخاصة بي والتي سأحتاجها في هذه الليلة ويمكن لك أن تحضر لي باقي الأشياء غداً، هل الغرفة جاهزة؟ وكانت قد وجهت ذلك التساؤل في فترة الغداء فقلت لها: «نعم».

فقالت: «إذن هيا بنا أينبغي أن يتم ربط يدي؟».

فقلت: «يوجد هنالك شيء واحد فقط. أقصد يوجد شرط واحد».

فقالت: «شرط؟» وقد تهدل وجهها، فقد أدركت الموقف على الفور.

قلت «لقد ظللت أفكر في ذلك الأمر».

فقالت: بينما الشرر يتطاير من عينيها «نعم؟».

قلت «أود أن ألتقط بعض الصور الفوتوغرافية» قالت: «تلتقط صورا لي؟ لقد قمت بالتقاط كميات كبيرة من الصور بالفعل».

فقلت: «لا. أقصد أنني لم ألتقط تلك النوعية من الصور التي أريدها».

فقالت: «إنني لا أفهم ما تهدف إليه» ولكني كنت أدرك أنها قد فهمت ما أرمى إليه.

فقلت لها: «أريد أن ألتقط صوراً لك على النحو الذي كنت عليه في ذلك المساء».

فجلست على حافة سريرها وقالت: «افعل كما يحلو لك».

فقلت: «وينبغي أن تظهري أنك تستمتعين بتصويرى للأوضاع

المختلفة التي ستقومين بها، ويجب أن تتخذى الأوضاع التي آمرك باتخاذها».

فاكتفت بالجلوس هنالك بدون أن تنطق بكلمة واحدة، وظننت أنها ستموج بالغضب على الأقل. ولكنها اكتفت بالجلوس هناك وراحت تمسح أنفها.

وتساءلت: «وإذا فعلت ذلك؟».

فقلت: سأحافظ على الجانب الخاص بي في الاتفاق «لأنني أريد أن أحمى نفسي من المسئولية، فأنا أريد أن التقط لك صوراً فوتوغرافية تجعلك تشعرين بالخجل من نفسك إذا شاهدها أي شخص آخر».

فقالت: «تعنى أنه ينبغي لي أن أتخذ أوضاعا منافية للآداب العامة وفاحشة بحيث إذا هربت منك فإنني لن أجرؤ على إبلاغ الشرطة عنك».

فقلت: «تلك هي الفكرة على وجه الدقة، ولا أريد لقطات بذيئة وفاحشة وإنما أريد لقطات لا ترغبين في طبعها ونشرها، أريد مجرد لقطات فوتوغرافية فنية».

- «لا»

- «إنني أطلب منك فقط أن تفعلى ما أقدمت عليه في ذلك اليوم، علما أنك قد فعلت ذلك منذ أيام بدون أن أطلب منك أن تفعلى ما فعلته».

فقالت: «لا. لا. لا».

فقلت: «إنني أدرك اللعبة التي تريدين أن تلعبيها».

فقالت: «ما فعلته في ذلك اليوم كان عملاً خاطئاً، ولقد أقدمت على ذلك العمل بدافع من اليأس والقنوط حيث لا يوجد شيء بيننا سوى

الوضاعة والحقارة والشكوك والكراهية، أما ما تطلبه مني الآن فهو شيء مختلف، إنه شيء كريه وشرير».

فقلت: «إنني لا أجد أي فارق».

فنهضت واقفة واتجهت إلى حائط النهاية».

وقلت: «لقد فعلت ذلك مرة، وباستطاعتك أن تفعلى ذلك مرة أخرى».

فقالت: «يا إلهي، الأمر شبيه بمستشفي المجانين». وراحت تنظر فيما حولها في جميع الاتجاهات كما لو كنت أنا غير موجود هناك وكما لو كان هناك شخص ما آخر يصغى ويستمع لها أو كأنها بصدد القيام بتحطيم الحوائط حولها.

فقلت لها: «إما أن ترضخى لرغبتى بالتقاط صور لك أو لن تخرجى من هنا على الإطلاق، ولن أسمح لك بالتريض والخروج إلى هناك، ولن أسمح لك بأخذ حمامات، ولا أي شيء آخر». وأضفت قائلاً: «أنت لا يوجد في ذهنك سوى فكرة واحدة ألا وهي الهرب مني واستغفالى وإبلاغ الشرطة لكي يقوموا بإلقاء القبض على».

واستطردت قائلاً: «وأنت لست أفضل من أي مومس أو عاهرة، ولقد اعتدت أن أحترمك لأنني كنت أتصور أنك تترفعين عن الأعمال التي فعلتهما كنت أتخيل أنك لست مثل الفتيات الآخريات، ولكنني اكتشفت أنك مثل الآخريات تماماً، فأنت على استعداد لأن تفعلى أي شيء مثير للقرف والاشمئزاز من أجل الوصول إلى ما تريدين».

فصرخت: «آخرس، توقف عن ذلك الكلام».

وقلت: باستطاعتي الحصول على الكثير من الفتيات الأكثر منك خبرة في لندن، في أي وقت وأفعل معهن ما أريد كما يحلو لي».

فقالت: «أنت إنسان مقرف وبذيء ومتخلف عقليا وابن زنا».

فقلت لها: «هات ما عندك، استعرى، فتلك هي اللغة الخاصة بك».

فقالت: «أنت تحطم كل القوانين والمبادئ الإنسانية المحترمة وكل العلاقات الإنسانية اللائقة، وكل الأمور اللطيفة التي حدثت منذ أقدم العصور بين جنس الرجال وجنس النساء».

فقلت: «لقد سبق أن خلعت ملابسك وطلبت مني أن أفعل معك ذلك الأمر».

ـ «اغرب عن وجهي، آخرج من هنا» وقالت تلك العبارة في صرخة حقيقية.

فقلت لها: «ردى على بـ: نعم أم لا» فاستدارت والتقطت زجاجة حبر كانت موجودة فوق منضدتها وألقت بها نحوي.

وعندئذ خرجت على الفور وأغلقت الباب بالمزلاج، ولم أحضر لها أي طعام للعشاء وجعلتها تتحمل نتائج تصرفاتها وتقاسي مما جنت يداها وتناولت الدواجن التي كنت قد اشتريتها كما تناولت قدرا من الشمبانيا وسكبت باقى الزجاجة في الحوض.

وشعرت بموجة من السعادة تغمرنى فقد أدركت أنني كنت إنساناً ضعيفا من قبل ولكنني أصبحت قادرا على الانتقام من الأقوال والأفعال التي أقدمت عليها وتجولت في الدور العلوي وذهبت وألقيت نظرة على غرفتها... مما جعلنى أضحك من كل أعماقى عندما فكرت في وجودها بالغرفة السفلية هنالك فهي الإنسانة التي ستظل مقيمة وباقية في المكان السفلي بكل المعآني وحتى لو لم تكن هي تستحق ذلك. وكانت لديَّ أسباب حقيقية تدعوني لأن ألقنها درسا لن تنساه.

وكان عليَّ أن أذهب للنوم في نهاية الأمر، ونظرت إلى الصور

الفوتوغرافية السابقة وإلى بعض الكتب وهبطت عليَّ بعض الأفكار، وكان هناك أحد هذه الكتب الذي يسمى «الأحذية» والذي يتضمن صورا رائعة لفتيات مع التركيز أساسا على سيقانهن المرتدية أنواعا مختلفة من الأحذية وبعض الصور كانت تعرض فقط الأحذية والأحزمة وكانت كلها صورا فنية وغير عادية.

وعندما نزلت إليها بالغرفة السفلية في الصباح طرقت على بابها وانتظرت كالمعتاد قبل الدخول إلى غرفتها ولكنني عندما دخلت أصبت بالدهشة البالغة لأنها قد نامت وهي مرتدية كل ملابسها تحت قمة البطانية وبدأ عليها للحظات وكأنها لا تعرف المكان الذي توجد فيه بل ولا تعرف من أكون أنا، فاكتفيت بالوقوف هناك منتظرا منها أن تنفجر في وجهي بالسباب والشتائم ولكنها جلست فقط على حافة السرير ووضعت يديها على ركبتيها ووضعت رأسها بين يديها كما لو أن الأمر كله كان بمثابة كابوس بحيث لم تستطع تحمل الاستيقاظ.

وتعرضت لنوبة من الكحة. وكانت الكحة صادرة عن الصدر بعض الشيء، وبدا عليها وكأنها تتعرض لاضطراب وتشويش حقيقي.

لذلك قررت ألا أقول لها أي كلام وخرجت وقمت بإحضار طعام الإفطار الخاص بها وقامت باحتساء القهوة عندما أحضرت الطعام كما تناولت وجبة الإفطار المعدة من الحبوب، وأدركت أنها تخلت عن فكرة الإضراب عن الطعام. وبعدئذ رجعت إلى نفس وضعها السابق حيث وضعت رأسها بين ذراعيها، وأدركت اللعبة التي تقوم بها فهي تحاول انتزاع شعورى بالشفقة عليها، وكانت تبدو منسحقة بالفعل ولكني اعتقدت أنها لجأت إلى ذلك الوضع لكي تجعلنى آخر ساجدا

أمامها وأطلب منها العفو عني والعرفان لي أو تجعلنى أفعل أي شيء سخيف من هذا القبيل.

تساءلت: «أتريدين عقار الكولدريكس Coldrex الذي يعالج نزلات البرد؟» وكنت أدرك أنها أصيبت بنزلة برد بالفعل.

فأومأت برأسها التي كانت لا تزال بين يديها لذلك ذهبت وأحضرت لها دواء الكولدريكس وعندما رجعت إليها لم تكن هي قد غيرت من وضعها وكان بمقدور المرء أن يدرك أنها كانت تبالغ في التمثيل وكانت عابسة ومتجهة لذلك قلت لنفسي: «حسناً. دعها تعبس وتتجهم وتظهر استياءها من خلال الصمت وما على إلا أن ألوذ بالانتظار والترقب» وسألتها عما إذا كانت تريد أي شيء فهزت رأسها بالنفي لذلك تركتها وغادرت الغرفة.

وفي وقت تناول طعام الغداء كانت في سريرها عندما نزلت إليها واكتفت بالنظر عبر أغطية وملايات السرير نحوي وقالت: إنها لا تريد سوى الحساء والشاي فأحضرتهما لها وغادرت الغرفة وحدث نفس الموقف تقريبا في وقت تناول العشاء، وطلبت مني أن أحضر لها أسبرين، ولم تأكل سوى قدر ضئيل للغاية من الطعام، ولكن تلك كانت هي نفس اللعبة التي لعبتها على من قبل، ولم تتبادل أكثر من عشرين كلمة طوال ذلك اليوم.

وتكرر نفس المشهد في اليوم التالي حيث كانت موجودة في السرير عندما جئت إليها، وكانت مستيقظة بالفعل لأنها كانت ترقبنى وهي مستلقية.

تساءلت: «أأنت على ما يرام؟» فلم ترد على واكتفت بالاستلقاء هنالك.

فقلت: «إذا كنت تظنين أنك ستخدعينني بالاستلقاء هكذا في السرير فإنك تكونين مخطئة».

فدفعها عبارتى تلك إلى أن تفتح فمها حيث قالت: «أنت لست إنساناً أنت مجرد دودة صغيرة حقيرة تزاول العادة السرية».

فتصرفت وكأنني لم أسمع عباراتها واكتفيت بالخروج وإحضار طعام الإفطار لها، وعندما ذهبت لأحضر لها قهوتها قالت: «لا تقترب مني!» وكان السم الحقيقي والكره الشديد يقطر من صوتها.

فقلت لها في سخرية مازحة: «ولنفرض أنني تركتك هنا وانصرفت للأبد، فما الذي ستفعلينه عندئذ؟»

قالت: «أتمنى لو كانت لديَّ القوة التي تعينني على أن أقتلك، فأنا لديَّ الرغبة في أن أقتلك مثلما أقتل عقربا، ولسوف أقتلك بكل تأكيد عندما تتحسن صحتى، ولن ألجأ إلى الشرطة على الإطلاق، فالسجن يعتبر عقوبة بسيطة للغاية بالمقارنة بما أقدمت عليه، سأجيء إليك وأقتلك».

وأدركت أنها كانت غاضبة للغاية لأن حيلتها وخدعتها لم تنطل عليّ فأنا شخصيا قد أصبت بنفس نزلة البرد هذه ولم تكن التجربة قاسية إلى هذه الدرجة التي تتظاهر بها.

قلت لها: «أنت تتكلمين كثيراً للغاية، وأنت تنسين من هو السيد في هذا المكان، ويمكن لي أن أنسى أنك موجودة في هذه الغرفة السفلية، ولن يعرف أحد أي شيء عنك».

فاكتفت بإغلاق عينيها لدى سماعها كلامي هذا وبعدئذ تركتها وذهبت إلى مدينة لويس وأحضرت الطعام، وفي الغداء بدأ عليها وكأنها

مستغرقة في النوم عندما قلت لها: «الغذاء جاهز» ولكنها تحركت بعض الشيء؛ لذلك غادرت غرفتها.

وفي وقت العشاء كانت لا تزال في سريرها ولكنها كانت جالسة وكانت تقرأ أحد كتب شكسبير التي أحضرتها لها.

وسألتها في نوع من السخرية اللاذعة بالطبع عما إذا كانت صحتها قد تحسنت.

فاستمرت في القراءة ولم ترد عليَّ، وخطر على ذهني أن أنتزع منها الكتاب لكي ألقنها درساً ولكنني تحكمت في مشاعرى، وبعد نصف ساعة وعقب تناول طعام العشاء الخاص بي رجعت إليها مرة أخرى واكتشفت أنها لم تأكل طعامها فقلت لها: «لماذا لم تأكلي الطعام؟» فقالت: «إنني أشعر بالمرض وأعتقد أنني أصبت بالأنفلونزا».

ولكنها كانت سخيفة للغاية عندما تساءلت بعد ذلك قائلة: «وما الذي ستفعله إذا احتجت إلى طبيب؟»

فقلت: «فلننظر ونرى ما تسفر عنه الأمور»

فقالت: «إنني أشعر بالآلام في صدرى عندما أتعرض لنوبة من الكحة».

فقلت: «إنها فقط نزلة برد وزكام»

فصرخت في وجهي: «إنها ليست نزلة برد»

فقلت: «إنها بالطبع نزلة برد، وكفي عن التظاهر والتمثيل، فأنا أعرف اللعبة التي تلعبينها».

- «إنني لا أتظاهر ولا أمثل عليك».

فقلت: «أنت لم تمثلي أبداً في حياتك، بالطبع أنت لم تمثلي على الإطلاق».

فقالت: «أوه، يا إلهي! أنت لست رجلاً لو كنت فقط تتسم بالشهامة والرجولة» فقلت: «قولي ذلك مرة أخرى».

وكنت قد تناولت المزيد من الشمبانيا أثناء تناولي طعام العشاء حيث كنت قد اشتريت مجموعة من زجاجات الشمبانيا الصغيرة من أحد الدكاكين في لويس لذلك لم أكن في حالة تسمح لي بتحمل سخافاتها.

وقالت: «لقد قلت إنك لست رجلا ولست شهماً».

فقلت لها: «وهو كذلك. اتركي السرير، هيا غادرى السرير، ابتداء من الآن فصاعدا سأصدر لك الأوامر».

وكنت قد ضقت ذرعاً بها ومن المؤكد أن معظم الرجال كانوا سيضيقون ذرعاً بها منذ فترة طويلة سابقة، واتجهت إليها ونزعت عنها الملايات وأغطية السرير وأمسكت بذراعها لكي أرغمها على الوقوف وبدأت هي في مقابلتى ونشبت أظافرها في وجهي.

فقلت: «وهو كذلك، سألقنك درساً».

وكانت الحبال والقيود موجودة في جيبي. وبعد مقاومة بسيطة تمكنت من ربط يديها بالحبال ثم وضعت الكمامة على فمها، وإذا كانت الأربطة قد ربطت بشدة حول يديها فإن الغلطة هي غلطتها ثم ربطتها في السرير وذهبت لإحضار الكاميرا ومعدات الفلاش، وراحت تقاوم بالطبع وتهز رأسها ونظرت إلى شذرا بعينها كما يقولون بل وحاولت استرضائي واستمالتي ولكنني ظللت على عنادى. ونزعت عنها ملابسها ولم تمتثل لأوارى في بادئ الأمر ولكنها في نهاية الأمر رضخت وأخذت تستلقى وتقف وفقا للأوامر التي أصدرها لها (وكنت أرفض التقاط الصورة في

حالة عدم تعاونها معي) ولذلك حصلت على اللقطات الفوتوغرافية التي أريدها منها. ورحت ألتقط لها الأوضاع المختلفة إلى أن نفدت كل اللمبات الكهربائية التي لديَّ.

ولم تكن الغلطة هي غلطتى، إذ كيف كان لي أن أعرف أنها كانت بالفعل أكثر مرضا مما بدت عليه، كان منظرها يوحي بأنها مصابة بنزلة برد فقط.

وقمت بتحميض وطبع الصور في تلك الليلة، وكانت أفضل اللقطات هي تلك التي لم يظهر فيها وجهها، وعلى كل حال فإن وجهها لم يكن جميلاً بسبب وجود الكمامة في فمها بالطبع، وكانت أفضل اللقطات لها عندما وقفت مرتدية حذاءها ذا الكعب العالى وأخذت لها اللقطة من الخلف وخلقت اليدان المربوطتان في السرير ما يسمونه بالعنصر الرئيسي الرائع في العمل الفني ويمكنني القول أنني كنت مسروراً للغاية من اللقطات التي حصلت عليها.

وفي اليوم التالي كانت مستيقظة عندما دخلت عندها، وكانت مرتدية ثوبها النسائي وكأنها كانت في انتظار مجيئي. وما فعلته كان مثيراً للدهشة البالغة، إذ اتخذت خطوة للأمام وسجدت عند قدمي، وبدت وكأنها مخمورة وسكرانة، وكان وجهها محتقنا للغاية باللون الأحمر فأدركت ذلك على الفور ونظرت إليَّ ثم انخرطت في البكاء وبعدئذ ثارت ثائرتها في موجة من الغضب الشديد، وقالت:

«إنني في حالة من المرض الشديد، أنني مصابة بالتهاب رئوى، أو مصابة بالتهاب في الغشاء البللورى، ويجب عليك أن تحضر لي طبيباً».

فقلت لها: «انهضى وارجعى إلى السرير»

ثم ذهبت لكي أحضر لها القهوة.

وعندما رجعت إليها قلت لها: «أنت تعرفين أنك لست مريضة، ولو كنت مصابة بالالتهاب الرئوى لما تمكنت من مجرد الوقوف على قدميك».

فقالت: «إنني لا أستطيع التنفس أثناء الليل. وأشعر بألم في هذا المكان مما يضطرنى إلى أن أنام على جنبي الأيسر، وأرجوك أن تقيس درجة حرارتى؛ لكي تعرف مدى ارتفاع حرارتى».

وقمت بأخذ درجة حرارتها، وأشار الترمومتر إلى أن حرارتها وصلت إلى ٤٢ درجة، ولكنني كنت أعرف أن هناك وسائل تستخدم لتزييف درجة الحرارة.

قالت لي: «الهواء هنا خانق للغاية».

فقلت لها: «يوجد قدر من الهواء هنا».

وكانت الغلطة هي غلطتها لأنها استخدمت نفس هذه الخدعة من قبل.

وعلى كل حال فقد أقنعت الصيدلي بمدينة لويس بإعطائي دواء قال عنه إنه ممتاز للغاية لعلاج الاحتفاء كما أعطاني حبوبا مخصصة لعلاج الأنفلونزا وبخاخة تعين على استنشاق الهواء، وأخذت ميراندا كل هذه الأشياء عندما قدمتها لها، وحاولت ميراندا أن تتناول أي طعام في العشاء ولكنها لم تتمكن من ذلك فقد كانت مريضة للغاية وكانت تبدو شاحبة اللون حقيقي، واحتقن وجهها باللون الأحمر مرة أخرى والتصقت خصلات من شعرها على جبينها بسبب كثرة العرق ولكن كان من المحتمل أن يكون ذلك أمراً متعمدا.

ونظفت المكان من القيء الذي تقيأته وقمت بإعطائها الأدوية وعندما

تهيأت للانصراف طلبت مني أن أجلس على السرير لكي لا تضطر للتحدث بصوت مرتفع.

وقالت: «هل تظن أنني على استعداد للتحدث معك؟ أنني مضطرة للتحدث معك لأنني في حالة من المرض الشديد، فأنا لا أرغب في التحدث معك بعدما فعلت بي كل هذه الأفعال».

فقلت: «أنت طلبت ما قمت أنا بفعله».

فقالت: «من المؤكد أنك تدرك بنفسك الآن أنني مريضة على نحو شنيع بالفعل».

فقلت: «أنت تعانين من الأنفلونزا فقط، والأنفلونزا منتشرة بعض الشيء في مدينة لويس».

قالت: «إنها ليست الأنفلونزا... فأنا مصابة بالتهاب رئوى... مصابة بشيء شنيع، فأنا لا أستطيع أن أتنفس».

فقلت: «لسوف تتحسن صحتك، وتلك الحبوب الصفراء ستؤدى إلى شفائك تماماً، فقلت: لقد قال الصيدلي عن تلك الحبوب إنها أفضل علاج».

فقالت: «عدم إحضارك لطبيب للكشف عليَّ يعتبر جريمة قتل. فأنت الآن بصدد التسبب في اغتيالى».

فقلت: «إنني أقول لك إنك على ما يرام، فأنت مصابة بالحمى فقط». وبمجرد أن أثارت فكرة إحضار طبيب لها ساورتني الشكوك في نواياها.

فقالت: «هل يمكن لك ـ لو سمحت ـ أن تمسح العرق المتصبب على وجهي بالفانلة الداخلية الخاصة بي؟»

فقمت بمسح العرق لها ولأول مرة أشعر بالشفقة عليها بعض الشيء، فقد كانت تلك حقاً هي مهمة النساء، أقصد أنه كان الوقت الملائم الذي تحتاج فيه النساء لنساء آخريات، ثم قالت لي: «شكراً».

فقلت: «لسوف أنصرف الآن».

فقالت: «لا تذهب... فأنا سأموت بكل تأكيد».

وحاولت بالفعل أن تمسكني من ذراعي.

فقلت لها: «لا تكوني عبيطة إلى هذه الدرجة».

فقالت: «ينبغي لك أن تصغي إليَّ... يجب عليك أن تستمع إليَّ»... وانخرطت فجأة في البكاء مرة أخرى... وشاهدت عينيها وقد امتلأت بالدموع وراحت تضرب برأسها في عنف على الوسادة من جانب لآخر، وعندئذ شعرت بالآسف والحزن الحقيقي عليها، ولذلك جلست على السرير وأعطيتها منديلا وقلت لها: «إنني سأحضر لك طبيبا بكل تأكيد إذا كنت تعانين من مرض حقيقي خطير. بل وأنا مازلت أحبك وأنا آسف تماماً على كل ما بدر مني في حقك»

ولكن الدموع ظلت تنساب من عينيها وبدأ عليها وكأنها لم تسمع كلامى... بل ولم تسمع كلامي عندما قلت لها إن صحتها تحسنت عن اليوم السابق وهو كلام لم يكن صادقا أو حقيقيا.

وأخيرا نزل الهدوء عليها حيث استلقت هنالك... وقد أغلقت عينيها لبعض الوقت وبعدئذ قالت: عندما تحركت في مكاني: «أيمكن أن تفعل شيئاً ما من أجلي؟»

فتساءلت: «ماذا تريدين؟»

فقالت: «هل يمكن لك أن تبقى معي هنا وتترك باب غرفتي مفتوحا لكي يدخل الهواء؟»

فوافقت على ذلك، وأطفأنا الأنوار الكهربائية في غرفتها ولم يعد يوجد سوى الضوء المترامى من الخارج ومن المروحة. وجلست إلى جوارها لفترة طويلة... وبدأت هي تتنفس بطريقة غريبة وسريعة وكأنها قد صعدت توا على السلالم إلى الدور العلوي جريا.. لقد كانت تشعر بالفعل بالاختناق كما سبق أن أوضحت لي. وتكلمت مرات عديدة حيث قالت في إحدى المرات: «لا، لو سمحت».

وفي مرة أخرى ذكرت اسمي ولكن في جملة مشوشة غير واضحة، ويبدو أنها قد استغرقت في النوم وبعد أن ناديت عليها باسمها ولم ترد عليَّ خرجت من غرفتها وأغلقت عليها الباب بالمزلاج... وقمت بعد ذلك بضبط المنبه لكي يوقظنى في وقت مبكر عن المعتاد في صباح اليوم التالي. وظننت أنها قد استغرقت في النوم في يسر وسهولة واعتقدت أن ذلك سيؤدي إلى تحسن صحتها مع شروق صباح اليوم التالي خاصة أنها قد تناولت حبوب الدواء، بل وأحسست أنه من الأفضل أن تكون مريضة بالفراش لأنها لو لم تكن مريضة لكانت قد أثارت نفس المتاعب التي أثارتها من قبل.

وما أحاول أن أقوله لكم هو أن كل شيء قد جاء على نحو غير متوقع، وأنا أعرف أن ما فعلته في اليوم التالي كان غلطة ولكنني حتى حلول ذلك اليوم كنت أظن أنني أتصرف على النحو الأفضل وفي نطاق حقوقي.

الفصل الثاني

١٤ أكتوبر:

إنها الليلة السابعة.

ظللت أفكر في نفس الأمور. لو كانوا فقط يعرفون، لو كانوا فقط يعرفون.

المشاركة في الغضب والحنق.

لذلك فأنا أحاول الآن أن أقص ذلك على الوسادة التي اشتراها لي في هذا الصباح، المعروف الذي تفضل عليَّ به.

في سكون وهدوء.

في الأعماق السفلية يتزايد خوفي ورعبي تدريجيا، أنه فقط الهدوء الذي يبدو على السطح.

لا بذاءة ولا أمور جنسية، ولكن الجنون يشع من عينيه، عيناه رماديتان مع وجود ضوء مفقود رمادى فيهما، في بادئ الأمر رحت أرقبه طوال الوقت، واعتقدت أن الأمر يتعلق بالجنس بكل تأكيد ولذلك عندما كنت أدير ظهري فإنني كنت أفعل ذلك، في مكان لا يتمكن منه من الهجوم عليَّ وكنت أصغى في انتباه، وكان عليَّ أن أعرف على وجه الدقة المكان الذي يوجد فيه في داخل الغرفة.

القوة، لقد أصبحت أمراً حقيقياً للغاية.

أنني أدرك أن القنبلة الهيدروجينية تعتبر شيئاً خاطئاً، ولكن أن يكون المرء ضعيفا للغاية يبدو لي الآن أمراً خاطئاً أيضاً.

أتمنى لو كنت قد علمت لعبة الجودو، لأنني عندئذ كنت سألقنه درسا وأجعله يصيح طلبا للرحمة.

هذه الغرفة الخفية السرية فاسدة الهواء للغاية وهي غرفة ضيقة وحوائطها تطبق على أثناء قيامي بالكتابة أحاول الإصغاء في حذر لخطواته لكي لا أفاجأ بمجيئه عندى والأفكار التي تراودنى تشبه الرسومات واللوحات الفنية الرديئة التي ينبغي تمزيقها على الفور.

حاولي حاولي أن تهربي.

ذلك هو كل ما أفكر فيه.

أمر عجيب... أنه يسلبنى القدرة على الحركة أو الهرب، أنني أشعر نحوه بالاحتقار والاشمئزاز والبغض الشديد. ولا أستطيع أن أتحمل هذه الغرفة، فأي شخص يقيم بها سيتعرض للاختناق والانزعاج الشديد، فأنا الآن أشعر تماماً بأحاسيس الناس الذين يقدر لهم أن يعيشوا في غرفة مماثلة.

كيف يمكن له أن يحبني؟ وكيف يمكن للمرء أن يحب إنسانة لا يعرفها؟

إنه يريد إدخال السرور عليَّ بكل الوسائل الممكنة وفي يأس وتهور شديد، ولكن ذلك هو ما يبدو عليه الناس المجانين بكل تأكيد، والناس المجانين لا يتعمدون أن يكونوا مجانين، ومن المؤكد أنهم قد تعرضوا لصدمة مثلما يتعرض كل شخص آخر للصدمات عندما يفعلون شيئاً ما رهيبا في نهاية الأمر.

أنني لم أستطع التحدث عنه على هذا النحو إلا في هذا اليوم الأخير أو هذين اليومين الأخيرين.

وطوال المسافة من مكان اختطافي إلى هنا في العربة «الفان» كان الأمر بمثابة كابوس رهيب... حيث كنت أرغب في التقيؤ ولكني كنت أخشى في نفس الوقت من التعرض للاختناق بسبب وجود الكمامة في فمي. وكنت أشعر آنئذ بالغثيان، حيث كنت أعتقد أنه سيتم اجتذابي من السيارة وإدخإلى في إحدى الغابات واغتصابي ثم اغتيالي، وكنت واثقة من حدوث ذلك عندما توقفت السيارة «الفان» في نهاية المطاف، وأظن أن ذلك هو السبب الذي جعلنى أشعر بالغثيان، وليس مجرد الكلوروفورم البغيض.

وظللت أتذكر قصص المهجع الرهيبة المروعة التي روتها «بيني ليستير Penny Lester» عن كيف أن أمها قد تمكنت من البقاء على قيد الحياة عقب انتهاكها على أيدي اليابانيين. وظللت أقول لنفسي: لا تقاومي.. لا تقاومي... وبعدئذ تذكرت شخصاً ما آخر في «لاديمونت Ladymont» والذي قال في يوم ما أن الأمر يستلزم وجود رجلين اثنين حتى يتم انتهاك الفتاة، أما الفتيات اللاتي يسمحن لتعريض أنفسهن للانتهاك بمعرف رجل واحد فهن يرغبن في أن يحدث لهن الانتهاك، وأدرك الآن أنه لن يلجأ إلى هذا الأسلوب، فهو قد يستخدم الكلوروفورم مرة أخرى أو قد يستخدم أي شيء خر، ولكنني كنت ملتزمة في خلال تلك الليلة الأولي بمبدأ عدم المقاومة.

وكنت أشعر بالامتنان والشكر لله على بقائي على قيد الحياة. فأنا إنسانة جبانة للغاية·ولا ارغب في التعرض للموت وأحب الحياة حبا جما، ولم أكن أعرف من قبل مقدار حبي الشديد للحياة ورغبتى في

البقاء على قيد الحياة، وإذا ما قدر لي الخروج سالمة من هذه الورطة فلن تظل شخصيتي على النحو الذي كانت عليه من قبل على الإطلاق.

ولا يهمنى الأفعال والتصرفات التي يقوم بها طالما أنني أحتفظ بكياني على قيد الحياة.

كان بمقدوره أن يفعل كل الأمور الشريرة التي لا توصف.

ولقد قمت بالبحث في كل مكان عن سلاح ولكن لم يكن هناك أي شيء يمكن استخدامه كسلاح حتى لو كانت لدى القوة والمهارة التي تعينني على ذلك. وكنت أضع كرسياً وراء الباب الحديدي في كل ليلة وذلك لكي أتنبه على الأقل إذا ما حاول الدخول إلى غرفتي بدون أن أسمعه.

المكان بدائي وكريه وشنيع...

الباب ذو الكتلة الصماء، ولا يوجد به ثقب للمفتاح... ولا أي شيء آخر.

الصمت... لقد تعودت على الصمت بعض الشيء الآن... ولكنه أمر رهيب.. إذ لا توجد أية أصوات على الإطلاق... الصمت يجعلنى أشعر أنني في حالة انتظار باستمرار.

أنني باقية على قيد الحياة... أنني حية بالطريقة التي يكون عليها الموت حيا.

مجموعة الكتب التي تتناول الفنون، لقد أحصيت ثمنها وأدركت أن قيمتها تزيد على خمسين جنيها.. في تلك الليلة الأولي خطر على ذهني فجأة أن تلك الكتب قد وضعت هنالك من أجلي، وأنني لم أكن ضحية عشوائية في آخر الأمر.

وبعدئذ كانت هناك الأدراج المليئة بالملابس ـ القمصان والجونلات

والفساتين والجوارب الحريمى الملونة، علاوة على وجود مجموعات من الملابس الداخلية غير العادية ماركة (أجازة عطلة نهاية الأسبوع في باريس) بالإضافة إلى قمصان النوم. وأدركت أنها كلها على مقاسي تقريبا، وكانت المقاسات كبيرة ولكنه يقول إنه قد شاهدني أرتدى ملابس لها نفس الألوان.

كل شيء في حياتي بدأ على ما يرام، ولكن حتى ذلك كان غريباً، مثيراً، مثيراً.

وبعد هذا نمت قليلا ـ مع ترك الأنوار مضاءة ـ على السرير، وكنت أرغب في احتساء كأس من الخمر ولكنني خشيت أن تكون بها مواد مخدرة بل وكنت لا أزال أتوقع بعض الشيء أن يكون بالطعام مواد مخدرة.

مرت سبعة أيام، وقد بدت لي وكأنها سبعة أسابيع.

كان يبدو بريئاً وساذجاً للغاية عندما أوقفنى أثناء سيرى في الطريق... وقال لي إنه قد دهم كلبا بسيارته، واعتقد أن الجو كان مليئاً بالضباب، وكان هو من ذلك النوع من الرجال الذين لا يمكن لك أن تساورك الشكوك فيهم، فشكله أبعد ما يكون عن شكل الذهاب البشرية.

وبدأ الأمر وكأنني أسقط هاوية عند حافة نهاية العالم، حيث تكونت فجأة نهاية لحافة العالم.

في كل ليلة كنت أفعل شيئاً ما لم أكن قد فعلته منذ سنوات، إذ كنت أرقد وأصلي.

كنت أرقد وأصلي وأتضرع إلى الله لكي يطيب خاطر والدتى ووالدي وميني وكارولين التي تشعر بالذنب بكل تأكيد ولكي يواسي كل شخص آخر بل ويواسي الناس الذين سيكون في صالحهم المعأناة من

أجلي (أو أي شخص آخر)، مثل بييرز Piers وانطوانيت Antoinette، وأطلب من الله أن يساعدني على مواجهة محنتي، وأطلب منه تقديم يد العون والمساعدة لي، وأطلب منه ألا يسمح بانتهاكي أو إساءة استخدامي أو سبي أو اغتيالي وأطلب من الله أن يوفر لي الضوء، أقصد ضوء النهار على نحو محدد.

أنني لا أستطيع تحمل الظلام الشديد. لا أطيق الظلام المطلق، وهو قد اشتري لي بطاريات للإضاءة الليلية، وعندما أذهب للنوم أضيء إحدى هذه البطاريات وأتركها متوهجة بالضوء إلى جواري الآن، وقبل ذلك كنت أترك ضوء المصباح الكهربائي مشتعلا في غرفتي.

وأسوأ شيء هو الاستيقاظ من النوم، فأنا عندما أستيقظ أعتقد للوهلة الأولي أنني موجودة بمنزلي أو في منزل كارولين، وبعدئذ أدرك الحقيقة المريرة التي تنزل على كالصاعقة محدثة لي الصدمة النفسية.

لا أعرف ما إذا كنت مؤمنة بالله، ورحت أصلي لله في غضب بالسيارة «الفان» عندما اعتقدت أنني بصدد التعرض للموت، (استطيع سماع الـ G.P. وهو يقول لي أن ذلك دليل مناقض) ولكن الصلاة لله تجعل الأمور أكثر يسراً.

كل تلك هي حاجيات المرء أو متاعبه الشخصية، لا أستطيع أن أركز ذهني، لقد سبق أن فكرت في أمور عديدة للغاية، ولكنني الآن لا استطيع التفكير في أي شيء.

ولكن هذا يجعلنى أشعر بأنني أكثر هدوءاً، إنه الوهم على كل حال، مثلما يحسب المرء كمية النقود التي أنفقها بهدف أن يعرف كميات النقود المتبقية لديه.

١٥ أكتوبر:

لم يكن لديه والدان على الإطلاق، ولقد قامت عمته بتربيته، باستطاعتي مشاهدة عمته، إنها امرأة نحيلة لها وجه أبيض وفم ضيق كريه وعينان رماديتان وضيعتان، وهي ترتدي قبعات بالية عتيقة لها أغطية صوفية لحفظ الحرارة ولها لون الصوف الخام البيج، ودائما ما يكتنفها شيء من القذارة والتراب، فالقذارة والتراب هما كل شيء خارج عالم شارعها الخلفي الصغير القذر الشنيع.

قلت له إنه كان يبحث عن الأم التي لم يحصل عليها في حياته على الإطلاق ولكنه لم يكن على استعداد للإصغاء لكلامى بالطبع.

وهو لا يؤمن بالله، وموقفه هذا هو الذي يجعلنى أرغب في الإيمان بالله.

وحدثته عن نفسي وعن والدتى ووالدي بصوت واقعي وواضح ومجرد من العواطف، وكانت لديه فكرة عن والدتى واعتقد أن المدينة كلها تعرف نفس المعلومات التي يعرفها هو عن والدتى.

ومن رأيي ألا ألجا إلى تعذيبه أو قتله.

الوقت في السجن هو وقت لا نهائي.

في الصباح الأول، قام بالطرق على الباب وانتظر لمدة عشر دقائق (مثلما يفعل دائما)، لم تكن عشرة دقائق مريحة، فكل أفكار المواساة التي كنت قد جمعتها مع بعضها البعض خلال الليل هربت بعيداً وتركتني بمفردي وقفت هنالك وقلت لنفسي: «إذا أراد أن يفعل بي شيئاً، لا أقاوم لا أقاوم». وكنت بصدد أن أقول له: «أفعل بي كما يحلو لك، ولكن لا تقتلنى. لا تقتلنى وباستطاعتك أن تفعل ذلك الأمر مرات

أخرى».. كما لو كنت شيئاً قابلا للغسل الكثير بدون أن يتلف، كما لو كنت ثيابا من النوع الذي تحمل الأعمال الشاقة.

ولكن الموقف كان مختلفا تماماً، دخل إلى الغرفة واكتفي بالوقوف هنالك وكأنه شخص آخرق وبعدئذ تعرفت على شخصيته على الفور بمجرد أن شاهدته وهو غير مرتدى قبعته، وأدركت أنه هو الكاتب الذي كان يعمل في مبنى البلدية والذي كسب إليانصيب الهائل وأنه هو الذي ظهرت له صور فوتوغرافية في الصحف والجرائد، وكلنا قلنا عنه إننا سبق لنا أن شاهدناه في أماكن قريبة.

وحاول أن ينكر تلك الحقائق ولكن وجهه اكتسى باللون الأحمر خجلاً وارتباكا، وهو دائماً ما يحمر وجهه ويشعر بالخجل إزاء كل شيء.

وهو من السهل وضعه في حالة من الدفاع عن نفسه، ووجهه به نوع من «الآلام» الطبيعية، وهو خجول وساذج وآخرق، بل له طابع الزرافة، فهو مثل زرافة مفرطة في الطول والنحافة وثقيلة الحركة، وظللت أمطره بوابل من الأسئلة ولكنه لم يكن يرد على وكل ما كان يستطيع أن يفعله هو النظر إلى وكأنني ليس لي الحق في توجيه الأسئلة إليه، وكان «هذا» لم يكن هو الهدف الذي تكبد من أجله تلك المتاعب على الإطلاق.

وهو لم تسبق له أية علاقات مع الفتيات، مع فتيات من أمثإلى على كل حال.

إنه ولد ناصع البياض.

وهو يبلغ في الطول ستة أقدام، وهو أطول مني بثمآني أو تسع بوصات، وهو نحيل ونحيف ومن ثم فهو يبدو أكثر طولا مما هو عليه، وهو طويل ونحيل مما يجعله يبدو مرتبكا في تحركاته، يداه كبيرتان

للغاية وممتلئتان ولهما لون أبيض وردى، ليستا يدي رجل، وتفاحة أدم في حلقة كبيرة للغاية ومعصماه كبيران للغاية وذقنه كبير أكثر من اللازم، وشفته السفلية متجهة إلى الداخل وحافتا أنفه تميلان إلى اللون الأحمر، زائدة أنفية، وهو يتحدث بإحدى تلك الأصوات الغريبة البين - بين لأنه إنسان غير متعلم يحاول أن يكون متعلما ومثقفا، ووضعه هذا يسبب له دائماً الشعور بالإحباط، ووجهه في مجموعة طويل للغاية، وهو له شعر أسود معتم مستلق في تموجات منتظمة ومتراجع إلى الوراء وهو شعر خشن، شعر ناشف، ومستقر دائماً في مكانه، وهو دائماً ما يرتدى معطفا «سبور» وبنطلونا ورباط عنق به دبوس من أجل التزيين والتثبيت، بل ويرتدى أزرارا لكم القميص.

أنه من النوع الذي يقول عنه الناس:

«إنه شاب ظريف».

ويبدو عليه تماماً أنه خال من مظاهر الأنوثة أو الرجولة تماماً.

وله طريقة في الوقوف مع وضع يديه إلى جانبه أو خلف ظهره وكأنه لا يعرف كيف يتصرف مع يديه، ودائما ما ينتظرنى في احترام لكي أصدر له أوامرى وتعليماتى.

عيناه مثل عينى السمكة، عيناه ترقبان، وذلك هو كل ما في الأمر، عيناه خاليتان من التعبير.

أنه يجعلنى أشعر أنني هوائية وغريبة الأطوار ومتقلبة النزعات، مثل زبونة غنية ومتبرمة وغير راضية عن أي شيء (وهو مثل بائع في محل لبيع الملابس والأقمشة).

هذه هي المهنة التي تتمشى معه، فهو من النوع الذي يتظاهر

بالتواضع وتواضعه من النوع الزائف المصطنع، وهو من النوع الذي يقول دائماً «آسف لغاية».

أجلس وأتناول وجباتى وأقرأ كتابا بينما هو يرقبنى، وإذا أصدرت له أوامرى بالانصراف فإنه ينصرف على الفور.

لقد ظل يرقبنى خفية على مدى سنتين تقريبا، وهو يحبني حباً شديداً في تهور ويأس، وكان يشعر بالوحدة القاسية، وكان يدرك أنني دائماً في وضع «أعلى منه»، وكان ذلك شنيعا حيث كان يتكلم في ارتباك شديد وكان عليه أن يقول الكلام بطريقة ملتوية وغير مباشرة كما كان عليه دائماً أن يلتمس التبريرات لنفسه في نفس الوقت، وكنت أجلس وأصغى له وهو يتكلم، لم يكن بمقدورى أن أنظر إليه.

كانت المسألة تتعلق بقلبه ومشاعره، وكنت أشعر أنه قد يهاجمنى فوق السجادة الشنيعة ذات اللون اليوسفي، واكتفينا بالجلوس هنالك عندما انتهي من مهمته. وعندما نهض واقفا لكي ينصرف حاولت أن أقول له أنني قد فهمت جوانب الموقف وأنني لن أقول أي كلام لأي شخص إذا ما أخذنى إلى منزلي ولكنه رفض أن يعدني باصطحابي إلى منزلي. وحاولت أن أبدو متجاوبة ومتعاطفة معه للغاية ولكن يبدو أن هذه المحاولات من جانبي كانت تسبب له الخوف والذعر.

وفي صباح اليوم التالي حاولت معه مرة أخرى. وتمكنت من معرفة اسمه (مصادفة شريرة) وكنت ملتزمة بالحكمة والاعتدال معه إلى أقصى درجة. ونظرت لأعلى نحوه وقمت بالتوسل إليه ومناشدته، ولكن يبدو أن نظرتى إليه أثارت في داخله مشاعر الخوف مرة أخرى ولا شيء غير ذلك.

وفي فترة الغداء قلت له أنني أعتقد أنه يشعر بالخجل من الأعمال

التي أقدم عليها وأوضحت له أن زمام الموقف لم يفلت تماماً حيث يمكنه البدء في أصلاح الأمور، عندما أقوم بمناشدة ضميره فإنه يذعن بعض الشيء ولكن ضميره لا يؤنبه على الإطلاق فهو يقول: «إنني أشعر بالخجل من نفسي، كما أنني أدرك أنه ينبغي لي أن أشعر بالخجل مما أقدمت عليه». وقلت له إنه لا يبدو عليه أنه شخص خسيس وشرير فقال: «أن هذا الذي فعلته هو أول عمل شرير أقدم عليه في حياتي».

من المحتمل أن يكون ذلك بالفعل هو أول عمل شرير قام به، ولكنه كان يدخر.

وفي بعض الأحيان يخطر على ذهني أنه إنسان ماهر للغاية، فهو يحاول أن يستعين بتعاطفي من خلال الادعاء أنه واقع تحت سيطرة شيء ما ثالث.

وفي تلك الليلة حاولت ألا أكون ملتزمة بالذوق والرقة معه فلجأت إلى معاملته في حدة وسلاطة لسان وقباحة، فبدت عليه مشاعر الامتهان والإساءة إليه على نحو أكثر من ذى قبل وهو ماهر للغاية من حيث إظهار مشاعر الإهانة على وجهه.

كان يضع مجسات شعوره بالإهانة حولي.

أنه ليس من نفس الطبقة الاجتماعية التي أنتمى إليها.

وأنا أعرف من أكون أنا بالنسبة له، فأنا بمثابة فراشة كان يريد دائماً اصطيادها والإمساك بها، وأذكر أن الـ G.P. قال لي في أول مرة تقابلت فيها معه أن جامعي اللوحات هم أسوأ الحيوأنات على الإطلاق، وكان يقصد بذلك جامعيْ ومقتني اللوحات الفنية بالطبع ولم أفهم ما يهدف إليه حقاً واعتقدت أنه كان يحاول فقط أن يصدم كارولين ت ويصدمني

ن ولكنه على حق بالطبع ن فهم مناهضون للحياة.... ومناهضون للفن ومناهضون لكل شيء.

أنني أكتب في هذا الصمت الرهيب الذي يشبه صمت الليل وكأنني أشعر أنني طبيعية وعادية.. ولكنني لست كذلك، فأنا أشعر بالملل الشديد والخوف الشديد بل وأشعر بالوحدة المريرة القاسية، والشعور بالوحدة والعزلة هو أمر لا يمكن تحمله. وفي كل مرة يفتح فيها الباب أشعر بالرغبة في الاندفاع والخروج منه، ولكنني أدرك الآن أنه ينبغي لي أن أدخر محاولات الهرب الخاصة بي، بمعنى أنه ينبغي لي أن أتفوق عليه من حيث المكر والدهاء. يجب أن تضع خططاً لكي تنفذ مستقبلا، وبحيث تضمن لي البقاء على قيد الحياة.

أكتوبر:

الوقت هو فترة ما بعد الظهر، ينبغي أن أكون الآن في حصة رسم النماذج البشرية العارية.

هل عجلة الحياة في العالم تسير كالمعتاد؟

هل الشمس مازالت تشرق كالعادة؟ في الليلة الماضية ظننت أنني مجنونة. فهذا هو الموت بعينه، وهذا هو الجحيم نفسه، ولن يكون هناك أناس آخرون في جهنم، أو ربما يكون هناك شخص واحد فقط مثله، والشيطان نفسه لن يكون شيطآني النزعة وجذابا بعض الشيء وإنما سيكون مثله وعلى شاكلته.

فقد قمت برسم صورة في هذا الصباح له، كنت أريد الوصول إلى أغوار وجهه وتصوير هذه الأغوار بالرسم. ولكن الصور لم تجيء على

النحو المطلوب، وأراد هو الحصول على تلك الصور وقال إنه على استعداد لأن يدفع ٢٠٠ جنيه ثمنا لتلك الصورة، إنه شخص مجنون.

الأمر يتعلق بي شخصيا، فهو مجنون بي، أنا الجنون الخاص به.

ولقد ظل هو يبحث لسنوات عن شيء ما يضع جنونه فيه، وأخيرا عثر علي.

لا استطيع أن أكتب في فراغ كهذا. لا استطيع أن أكتب كلاماً غير موجه لأحد ما، عندما أقوم بالرسم فإنني أفكر دائماً في شخص ما مثل G.P. وأتخيله واقفا إلى جواري.

إذا كان كل الآباء والأمهات مثل أبي وأمي عندئذ تكون الأخوات البنات أخوات بالمعنى الحقيقي العميق وبحيث تكون العلاقة بين الأخوات البنات مثل العلاقة التي تربط بيني وبين أختي «ميني Minny».

لقد انقضى على وجودي هنا ما يزيد على أسبوع ولذلك فأنا افتقدك للغاية يا عزيزتي ميني كما افتقد كثيراً الهواء الطلق المنعش والوجوه الوقحة القليلة الحياء لجميع أولئك الذين كنت أكرههم للغاية في قطار السكة الحديد الذي ينطلق تحت الأرض في لندن كما أفتقد الأمور الجديدة التي كانت تحدث في كل ساعة يومياً وأتمنى الآن مشاهدة تلك الأمور الجديدة المتجددة مرة أخرى. وأكثر الأمور التي أفتقدها هي الضوء الطازج النقي.. الطبيعي.. أنني لا استطيع العيش بدون الضوء فالضوء الاصطناعي هو ضوء كاذب وغالبا ما يجعل المرء يشتاق للظلام.

أنني لم أحدثكم عن محاولتي للهرب، لقد كنت أفكر في الهرب طوال الليل ولم استطع الخلو للنوم وكان الجو خانقا للغاية بسبب عدم وجود التهوية الكافية وكانت معدتي وأمعائي تموج بالاضطراب الشديد

(وهو يبذل كل ما في جهده كي يطبخ الطعام بطريقة جيدة ولكن بدون جدوى) وتظاهرت بأن هناك شيئاً ما غير سليم في السرير وبعدئذ استدرت ولذت بالفرار ولكنني لم أتمكن من الإسراع بغلق الباب بالمزلاج وحبسه في داخل غرفتي، وتمكن هو من الإمساك بي في السرداب الآخر، وتمكنت من مشاهدة ضوء النهار من خلال ثقب المفتاح.

إنه يفكر في شيء، فهو يغلق بالمفتاح الأبواب الخارجية، وكان ضوء النهار يستأهل مني أن أفعل ذلك، كمية من الضوء في حجم ثقب مفتاح الباب في خلال سبعة أيام، وكنت أتخيل أنني سأتمكن من الخروج وأحبسه في الغرفة السفلية.

وبعدئذ عاملته على مدى ثلاثة أيام بأسلوب جديد: كنت أعطيه ظهري وأتجهم في عبوس وأضرب عن الطعام وأخلد إلى النوم لفترات طويلة، وعندما أتأكد من أنه لن يجئ إلى بالغرفة السفلية كنت أنهض من فوق السرير وأرقص في الغرفة بعض الشيء، وأقرأ في الكتب الفنية وأشرب الماء فقط ولكني لا أتناول الطعام على الإطلاق.

وحاولت أن أتوصل معه إلى أتفاق وكان شرطه أن أبقى معه لمدة ستة أسابيع، ومنذ أسبوع مضى كان الاشتراط بإبقائي ستة أسابيع يعتبر فترة طويلة للغاية لا يتحملها الإنسان، فانخرطت في البكاء، وأرغمته على تخفيض المدة إلى أربع أسابيع، إن رعبي وخوفي الشديد من الإقامة معه لم يقل، ولقد بدأت أعرف كل بوصة في هذا القبول الصغير الشنيع الموجود تحت الأرض ولقد بدأت أتعود على هذا القبو وبدأ ذاك القبو يحدق بي وينمو فوقي مثلما تلك المعاطف الحجرية فوق الديدان في الأنهار، ولكن الأسابيع الأربعة تبدو أقل أهمية.

لا يبدو على أن لدى نشاط أو حيوية أو عزيمة أو إرادة، فأنا أعآني من الإمساك والحصار بكافة الطرق.

يا ميني: لقد صعدت معه إلى الدول العلوي بالأمس، وأول ما لاحظت هو الهواء الخارجي ووجودى في مساحة أكبر من ١٠×١٠×٢٠، وجودى تحت النجوم واستنشاقى الهواء الرائع رغم أنه كان هواء مليئاً بالرطوبة والضباب.

ورحت أفكر ربما يكون باستطاعتي الجرى والهرب، ولكنه أمسك بذراعي ووضع الكمامة في فمي وربط يدي، وكان الجو مظلما للغاية ومقفرا تماماً ولا توجد أنوار ولا شيء سوى الظلام الحالك، بل أنني لم أكن أعرف الاتجاه الذي ينبغي لي أن أسلكه أثناء الهرب.

المنزل هو من نوع الألواح القديمة، وأظن أن هذا الكوخ مدعم ومكسو بالأخشاب من الخارج ومن الداخل توجد الكثير من الدعامات الخشبية الأفقية، والأرضيات بالغرف كلها مرتخية بعض الشيء والأسقف منخفضة للغاية، وهو منزل قديم محبب للنفس وممتع حقاً وهو مشيد وفق «الذوق الرفيع» الشديد الإيلام الذي يشاهد في معظم المجلات النسائية، تضاربات في الألوان شنيعة للغاية وخلط بين أساليب ونماذج الأثاث وملامح من اللخبطات التي تتميز بها الضواحى وقطع من الآثار القديمة الزائفة وحليات من النحاس الأصفر شنيعة، أما الصور واللوحات الزيتية فهي رهيبة وشنيعة للغاية! ولن تصدقونى إذا وصفت لكم مدى شناعة تلك الصور واللوحات، ولقد قال لي إنه استعان بإحدى الشركات لتختار له كل المفروضات والأثاث والديكورات، ومن المؤكد أن تلك الشركة قد تخلصت من كل الأشياء التافهة البالية الموجودة في مخازنها.

وكانت غرفة الحمام مبهجة، وكنت أدرك أنه يندفع بقوة وهو يدخل إليها أو يخرج منها (لا يوجد قفل في الباب بل ولا يستطيع غلق الباب تماماً، وكانت توجد قطعة من الخشب مثبته بلولب إلى الداخل). ولكني أدركت على نحو ما أنه لم يكن يفعل ذلك، وكان من الممتع للغاية أن أشاهد بانيو مليئاً بالماء الساخن وأن أشاهد مكاناً ملائماً حتى إنني كدت لا أهتم بالكارثة التي وقعت فيها، وكنت أجعله ينتظرنى في خارج الحمام ساعات طويلة، ويبدو أنه لم يكن يهتم أو يتضايق من ذلك، فقد كان «طيباً».

ولكنني أدركت أن هناك وسيلة تعينني على إرسال رسالة إلى خارج الكوخ، إذ كان باستطاعتي أن أضع رسالة في زجاجة وألف الزجاجة بشريط له ألوان زاهية، على أمل أن يشاهد تلك الزجاجة شخص ما في مكان ما في يوم ما، ولسوف أنفذ هذه الفكرة في المرة القادمة.

كنت أرهف السمع لكي أسمع أصوات حركة مرور السيارات ولكن لم تكن هناك أية أصوات، وسمعت صوت بومة، ثم سمعت صوت طائرة.

لو كان الناس يعرفون ما يطيرون فوقه.

نحن جميعاً في طائرات.

كانت نافذة غرفة الحمام مغطاة بألواح من الخشب، والألواح مثبتة بمسامير قلاووظ كبيرة، كنت أبحث في كل مكان عن سلاح، تحت الحمام وخلف الأنابيب، ولكنني لم أعثر على أي شيء، وحتى لو عثرت على سلاح فإنني لا أعرف كيفية استخدامى له، كنت أرقب فريديناند وكان هو يرقبنى، ولم نعط بعضناً البعض أية فرصة، إنه لا

يبدو قويا للغاية ولكن من المؤكد أنه أقوى مني بكثير، ومن ثم فإنه ينبغي لي أن أستخدم معه عنصر المفاجأة في حالة هجومى عليه.

كل شيء مغلق بالقفل وباثنين من الأقفال، بل ولاحظت وجود جرس إنذار على باب غرفتي السفلية.

وهو قد فكر في كل شيء ودرسه جيداً، لقد فكرت في أن أضع رسالة مع الملابس المتسخة التي ترسل إلى المغسل لغسلها وكيها، ولكنني اكتشفت أنه لا يرسل الملابس المتسخة إلى المغسلة، وعندما سألته عن الملاءات المتسخة وما إذا كان سيرسلها إلى المغسل قال لي: «إنني أشتري ملاءات جديدة باستمرار وعليك أن تخبرنى إذا كنت تريدين المزيد من الملاءات».

الفرصة الوحيدة أمامى هي في الغرفة السفلية.

يا ميني: أنني لا أكتب كلاماً موجها إليك، ولكني أتكلم مع نفسي.

عندما خرجت مرتدية أقل القمصان التي أشتراها لي بشاعة فإنه نهض واقفا (وكان جالسا طوال الوقت بجوار الباب) وشعرت أنني مثل فتاة في حفلة راقصة تهبط على السلالم الفخمة الكبيرة، فطار صوابه ونظر إلى في افتتان شديد وأظن أن السبب في ذلك هو مشاهدته لي وقد ارتديت إحدى «قمصانه» التي أشتراها لي بالإضافة إلى مشاهدته لشعرى المسدل لآسفل على كتفي».

أو ربما أنها كانت مجرد صدمة لدى مشاهدتي بدون ارتداء الكمامة، وعلى كل حال فإنني ابتسمت له ودرت حول نفسي، لقد سمح لي بالاستمرار في عدم وضع الكمامة وسمح لي بأن أجول ببصري هنا وهناك، وظل مقتربا للغاية مني، وكنت أدرك أنني لو اتخذت خطوة واحدة خاطئة فإنه سيبادر إلى الهجوم على.

في الدور العلوي توجد غرف للنوم وهي غرف لطيفة في حد ذاتها ولكنها كلها تنبعث منها روائح الرطوبة العفنة حيث لا يسكنها أحد.. هناك هواء فاسد غريب يغلف كل شيء. وفي الدور السفلي توجد الغرفة التي يسميها «صالة الجلوس Lounge» وهي غرفة جميلة وأكبر كثيراً من باقي الغرف الأخرى وهي مربعة الشكل على نحو غريب، وبها عارضة قوية ضخمة مستندة على ثلاثة قوائم عمودية في منتصف الغرفة، كما توجد بها عوارض أخرى وأركان صغيرة منعزلة وزوايا لطيفة لا يمكن أن تخطر على بال مهندس معمارى مرة واحدة في خلال ألف عام، وكل ذلك قد تعرض لمذبحة واغتيال بسبب الأثاث بالطبع، كانت توجد بطة برية صينية فوق مدفأة قديمة جميلة، ولم أستطيع تحمل مشاهدة هذه البطة، فطلبت منه أن يربط يدي مرة أخرى بحيث تكون يدأي أمامى ثم نزلت بيدي على المكان المحيط بالمدفأة.

وأدت هذه الحركة إلى إيذاء مشاعره إلى حد كبير وإلى نفس الدرجة تقريبا عندما صفعته على وجهه لعدم سماحه لي بالهرب.

أنه يجعلنى أغير من حالاتى النفسية، أنه يجعلنى أرغب في الرقص حوله وإثارة حيرته وارتباكه وإبهار عينيه وزغللته وإذهاله، وهو إنسان بطئ للغاية وغير خلاق تماماً وخامد ولا حياة فيه على الإطلاق، إنه أكسيد الزنك الذي يستخدم في الصبغة، وفي رأي أن هذا بمثابة نوع من الطغيان والاستبداد الذي يفرضه على، فهو يرغمنى على أن أكون متقلبة الأهواء وعلى اللجوء إلى التمثيل والتظاهر، ويرغمنى على التباهي، ولقد قال G.P. من ذلك ذات مرة أنه الطغيان الكريه الذي يمارسه الناس الضعفاء».

أن الرجل العادي هو لعنة الحضارة.

ولكنه إنسان عادي أكثر من اللازم لدرجة أنه يعتبر إنساناً غير عادي وهو يلتقط لي الصور الفوتوغرافية، وهو يريد أن يرسم صورة زيتية لي تظهر وجهي بصفة خاصة.

وبعدئذ كانت هناك الفراشات الخاصة به وأعتقد أنها فراشات جميلة بعض الشيء، نعم فهي مرتبة ومنظمة تنظيماً جميلاً إلى حد ما مع انتشار كافة أجنحتها الصغيرة المسكينة عند نفس الزاوية. وشعرت بالحزن والعطف على هذه الفراشات المسكينة الميتة وأحسست إنها ضحية مثلي تماماً، وكانت الفراشات التي يفتخر بها أكثر من الآخريات هي من النوع الذي يسميه «المنحرف غير السوى Aberrations!».

وفي الطابق السفلي سمح لي أن أرقبه أثناء قيامه بإعداد الشاي (في السرداب الخارجى) وقال كلاماً مثيراً للضحك والسخرية مما جعلنى أضحك ت أو أرغب في الضحك.

أمر رهيب وشنيع.

لقد أدركت فجأة أنني بصدد التعرض للجنون أيضاً كما أدركت أنه إنسان ماكر وخادع وخبيث على نحو رديء للغاية، وهو بالطبع لا يكترث بما أقوله عنه، ولا يكترث بقيامي بتحطيم البطة الصينية التعيسة الخاصة به. لأنه فجأة يجدنى أضحك عليه واسخر منه وأصب له الشاي الخاص به كما لو كنت أفضل الصديقات المقربات إليه (وهذا جنون لأنه قد قام باختطافي).

وأنزلت عليه وابلا من السباب والشتائم، فقد كنت ابنة لوالدتى، فأنا إنسانة سليطة اللسان وكلبه مثل والدتى.

ها هي حالتي يا مِيني. أتمنى لو كنت موجودة معي هنا لكي ندردش ونتجاذب أطراف الحديث معا في الظلام، لو كنت فقط أتمكن من

التحدث مع أي شخص ولو لدقائق قليلة، مع شخص ما أحبه، أنني أجعل الأمور تبدو أكثر إشراقا بكثير مما هي عليه بالفعل. أنني بصدد الانخراط في البكاء مرة أخرى.

إنه ظلم فادح.

١٧ أكتوبر:

أنني أكره التغير الذي طرأ على، فأنا أصبر وأتحمل كثيراً للغاية. ولقد اعتقدت منذ البداية أنه ينبغي لي أن أرغم نفسي على أن أكون إنسانة واقعية وغير خيالية ومجردة من العواطف، وبحيث لا أسمح لحالته غير السوية أن تسيطر على الموقف، ولكنه ربما وضع الخطط التي تكفل له السيطرة على، لأنه يجعلني أتصرف على النحو الذي يريده تماماً.

وهذا ليس مجرد موقف خيالي وعجيب، إنه تغير عجيب لموقف خيالي، أتمنى أنه قد وضعني الآن تحت رحمته وأنه ليس بصدد أن يفعل تلك الأفعال التي قد يتوقعها أي شخص، وهو بذلك يجعلني أشعر بالشكر والامتنان على نحو زائف، وأنني لأشعر بالوحدة القاسية للغاية، ومن المؤكد أنه يدرك تلك الحقيقة، وبمقدوره أن يجعلني أعتمد عليه.

أنني عصبية ومتوترة للغاية، وأنا لست هادئة على النحو الذي قد أبدو عليه (عندما أقوم بقراءة ما كتبته).

كل ما هنالك أنه يوجد وقت كثير للغاية أريد أن أستهلكه، وقت لا نهائي لا نهائي لا نهائي.

ما أكتبه ليس طبيعيا، أنه أشبه بشخصين يحاولان الاستمرار في تجاذب أطراف الحديث بينهما سويا.

الموقف على النقيض تماماً من الرسم، فالإنسان عندما يرسم خطأ فإنه يعرف على الفور ما إذا كان الخط جيداً أو رديئاً، ولكنه عندما يكتب سطرا ويبدو له أن ذلك السطر صادق فإنه يقرؤه مرة أخرى فيما بعد ليعرف مدى الصدق في التعبير.

في مساء الأمس أراد أن يلتقط لي صورة فوتوغرافية، فسمحت له بالتقاط صورة عديدة لي، وأطن أنه ربما يكون غير حريص ومهملا بحيث قد يشاهدني شخص ما راقدة في منزله، ولكني أعتقد أنه من المؤكد أنه يعيش بمفرده تمام في هذا المنزل، هذا أمر مؤكد تماماً، ومن المؤكد أنه قد قضى الليلة الأخيرة كلها في تحميض وطبع الصور التي التقطها لي. لم أكن أحب ضوء الفلاش الكهربائي لأنه كان يؤذى عيني.

لم يحدث شيء ما اليوم باستثناء أننا قد توصلنا إلى نوع من الاتفاق بشأن الرياضة البدنية بالنسبة لي، لم أمنح حق الاستمتاع بضوء النهار حتى الآن، ولكن يمكن لي الذهاب إلى الدهليز الخارجي، وشعرت بالوجوم ولذلك ظهر العبوس على وجهي، وطلبت منه الانصراف من أمامى عقب الغذاء كما طلبت منه أن يغرب عن وجهي عقب العشاء أيضاً فانصرف على الفور في كلتا المرتين، كان باستطاعتي أن أطلب منه أي شيء باستثناء أن أطلب منه أعطائي حريتي.

وهو قد أعطاني ساعة سويسرية غالية الثمن، فقلت له: «إنني سأستخدمها أثناء وجودى هنا ولكنني سأردها إليه عندما يتم إطلاق سراحي وأغادر هذا المكان». كما قلت له أنني لم أعد أطيق اللون البرتقإلى للسجادة فاشترى لي بعض السجاجيد الهندية والتركية، ثلاث من الحصير الهندى وسجادة تركية جميلة لها لون أرجواني عميق وذات

أهداب بيضاء ت برتقالية وردية. (وقال عن السجادة إنها الوحيدة التي وجدها «عندهم» في المحل ولذلك فلا مجال لأن يفتخر بذوقه).

وهذه السجادة قد جعلت الزنزانة التي أقيم بها معقولة عن ذى قبل من حيث إمكانية الإقامة بها، لأن الأرضية لينة للغاية ومرنة، ولقد قمت بتكسير وتحطيم كل طفايات السجاير والآنية القبيحة الشكل، فالزخارف والحليات والديكورات القبيحة المنظر يجب أن تختفي من الوجود.

أنني متعالية للغاية عليه ومتعجرفة ومستخفة به، وأنا أدرك أن هذا يوحي بأنني مغرورة بنفسي على نحو شرير للغاية، ولكنني مغرورة بالفعل.

وأشعر أنه ينبغي لي أن أعرف كيف يعيش ويسلك الآدميون المهذبون.

إنه بمثابة القبح في حد ذاته، ولكني لا يمكن للمرء أن يحطم القبح البشرى.

سند ثلاث ليال كان الموقف غريبا للغاية، إذ كنت أشعر بالإثارة البالغة لدى تركي هذا القبول الموجود تحت الأرض، شعرت أنني أقرب ما تكون إلى السيطرة الكاملة، بدأ لي فجأة كل شيء وكأنه مغامرة هائلة وكأنه شيء ما سأحكيه لجميع الناس في يوم ما في القريب العاجل، وكأنه نوع من لعبة الشطرنج مع الموت وهي لعبة كسبتها بشكل فجائي وعلى نحو غير متوقع بعض الشيء، إنه شعور بأنني قد تعرضت لمخاطر رهيبة ولكن كل شيء أصبح بصدد أن يسير على ما يرام، بل إنه إحساس بأنه سيسمح لي بالمغادرة والانصراف.

مجنون.

ينبغي لي أن أعطيه اسما، سأطلق عليه اسم: كاليبان Caliban بيبرو Piero، لقد قضيت معه اليوم بأكمله، ولقد قرأت كل المعلومات عنه وألقيت نظرة متفحصة على كافة الصور الموجودة بالكتاب وعشت مع هذه الصور، كيف لي أن أصبح رسامة ممتازة بينما أنا لا أعرف سوى معلومات ضئيلة للغاية عن الهندسة والعلوم الرياضية؟ لسوف أطلب من كاليبان أن يشتري لي كتبا، ولسوف أصبح عالمة في العلوم الهندسية، لدى شكوك محطمة عن الفن الحديث، وتخيلت بيرو وهو واقف أمام لوحة رسمها شخص مثل جاكسون بولوك Pollock Jackson أو حتى مثل بيكاسوا أو ماتيس Matisse[1] عيناه، أنني لا أشاهد سوى عينيه.

الأشياء التي يقولها بيرو في يد من الأيادى، في طية كم من الأكمام، أنني أعرف كل هذا، لقد قيل لنا هذا أكثر من مرة وأنا قد قلت هذا أيضاً، ولكنني شعرت بهذا شعوراً حقيقياً اليوم، شعرت أن عصرنا بأكمله كان خدعة وإدعاء كاذبا، الطريقة التي يتحدث بها الناس كثيراً عن الاختزإلية Tachism وعن التكعيبية Cuvism[2] وعن هذه الـ Ism وعن تلك الـ Ism وكافة تلك الكلمات الطويلة التي يستخدمونها ت جلطات ملطخة هائلة من الكلمات والعبارات، وكل ذلك من أجل إخفاء حقيقة واضحة: وهي أن الإنسان إما أن يكون قادرا على الرسم أو غير قادر عليه.

أنني أريد أن أرسم مثلما ترسم بيربيرت موريسوت Berthe Morisot

---

(١) هنرى ماتيس: رسام فرنسي ١٨٦٩ ـ ١٩٥٤.

(٢) التكعيبية: مذهب فيٰ الرسم والنحت تمثل فيه الأشياء بمكعبات وأشكال هندسية أخرى.

ولا أعني أنني أريد أن أرسم مستخدمة ألوانها أو قوالبها وأشكالها أو أي شيء مادى ملموس مما تتميز به ولكني أريد استخدام نفس البساطة والضوء الذي تستخدمه، وأنا لا أنشد أن أكون ماهرة للغاية أو عظيمة أو «ذات شأن وأهمية كبيرة» أو تنصب على كل تلك التحليلات الخرقاء التي تبرز الفحولة، وإنما أريد أن أرسم ضوء الشمس الذي يسقط على وجوه الأطفال أو أرسم الأزهار الموجودة في سياج من الشجيرات أو أرسم شارعا عقب سقوط أمطار في الربيع.

الأمور الجوهرية، وليست الأشياء في حد ذاتها.

الأضواء التي تغمر أصغر الأشياء.

أو هل أنا أميل إلى النزعة العاطفية؟

أنني أموج بالاكتئاب الشديد.

أنني بعيدة للغاية عن كل شيء، بعيدة عن الضوء، بعيدة عما أريد أن أكون عليه.

١٨ أكتوبر:

يا. G.P ـ أنت ترسم بكل كيانك، أنت تتعلم ذلك أولا، والباقى مرتهن ومتوقف على الحظ

الحل السليم: يجب ألا أكون مخبلة ومشئومة. في هذا الصباح قمت برسم مجموعة كاملة من الإسكتشات السريعة لسلطانيات بها فواكه، ونظرا لأن كاليبان يرغب دائماً في أن يعطي فإنني لا يهمنى كميات الورق الكبيرة التي استهلكها، ثم قمت بتعليق الاسكتشات وطلبت منه أن يختار أفضلها، وهو بالطبع قد أختار جميع تلك الاسكتشات التي كانت تشبه كثيراً سلطانية الفاكهة اللعينة، وبدأت أحاول أن أشرح له،

وأبديت تفأخرى بواحدة من تلك الاسكتشات (الاسكتش الذي فضلته أكثر على باقى الاسكتشات) فضايقنى عندما قال إن ذلك الاسكتش لم يكن يعنى أي شيء بالنسبة له ثم قال: «إذا كان ذلك الاسكتش هو الذي يعجبك فإنني أثق في رأيك وأضم رأي إلى رأيك»، فأدركت أنه لم يكن يهتم بذلك اهتماما حقيقياً، فأنا من وجهة نظره كنت مجرد طفلة تسلي نفسها.

عالم آخر أعمى... كفيف وضرير.

غلطتى، كنت أتباهي وأتفآخر، كيف كان يمكن له أن يدرك سحر وأهمية الفن (ليس الفن الخاص بي وإنما الفن بوجه عام) بينما كنت أنا مغرورة إلى ذلك الحد؟

ودخلنا في نقاض عقب الغذاء، كان دائماً يسألنى عما إذا كان يظل باقيا، وأنا في بعض الأحيان أشعر بالوحدة المريرة القاسية وأشعر بالملل الشديد من الأفكار الخاصة بي مما يجعلنى أطلب منه البقاء، أنني «أريد» له أن يبقى، وذلك هو ما يفعله السجن، ويوجد الهرب الهرب الهرب.

وكان النقاش يدور حول نزع السلاح النووى الذرى، كانت لدى شكوك في ذلك الأمر منذ أيام، ولكن ليس الآن.

(حوار ما بين ميراندا وكاليبان)

ميراندا: (كنت جالسة على سريرى أدخن سيجارة، وكان كاليبان جالسا على كرسيه المعتاد بجوار الباب الحديدي، وكانت المروحة تدور بالخارج).. ما هو رأيك في القنبلة الهيدروجينية؟

كاليبان: ليس لدى أفكار كثيرة في هذا الشأن.

ميراندا: ينبغي أن يكون لك رأي ما.

كاليبان: أمل ألا تسقط هذه القنبلة عليك أو عليَّ.

مسيراندا: أنني أدرك أنك لم يسبق لك أن عشت مع أناس يأخذون الأمور بجدية ويناقشونها في جدية.

(تعمد أن تبدو على وجهه مشاعر الإهانة التي لحقت به)

فلنحاول الآن مرة أخرى، ما رأيك في القنبلة الهيدروجينة؟

كاليبان: لو قلت لك أي كلام يتسم بالجدية والخطورة والأهمية فأنك لن تأخذى كلامي مأخذ الجد (فرحت أحملق في وجهه إلى أن أضطر إلى الاستئناف في الكلام) الأمر واضح للغاية، فلا يمكن لك أن تفعلى أي شيء، والقنبلة أمر واقع في دنيأنا حإليا.

ميراندا: ألا يهمك ما يحدث للعالم؟

كاليبان: وهل اهتمامى سيغير من الأمر شيئاً؟

ميراندا: أوه... يا إلهي.

كاليبان: ليس لدينا أي كلام أو رأي في الأشياء.

ميراندا: استمع إلى.. لو كان هناك عدد كبير ممن يؤمنون بأن القنبلة الهيدروجينية تضمر الشر للعالم وأن الأمة المهذبة لا يمكن لها التفكير مطلقا في امتلاكها مهما كانت الظروف والأحوال التي تمر بها عندئذ فإن الحكومة ستضطر لأن تفعل أي إجراء، إليس كذلك؟

كاليبان: عندئذ سيكون هناك قليل من الأمل فقط.

ميراندا: كيف نشأت المسيحية على ما تظنن؟ أو كيف بدأ أي شيء آخر؟ أنها بدأت بمجموعة ضئيلة من الناس ممن لم يفقدوا الأمل.

كاليبان: إذن فما الذي سيحدث إذا جاء الروس؟ (وهو يظن أن هذه نقطة بالغة الأهمية).

ميراندا: لو كان الاختيار ما بين إسقاط القنابل الهيدروجينية عليهم او السماح لهم بالوجود بيننا هنا كفاتحين وغازين لأراضينا ـ فإن الاختيار الثاني هو الأفضل في كل مرة يحدث فيها ذلك.

كاليبان (وقد قفزت إلى ذهنه لعبة كش ملك في الشطرنج): هذا على حل النزاع بين الدول بالطرق السلمية فقط.

ميراندا: إنه بالطبع حل المشاكل بالوسائل السلمية، أنت شديد الغباء، هل تعرف أنني قد سرت مشيا على الأقدام على طول المسافة من الديرماستون إلى لندن؟ وهل تعرف أنني قضيت الساعات والساعات الطويلة من وقتى لكي أوزع المنشورات ولكي أكتب العناوين على الأظرف ولكي أتناقش مع أناس تعساء من أمثالك ممن لا يؤمنون بأي شيء ممن يستحقون بالفعل إسقاط القنبلة الهيدروجينية على رؤوسهم؟

كاليبان: ذلك لا يوضح أي شيء ولا يبرهن على أي شيء.

ميراندا: أنه إليأس من فقدان المشاعر وفقدان الحب وفقدان الحكمة في العالم (أنني أزيف وأخدع فأنا لم أقل كل هذا الكلام ـ ولكنني سألت ما أريد أن أقوله بالإضافة إلى ما قلته بالفعل). أنه إليأس والقنوط من أن أي شخص يمكن أن تراوده فكرة إلقاء قنبلة من ذلك النوع أو يصدر أوامره بالفعل بإلغاء تلك القنبلة... وأنه إليأس والقنوط من أن عددا قليلا للغاية من الجنس البشرى تؤرقه هذه المشكلة، وأنه إليأس والقنوط من وجود قدر هائل من الوحشية وقسوة القلوب في جميع أرجاء العالم، وأنه إليأس والقنوط من أن الشبان الأسوياء تماماً يمكن أن يتحولوا إلى الشرور والرذائل لأنهم قد ربحوا كميات هائلة من النقود في إليانصيب وعندئذ يفعلون ما فعلته أنت بي.

كاليبان: لقد اعتقدت أنك ستصلين في كلامك إلى هذه النقطة.

ميراندا: أنت جزء من هذا الوضع المشين الذي يسود العالم، فكل شيء حر ولطيف في الحياة يتم عزله بعيداً وحبسه في سراديب صغيرة قذرة بمعرفة أناس لا أخلاق لهم ولا يهتمون بما يقدمون عليه من أعمال بهيمية خسيسة.

كاليبان: أنني أعرف ذلك الصنف من الناس الذي أنت منه، فأنت تعتقدين أن العالم المشرق المزدهر بأكمله ينبغي أن يتم تنظيمه كله بحيث تسير كافة الأمور به بالطريقة التي تروق لك.

ميراندا: لا تكن مخطئاً وبعيدا عن الصواب إلى هذه الدرجة.

كاليبان: لقد كنت جنديا بدون رتبة بالجيش، ولا يمكن لك أن تصدقينني، فالجنود في فرقتى يلتزمون بتنفيذ الأوامر التي تصدر لهم.

ميراندا: أنت الآن إنسان غنى، ولن يتسبب أي شيء في إلحاق الضرر والأذى بك.

كاليبان: النقود لا تؤدى إلى كل ذلك التباين.

ميراندا: لم يعد أحد يستطيع إلقاء الأوامر إليك.

كاليبان: أنت لا تفهمينني بالمرة.

ميراندا: بل أنني أفهمك تماماً. وأنا أدرك أنك لست شابا من النوع الذي يفرط في التأنق وينزع أحيأنا إلى أعمال العنف، ولكنك في أعماق نفسك تشعر أنك شاب من ذلك النوع، فأنت تكره أن تكون إنساناً مغلوبا على أمره ومظلوما ومستغلا. وأنت تكره أن تكون غير قادر على التعبير عن نفسك بطريقة سليمة، أنهم يذهبون ويحطمون الأشياء وأنت تجلس وتتجهم وأنت تقول: «إنني لن أساعد العالم ولن أقدم أدنى عمل خير من أجل البشرية، ولسوف أكفر في نفسي فقط، أما البشرية فتتحمل نتائج أعمالها ولتقاسي مما جنته يداها». (وبدأ الأمر وكأنني أصفع

شخصاً ما على وجهه بصفة مستمرة) وما فائدة النقود من وجهة نظرك اللهم إلا إذا استخدمت؟ هل تفهم ما أتحدث عنه؟

كاليبان: نعم.

ميراندا: حسناً...

كاليبان: أوه... أنت على حق، كما هو الحال دائما.

ميراندا: هل أنت تتهكم في سخرية لاذعة مرة أخرى؟

كاليبان: أنت تشبهين عمتى آني، فهي تتصرف دائماً على النحو الذي يتصرف به الناس في هذه الأيام، والناس حاليا لا يهتمون.

ميراندا: يبدو أنك تعتقد أنه من الصواب أن تكون على خطأ.

كاليبان: أتريدين تناول الشاي الخاص بك؟

ميراندا: (تبذل جهودا خارقة) استمع إلى... إكراما للمناقشة. أنت تريد أن تقول أنك مهما حاولت أن تفعل قدرا كبيرا من الخير في المجتمع فإنك في حقيقة الأمر لا تقدم أي خير أبداً، وذلك الأمر مثير للسخرية ولكن لا يهم، فمازلت أنت بنفسك موجودا، ولا اعتقد أن الحملة التي تنشد نزع السلاح النووى لها فرصة كبيرة في مجال التأثير الحقيقي على الحكومة، وهذه من أوائل الأمور التي ينبغي للمرء أن يواجهها، ولكننا نفعل ذلك لكي نحافظ على احترامنا لأنفسنا ولكي تبين لأنفسنا ـ رجالا ونساء ـ أننا نهتم بتلك المشكلة، ولكي ندع الناس الآخرين جميع الناس الكسإلى والمتجهمين وإلىائسين من أمثالك يدركون أن هناك من يهتم بتلك المشكلة، فنحن نحاول أن نشجعك على التفكير في هذه المشكلة وإلى النزوع إلى اتخاذ موقف عملي إزاءها (سادت فترة صنمت ـ ثم صحت قائلة): قل أي كلام!!

كاليبان: أنني أعرف أن القنبلة الهيدروجينية هي شر مستطير.

ميراندا: إذن عليك أن تفعل أي شيء (فنظر إلى بطريقة سخيفة وكأنني طلبت منه أن يسبح في المحيط الأطلنطى) استمع إليَّ، لقد اشترك صديق لي في مسيرة اتجهت إلى قاعدة جوية أمريكية في أسيكيس Essex، ولقد تم وقفهم خارج البوابة بالطبع وبعد برهة من الوقت، خرج عليهم الشاويش المكلف بالحراسة وتحدث إليهم ودخل معهم في جدال ومناقشات واشتدت حدة المناقشة لأن ذلك الشاويش كان يؤمن بأن الأمريكيين يشبهون فرسان العصور القديمة الذين ينقذون فتاة عذراء أحدقت بها المخاطر، وأوضح لهم أن الطائرات القاذفة للقنابل الهيدروجينية ضرورية للغاية... الخ، وتدريجيا وأثناء مناقشتهم معه بدأوا يدركون أنهم معجبون إلى حد ما بالإنسان الأمريكي، لأنه إنسان يشعر بقوته الكبيرة وبإيمانه الصادق بآرائه، ولم يكن صديقي هو الوحيد الذي أعجب بالإنسان يشعر بقوته الكبيرة وبإيمانه الصادق بآرائه ولم يكن صديقي هو الوحيد الذي أعجب بالإنسان الأمريكي ولكنهم جميعاً وافقوا على وجهة نظر الشاويش فيما بعد، فالشيء الوحيد الذي يهم حقاً هو أن تحس وأن تستغرق فيما تؤمن به ـ طالما أن الأمر هو شيء ما يند عن مجرد الإيمان بالراحة الخاصة بك، وقال صديقي أن ذلك الشاويس الأمريكي أصبح أقرب إلى قلبه من جميع أولئك البلهاء المبتسمين الذين كانوا يرقبون السيرة أثناء اتجاهها في طريقها إلى القاعدة الجوية الأمريكية، إن الموقف شبيه بمباراة كرة القدم، فكل فريق يرغب في إلحاق الهزيمة بالآخر، ولكن إذا جاء شخص ما وأوضح للفريقين أن كرة القدم في أمر سخيف ولا تستحق أن يلعبها أحد أو يهتم بها عندئذ سيشعر الفريقان بنفس الأحاسيس الجديدة وتلك الأحاسيس الجديدة هي الشيء المهم، أتدرك معنى ما أقوله لك؟

كاليبان: لقد اعتقدت أننا كنا نتحدث عن القنبلة الهيدروجينية.

ميراندا: أغرب عن وجهي، انصرف، أنت تسبب لي الإرهاق والتعب، أنت تشبه بحرا من القطن الطبي.

كاليبان (نهض واقفا على الفور): أنني أستمتع كثيراً بسماعك وأنت تتكلمين، وأفكر مليا في الكلام الذي تقولينه.

ميراندا: لا... أنت لا تمعن النظر في كلامى.. أنت تضع ما أقوله من كلام في ذهنك، وتغلف هذا الكلام وتطويه جيدا، ثم يختفي هذا الكلام للأبد.

كاليبان: إذا أردت أن أرسل شيكا إلى... حملة نزع السلاح النووي... فما هو العنوان؟

ميراندا: وما هو الخطأ في ذلك؟

ميراندا: نحن بحاجة إلى النقود بالفعل، ولكننا بحاجة أكثر إلى الأحاسيس والمشاعر، وأنا لا أعتقد أنك ليس لديك أية مشاعر وأحاسيس كاليبان (سادت فترة صمت مليئة بالحرج والارتباط).. إلى اللقاء فيما بعد.

(يخرج كاليبان، وأقوم بضرب مخدتى بقوة شديدة حتى أنها نظرت إلى في عتاب ولوم).

(في هذا المساء أقنعته بالملاطفة وأرغمته فقام بتحرير شيك بمبلغ مائة جنيه ووعد بإرسال الشيك في صباح اليوم التالي، وأنا أدرك أن الأجراء سليم من جانبي، ومنذ عام كنت سألتزم بالمغزى الأخلاقي الصارم، مثل الماجور باربارا Major Barbara، ولكن الشيء الجوهرى هو أن يكون لدينا النقود، وليس من أين تجيئ النقود أو لماذا أرسلت النقود؟ أو ما هو الدافع وراء إرسال النقود؟).

١٩ أكتوبر:

كنت في حالة من التعب والإرهاق الشديد. فقد ظلت طوال فترة ما بعد الظهر أرسم نسخاً من لوحات بييرو وانتابنى الرغبة التي كانت تنتابنى في الظروف العادية ـ في ضرورة الخروج للذهاب إلى السينما أو المقهي / البار أو أي مكان آخر، المهم الخروج وتغيير المكان الذي أنا فيه.

فجعلته يأخذنى بتسليم نفسي له كالعبدة، وقلت له: «اربطني كما تريد ولكني أريدك أن تأخذنى إلى مكان آخر».

فقام بربط يدي ووضع الكمامة في فمي وأمسكني من ذراعي وسرنا معا في أرجاء الحديقة، إنها حديقة كبيرة للغاية، وكانت الدنيا حالكة الظلام، وكنت أتبين بصعوبة الممر وبعض الأشجار، والمكان موحش ومنعزل للغاية، فهو موجود في مكان ما في أعماق الريف.

وعلى نحو فجائي في الظلام أدركت أن هناك شيئاً ما غير طبيعي في كاليبان، لم يكن بمقدورى مشاهدته بسبب الظلام ولكنني شعرت فجأة بالخوف، حيث أدركت فجأة أنه يرغب في تقبيلي أو في عمل شيء ما أسوأ من ذلك، وحاول أن يقول بعض الكلام الذي يدور حول شعوره بالسعادة الغامرة وكانت نبرات صوته متوترة للغاية، بل وكان صوته مخنوقا، ثم قال أنني لا أعتقد أن لديه أية مشاعر حقيقية عميقة ولكنه لديه مثل هذه المشاعر العميقة، وأنه لشيء رهيب ألا أكون قادرة على التكلم، فلساني هو خط دفاعى معه، أو لساني ونظراتى، وسادت فترة قليلة من الصمت ولكنني أدركت أنه كان مكبوتا.

كنت أتنفس طوال الوقت هواء طلقا منعشا وجميلا، وذلك كان أمراً رائعا للغاية حتى إنني لا أستطيع أن أصفه، كان هواء مليئاً بالحياة للغاية

ومليئاً بروائح النباتات ومفعما بروائح الريف وبآلاف من الروائح الليلية المبللة الغامضة.

وبعدئذ مرت سيارة. إذن فهناك طريق أمام المنزل تستخدمه السيارات، وبمجرد أن سمعنا صوت موتور السيارة شدد قبضته على ذراعي، وصليت لله لكي تتوقف السيارة ولكن أنوارها ترامت خلف المنزل وهي تنطلق بعيداً.

ومن حسن حظي أنني كنت قد أمعنت النظر في موضوع الهرب وقلت لنفسي أنني إذا حاولت الهرب وفشلت في ذلك فإنه لن يسمح لي بالخروج مرة أخرى على الإطلاق، لذلك ينبغي لي ألا أقفز عندما تلوح لي أول فرصة، كما أنني كنت أدرك أنه يفضل أن يقتلنى على أن يتركني ألوذ بالفرار إذا حاولت الجرى بغية الفرار (وعلى كل حال لم يكن بمقدورى أن أهرب لأنه كان ممسكا بذراعي مثل الرذيلة).

ولكن الموقف كان شنيعا نَظرا لأنني أدركت أن هناك أناسا آخرين قريبون للغاية ومع ذلك فلا أحد يدرك الورطة التي وقعت فيها.

وسألنى عما إذا كنت أرغب في التريض في أرجاء الحديقة مرة أخرى، ولكنني هززت رأسي بالنفي، فقد كنت خائفة للغاية.

وعندما نزلت إلى غرفتي السفلية مرة أخرى أردت توضيح المسألة الجنسية بيني وبينه في صراحة.

وقلت له أنه إذا رغب فجأة في اغتصابي فإنني لن أقاومه وسأسمح له بأن يفعل بي ما يحلو له ولكنني بعد ذلك لن أتحدث معه على الإطلاق في حياتي مرة أخرى، وقلت له أنني أدركت أنه سيخجل من نفسه أيضاً، أنه مخلوق بائس وتعيس، إذ كان يبدو عليه الخجل والارتباك بالفعل وكأنه قد انتهكني بالفعل وقال لي: «لقد كانت لحظة ضعف من

جانبي فقط»، ولقد جعلته يقر بهزيمته، ولكني أراهن على أنه تنفس الصعداء في ارتياح عندما انطلق خارجا من غرفتي مرة أخرى.

لن يصدق أحد هذا الموقف، فهو يحبني حباً مطلقاً، ولكنني أعتبر سيدة الموقف في كل شيء آخر، وأنا أدرك أنه يشجعنى على ذلك فهذه وسيلة تجعلنى لا أشعر بالاستياء على النحو الذي ينبغي أن أكون عليه.

ونفس الشيء حدث عندما قمت بإلقاء دونالد فجأة في الماء في الربيع الماضي، وبدأت أشعر أنه كان ملك يدي وأنني كنت أعرف كل شيء عنه، ولقد شعرت بالضيق عندما انطلق إلى إيطاليا على ذلك النحو بدون أن يخبرنى، ولم يكن سبب شعورى بالضيق هو أنني غارقة في حبه إلى درجة هائلة وإنما السبب هو أنه كان على نحو غامض ملكا لي ومع ذلك لم يحصل مني على تصريح له بالسفر.

أنه يبقينى في عزلة تامة عن العالم الخارجى، لا صحف ولا جرائد ولا راديو ولا تليفزيون، أنني أفتقد الأخبار والأنباء على نحو رهيب، ولم أكن أهتم بالأنباء من قبل على الإطلاق، ولكنني بدأت أشعر الآن أن العالم قد توقف عن التواجد.

أنني أطلب منه في كل يوم أن يحضر لي جريدة ولكن الصحف من بين تلك الأمور التي يصر على حرمآني منها، ولا يوجد مبرر معقول يدعوه لأن يمنع عني الصحف، الأمر غريب، وأنا أعرف أنه متشبث برأيه ولن يحضر في الصحف، وأعرف أن مطلبي هذا يتوازى مع طلبي منه أن يصطحبنى بسيارته لينزلنى عند أقرب محطة أتوبيس.

وعلى كل حال سأداوم على طلبي بأن يشتري لي جريدة.

وهو يقسم بالأيمان المغلظة أنه أرسل الشيك إلى حملة نزع السلاح

النووى .C.N.D ولكني لا أعرف مدى صدقه، ولسوف أطلب منه أن يريني الإيصال الذي يدل على أنه أرسل الشيك.

حادث هام: لقد طلبت اليوم على الغذاء صلصة ورورشستر، وهو نادرا ما ينسى أن يحضر لي أي شيء أطلبه منه، ولكني لاحظت عدم وجود صلصة الوورشستر مع طعام الغذاء، ولذلك فإنه ينهض واقفا ويخرج ويفك القفل الذي يمسك بالباب ويجعله مفتوحا ثم يغلق الباب بالمفتاح ويحضر الصلصة في السرداب الخارجى ثم يفتح قفل الباب ويعيد غلقه بالمفتاح ويعود إلى، وبعدئذ تبدو عليه الدهشة عندما أضحك.

أنه لا ينسى أبداً روتين غلق الأقفال وفتح الأقفال، وحتى إذا خرجت إلى السرداب الخارجى بدون أن تكون يدأي مربوطتين فما الذي يمكنني أن أفعله؟ أنني لا أستطيع أن أحبسه في الداخل لأنني لا أستطيع الخروج، الفرصة الوحيدة التي قد تتاح لي هي عندما يدخل إلى غرفتي ومعه الصينية فهو في بعض الأحيان لا يقوم بغلق الباب أولا، لذلك إذا ما تمكنت من تخطيه بسرعة في اتجاه الباب فإنه يمكن لي أن أحبسه في داخل الغرفة وأتربس الباب عليه، ولكنه لا يبتعد كثيراً من الباب إلا إذا كنت أنا على مسافة بعيدة عن الباب، وعادة ما كنت أذهب وأخذ الصينية.

ومنذ أيام قليلة لم أذهب لأخذ الصينية منه واكتفيت بالاستناد على الحائط بجوار الباب، فقال لي: «ابتعدى لو سمحت» ووقف هنالك في تردد بعض الشيء. وبعدئذ انحنى في حرص وحذر شديدين وراح يرقب كل حركة تصدر عني ثم وضع الصينية في المدخل، ثم رجع إلى السرداب الخارجى.

وكنت جائعة. وانتصر هو.

ليس الأمر على ما يرام، لا استطيع النوم.

كان يوماً مسليا على ما يبدو، حتى في هذا المكان. لقد التقط لي المزيد من الصور الفوتوغرافية في هذا الصباح، وهو يستمتع بذلك بالفعل، وهو يحب لي أن أبتسم للكاميرا لذلك نظرت مرتين في شناعة إلى الكاميرا، فلم يشعر بالارتياح لذلك، وبعدئذ رفعت شعرى لأعلى بإحدى يدي متظاهرة بأنني إحدى الموديلات، وقال لي في جدية: «ينبغي عليك أن تكوني موديلا» وهو لم يدرك أنني كنت أسخر من الفكرة بأكملها.

أنني أعرف السبب الذي جعله يحب مسالة التصوير الفوتوغرافي، فهو يظن أن ذلك يجعلنى أعتقد أنه ميال للنواحى الفنية، وهو بالطبع ليس لديه أدنى فكرة عن الأمور الفنية، أقصد أنه يضعنى في بؤرة الاهتمام ومركز الاهتمام وذلك هو كل ما في الأمر، ولا يوجد لديه خيال فنى أو روح خلاقة.

الأمر غريب وغير طبيعي وشاذ ومخيف، ولكن هناك نوعاً من العلاقة بيننا، وأنا أسخر منه وأهاجمه في تهكم طوال الوقت، ولكنه يحس ويشعر عندما أكون «مهذبة». عندما يتمسك بموقفه ولا يثير غضبي، ولذلك فنحن ننزلق إلى حالات من المضايقات المازحة التي تتخذ طابع الود غالبا، ويرجع ذلك إلى أنني أشعر بالوحدة القاسية كما يرجع من ناحية أخرى إلى أنني أتعمد ذلك. فأنا أريد أن يسترخى ويبتعد عن التوتر لأن ذلك من أجل منفعته الذاتية ولأن ذلك قد يجعله يقع في خطأ ما ذات يوم.. ولذلك فإن تصرفي هذا يرجع إلى مزيج من الضعف والمكر والخداع والبر والإحسان، ولكن ذلك يرجع أيضاً إلى سبب آخر

رابع لا أستطيع تحديده على وجه الدقة. وهو سبب لا يمكن أن نقول عنه أنه الصداقة فأنا أمقته وأكرهه كرها شديداً.

ربما هو مجرد المعرفة، مجرد معرفة قدر كبير من المعلومات عنه، ومعرفة أي شخص عن كثب يجعل المرء يشعر بشكل تلقائي أنه وثيق الصلة به، حتى ولو كان يرغب أن يكون ذلك الشخص موجودا في كوكب آخر.

في خلال الأيام الأولي لم يكن بمقدورى أن أفعل أي شيء إذا كان هو موجودا بالغرفة، كنت أتظاهر بأنني أقرأ في كتاب ولكن لم يكن باستطاعتي أن أركز ذهني في القراءة، ولكنني الآن أصبحت أنسى في بعض الأحيان أنه موجود عندى بالغرفة، فهو يجلس عند الباب وأنا أقوم بالقراءة وأنا جالسة في الكرسي الخاص بي وعندئذ نبدو وكأننا شخصان متزوجين منذ سنوات عديدة.

وليس هذا يعنى أنني قد نسيت الحالة التي يكون عليها الناس الآخرون، ولكن يبدو أن الناس الآخرين قد فقدوا الحقيقة الواقعة، الشخص الوحيد الحقيق في العالم هو كاليبان.

لا يمكن فهم ذلك، أنه موجود فقط.

٢٠ أكتوبر:

الساعة الحادية عشر صباحا.

لقد حاولت توا الهرب.

لقد انتظرت لحين قيامه بفتح ترباس الباب الذي يفتح إلى الخارج، ثم قمت بدفع الباب إلى الوراء بعنف شديد بقدر ما أستطيع، وهو باب مبطن بالمعدن على هذا الجانب فقط وهو مصنوع من الخشب ولكنه

ثقيل للغاية، وتصورت أنه يمكن لي أن أضربه بالباب وأطرحه أرضا إذا فعلت ذلك في اللحظة المناسبة تماماً.

وبمجرد أن بدأ الباب ينحرك للوراء قمت بدفعه بأقصى قوتى فاصطدم به الباب في ضربة قوية فاندفعت أنا إلى الخارج، ولكني الأمر توقف بالطبع على مدى الدوار والدوخان الذي أصابه وعلى مدى الصدمة التي لحقت به، ولكنه لم يصب بأي دوار أو صدمة على الإطلاق، ومن المؤكد أن الضربة قد أصابت كتفه وليس رأسه.

وعلى كل حال فقد تمكن من الإمساك بي من ثوبي وفي خلال الثواني الأولي بظهور ذلك الجانب من شخصيته. العنف والكراهية والتصميم الرهيب على ألا يدعنى أفلت من يديه وألوذ بالفرار، ولذلك قلت له: «وهو كذلك» ثم استعدت رباطة جاشى واستجمعت قوأي ورجعت.

وقال: «كنت ستتسببين في إلحاق الضرر والأذى بي، لأن ذلك الباب ثقيل للغاية».

فقلت له: «إنك تسبب لي الأذى في كل ثانية وكل لحظة تحتجزني فيها هنا».

فقال: «لقد كنت أظن أن المنادين بحل المشاكل بالطرق السلمية لا يؤمنون بفكرة اللجوء للعنف وإلحاق الأذى والضرر بالآخرين».

فاكتفيت بهز كتفي وأشعلت سيجارة.

وكان جسدي كله يرتعش ويرتعد.

وقام هو بتنفيذ كافة روتين الصباح في صمت، وقام بدعك كتفه مرة واحدة بشكل واضح بعض الشيء، وانتهي الموقف عند هذا الحد.

وأنا الآن بصدد القيام بالبحث عن قطع من الحجارة السائبة، إنها

فكرة أن أشق نفقا تحت الجدار، وأنا بالطبع سبق لي البحث عن حجارة سائبة ولكنني لم أبحث في جدية تامة، ولم أتفحص جميع الأحجار حجرا حجرا في كل حائط من القمة إلى القاع.

الوقت في المساء، أنه قد خرج من المنزل لتوه، وكان قد أحضر لي قبل خروجه طعام العشاء الخاص بي، ولكنه كان ملتزما بالصمت الشديد، وكان يبدو عليه الاستهجان، ولقد انفجرت في الضحك بصوت مرتفع عندما انصرف أخذا معه أطباق العشاء الشاغرة، إنه يتصرف كما لو كان ينبغي لي أن أشعر بالخجل مما أقدمت عليه.

إنه لن يقع مره أخرى في خدعة الباب، لا توجد أية أحجار سائبة، فكلها متماسكة بالمونة الخرسانية، وأعتقد أنه قد فكر في أمر الحوائط مثلما فكر في باقى الأمور الأخرى.

لقد أمضيت معظم فترات النهار في التفكير، في نفس وفي الورطة التي أحدقت بي، وما الذي سيحدث لي؟ أنني لم يسبق لي أن شعرت بمدى غموض المستقبل بالنسبة لي مثلما شعرت به هنا، ما الذي سيحدث؟ ماذا سيحدث لي؟

وتفكيرى لا ينصب فقط على الحالة التي أنا عليها الآن في هذا الموقف الذي أمر به، وإنما ينصب تفكيرى أيضاً على وضعى عندما يتم إطلاق سراحي من هذا المكان، ما الذي سوف أفعله؟ أنني أريد أن أتزوج وأرغب في أنجاب أطفال، وأريد أن أثبت لنفسي أن جميع حالات الزواج ليست بالضرورة متشابهة مع حالة الزواج ما بين والدي ووالدتى، أنني أريد أن أتزوج رجلا له عقلية مثل عقلية .G.P ولكن بشرط أن يكون عمره متقاربا كثيراً مع سنى وبشرط أن تكون لوجهه الملامح التي أفضلها وبشرط ألا تكون لديه نقطة الضعف الوحيدة

الرهيبة الخاصة به، ولكنني عندئذ أريد أن استخدم مشاعرى إزاء الحياة، أنني لا أريد استخدامها من حيث هي مهارات فقط، ولكن أريد أن «أخلق» الفتنة والسحر والجمال، والزواج وإنجاب الأطفال وتحولي إلى أم يرعبنى لنفس ذلك السبب، لأنني بذلك سأتهمك تماماً في المنزل وشيءون المنزل وعالم الأطفال الرضع وعالم الأطفال الأكبر سنا وعالم الطهو وإعداد الطعام وعالم التسويق وشراء الحاجيات من السوق، وأنا لدى إحساس بأنني بقرة كسولة مما قد يجعلنى أرحب بالحياة الزوجية ومما قد يجعلنى أنسى ما كنت أرغب في تحقيقه ذات يوم وبحيث أصبح مجرد سيدة أنثوية ممتلئة ضخمة الجثة. أو ربما قد أضطر للقيام ببعض الأعمال البائسة التافهة مثل تزويد الكتب أو المجلات بالصور التوضيحية الزخرفية أو حتى القيام ببعض الأعمال التجارية من أجل الإبقاء على سير عجلة الحياة بالمنزل، أو التحول إلى إنسانة تعيسة داعرة مدمنة خمور «الجن» مثل والدتى (لا... لا يمكن لي أن أصبح مثل والدتى). والأسواء من ذلك كله أن أصبح شبيهة بكارولين التي جرت على نحو مثيرة الشفقة وراء الفن الحديث والأفكار والنظريات الحديثة بدون الوصول إلى أي شيء وبدون تحقيق أي شيء لأنها إنسانة مختلفة تماماً في حقيقة الأمر ومع ذلك فهي لا تدرك أبداً تلك الحقيقة.

أنني أفكر وأفكر هنا في هذا القبو الموجود تحت الأرض، وأنني أدرك الآن أشياء لم يسبق لي أن فكرت فيها من قبل على الإطلاق.

شيئاً اثنان: والدتى، أنني لم يسبق لي أن فكرت في والجتي بطريقة موضوعية من حيث هي شخص آخر ـ على الإطلاق، فهي كانت دائماً الأم التي كرهتها أو التي كنت أشعر بالخجل من تصرفاتها، ومع ذلك فهي كانت أكثر النساء إثارة للشفقة بين جميع النساء المماثلات اللاتي

تقابلت معهن أو سمعت عنهن، أنني لم أعطها أبداً قدرا كافيا من التعاطف، ولم أقدم لها في خلال هذه السنة الأخيرة (منذ أن تركت المنزل) نصف الاهتمام الذي أعطيته لذلك المخلوق الحيوآني الكريه الموجود بالدور العلوي خلال هذا الأسبوع الأخير، أنني أشعر الآن أنه يمكن أن أغمرها بالحب، لأنني لم أشعر بالآسف من أجلها والحزن عليها لسنوات عديدة، وكنت دائماً ألتمس العذر لنفسي وكنت أقول لنفسي: «إنني إنسانة شغوفة ومتسامحة مع كل إنسان آخر وهي الإنسانة الوحيدة التي لا يمكن أن أتسامح معها وينبغي أن يكون هناك استثناء للقاعدة العامة، ولذلك فهذا لا يهم». ولكن ذلك خطأ بالطبع، إنها ينبغي أن تكون آخر إنسانة أطبق عليها الاستثناء من القاعدة العامة.

وغالبا ما كنت أشعر أنا وميني Minny بالاحتقار نحو والدي بسبب معاملته لوالدتى في وقاحة، وكان ينبغي علينا أن نتضرع ونتوسل إليه.

أما الشيء الآخر الذي أفكر فيه فهو .G.P عندما تقابلت معه لأول مرة تحدثت عنه مع كل شخص آخر وقلت عنه أنه إنسان رائع للغاية، وبعدئذ استمرت ردود الفعل وأظن أنني كنت أنظر إليه مثلما تنظر تلميذة عبيطة في أعجاب شديد لمدرس لها وكأنه بطل من الأبطال، وبدأ يحدث الشيء الآخر، وكان الأمر مغرقا في الاتجاه العاطفي أكثر من اللازم.

لأنه قد أحدث بي تغييرا أكثر من أي شيء آخر أو أي شخص، بل وأكثر من لندن وأكثر من مدرسة السليد Slade للفنون.

لم يكن الأمر هو فقط أنه قد شاهد قدرا كبيرا للغاية من الحياة وشاهد وعاش تجربة فنية أكبر، وأنه إنسان مشهور، ولكنه يقول ما يعتقده على وجه الدقة، كما أنه يدفعنى دائماً إلى أن أفكر، وذلك هو

الشيء الكبير الرائع، أنه يجعلني لسائل نفسي دائما، كم عدد المرات التي اختلفت فيها في الرأي معه؟ وبعدئذ أجد نفسي بعد مرور أسبوع أتجادل مع شخص ما آخر بنفس البراهين والحجج التي كان يسوقها، بل وكنت أحكم على الناس من خلال معاييره.

إنه قد قضى على كل السخافات الموجودة في داخلي (أو قضى على بعض منها على كل حال) وقضى على أفكارى الغبية فيما يتعلق بالفن والحياة... والفن الحديث. وقضى على شيءمى وتخيلي. ولقد تغيرت شخصيتي تماماً منذ أن قال لي لأنه يكره النساء المشئومات المخبلات إلى حد كبير، بل أنني تعلمت منه نفس الكلمة التي استخدمتها. كلمة Fey أي مشئوم.

لقد أحدث تغييرا في حياتي بوسائل عديدة للغاية، سواء أكان ذلك بطرق مباشرة أو من خلال تغييرات راسخة في طور التنفيذ، وهي قائمة من الوسائل على النحو الآتى.

- إذا كنت فنانا صادقا فإنك تعى كيانك كله للفن، وإذا فعلت أي شيء أقل من ذلك فأنك لا تكون فنانا، أو لن تكون «خلاقاً أو صانعاً» على حد تغبير .G.P.

- لا تندفع في الكلام في حماس شديد ولا تحاول أن تحدث تأثيراً على الناس من خلال أفكار معينة.

- ينبغي أن تكون يساريا من الناحية السياسية لأن الاشتراكيين هم الناس الوحيدون الذين يبدون اهتمامات بكل ما يقعون فيه من أخطاء. فهم لديهم المشاعر والأحاسيس وهم يرغبون في تحسين أوضاعه العالم.

- يجب عليك أن تكون «خلافاً» دائماً ويجب أن تنصرف إذا كنت

تؤمن بشيء ما والتحدث عن التصرف هو شبيه بالمفاخرة بلوحات أنت بصدد القيام برسمها، وذلك هو أشنع أنواع القوالب والأشكال.

ـ إذا شعرت بشيء ما بإحساس عميق فأنت لا تخجل من إظهار مشاعرك.

ـ أنت تتقبل أنك إنجليزي، وأنت لا تدعى أنك تفضل لو كنت فرنسياً أو إيطاليا أو أي شيء آخر (بييرز يتحدث دائماً عن جدته الأمريكية).

ـ ولكن يجب عليك ألا تحاول أن تتوافق مع البيئة الاجتماعية السابقة الخاصة بك، غذ ينبغي عليك أن تقطع الأواصر التي شكلت شخصيتك القديمة والتي تعترض طريقك وطريق شخصيتك الجديدة الخلاقة الابتكارية، وإذا كنت من سكان الضواحى (وأنا أعرف أن والدي ووالدتى من سكان الضواحى ـ وأعرف أن سخريتهم من سكان الضواحى هو من قبيل التعتيم والتضليل) فإنه ينبغي عليك أن تنبذ (تعالج بالكي) الضواحى، وإذا كنت من يبقه العمال فإنه ينبغي عليك أن تقضي على روح طبقة العمال الموجودة في داخل كيانك، ومهما كانت الطبقة الاجتماعية هي مسألة بدائية ومتسمة بالسخف والغباء.

ولم يكن مقصورا على فقط، أنظر إلى تلك المرة التي تقابل فيها صديق لويزى ـ وهو ابن رجل من عمال المناجم في ويلز ـ معه. وكيف أنهما يتجادلان في عنف وشراسة مع بعضهما البعض وعندئذ وقفنا جميعاً ضد .G.P نظرا لاحتقاره الشديد لطبقة العمال وحياة طبقة العمال. حيث كان يصفهم بأنهم حيوانات وليسوا آدميين، ودافيد إيفانز قال لي في تلعثم شديد وقد شحب وجهه إن والدي حيوان لعين وبذلك ينبغي لي أن أزيحه من طريقى. وقال لي .G.P أنني لم أقم بإلحاق الأذى بأي

حيوان في حياتي على الإطلاق وأنه يمكن لي دائماً أن أتمكن من إلحاق الضرر والأذى بالآدميين، ولكن الحيوانات البشرية تستحق كل العطف، وبعدئذ جاء إلى دافيد إيفانز في الشهر الماضي معترفا لي بأن المناقشة في ذلك المساء قد غيرته بالفعل.

- ينبغي لك أن تكره العمل السياسي للقوميات، وينبغي لك أن تكره كل شيء في مجال السياسة والفنون وفي كل مجال آخر لا يتصف بأنه أصيل وعميق وضرورى، إذ لا ينبغي أن تخصص أي وقت من أجل الأمور التافهة السخيفة، يجب أن يعيش المرء حياة جادة بحيث لا يذهب لمشاهدة الأفلام السخيفة حتى ولو كان يرغب في مجرد الترويح عن نفسه ولا يقرأ الصحف والجرائد الحقيرة التافهة ولا يصغى للكلام الفارغ الذي يبث في المذياع والتلفزيون ولا يضيع وقته في مناقشة الموضوعات التافهة، بمعنى أن المرء ينبغي عليه أن يستخدم حياته في الاتجاه الصحيح.

ومن المؤكد أنني كنت أرغب دائماً في الإيمان بتلك الأمور، ولقد كنت أومن بالفعل بهذه الأمور على نحو ما غامض قبل أن أتقابل معه، ولكنه قد جعلنى أؤمن بهذه الأمور، وإنها الفكرة التي غرسها في ذهني هي التي تجعلنى أشعر بالذنب عندما آخرق هذه القواعد.

وإذا كان هو الذي جعلنى أؤمن بهذه القواعد فإن ذلك معناه أنه قد شكل الجزء الأكبر في داخل شخصيتي الجديدة.

إذا كانت لي أم في العماد خرافية - ارجوها أن تجعل .G.P أصغر في السن بمقدار عشرين عاما وأن تجعله جذابا في نطري من الناحية الجسدية.

كم هو سيحتقر ذلك!!

إنه لأمر غريب (وأنني لأشعر بالذنب بعض الشيء) ولكنني كنت أشعر اليوم أنني أكثر سعادة مما كنت عليه في أي وقت مضى منذ أن جئت إلى هنا، إنه شعور - بأن كل شيء سينتهي على ما يرام، وكان السبب في ذلك يرجع في أحد جوانبه إلى أنني فعلت شيئاً ما في هذا الصباح حيث حاولت الهرب، وبعدئذ تقبل كاليبان ما حدث، أقصد أنه إذا كان ينوى مهاجمتى لكان قد فعل ذلك بكل تأكيد في وقت ما عندما يكون لديه سبب يكفي لأن يشعر بالغضب، مثلما شعر بالغضب في هذا الصباح، إنه يتمتع بضبط النفس إلى حد كبير.

وأنا أدرك أيضاً أنني أشعر بالسعادة لأنني لم أكن موجودة هنا في معظم أوقات النهار، حيث كنت أفكر في معظم الأوقات في G.P. كنت أفكر في العالم الخاص به وليس في العالم الموجود هنا في هذه الغرفة السفلية، ولقد تذكرت قدرا كبيرا من الأمور والمواقف، وكنت أتمنى لو قمت بكتابة وبتسجيل كل تلك الذكريات، لقد رحت أنهل في الذكريات وأغرق فيها في نهم وشراهة، فهذا العالم الذي أعيش فيه تحت الأرض قد جعل العالم يبدو حقيقياً للغاية ومليئاً بالحيوية والجمال للغاية بل وحتى النواحى الكريهة المنحطة به بدت لي جميلة.

كنت أشعر بالسعادة لسبب آخر وهو أنني كنت منهمكة في مشاعر الغرور الرديئة التي اجتاحتني وكنت أتذكر كلاماً قاله لي G.P. وأناس آخرون، كنت أدرك أنني إنسانة غير عادية بعض الشيء وأدرك أنني إنسانة ذكية وأنني قد بدأت أفهم جوانب الحياة على نحو أفضل من معظم الأشخاص الذين هم في نفس عمرى، بل وكنت أدرك أنني لن أكون سخيفة للغاية بحيث أشعر بالغرور إزاء ذلك وإنما سأشعر بالامتنان والشكر والغبطة الجامحة (وخاصة بعد هذا الذي حدث لي) لأنني

مازلت على قيد الحياة ومازلت الشخصية التي أنا عليها.. ميراندا الفريدة من نوعها.

ولن أدع أي شخص يدرك هذا أبداً، حتى ولو كانت هذه هي الحقيقة لأن ذلك سيبدو بالتأكيد نوعا من الغرور.

تماما مثلما لا أدع الفتيات الآخريات يدركن أنني أعرف أنني جميلة وجذابة فلا أحد يعرف أنني فعلت كل ما في استطاعتي لكي لا أستغل هذه الميزة، فقد تغاضيت في وقاحة عن عيون الشباب والرجال الجائلة بل وتغاضيت عن أجمل العيون وأظرفها.

ميني: ذات يوم عندما رحت أتكلم في اندفاع وحماس عن فستانها لدى انصرافها للذهاب للرقص فإنها قالت: «كفي عن هذا الكلام فأنت جميلة للغاية حتى إنك لست بحاجة لأن تجربي ارتداء ذلك الفستان».

ويقول G.P.: «أنت لك كل نوع من أنواع الوجوه».

٢١ أكتوبر:

أنني أجعله يطبخ الطعام على نحو أفضل، حظر مطلق على الأطعمة المجمدة. ويجب أن أحصل على الفواكه والخضروات الطازجة، وأتناول البوفتيك واللحوم والأسماك المشوية، كما أتناول سمك السلمون، ولقد أمرته أن يحضر لي كافيار بالأمس، ومما يزعجنى أنني لا أستطيع أن أتذكر عدد كافيا من الأطعمة النادرة التي لم يسبق لي تناولها والتي كنت أرغب في تناولها.

أنني شرهة للطعام.

الكافيار رائع للغاية.

لقد أخذت حماما آخر، إنه لا يجرؤ على الرفض وأظن أنه يعتقد أن «السيدات» يسقطن ميتات إذا لم يأخذن حماما عندما يرغبن في الحصول على حمام.

لقد وضعت رسالة في آسفل هذا المكان، ووضعت تلك الرسالة في زجاجة صغيرة من البلاستيك بها ياردة من شريط أحمر ملفوف حولها، وأمل أن تفك لفائف هذه الرسالة وبحيث يشاهدها شخص ما، في مكان ما، في وقت ما. ينبغي لهم أن يعثروا على مكان هذا المنزل المنعزل بسهولة، وهو كان غبيا عندما حدثني عن التاريخ الموجود عند باب ذلك المنزل، وكان على أن أنهي كلامي بقولي: «هذه ليست خدعة لإيقاع شخص في مقلب». وكان من الصعب تماماً ألا أجعل تلك العبارة تبدو وكأنها نكته سخيفة، وقلت في رسالتي أن أي شخص يقوم بالاتصال تليفونيا بأبي لإخباره سيحصل على مكافأة يقدرها ٢٥ جنيها، وأنا سأقوم بإطلاق زجاجة إلى البحر [هـم. م. م] في كل مرة أحصل فيها على حمام.

إنه قد أنزع كل الزينات النحاسية البراقة الموجودة في منبسط الدرج والسلالم، كما انتزع اللوحات الزيتية الرهيبة القرمزية ـ البرتقإلية ـ التي تعبر عن قرى الصيد الماجوركية Majorcan ويتنهد هذا المكان المسكين بالارتياح.

أنني أحب أن أكون موجودة بالدور العلوي، فهو مكان يقربنى أكثر نحو الحرية، كل شيء مغلق بالأقفال والترابيس. وجميع النوافذ الموجودة في واجهة المنزل لها شيش داخلي، أما النوافذ الأخرى فهي مغلقة بالأقفال. [مرت سيارات في هذه الليلة، ولكن من المؤكد أنه طريق ليست له أهمية على الإطلاق].

ولقد بدأت أيضاً في تعليمه، ففي هذه الليلة وفي غرفة الجلوس [وكانت يدأي مربوطتين بالطبع] رحنا نتصفح كتابا عن الرسومات واللوحات الفنية. مقدرته العقلية محدودة، ولا اعتقد أنه يصغى لكلامى جيدا، إنه يفكر في جلوسه بالقرب مني مع بذل الجهد لأن يكون قريبا مني بدون أن يتلامس معي، لا أعرف ما إذا كان الدافع وراء ذلك هو الجنس أو الخوف من أنني أضمر له خدعة معينة.

وإذا انصب تفكيره على اللوحات فإنه يبادر بالموافقة على كل كلام وكل رأي أبديه، فإذا قلت له أن لوحة دافيد التي رسمها مايكل انجلو هي بمثابة طاسة للقلي فإنه يقول: «أدرك ذلك».

هذه النوعية من الناس، من المؤكد أنني وقفت في الطابور إلى جوارهم في محطة السكة الحديد للقطار الذي يسير تحت الأرض ومن المؤكد أنن أمر إلى جوارهم في الشوارع وبالطبع فأنا كنت أسمع كلامهم مصادفة وكنت أدرك أنهم موجودين، ولكنني لم أكن أومن حقاً بأنهم موجودون، كنت عمياء تماماً. لم يخطر على بإلى مطلقا أن اختطافي كان أمراً يمكن حدوثه.

حوار: كان جالسا وكان لا يزال ينظر إلى الكتاب بنظرة تنم على أن الفن هو أمر مدهش ورائع للغاية [وذلك استرضاء لي وليس لأنه يؤمن بذلك بالطبع].

ميراندا: هل تعرف ما هو الشيء الغريب حقاً في هذا المنزل؟ إن الشيء الغريب في هذا المنزل هو أنه لا يوجد به أية كتب، باستثناء الكتب التي اشتريتها لي.

كاليبان: توجد بعض الكتب في الدور العلوي.

ميراندا: عن الفراشات.

كاليبان: كتب أخرى.

ميراندا: قليل من الروايات البوليسية التافهة، ألم تقرأ أبداً كتابا ممتازة ـ كتبا حقيقية صادقة؟ [فترة صمت].. كتبا تدور حول موضوعات هامة من تإليف أناس يسعرون شعورا صادقا نحو الحياة ويؤمنون بها... وليست كتابا ورقية الغلاف من النوع الذي يقرأه المرء ليقتل الوقت أثناء رحلة بالقطار. ألم تقرأ كتبا جادة؟

كاليبان: اهتماماتى تنصب أكثر على الكتب والروايات الخفيفة [أنه يشبه أحد أولئك الملاكمين فهو على استعداد لتقبل الهزيمة والإطاحة به على الأرض والانهزام بالضربة القاضية).

ميراندا: يمكنك إلى حد بعيد أن تقرأ كتابا تحت عنوان: الصيد في الجاودار The Catcher in the Rye، وأنا كدت أن أنتهي من قراءته. وهل تعلم أنني قد قرأته مرتين بينما كنت أنا أصغر منك في السن بخمس سنوات؟

كاليبان: لسوف أقرأ ذلك الكتاب بالتأكيد.

ميراندا: ذلك ليس عقابا.

كاليبان: لقد تصفحته قبل أن أشتريه.

ميراندا: ولم تحبه.

كاليبان: لسوف أحاول قراءته.

ميراندا: أنت تجعلنى أشعر بالضيق والغثيان.

وبعدئذ سادت فترة صمت. وأحسست أنني غارقة في أوهام غير حقيقة وكما لو كان الموقف بمثابة مسرحية بينما أنا لا أستطيع أن أتذكر دورى في داخل تلك المسرحية.

وكنت قد سألته في وقت مبكر من هذا اليوم عن السبب الذي يدعوه لجمع الفراشات.

ميراندا: لا يمكن لك أن تجمع الفراشات من أجل ذلك السبب فقط.

كاليبان: إن الأمر يرجع إلى مدرس كان يدرس لي عندما كنت صبيا، وقد أوضح لي طريقة اصطياد الفراشات، وكان هو يجمع الفراشات بنفسه، ولم أكن أنا أعرف الكثير عن وسائل جمع الفراشات، وكنت لا أزال أطيق الأسلوب القديم والأسلوب القديم له علاقة بأبالزاوية التي تكون عليها الأجنحة، أما الطريقة الحديثة فهي تركز على اصطياد الفراشات عندما تكون الأجنحة في وضع الزوايا القائمة، وكذلك كان عمى مهتما بالطبيعة، وهو دائماً ما كان يساعدنى.

ميراندا: يبدو أن عمك إنسان لطيف.

كاليبان: دائماً ما يكون الناس المهتمون بشيءون الطبيعة أناسا ظرفاء وطيبين، أنطرى إلى أساتذة قسم الحشرات، إنه قسم الأنتومولوجى (الحشرات) في جمعية التاريخ الطبيعي، إنهم يعاملون الناس معاملة طيبة ولا ينظرون إلى الناس في ازدراء، لا شيء من هذا القبيل على الإطلاق.

ميراندا: إنهم لا يتصفون بالظرف دائماً (ولكنه لم يفهم المعنى الذي أهدف إليه).

كاليبان: ربما تكوني قد تعاملت مع الناس المتعإلين بينهم، ولكن معظمهم أناس طيبون كما قلت لك. فهم طبقة من الناس أفضل من باقى الناس الذين تقابلت معهم.. تقابلت معهم بالطريقة العادية.

ميراندا: ألم يشعر أصدقاؤك باحتقار نحوك؟ ألم يحتقرك أصدقاؤك؟ ألم ينظروا إليك على أنك إنسان مخنث؟

كاليبان: لم يكن لي أي أصدقاء على الإطلاق، فهم مجرد أناس كنت أعمل معهم [وبعد برهة قال أنهم كانوا يطلقون النكات السخيفة].

ميراندا: مثل ماذا؟

كاليبان: مجرد نكات سخيفة.

ولم أستقر في الحوار معه، أحيأنا تكون لدى رغبة عارمة في الغوص في أعماق نفسيته واستخلاص أشياء من أعماقه لا يرغب في التحدث عنها. ولكن ذلك أمر سيء لأنه يوحي وكأنني أهتم به وبحياته التعيسة المليئة بالخجل والجنون.

عندما يقوم الإنسان باستخدام الكلمات بهدف التعبير تحدث الثغرات والفجوات، الطريقة التي يجلس بها كاليبان تتخذ وضعا معينا يجمع ما بين الانحناء والاعتدال ـ فلماذا يجلس على ذلك النحو؟ هو بسبب الخجل والارتباك؟ هل لكي يتمكن من القفز على إذا حاولت الهرب؟ يمكن لي أن أرسم الوضع الذي تكون عليه جلسته، ويمكن لي أن أرسم وجهه والتعبيرات التي تبدو على وجهه، ولكن الكلمات تستخدم كثيراً للغاية، ولقد استخدمت فيما يتعلق بالكثير للغاية من الأشياء والناس، أنني إذا كتبت عبارة [لقد ابتسم] فما الذي تعنيه تلك العبارة؟ إنها لا تعنى شيئاً أكثر من مجرد رسم على ملصق معلق على حائط بإحدى دور الحضانة، وهو رسم لنبات اللفت به ابتسامة لفم هلالى، ولكنك إذا قمت برسم الابتسامة.

الكلمات تكون فجة ُوفظة للغاية بل وبدائية وشنيعة إذا ما قورنت بالرسم والتصوير والنحت. «جلست على سريرى وجلس هو بجوار

الباب وتحدثنا معا وحاولت إقناعه بأن يستخدم نقوده في تعليم نفسه وقال أنه سيفعل ذلك ولكنني لم أقتنع بأنه سيفعل ذلك».. إنه مثل الرسم الملطخ المتسخ المخربط.

مثل محاولة الرسم باستخدام سلك مكسور، كل هذا هو التفكير الداخلي الخاص بي.

إنني بحاجة لأن أشاهد .G.P، فهو على استعداد لأن يزودنى بأسماء أفضل عشرة كتب، الكتب التي أجمع الناس على أنها أفضل أنواع الكتب.

كم أنا أكره الجهل إلى أقصى حد، أنني أكره جهل كاليبان وأكره جهلي وأكره جهل العالم، أوه، باستطاعتي أن أدرس وأتعلم وأتعلم إلى ما لا نهاية، أنني أصيح من كل أعماقى قائلة: أنني أريد أن أتعلم الكثير للغاية.

مكبلة بالقيود في يدي وبالكمامة في فمي لسوف أعيد هذه المذكرات إلى مكانها تحت المرتبة في سريرى حيث تعيش هنالك، وبعدئذ سأصلي لله العظيم لينعم على بالعلم والمعرفة.

٢٢ أكتوبر:

بحلول هذا اليوم يكون قد انقضى أسبوعان على وجودى هنا، لقد وضعت علامات ترمز للأيام على جانب الستارة مثلما فعل روينصون كروزو.

أشعر بالاكتئاب والهم الشديد، والأرق ينتابنى باستمرار، ينبغي وينبغي وينبغي لي أن الوذ بالفرار.

وجهي أخذ من الشحوب الشديد، وأشعر أنني مريضة وضعيفة طوال الوقت.

هذا الصمت الرهيب.

قلبه يخلو من الرحمة تماماً، وهو إنسان غامض للغاية ولا يمكن سبر أغواره على الإطلاق، ما الذي يريده؟ وماذا سيحدث؟

من المؤكد أنه يدرك أن المرض بدأ يزحف علي.

لقد قلت له في هذا المساء أنه ينبغي لي أن أحصل على قدر من ضوء النهار، ودفعته لأن ينظر إلي ليرى بنفسه مدى الشحوب الذي ظهر على وجهي.

غدا غدا غدا... إنه لا يقول أبدا: «حالا... على الفور... الآن».

وخطر على ذهني اليوم أنه ربما سيحتفظ بي ويبقى على هنا إلى الأبد. وإذا فعل ذلك فإنني لن أبقى هنا لفترة طويلة لأنني سرعان ما سأتعرض للموت الأكيد، إن الاحتفاظ بي هذا أمر سخيف للغاية وهو أمر شيطاني ووحشي وشرير تماماً ـ ولكن لا توجد وسيلة تعينني على الهرب. ولقد قمت بالبحث عن أحجار سائبة مرة أخرى، كان باستطاعتي أن أحفر نفقا عند الباب يؤدي إلى خارج الغرفة، ولكنه يجب أن يبلغ طوله عشرين قدما على الأقل، وكل ذلك التراب. أنني سأقع في الشراك في داخل ذلك النفق، ولن أتمكن أبداً من حفر هذا النفق إنني أفضل الموت على أن أقوم بحفر النفق، إذن يجب أن يتم حفر نفق عند الباب. ولكي أفعل هذا يجب أن يكون لدى متسعا من الوقت، وينبغي أن أتأكد من بقائه بعيداً عن المنزل لمدة ست ساعات على الأقل. ثلاث ساعات من أجل حفر النفق وساعتان من أجل النفاذ من الباب الخارجى، أنني أشعر أنها أفضل فرصة أمامى وأدرك أنه ينبغي

لي ألا أضيع تلك الفرصة وألا أتلفها من خلال النقص في الإعداد والتجهيز.

لا أستطيع أن أنام.

يجب على أن أفعل أي شيء.

٢٣ أكتوبر:

إنني سبب البلاء والشقاء، أنني مومس وعاهرة، من وجهة نظر كاليبان، لا توجد أي رحمة من جانبه، وأسوأ الأمور جميعاً هو أنني لا يتوافر لي الانعزال بالنسبة للأمور الخصوصية، ولقد دفعته لأن يسمح لي بالتريض في السرداب في هذا الصباح، وأظن أنني سمعت جرارا يعمل ويدور وسمعت صوت عصافير، والعصافير تدل على سطوح ضوء النهار، كما سمعت صوت طائرة، وكنت غارقة في الدموع.

عواطفي مقلوبة رأسا على عقب وفي حالة من الفوضى والاضطراب، مثل القرود الخانقة المحبوسة في قفص. شعرت أنني بصدد التعرض للجنون في الليلة الماضية، وكتبت وكتبت وكتبت نفسي في العالم الآخر، لكي أهرب بالروح إذا لم أستطع أن أهرب بالروح والجسد معا، ولكي أبرهن على أن روحي مازالت موجودة.

وكنت قد قمت بعمل اسكتشات تمهيدية من أجل لوحة سأقوم برسمها عندما أصبح حرة طليقة. لوحة تعبر عن منظر لحديقة من خلال فتحة باب. التعبير بالكلمات عن تلك اللوحة يبدو أمراً سخيفا. ولكنني أرى تلك اللوحة وكأنها شيء ما خصوصى للغاية: يسودها اللون الأسود واللون البنى المائل للاصفرار واللون الرمادى الداكن مع وجود أشكال غامضة لها زوايا حادة في مساحة من الظل تؤدى إلى المساحة

المربعة الشكل للباب المليء بالضوء وهو ضوء أبيض عسلي هادئ بعيد، نوع من الشعاع الأفقى للضوء.

أمرته بالانصراف عقب العشاء، وكنت أضع اللمسات الأخيرة لدى انتهائي من رسم لوحة إيما Emma، إنها إيما وودهاوس Emma Woodhouse إنني أعطف عليها وأشاركها الأحزان وأشعر بها ومن خلالها، أنا لديَّ نوع مختلف من التنفجية ولكنني أفهم تنفجيتها، وأفهم تمسكها حتى الإزعاج بالمبادئ والسلوك الحسن مع ازدرائها انفسها وللآخرين، وأعجب بتلك الاتجاهات التي تتسم بها، وأنا أدرك أنها تفعل بعض الأمور الخاطئة وأنها تحاول تنظيم حياة أناس آخرين، فهي لا تستطيع أن تدرك أن المستر نايتلي لا يوجد نظير له سوى واحد في كل مليون شخص، وهي سخيفة مؤقتا، مع ذلك فإن المرء يدرك طوال الوقت أنها تتسم أساسا بالذكاء والحيوية، فهي إنسانة خلاقة وهي مصممة على خلق المعايير.ذات المستوى الرفيع، فهي إنسانة حقيقية وبمعنى الكلمة وأخطاؤها هي أخطائي: وينبغي لي أن أجعل فضائلها هي فضائلي.

٢٤ أكتوبر:

ها هو يوم رديء آخر، وحرصت على أن يكون يوماً رديئاً بالنسبة لكاليبان أيضاً، وهو في بعض الأحيان يثير أعصابي لدرجة أنني أصرخ في وجهه، ولم يكن الأمر يرجع أساسا إلى الطريقة التي ينظر بها وإن كانت نظرته سيئة بالقدر الكافي، وهو دائماً ما يبدو محتشما ومؤدبا للغاية ودائما ما تظهر في بنطلونه التجعدات ودائما ما تكون قمصانه نظيفة، وأعتقد أنه سيصبح أكثر سعادة لو ارتدى قمصانا لها ياقات

منشاة، وهو لا يرتدى مثل هذه إلياقات المنشاة على الإطلاق، وهو من النوع الذي يظل واقفا لفترات طويلة بل هو أكثر الناس الذين يقفون في تسكع والذين شهدتهم في حياتي، ودائما ما يرتسم تعبير «أنا آسف» على وجهه مما يجعلنى أبدأ في الإدراك بأن هذا هو رضا واطمئنان حقيقي من جانبه، أو هو انتهاج مطلق لأنه تمكن من وضعى تحت سيطرته وأصبح قادرا على قضاء اليوم بأكمله في الحملقة في وجهي وتكرار ذلك في جميع الأيام، وهو لا يهتم بما قد أقوله أو أحس به ت فأحاسيسي لا معنى لها بالنسبة له ـ لأنه قد امتلكني في حقيقة الأمر واستحوذ على.

كان بمقدورى أن أسبه وألعنه طوال اليوم صارخة في وجهه، وهو لم يكن يأبه لذلك على الإطلاق، فهو لا يريد سوى شكلي وكيآني من الناحية الخارجية الظاهرية وليس عواطفي وأحاسيسي أو عقلي أو روحي أو حتى جسدي، ولا أي شيء له الطابع الإنساني.

إنه جامع للفراشات، وذلك هو الشيء الميت الهائل في داخل كيانه.

كما أن طريقته في التكلم تسبب لي ضيقاً وإزعاجاً شديداً، فهو يستخدم الكليشيهات اللغوية... كليشيها وراء كليشيه وكلها كليشيهات قديمة ومن طراز قديم عفا عليه الزمن كما لو كان قد قضى كل حياته مع أناس يتجاوز عمرهم الخمسين عاما. وفي فترة تناول الغداء في هذا اليوم قال: «لقد سألت عن الأسطوأنات التي وضعوها في قائمة الأشياء المطلوبة».

فقلت له: «لماذا لا تكتفي بالقول (لقد سألت عن تلك الأسطوانات التي طلبتها».

فقال: «إنني أدرك أن لغتى الإنجليزية ليست سليمة، ولكنني أحاول أن أجعلها سليمة».

وذلك يلخص شخصيته وموقفه، فمن المؤكد أنه كان يرغب في أن يكون على صواب وأن يفعل ما هو «سليم» وما هو «لطيف» قبل أن تتم ولادة كل منا.

وأنا أدرك أن ذلك أمر مثير للشفقة والحزن، وأدرك أنه ضحية لعالم ريفي تعيس بروتستانتي وضحية لطبقة اجتماعية تعيسة وبائسة، التقليد الأعمى الرهيب الجبان والرامى إلى تقليد الطبقة الراقية والموجودين بين الطبقات الاجتماعية، ولقد تعودت على أن أعتقد أن الطبقة الاجتماعية التي ينتمي لها والدي ووالدتى هي أسوأ الطبقات الاجتماعية، فهي طبقة مليئة بلعبة الجولف ومشروب الجن ولعبة البريدج والسيارات ولهجة النطق السليمة والنقود الملائمة والالتحاق بالمدرسة المناسبة والكراهية للفنون (والمسرح ليس سوى التمثيل الصامت في الكريسماس ومسرحية «مي القش» التي تقدمها فرقة المدينة المسرحية ـ والكلمات الشائعة القذرة كل لمن بيكاسو Picasso وبارتوك Bartok[1] اللهم إلا إذا كنت لا تريد أن تضحك ملء شدقيك).

نسيت أن أكتب عن ذلك الكابوس أو الحلم المزعج الذي حلمته في الليلة الماضية، ويبدو أنني أتعرض دائماً للكوابيس والأحلام المزعجة في الفجر وهذا أمر يتعلق بفساد الهواء في هذه الغرفة والذي ينجم عن حبسى فيها طوال الليل.

أنني أشعر بالارتياح عندما يجيء إلى ويصبح باب غرفتي مفتوحا وتبدأ مروحتى في الحركة، ولقد طلبت منه كثيراً أن يسمح لي بالخروج مباشرة لكي استنشق الهواء في السرداب ولكنه دائماً ما كان يجعلنى انتظر لحين انتهائي من تناول طعام الإفطار).

---

(١) ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

كان الحلم على هذا النحو، لقد انتهيت من رسم لوحة، ولا استطيع أن أتذكر الشكل الذي كانت عليه هذه اللوحة ولكنني كنت مسرورة للغاية منها. وكانت اللوحة موجودة في منزلي، ثم ذهبت إلى خارج المنزل وبينما كنت بالخارج أدركت أن هناك شيئاً ما خاطئ فاضطررت إلى العودة إلى منزلي، وعندما اندفعت إلى داخل غرفتي كانت والدتى جالسة هنالك إلى منضدة بيمبروك Pembroke[١] (وكانت ميني واقفة عند الحائط وقد ظهر عليها الرعب الشديد، وأظن أن .G.P كان موجودا هناك أيضاً كما كان هناك أيضاً أناس آخرين لسبب ما معين). وكانت اللوحة ممزقة إربا إربا ـ شرائط طويلة هائلة من قماش الرسم، وكانت والدتى تضرب بالمقص الخاص بتقليم المزروعات فوق سطح المنضدة وأدركت أنها كانت شاحبة الوجه بسبب ما يعتمل في داخلها من غضب شديد، فشعرت أنا أيضاً بنفس مشاعر الغضب، بأشد أنواع الغضب والكراهية.

وبعدئذ استيقظت من النوم، ولم يسبق لي أن شعرت بمثل هذا الغضب العارم وتجاه والدتى ت إذ كان يفوق ذلك الغضب الذي اجتاحنى في ذلك اليوم عندما كانت والدتى مخمورة وضربتني أمام ذلك الولد الكريه الذي يسمى كاتسبي ومازلت أذكر وقوفي هنالك بينما وقع صفعتها مازال جاثما على خدى حيث كنت أشعر بالخجل والغضب الشديدين والصدمة الهائلة وغير ذلك من المشاعر المتعددة... ولكني مع ذلك كنت أشعر بالآسف من أجلها. فذهبت وجلست بجوار سريرها وأمسكت بيدها وجعلتها تبكي وغفرت لها ودافعت عن موقفها إزاء

---

(١) مثل المناضد الموجودة في مقاطعة بمبروكشاير.

والدي وأختي ميني، ولكني هذا الحلم بدأ لي وكأنه حقيقي للغاية وطبيعي على نحو رهيب.

ولقد صبرت على محاولتها الرامية لمنعي من أن أصبح فنانة، الآباء والأمهات دائماً ما يسيئوا فهم أبنائهم وبناتهم (لا... أنني شخصيا لن أسيء فهم أبنائي وبناتي). وكنت أدرك أنه من المفروض لي أن أصبح الابن والطبيب الجراح الذي لم يستطع والدي المسكين أن يكونه، ولسوف تصبح كارمن طبيبة جراحة الآن، أعني أنني قد غفرت لهما كفاحهما ضد طموحي من أجل تحقيق طموحاتهما، ولقد كسبت أنا الجولة ومن ثم يجب على أن أغفر لهما.

ولكن تلك الكراهية في ذلك الحلم، لقد كانت كراهية حقيقية للغاية.

أنني لا أعرف كيف أطرد تلك الكراهية من داخل كيآني، كان بمقدورى أن أقص ذلك على G.P. ولكن لا يوجد سوى الخربشة المترنحة لقلمي على هذه الوِسادة.

لا يمكن لأي فرد لم يعش في سجن تحت الأرض أن يدرك أو يفهم مدى الصمت المطبق الشديد الذي يوجد هنا تحت الأرض، لا يوجد أي صوت. لذلك فأنا أشعر أنني قريبة للغاية من النوت، أشعر أنني مدفونه تحت الأرض، لا يوجد أي صوت مترام من الخارج يساعدنى على الشعور بأنني أعيش، وغالبا ما أضع أسطوانة في جهاز التسجيل ليس بهدف أن أستمع للموسيقى ولكن بهدف أن أسمع أي شيء.

وكثيراً ما يجتاحنى وهم غريب الشأن، إذا اعتقد أنني قد أصبت بالصمم. فأضطر إلى أن أحدث ضوضاء ضئيلة للغاية لكي أبرهن لنفسي على أنني غير مصابة بالصمم، وأسلك صوتي لكي أبين لنفسي أن كل شيء على ما يرام وطبيعي للغاية، الأمر شبيه بتلك الفتاة إليابانية

الصغيرة التي عثروا عليها بين خرائب هيروشيما، كان الموت والدمار يغلف ويحدق بكل شيء بينما كانت هي تغنى لعروستها.

٢٥ أكتوبر:

يجب ويجب وينبغي وينبغي أن أهرب.

قضيت الساعات والساعات اليوم في التفكير في أسلوب يعينني على الهرب، أفكار جامحة، إنه إنسان ماكر ومخادع للغاية وعلى نحو لا يمكن تخيله أو تصديقه، إنه مثل الجهاز الذي لا يتعطل حتى مع سوء استعماله.

ينبغي أن يبدو على وكأنني لا أفكر في الهرب ولا أحاول الهرب على الإطلاق، ولكنني لا استطيع أن أحاول الهرب في كل يوم وتلك هي المشكلة، ويجب على أن أترك فترة زمنية ما بين المحاولات الرامية للهرب، وكل يوم يمر على هذا هو بمثابة أسبوع بالخارج.

لا فائدة ترجى من وراء العنف، ينبغي لي أن ألجا إلى المكر والدهاء والخداع.

لا يمكن لي أن أكون عنيفة وجهاً لوجه، الفكرة في حد ذاتها تجعلنى أشعر أن ركبتى ضعيفتان، أذكر أنني كنت أتجول مع دونالد في مكان ما الايست إند East End عقب زيارته للكنيسة البيضاء فشاهدنا مجموعة من الناس يقفون حول شخصين من الهنود في غى المرحلة المتوسطة من عمرهما، وكان هؤلاء الأشخاص يصيحون في الهنديين ويطاردونهما ويدفعونهما من فوق الرصيف إلى عرض الشارع، وعندئذ قال دونالد: «ما الذي يمكننا أن نفعله». وتظاهرنا نحن الاثنان بعدم المبالاة وحاولنا أن نسارع مبتعدين، ولكن الموقف كان بهيمياً ولا

أخلاقياً كان عنفهم لا أخلاقياً وكان خوفنا من العنف لا أخلاقياً أيضاً، ولو أنه جاء إلى الآن وركع أمامى وناولني القضيب المعدنى فإنني لا أستطيع أن أضربه.

لا فائدة ترجى، لقد كنت أحاول الخلود إلى النوم على مدى النصف ساعة الأخيرة ولكن دون جدوى، الكتابة هنا هي نوع من التخدير أو المخدرات الميكنة، إنها الشيء الوحيد الذي أتطلع إليه في شغف، وفي فترة ما بعد ظهر هذا اليوم رحت أقرأ ما كتبته عن .G.P في اليوم السابق على البارحة، وبدأ لي ما كتبته مفعما بالحيوية والإشراق، وما كتبته يبدو حيويا لأن خيالي كان يغطى كل نواحى النقد الفني التي لن يفهمها شخص آخر، أعني أنه الزهور والغرور، ولكن يبدو أن مقدرتي على استرجاع الماضي الخاص بي تعتبر نوعا من السحر، وكل ما هنالك أنني لا أستطيع العيش في الزمن أو الوقت الحاضر هذا، لأنني إذا عشت في هذه اللحظة الحاضرة سأتعرض للجنون.

لقد ظللت أفكر اليوم في تلك الفترة التي اصطحبت فيها بييرز وأنطوانيت لكي يقابلانه، الجانب المظلم منه، لا، لقد كنت غبية، فهما قد وصلا إلى الهامبستيد لكي يتناولا القهوة وكان علينا أن نذهب إلى ايفريمان ولكن الطابور كان طويلاً للغاية ولذلك سمحت بهما بأن يرهباني بالصباح والعبوس لكي أخذهما لمقابلته.

لقد كان غرورا من جانبي، لقد تحدثت كثيراً للغاية عنه، حتى بدأ يعتقدان أنني لا يمكن لي أن أكون ودية للغاية مهما إذا كنت أخشى من اصطحابهما لمقابلته، وأنا خدعت بكلامهما.

وأدركت أنه لم يكن مسرورا عند الباب ولكنه دعأنا للدخول، وكان الأمر رهيبا، رهيبا بمعنى الكلمة، وكان بييرز ماهرا ومراوغا وتافها

وكانت انطوانيت بنت عفريته ومحبة للمداعبة الجنسية، وحاولت أن ألتمس المبررات والأعذار للجميع، وكان .G.P في حالة نفسية غير عادية وغير طبيعية، وكنت أدرك أنه قد ينسحب ولكنه كلف نفسه مجهودا زائدا لكي يكون وقحا، وربما قد أدرك أن بييرز كان يحاول فقط إخفاء مشاعر عدم الأمان التي اجتاحته.

وحاولا أن يدفعاه إلى أن يتناقش في الإنتاج الخاص به ولكنه رفض، وبدأت مشاعر الغضب الشديد تتأجج في داخله، كلمات مكونة من أربعة حروف، وكل أنواع الأشياء التهكمية المريرة عن السليد **Slade** وفنانين عديدين ـ وهي أمور أعرف أنه لا يؤمن بها، ومن المؤكد أنح ول أن يصدمنى ويصدم بييرز ولكن أنطوانيت بالطبع **Just went one better**، إذ ابتسمت بطريقة سخيفة وهزت رموش عينيها في رفرفة وقالت: كلاماً ما أكثر سخافة، ولذلك فإنه غير اتجاهه وبدأ يقاطعنا في الكلام في كل مرة نحاول فيها التكلم (كما قاطعنى في الكلام أيضا).

وبعدئذ أقدمت على فعل شيء أكثر غباء من ذهابي إلى هناك في بادئ الأمر، وسادت فترة من الصمت، وكان من الواضح أنه اعتقد أننا بصدد الانصراف، ولكنني ظننت في بلاهة وعبط أن أنطوانيت وبييرز يشعران بالتسلية بعض الشيء وكنت واثقة من أن السبب في ذلك هو أنهما شعرا أنني لم أكن أعرفه معرفة جيدة مثلما قلت لهما، ولذلك كان على أن أبرهن لهما أنه بمقدورى أن أتعامل معه بنجاح.

فقلت له: «أيمكن لنا أن نستمع إلى أطوانة يا .G.P».

فبدأ عليه اللحظات أنه بصدد أن يقول. لا ولكنه بعدئذ قال: «ولم لا؟ هيا بنا نسمع شخصاً ما يقول شيئاً ما، لمجرد التغيير». ولم يعطنا أي فرصة للاختيار، إذ اكتفي بالذهاب وقام بتشغيل أسطوانة.

واستلقى على الأريكة وقد أغلق عينيه كالمعتاد، وكان من الواضح أن بييرز وأنطوانيت اعتقدا أن استلقاءه هذا كان بمثابة جلسة فنية بهدف إعطاء تأثير فني.

وتصاعد صوت متهدج رفيع غريب الشأن ونشأ جو مليء بتوتر حاد أقصد أن الموسيقى قد غطت على كل شيء آخر، وبدأ بييرز يتصنع الابتسام وتعرضت أنطوانيت لنوبة من الابتسام ـ فهي لا تستطيع أن تنفجر في قهقهة عإلية لأنها انسلإلية وعجفاء للغاية، وابتسمت أنا أيضاً، أعترف أنني ابتسمت، وقام بييرز بتنظيف أذنه مستخدما إصبعه البنصر، وبعدئذ استند على مرفقه وقد وضع جبهته على أصابعه الممدودة وراح يهز رأسه في كل مرة تصدر فيها الآلة ذبذبات (ولم أكن أعرف نوع تلك الآلة انئذ) وكانت أنطوانيت شبه مختنقة، وكان الموقف رهيبا، وكنت أدرك أنه قد يسمع. ويسمع بالفعل، وشاهد بييرز وهو ينظف أذنيه مرة أخرى، وأدرك بييرز أنه قد شوهد بالفعل فطبع على وجهه ابتسامة لبقة وكأنه يريد أن يقول: «لا تهتم بنا». ولكن .G.P قفز واقفا وأغلق جهاز الأسطوأنات، وتساءل: «ألا تحبون هذه الأسطوانة؟». فقال بييرز: «أينبغي لي أن أحبها؟».

فقلت: «يا بييرز، لم يكن ذلك أمراً هزليا مضحكا».

فقال بييرز: «إنني لم أ كن أحدث صوتا.. إليس كذلك؟ وهل كان ينبغي علينا أن نحب تلك الموسيقى؟».

وقال .G.P: «آخرجوا من هنا».

وقالت: أنطوانيت «أخشى أنني أفكر دائماً في بيشام Beechm[1]. كما تعرفون، هيكلان يتضاجعان جنسياً فوق سطح من الصفيح؟».

---

(١) سير توماس بيشام: قائد فرقة أركسترإلية بريطانية ١٨٧٩ ـ ١٩٦١.

فقال .G.P (وكان وجهه مثير للرعب، وكان بمقدوره أن يبدو شيطآني الطابع): «يسرنى أن تعجبوا ببيشام، إنه قائد فرقة موسيقية طنان ومغرور وقف ضد كل ما هو خلاق في الفن في عهده، وثانيا إذا لم يكن باستطاعتكم أن تدركوا ذلك من خلال آلة البيان القيثارى القديمة فليكن السيد المسيح في عونكم، وثالثا (موجها كلامه لبييرز) أنني أعتقد أنك أغرب شاب معتد بنفسه وضارب في كل الاتجاهات شاهدته على مدى سنوات وأنت (موجها كلامه لي) هل هذان الشخصان هما صديقان لك».

وقفت هنالك، لم أستطع أن أقول أي كلام، فقد جعلنى أشعر بالغضب الشديد كما أنهما جعلآني أشعر بالضيق والغضب وعلى كل حال كانت موجات الخجل والارتباك تجتاحنى وتغطى كثيراً على مشاعر الغضب في داخلي.

وهز بييرز كتفيه، وظهرت الحيرة والارتباك على وجهه أنطوانيت، ولكنها كانت تشعر بالتسلية على نحو غامض، المؤمس العاهرة، وتصاعدت الدماء إلى وجهي، وعندما فكرت في هذا الذي حدث تصاعدت الدماء إلى وجهي مرة أخرى (حيث فكرت فيما حدث بعد ذلك ـ كيف أمكن له؟)

وقال بييرز: «خذ الأمور ببساطة، إنها ليست سوى أسطوانة موسيقية». وأظن أنه كان غاضباً ومن المؤكد أنه أدرك أنه من الغباء أن يقول ذلك الكلام.

وقال .G.P «هل تظن أن ذلك ليس سوى اسطوانة موسيقية، هل الأمر كذلك؟ هل هو مجرد اسطوانة موسيقية؟ هل أنت تشبه خالة هذه العاهرة الصغيرة الغبية ـ بحيث تعتقد أن رامبراندت كان يشعر بأقل قدر

من الملل عندما كان يرسم؟ وهل تعتقد أن باخ Bach[1]. كان ينخرط في الهزل والضحك ويقهقه عندما كتب ذلك؟».

وظهر الانكماش على بييرز بل وكاد يظهر عليه الرعب والخوف، ثم صرخ .G.P: «هل أنت تعتقد في ذلك؟».

وكان رهيبا، كان رهيبا لأنه بدأ في خلق كل ذلك ولأنه كان قد صمم على أن يتصرف بتلك الطريقة، وكان رهيبا أيضاً على نحو عجيب لآن العاطفة هي شيء ما لا يمكن لك أن تشاهده على الإطلاق، لقد نشأت بين أناس قد حاولوا دائماً إخفاء العاطفة، كان قاسيا، كان عاريا، كان يرتجف مع اعتمال الغضب الشديد في داخل كيانه.

قال بييرز: «نحن لسنا متقدمين في العمر مثلك، وكان كلامه هذا مثيراً للشفقة والحزن، كان كلامه ضعيفا، وهو كلام أظهر حقيقة ما هو عليه.

وقال .G.P: «أيها السيد المسيح، هؤلاء هم طلبة الفنون، طلبة الفنون».

ولا أستطيع أن أكتب الكلام الذي قاله بعد ذلك، وحتى أنطوانيت ظهرت عليها مشاعر الصدمة.

استدرنا وانصرفنا، وأغلق باب الأستوديو في عنف وراءنا عندما كنا على السلالم.

وقلت عند آسفل السلالم بصوت كالفحيح لبييرز: «لعنة الله عليك». ثم دفعتها إلى الخارج، وقالت: أنطوانيت: «يا عزيزي... إنه سوف يفتك به ويقتلك ويطلع روحك». فأغلقت الباب وانتظرت. وبعد مرور

---

(١) باخ: مؤلف موسيقى ألماني ١٧٣٥ ـ ١٧٨٢.

لحظات سمعت الموسيقى مرة أخرى فصعدت على السلالم وفتحت الباب في بطء شديد، وربما يكون قد سمعنى أثناء فتحى للباب فأنا غير متأكدة من ذلك ولكنه لم ينظر لأعلى وجلست أنا على كرسى بدون مسند بالقرب من الباب إلى أن نظر إلى أعلى.

وقال: «ماذا تريدين يا ميراندا؟».

فقلت: «لقد جئت لأقول لك أنني آسفة، ولكي أسمعك وأنت تقول أنك آسف».

فذهب وراح يحملق إلى الخارج من خلال النافذة فقلت: «إنني أدرك أنني كنت غبية، وربما أكون فتاة غير ناضجة تماماً ولكنني لست عاهرة».

فقال: «أنت تحاولين» (وأظن أنه لم يكن بقصد أنني أحاول أن أكون عاهرة).

فقلت: «كان بإمكانك أن تأمرنا بالانصراف وعندئذ كنا سنفهم جوانب الموقف».

وسادت فترة من الصمت، والتفت لكي ينظر إلى عبر الأستوديو فقلت: «إنني لآسفة كل الآسف».

فقال: «إذهبي إلى منزلك، لا يمكن لنا أن نذهب إلى السرير معا «»، وعندما نهضت واقفة قال: «إنني مسرور لرجوعك إلى»، فهذا موقف لطيف منك». ثم أضاف قائلاً: «يمكن أن تضطجعى معي في السرير».

فنزلن على السلالم، فخرج ورائي وقال: «إنني لا أريد أن اضطجع معك في السرير، وأنني أتحدث عن الموقف، وليس هنا، أتفهمينني؟».

قلت: «بالطبع أنا أفهمك».

واستأنفت نزولي على السلالم، المشاعر الأنوثية في داخلي، كنت أريد أن أجعله يشعر أن مشاعرى قد جرحت.

ولدى قيامي بفتح الباب الموجود آسفل السلالم قال: «لقد كنت أرد على الهجوم بمثله». ومن المؤكد أنه أدرك أنني لم أفهم لأنه أضاف قائلاً: «لقد كنت أستمع في شغف».

ثم قال: «لسوف أتصل بك تليفونيا».

واتصل بي تليفونيا بالفعل واصطحبنى إلى حفلة موسيقية لكي أستمع إلى الروس وهم يعزفون موسيقى لشوستاكوفيتش Shostakovich وكان ظريفا ولطيفا معي للغاية، وتلك بالضبط هي الحالة التي كان عليها، رغم أنه لم يعتذر لي على الإطلاق.

٢٦ أكتوبر:

أنني لا أثق فيه، لقد اشترى هذا المنزل، وهو إذا أطلق سراحي فإنه سيضطر لأن يثق في. أو أنه سيضطر لأن يبيع المنزل ويختفي قبل أن أتمكن من الذهاب للشرطة ولكنني لا أتوقع منه أن يطلق سراحي.

الموقف مثير للإحباط الشديد، أنني مضطرة لأن أصدق أنه سينفذ وعده.

أنه ينفق الأموال الكثيرة من أجل تلبية طلباتى، ومن المؤكد أنه قد أنفق حتى الآن حوإلى ٢٠٠ جنيه، فهو يشتري لي أي كتاب أريد وأية أسطوانة أريدها وأية ملابس أطلبها، وهو لديه كل المقاسات الخاصة بملابسى وأنا أقوم برسم اسكتشات للأشياء التي أريد منه شراءها وأقوم بخلط الألوان لكي يهتدى إلى اللون الذي أريده، بل إنه يشتري لي جميع ملابسى الداخلية، أنني لا أستطيع ارتداء الأثواب التي هي على

آخر طراز والتي لها لون أسود ولون خوخى والتي اشتراها لي من قبل لذلك قلت له أن يذهب ليشتري لي ثيابا ملائمة من محلات ماركس وسبنسر، فقال: «هل يمكن لي أن أشتري كمية كبيرة في أن واحد؟» ومن المؤكد أن قيامه بشراء هذه الحاجيات نيابة عني كان يسبب لي عذابا كبيرا (وما الذي يفعله في الصيدلية؟) ولذلك فأنا أعتقد أنه يفضل انجاز كل شيء في مشوار واحد، ولكن ماذا ستكون وجهة نظرهم بشأنه؟ ١٢ سروالا وثلاثة قمصان للنوم وصديريات وسوتيأنات، وسأتله عما قالوه عندما طلب شراء تلك الحاجيات منهم فأحمر وجهه وقال: «أعتقد أنهم يظنون أنني إنسان شاذ بعض الشيء»، وعندئذ انفجرت في الضحك وكانت تلك هي أول مرة أنفجر فيها ضاحكة منذ أن جئت إلى هنا.

وفي كل مرة يشتري لي فيها أي شيء أعتقد أن ذلك بمثابة برهان على أنه لن يقوم بقتلي أو عمل أي شيء آخر من شأنه إلحاق الأذى بي.

أنني أشعر بالارتياح ـ وما كان ينبغي لي أن أشعر بذلك ـ عندما يجى إلى في فترة الظهيرة قادما من أي مكان كان قد ذهب إليه. فدائما ما تكون هناك طرود مغلفة، إذ يبدو لي الأمر وكأن لدى عيد كريسماس مستمر وبدون أن يكون على أن أتقدم بالشكر لسانتا كلوس Santa Claus، وهو في بعض الأحيان يحضر لي أشياء لم أطلبها منه من قبل، وهو دائماً ما يحضر لي زهورا وورودا وذلك أمر لطيف منه، كما يحضر لي الشيكولاته ولكنه يأكل منها أكثر مما أكل، وهو يسألنى دائماً عن الأشياء التي أرغب في قيامه بشرائها.

أنني أدرك أنه الشيطان وأنه يعرض على العالم الذي يمكن أن يكون ملكا لي، ولذلك فأنا لا أبيع نفسي له، لقد قام بشراء عدد كبير من

الأشياء الصغيرة من أجلي ولكنني أدرك أنه يريد لي أن أطلب منه أن يشتري لي شيئاً كبيرا وضخما، فهو يتلهف شوقا لأن يجعلنى ممتنة وشاكرة فضله، ولكنه لن يتمكن أبداً من أن يجعلنى شاكرة وممتنة.

وهبطت على ذهني فكرة شنيعة في هذا اليوم: إنهم سوف يشكون في G.P. ولسوف تضطر كارولين لإعطاء اسمه للشرطة، يا له من رجل مسكين، إنه سيلجأ للسخرية اللاذعة والتهكم وهم لن يشعروا بالارتياح لطريقته هذه.

لقد حاولت أن أرسمه اليوم، الأمر غريب للغاية، الأمر ميئوس منه، إنه ليس شبيها بأي شيء.

أنني أدرك أنه قصير، فهو لا يزيد على في الطول سوى ببوصة أو بوصتين (لقد رأيت في أحلامى دائماً رجلا فارعى الطول، أنني إنسانة طائشة وعبيطة).

أنه بصدد التعرض للصلع وهو له أنف تشبه أنف إليهودى، رغم أنه ليس يهوديا (وحتى إذا كان يهوديا فإن ذلك أمر لا يهمنى) ووجهه عريض للغاية، وجهه محطم ومهروس ومتداع ومضعضع ومدقوق وممسوخ تحت قدر من القناع، حتى إنني لا يمكن أن أعرف نوع التعبيرات التي تظهر على وجهه، فأنا ألمح أشياء أعتقد أنها قد جاءت بكل تأكيد من الخلف ولكنني لا أتأكد من ذلك تماماً على الإطلاق، وهو في بعض الأحيان ينظر إلى نظرات خاصة مليئة بالجفاف، وهي نظرات تتماشى مع الظروف، وهي نظرات لا تبدو غير أمينة وإن كانت شبيهة بنظرات G.P.، الحياة هي جزء من مهزلة تافهة، ومن السخف أن تنظر إلى الحياة نظرة جدية، أنظر نظرة جدية واهتمام إلى الفن ولكن لا تهتم بأي شيء آخر في الحياة، ولا تهتم باليوم الذي تلقى فيه القنابل

الهيدروجينية وإنما أهتم «بيوم العذاب الهائل». «عندما يحدث بالفعل العذاب الهائل». وتعرض للمرض وتعرض للمرض... فهذه هي وسيلته في أن تصبح موفور الصحة.

قصير وعريض وعريض الوجه وله أنف معقوف، بل وبه بعض الملامح التركية، وليست له في حقيقة الأمر ملامح إنجليزية على الإطلاق.

لدى هذه الفكرة السخيفة عن النظرات الحسنة الإنجليزية، رجال إعلأنات، رجال لا يديمونت.

٢٧ أكتوبر:

النفق الموجود عند الباب هو أعظم الأشياء التي يمكن أن أراهن عليها، أشعر أنه ينبغي لي أن أجرب ذلك النفق أو السرداب في أقرب وقت ممكن، وأعتقد أنني ابتكرت وسيلة تضمن لي إبعاده عن المكان لفترات طويلة، ولقد رحت أنظر في حرص وعناية شديدة إلى الباب في فترة ما بعد ظهر هذا اليوم، الباب مصنوع من الأخشاب ومغلف بالحديد على هذا الجانب، وهو باب مصمت وجامد على نحو رهيب، لم يكن بمقدوري أبداً أن أكسوه أو أفتحه من خلال استخدام عتلة رافعة، فهو قد عمل كل ترتيباته بحيث لا يوجد أي شيء يمكنني أن أستخدمه في كسر الباب أو فتحه.

لقد بدأت في جمع بعض «الآلات». برميل دوار يمكنني كسره، ذلك سيكون شيئاً ما حادا، شوكة واثنتان من معالق الشاي... أنها مصنوعة من الألومونيوم ولكنها ربما قد تكون مفيدة، وأكثر الأمور التي أحتاج إليها هو شيء ما قوى وحاد لكي أتمكن من تفكيك الأسمنت المتواجد

بين بلوكات الحجارة باستخدامى لذلك الشيء القوى الحاد، وما أن أتمكن من فتح ثغرة بين الأحجار فإنه لن يكون من الصعب على للغاية الالتفاف حول السرداب الخارجى.

هذا يجعلنى أشعر أنني إنسانة تتسم بالطابع العملي، مثل رجال الأعمال، ولكنني لم أبدأ في تنفيذ أي شيء.

أنني أشعر بالمزيد من الأمل والتفاؤل ولست أدرى السب في ذلك، ولكن هذا هو ما أشعر به.

٢٨ أكتوبر:

G.P. من حيث هو فنان... «بول ناش Paul Nash» من الدرجة الثانية، خاص بكارولين ـ أمر رهيب ولكن يوجد شيء ما في هذا، لا شيء يشبه ما يسميه «بالتصوير الفوتوغرافي». ولكن ليس منفردا تماماً. وأظن أنه قد وصل فقط إلى نفس النتائج، سواء أكان يدرك ذلك (يدرك أن مناظره الطبيعية لها خاصية ناشية) أو لا يدرك ذلك، على كل حال إنه نقد له، وأنه لا يدرك ذلك ولا يقول ذلك.

وإذا ألتزم بالموضوعية نحوه، أركز على أخطائه.

كراهيته للرسم المجرد أو الرسم التجريبي ـ بل وكراهيته لأناس من أمثا لجاكسون بولوك Pollock ونيقولصون Micholson، لماذا؟ أنني شبه مقتنعة به عقليا ولكنني مازلت اشعر أن بعض اللوحات الفنية التي يقول عنها أنها رديئة ـ أشعر أنها جميلة، أقصد أنه غيور للغاية، فهو ينتقد كثيراً للغاية.

وأنه لا يهمنى هذا الاتجاه الذي يتصف به، أنني أحاول أن أكون أمينة بالنسبة له وأمينة بالنسبة لنفسي، إنه يكره الناس الذين «لا يفكرون

في الأمور تفكيراً عميقا إلى أن يتوصلوا إلى قرار نهائيا» وهو يفعل ذلك، ويفعل ذلك كثيراً للغاية، ولكنه لديه مبادئ (فيما عدا أنه لا يطبق المبادئ على النساء)، وهو يجعل معظم الناس الذين لهم مبادئ مزعومة يشبهون علب الصفيح الشاغرة.

أذكر أنه قال عن لوحة لموندريان Mondrian ـ «أنها ليست ما إذا كنت تحبها ولكنها ما إذا كان ينبغي عليك أن تحبها»، أعني أنه يكره الفن التجريدي وفقا لمبدأ ما، فهو يتجاهل الأحاسيس التي يشعر بها).

لقد كنت أترك أسوأ الأمور لأقولها في نهاية الأمر، النساء.

ومن المؤكد أن الأمر كان يتعلق بالمرة الرابعة أو الخامسة التي ذهبت فيها إليه لزيارته.

كانت هناك المرأة النيلسينية Nielsen وأنا أفترض (الآن) أنهما قد سبق لها النوم في الفراش معا، لقد كنت ساذجة للغاية، ولكن لم يبد عليهما أنهما أهتما بمجيئي، لم يكونا بحاجة للرد على الجرس، وكانت هي لطيفة معي بعض الشيء بطريقتها المبتذلة السلسة التي تستقبل بها الزائرين، ومن المؤكد أن عمرها قد وصل إلى الأربعين عاما ـ وما الذي شاهده فيها لكي ينجذب إليها؟ وبعدئذ مرت فترة طويلة عقب ذلك حيث كنا في شهر مايو وكنت قد حضرت إليه في الليلة السابقة ولكنه كان موجودا في خارج منزله (أو ربما كان في داخل منزله ولكنه كان مضطجعا في السرير مع امرأة ما) وفي ذلك المساء كان موجودا في منزله وكان بمفرده، وتحدثنا سويا لبعض الوقت (كان يحدثني عن جون مينتون Minton) وبعدئذ وضع أسطوانة هندية في جهاز التسجيل وأدارها، ورحنا نستمع للموسيقى في هدوء، ولكنه لم يغلق عينيه في هذه المرة حيث كان ينظر إلى في إمعان فانتابتني مشاعر الخجل

والارتباك، وعندما انتهت أسطوانة راجا Raga ساد الصمت في أرجاء المكان، فتساءلت: «هل لي أن أدير الأسطوانة على الوجه الآخر؟» ولكنه قال: «لا»... لقد كان موجودا في الظل فلم أستطع مشاهدته جيداً.

ثم قال لي فجأة: «أتحبين أن تنامى معي في السرير».

فقلت: على الفور: «لا». فقد فاجآني بسؤاله هذا، وبدأ ردى عليه سخيفاً ومليئاً بالخوف.

فقال بينما عيناه مازالتا مثبتتين على: «لو أن الزمن رجع بنا إلى عشر سنوات مضت لكنت قد تزوجتك، ولكنت قد أصبحت زواجى الثآني المشئوم المصحوب بكارثة».

ولم يكن الأمر في الواقع بمثابة مفاجأة لي، فقد ظللت منتظرة ذلك على مدى أسابيع.

جاء إلى ووقف إلى جواري وقال: «أأنت متأكدة؟».

فقلت: «إنني لم أحضر غليك هنا من أجل ذلك، على الإطلاق».

بدأ وكأنه إنسان آخر مختلف تماماً.

بدا إنسان بسيطاً للغاية، وأنا أعتقد الآن وأدرك الآن أنه كان شفوقا ووديا، كان واضحا وبسيطا، تماماً مثلما يسمح لي في بعض الأحيان أن أضربه على صدره.

وذهب ليعد القهوة التركية وقال من خلال الباب: «أنت تقومين بتضليلي وخداعي»، فذهبت ووقفت عند باب المطبخ بينما راح هو يرقب القهوة، ثم نظر إلى الوراء نحوي، وقال: «أقسم لك أنك تريدين ذلك الأمر في بعض الأحيان».

فقلت: «كم تبلغ من العمر؟».

قال: «إنني في سن والدك، هل هذا هو ما تردين قوله؟».

فقلت: «إنني أكره الرجل الذي يضاجع نساء عديدات بدون تمييز». ولم أكن أهدف إلى ذلك المعنى.

فأدار ظهره نحوي، وشعرت بأنني غاضبة منه، إذ كان يبدو عليه مستهترا للغاية وغير مبال بالعواقب، فقلت: «على كل حال أنت لا تجذبني إلى ذلك الاتجاه على الأقل».

فقال بينما ظهره مازال متجها نحوي: «ما الذي تعنينه بتعبير مضاجعة النساء العديدات بدون تمييز؟».

فقلت: «أعنى أنك تذهب إلى السرير من أجل تحقيق المتعة، وتحقيق ممارسة الجنس ولا شيء بخلاف ذلك... بدون حب حقيقي».

فقال: «إذن فأنا مضاجع للغاية للنساء العديدات، وأنا لا أهذب مطلقا إلى السرير مع الفتيات اللائي أشعر نحوهن بالحب، ولقد فعلت ذلك مرة واحدة».

فقلت: «لقد سبق لك أن حذرتني من باريار كرويكشانك».

فقال: «وأنا أحذرك الآن من نفسي» وكان يرقب القهوة أثناء وقوفه. ثم أضاف: «هل تعرفين لوحة Ashmolean Uccello؟ هل تعرفين «الاصطياد The Hunt» لا؟ هذه اللوحة تصدمك على الفور لدى مشاهدتك لها، وذلك بغض النظر عن جميع النواحى الفنية الأخرى، وهي لوحة بدون عيوب أو أخطاء، إن أساتذة أواسط أوربا يقضون حياتهم بهدف التوصل إلى معرفة جوهر السر الداخلي الهائل ومعرفة ذلك الشيء الذي يشعر به المرء لدى إلغاء أول نظرة، وأنا الآن أرى أن لديك أيضاً ذلك السر الداخلي الهائل، والله يعرف ماهية ذلك السر،

وأنا لست أستاذا من أواسط أوربا ولا أهتم اهتماماً حقيقياً بالكيفية التي يكون عليها ذلك الأمر، ولكنك لديك ذلك الأمر، وأنت تشبهين موبيليا شيراتون، فأنت لن تتفككي أو تتفسخي».

وكان يتكلم بصوت واقعي ومجرد من العواطف، أيضاً، وأضاف: «المسألة نوع من التصادف أو المجازفة، الجينات الوراثية».

ورفع أبريق القهوة عن حلقة موقد الغاز في اللحظة الأخيرة الممكنة، ثم قال: «الشيء الوحيد هو أنه توجد تلك النقطة القرمزية الداعرة في عينك ما هذه النقطة؟ أهي العاطفة؟ أهي عقبة أو سدادة أو عائق؟».

ووقف يحملق في بنظراته الجافة.

فقلت: «إنه ليس السرير».

فقال: «باستثناء شخص ما؟».

فقلت: «لا أحد مستثنى من ذلك».

ثم جلست على الأريكة، وجلس هو على الكرسي العالي الذي ليس له مسند والموجود بجوار المائدة.

وقال: «لقد سببت لك صدمة.

- «لقد تم تحذيرى».

- «هل خالتك هي التي حذرتك؟».

- «نعم».

فاستدار وراح يصب القهوة في بطء شديد وعناية وحرص شديدين في فنجانين.

وقال: «طوال حياتي كان على أن أحصل على النساء، ومعظمهن قد جلبن لي التعاسة، ومعظمهن قد أحضرن لي عن طريق العلاقات التي

أفترض فيها أنها صافية ونقية ونبيلة»، وأشار إلى صورة فوتوغرافية لابنيه الاثنين وقال: «هناك ـ تلك هي الثمرة الجميلة الناجمة عن علاقة نبيلة».

ذهبت وحصلت على القهوة الخاصة بي واستندت على المنضدة بعيداً عنه.

فقال: «روبرت أصغر منك الآن بأربع سنوات فقط، انتظرى قليلا ولا تشربي القهوة على الفور الآن، دعى البن يستقر ويترسب».

لم يبد عليه أنه يشعر بالارتياح أو متحرر من القلق والارتباك، كما لو أنه كان عليه أن يتكلم لكي يتخذ موقف الدفاع عن نفسه مع تضليلي وكسب تعاطفي معه في نفس الوقت.

وقال: «الشبق أو الرغبة الجنسية القوية هي أمر يتسم بالبساطة، فالرجل والمرأة يتوصلان إلى تفهم على الفور، فإما أن تكون لكليهما الرغبة في الذهاب إلى السرير وإما ألا يكون لأحدهما الرغبة في ذلك، ولكن الحب له موقف مختلف، النساء اللائي أحببتهن قلن لي أنني إنسان أناني، وتلك الأنانية هي التي تجعلهن يشعرن بالحب نحوي، وبعدئذ يشعرن بالاشمئزاز نحوي، لتعرفين أن ما يكفرون فيه دائماً هو الأنانية؟» وكان يكشط الصمغ عن سلطانية صينية مكسورة زرقاء/ بيضاء كان قد اشتراها من بورتوبيللو رود Portobello Road وقام بإصلاح فارسين مهتاجين على نحو شيطاني وحشى يطاردان غزالا صغيراً خائفاً له لون بنى فاتح ومرقط، أصابع قصيرة للغاية وأيدي مليئة بالثقة، وأضاف: «وليس الأمر هو أنني سأرسم بالطريقة الخاصة بي وأعيش بالأسلوب الخاص بي وأتكلم بالطريقة الخاصة بي ـ فذلك لا يشكل أهمية بالنسبة لهن، بل إن ذلك يسبب الإثارة لهن، ولكن الشيء الذي

لا يمكن تحمله هو أنني أكرههن عندما لا يسلكن ولا يتصرفن بالطريقة الخاصة بهن».

وبدأ الأمر وكأنني بمثابة رجل آخر متواجد معه.

واستطرد «الناس من أمثال خالتك اللعينة يظنون أنني إنسان ساخر ومؤمن بأن السلوك البشرى تهيمن عليه المصالح الذاتية وحدها ويظنون أنني خراب للبيوت ومحطم للأسر والعائلات أو أنني شخص خليع وفاسق وداعر. مع أنني لم أقم بإغواء امرأة على الزنا في حياتي على الإطلاق. أنني أحب الاضطجاع في السرير وأحب الجسد الأنثوى، بل وأحب أكثر النساء ضحالة حيث يصبحن جميلات عندما تخلع ملابسهن ويعتقدن أنهن يتخذان خطوة عميقة وشريرة، وهن دائماً ما يصبحن جميلات لدى خلع ملابسهن للمرة الأولي، هل تعرفين ذلك الشيء الذي يكاد يكون منقرضا وخامدا في الجنس الخاص بك؟».

ونظر إلى نظرة جانبية. لذلك قمت بهز رأسي.

فقال: «أنه البراءة، المرة الوحيدة التي يمكن للمرء مشاهدة البراءة في المرأة تكون عندما تبادر المرأة بخلع ملابسها ولا تستطيع أن تحملق في عينى الرجل (مثلما لم أستطع أنئذ). مجرد تلك اللحظة البوتيشلية celliBotti[1] الأولي والتي تظهر في أول مرة تقوم فيها بخلع ملابسها، وسرعان ما تتغض وتذبل. وتسود بعد ذلك حواء القديمة المومس العاهرة. رحيل أناديومين Anadyomene».

فتساءلت: «من تكون هي؟».

---

(١) نسبة إلى ساندرو بوتيشلي: وهو رسام ايطإلى في عصر النهضة ١٤٤٤ ت: ١٥١٠م. المترجم

فقام بالشرح والتوضيح. ورحت أفكر وقلت لنفسي: لا ينبغي لي السماح له بالتكلم على هذا النحو. فهو ينشر شباكه حولي، ولم أكن أعتقد في ذلك وإنما كنت «أشعر» بذلك.

وقال: «لقد تقابلت مع العشرات من النساء والفتيات من أمثال. وكنت أعرف بعضهن معرفة جيدة، وبعضهن أغويتهن على الزنا. وتزوجت اثنتين منهن. وبعضهن لم أكن أعرفهن تقريبا على الإطلاق، وإنما وقفت فقط إلى جوارهن في إحدى المعارض الفنية أو في محطة الأندرجراوند للسكة الحديد».

وبعد برهة تساءل «هل قرأت كتبا بقلم يانج Yung؟[1]».

فقلت: «لا».

فقال: «لقد أعطى اسماً لنوعية الجنس الخاصة بك. اسم له نفس رداءة المرض».

فقلت: «قل لي ذلك الاسم».

فقال: «لا يمكن للمرء أن يعطي الأسماء للأمراض.

وبعدئذ سادت فترة صمت غريبة كما لو كنا قد وصلنا إلى توقف كامل كما لو كان قد توقع لي أن تصدر عني ردود فعل بطريقة ما أخرى. بحيث أصبح أكثر غضبا أو ربما أكثر إحساسا بالصدمة، ولقد شعرت بالصدمة والغضب فيما بعد (بطريقة غريبة) ولكنني مسرورة لأنني لم أهرب. لقد كانت واحدة من تلك الأمسيات التي يكبر فيها المرء ويشب عن الطوق. وأدركت فجأة أنه كان على أما أن أسلك مثل فتاة

(١) كارل جوستاف يانج: عالم نفساني سويسرى ١٨٧٥ ت: ١٩٦١.

مصدومة كانت لا تزال المدرسة في ذلك الوقت بالسنة السابقة أو أتصرف مثل فتاة مراهقة.

فقال في نهاية الأمر «أنت فتاة غريبة غير عادية».

فقلت: «من طراز قديم».

فقال: كنت ستبحين إنسانة مضجرة وثقيلة الظل بشكل لعين أو لم تكوني رائعة الجمال للغاية.

«شكراً جزيلاً».

فقال: «إنني في حقيقة الأمر لم أكن أتوقع منك أن توافقى على النوم معي في السرير».

فقلت: «أدرك ذلك».

فنظر إلى نظرة طويلة فاحصة، ثم رفع بصره عني، وبعدئذ استخرج لوحة الشطرنج ورحنا نلعب الشطرنج معا وتعمد أن يجعلنى أنتصر عليه، وهو لم يظهر ذلك صراحة ولكنني متأكدة من أنه تعمد أن يجعلنى أفوز عليه. وظللنا ملتزمين بالصمت تقريباً وبدا علينا وكأننا نتصل ببعضنا البعض من خلال أحجار الشطرنج، وكان هناك شيء ما يتصف بالرمزية الشديدة فيما يتعلق بانتصارى في اللعب، وأنه أراد لي أن أشعر بذلك، ولا أعرف كفة ذلك الشيء، فأنا لا أعرف ما إذا كان هو قد أراد لي أن أشاهد «فضيلتي» وهي تنتصر على «رذيلته» أم أنه أراد لي أن أدرك شيئاً ما أكثر خبثا ودهاء وهو أن الهزيمة في بعض الأحيان هي بمثابة انتصار.

وفي المرة التالية التي ذهبت فيها إليه أعطآني لوحة فنية كان قد رسمها، وكانت اللوحة تعبر عن كنكة القهوة واثنين من الفناجين فوق المنضدة كانت اللوحة مرسومة بطريقة جميلة للغاية وتتميز بالبساطة

الشديدة وخإلية تماماً من الهرج والمرج والعصبية وخإلية تماماً من ذلك الطابع الفني المدرسى الذي يظهر في لوحاتى عن الأشياء البسيطة.

مجرد الفنجانين وكنكة القهوة النحاسية الصغيرة ويده، أو إحدى الأيدي. يد مستلقية بجوار أحد الفنجانين مثل قالب من الجص. وعلى الظهر كتب كلمة «بعد Apres» وكتب التاريخ بجوار تلك الكلمة وبعد التاريخ كتب عبارة: «une Pour Princcese Loint aine».

وكانت كلمة «une» مكتوبة بخط واضح للغاية.

أردت أن أواصل الكلام فيما يتعلق بتوانيت Toinette. ولكنني أشعر بالأرهاق والتعب الشديد. وأنا أحب أن أدخن السجاير أثناء قيامي بالكتابة ولكن التدخيلن يجعل الجو خانقا للغاية.

٢٩ أكتوبر:

(فترة الصباح) أنه قد ذهب إلى؟ مدينة ليوس.

توانيت Toinette.

كان ذلك عقب مرور شهر على المساء الذي شهد الأسطوانة التسجيلية. وكانت ينبغي لي أن أضمن. فهي قد ظلت تقرقر كالقطة حولي على مدى أيام وتنظر إلى نظرات لعوية مليئة بالدلال. واعتقدت أن ذلك شيء ما يتعلق ببيبرز. وبعدئذ دقت الجرس ذات مساء ثم لاحظت عقب ذلك أن القفل كان مرفوعا لذلك قمت بدفع الباب وفتحه ونظرت لأعلى نحو السلالم وفي نفس اللحظة نظرت توانيت لآسفل نحو الباب، ورحنا ننظر لبعضا البعض، وبعد لحظات خرجت إلى بسطة السلم وكانت ترتدي ملابسها، ولم تقل أي كلام واكتفت بأن أعطت إشارة لي لكي أصعد وأدخل إلى الأستوديو وما هو أسوأ من

ذلك أن وجهي كان مضطرما باللون الأحمر بينما هي لم يكن وجهها محمراً. كانت تشعر فقط بمشاعر التسلية.

وقالت: «لا داعي لأن تظهري دلائل الصدمة البالغة على وجهك فهو سوف يعود بعد دقيقة واحدة، فهو قد خرج توا من أجل......» ولكنني لم أسمع ابدأ الجزء المتبقى من عباراتها لأنني انصرفت على الفور.

أنني لم أحلل ابداً في حقيقة الأمر الأسباب التي جعلتني أشعر بالغضب الشديد والصدمة الهائلة وإيذاء مشاعرى على نحو بالغ. فدونالد وبييرز ودافيد وكل فرد يعرف أنها تعيش في لندن على النحو الذي كانت تعيش عليه في استكهولم ـ فهم قد أعطونى فكرة عنها كما أن G.P. كان قد حدثني عن أسلوب حياته.

لم يكن الأمر مجرد غيرة، وكان من المتوقع لأي شخص مثل أن يكون قريبا للغاية من فتاة مثلها ـ فتاة واقعة للغاية وضحكة للغاية وزائفة وكذابة للغاية ومنحلة أخلاقياً تماماً. ولكن ما السبب الذي جعله ينظر إلى بعين الاهتمام؟ لا يوجد سبب واحد يدعوه إلى ذلك.

أنه أكبر مني في السن بـ ٢١ عاماً، وهو أصغر من والدي بتسع سنوات.

وعلى مدى أيام بعد ذلك لم ينصب استيائي على G.P. وإنما انصب على نفسي. وعلى ضيق أفقى وضيق تفكيرى. وأرغمت نفسي على أن أتقابل مع توانيت وأستمع إليها، ولم تشمت في ولم تبتهج لفشلي على الإطلاق، وأظن أن ذلك كان نابعا من الترتيبات التي أعدها G.P. فهو قد أمرها بالتأكيد بألا تشمت في.

ورجعت في اليوم التالي. وقالت: أنها ينبغي عليها أن تقول أنها آسفة

وقالت: (وهذا هو نص كلماتها) «إن الأمر قد حدث فقط على ذلك النحو».

وكنت أشعر بالغيرة الشديدة، لقد جعلآني أشعر أنني أكبر منهما في السن، لقد كان مثل الأولاد الأشقياء كان يشعران بالسعادة لاحتفاظهما بسر معين لا أعرفه، وبعدئذ شعرت أنني باردة جنسيا، ولم أستطع تحمل مشاهدة .G.P وفي نهاية الأمر ـ ولقد كان ذلك عقب مرور أسبوع ـ أتصل بي تليفونيا ذات مساء في منزل كارولين، ولم يبد على صوته أنه يشعر بعدة الذنب. وقلت له: «إنني مشغولة للغاية بحيث لن أتمكن من مشاهدتك ولن أتمكن من التجول معك في هذا المساء» ولو كان قد ألح في طلبه لكنت قد رفت أيضاً.. ولكنه بدا عليه وكأنه على وشك أن ينهي المكالمة التليفونية بوضع السماعة في مكانها وعندئذ قلت له: «إنني على استعداد للتجول معك غدا». فلقد أردت له أن يدرك أن مشاعرى كانت قد جرحت.

قالت كارولين: «أعتقد أنك تبالغين في الاهتمام به».

فقلت: «إن له علاقة غرامية مع تلك الفتاة السويدية».

بل وتحدثنا معا في ذلك الأمر. ونت منصفة وعادلة للغاية. ودافعت ع نه. ولكنني في السرير استلقيت واتهمته بين وبين نفسي. على مدى ساعات.

وأول شيء قاله لي في اليوم التالي (بدون أي ادعاء أو تظاهر) «هل كانت هي سليطة اللسان معك؟»

فقلت: «لا. على الإطلاق» ثم أضفت كما لو كنت لا أهتم «ولماذا ينبغي عليها أن تكون سليطة اللسان؟»

فابتسم. وبدا عليه وكأنه يقول «إنني أعرف المشاعر التي تحسين بها»

وذلك جعلنى أشعر بالرغبة في أن أصفعه على وجهه ولم أستطع أن أظهر على وجهي أنني غير مهتمة مما جعل الأمور أكثر سوءاكّص.

وقال: «الرجال أشرار».

فقلت: «أسوأ الأمور في الرجال هو أنهم يمكنهم أن يقولوا ذلك مع وجود ابتسامة على وجوههم».

فقال: «هذا صحيح» وسادت فترة من الصمت. وتمنيت لو أنني لم أحضر. وتمنيت لو كنت قد آخرجته تماماً من حياتي. ونظرت إلى باب غرفة النوم. كان الباب مواربا. فتمكنت من مشاهدة حافة السرير.

فقلت: «: أنني لست قادرة على أن أضع الحياة في مقصورات وحجيرات. وذلك هو كل ما في الأمر».

فقال: «استمعي إلى يا ميراندا. تلك السنوات العشرون الطويلة التي تفصل ما بيني وبينك. أن معرفتى بالحياة تفوق معرفتك. لقد عشت في الحياة لفترة أطول وقمت بخيأنات أكثر وشاهدت أناسا أكثر يتعرضون للخيأنات، والإنسان الذي هو من نفس عمرك يتفجر بالمثل العليا. وأنت تظنين ذلك لأنني أستطيع في بعض الأحيان أن أشاهد ما هو تافه وما هو مهم في الفن مما يحتم على أن أكون متصفا أكثر بالأخلاق الحميدة والطهر والعفاف. ولكنني لا أريد أن أكون طاهرا وعفيفا. وجاذبيتي (إذا كانت لدى أية جاذبية) بالنسبة لك تتمثل في الصراحة بكل بساطة. وتتمثل في الخبرة وهي ليست متمثلة في الخبر والطيبة. فأنا لست رجلا طيبا. وربما أنا من الناحية الأخلاقية اعتبر أصغر منك في السن. أيمكن لك أن تفهمين ذلك الكلام؟».

كان يقول فقط ما شعرت به. وكنت أنا متخشبة ومتصلبة وكان هو مرنا وهادئا. وكان الوضع ينبغي أن يكون على العكس من ذلك. كانت

الغلطة هي غلطتى ولكنني ظللت منهمكة في التفكير العميق. وأخذنى إلى الحفلة الموسيقية ورجع إلى هنا من أجلها. وتذكرت المرات التي دققت فيها الجرس ولم يكن هناك رد على الجرس. وأنا أدرك الآن أن المسألة كانت مجرد غيرة جنسية ولكن الأمر بدا لي أنئذ بمثابة خيانة للمبادئ.

(مازلت لا أعرف ـ فكل شيء مشوش في داخل ذهني. لا استطيع أن أصدر حكما).

قلت: «أود سماع راقي شانكار Ravi Shnkar» لم أستطع أن أقول «إنني أغفر لك».

لذلك استمعنا لرافي شانكار. وبعدئذ لعبنا الشطرنج. وانتصر على ولم نتطرق في كلامنا إلى توانيت إلا في آخر لحظة على السلالم عندما قال: «لقد انتهي كل شيء الآن».

فلم أرد بأي كلام.

فقال: «لقد فعلت هي ذلك من أجل المزاج والتسلية فقط».

ولكن الأمر لم يعد إلى ما كان عليه أبداً، كان نوعا من الهدنة وشاهدته لمرات قليلة أخرى ولكننا لم نكن بمفردنا في كل مرة. وأرسلت له خطابين عندما كنت في أسبانيا ورد على ببطاقة بريدية. ثم شاهدته مرة واحدة في بداية هذا الشهر. ولكنني سأكتب عن ذلك في وقت آخر ولسوف أكتب عن الدردشة الغريبة التي تمت بيني وبين المرأة النيلسينية Nielsen.

شيء ما قالته توانيت. إذ تحدثت عن أولاده. وأنا شعرت بالآسف الشديد من أجله. وكيف أنهم اعتادوا أن يطلبوا منه عدم الذهاب إلى مدرستهم الإعدادية الممتازة. والاكتفاء بمقابلتهم في المدينة. إذ كانوا

يخجلون من أن يشاهده أحد. وكيف أن روبرت (في مالبور at Malborough) يناصره الآن.

وهو لم يحدثني أبداً عنهم. ربما هو يعتقد بينه وبين نفسه أنني أنتمى إلى نفس هذا العالم.

فتاة صغيرة من الطبقة المتوسطة مقيمة بمدرسة داخلية وملتزمة بالسلوك الحسن في تزمت.

(المساء). حاولت أن أرسم .G.P من الذاكرة مرة أخرى اليوم. ولكن بدون جدوى.

جلس كاليبان وراح يقرأ كتاب «الصياد في الجاودار» عقب طعام العشاء. وشاهدته مرات عديدة وهو يتصفح الكتاب ليرى كم عدد الصفحات الأخرى التي ينبغي عليه قراءتها.

وهو يقرأ هذا الكتاب لكي يبين لي فقط كم هو يبذل جهوداگص في محاولته.

كنت أمر بجوار الباب الأمامى في هذه الليلة (الحمام) وقلت «حسناً شكراً لك على هذه الأمسية اللطيفة. أستودعك الله الآن» وقمت بحركة وكأنني أفتح الباب. وكان الباب مغلقا بالطبع. فقلت: «يبدو أن الباب مثبت وملتصق» فلم يبتسم واكتفي بالوقوف ومراقبتي.

فقلت: «إنني أمزح فقط» فقال: «أدرك ذلك». الأمر غريب للغاية - أنه يجعلنى أشعر أنني عبيطة. من خلال عدم الابتسام فقط.

بالطبع كان .G.P يحاول دائماً أن يأخذنى إلى السرير. لا أعرف السبب ولكنني أدرك ذلك في مزيد من الوضوح الآن أكثر مما أدركته في تلك الأوقات. أنه قد صدمنى. وتنمر على. ووبخنى بطريقة ساخرة مهينة - بدون أن يستخدم وسائل رديئة على الإطلاق. بطريقة غير مباشرة. فهو

لم يشكل أي ضغط أو إرغام على على الإطلاق. ولم يلمسنى. أعني أنه كان يحترمنى بطريقة غريبة. ولا أظن أنه كان يعرف نفسه معرفة حقيقية. لقد كان يريد أن يصدمنى ـ وبدون أن يعرف ما إذا كان يريد أن يصدمنى من أجل أن أقترب منه أو من أجل أن أبتعد عنه. إذ كان يترك ذلك للصدفة.

المزيد من الصور الفوتوغرافية اليوم. ليست لقطات كثيرة للغاية وقلت له أن ذلك يسبب متاعب شديدة لعينى. وأنا لا أحب له أن يصدر لي دائماً الأوامر فيما يتعلق بهذه اللقطات. وهو إنسان متذلل وخنوع للغاية «هل لي أن أخذ هذه اللقطة؟» ـ «هل تتفضلي على وتسمحى لي بأن أخذ تلك اللقطة»... لا إنه لا يستخدم كلمة (تتفضلي) ولكن من العجيب أنه لا يستخدم لك الكلمة.

وقال عندما كان يلف الفيلم الخاص به:

«ينبغي عليك أن تذهبي إلى Beauty comps».

فقلت: «أشكرك» (الطريقة التي تتكلم بها تتصف بالجنون. وأنا لا أدرك ذلك إلا بعد أن أقوم بكتابة الكلام الذي دار بيننا. فهو يتكلم كما لو كانت لي مطلق الحرية في الانصراف في أي لحظة. كما أنني أتكلم بنفس الطريقة أيضاً).

وقال: «أراهن على أنك ستكونين رائعة الجمال للغاية وأنت ترتدين Wotchermercallit.

فظهرت على الحيرة والارتباك. فقال: «واحدة من تلك الأشياء الفرنسية السابحة».

فتساءلت: «بكيني؟».

وأنا لا أستطيع السماح بكلام مثل ذلك لذلك رحت أحملق نحوه في برود.

وقلت «هل ذلك هو ما تعنيه؟».

فقال وقد تصاعدت الدماء إلى وجهه «لكي ألتقط لك صورة فوتوغرافية وأنت على ذلك النحو».

والشيء العجيب هو أنني أدرك أنه يقصد ذلك على وجه الدقة. فهو لم يكن يهدف إلى أن يكون بذيئاً. وهو لم يكن يلمح إلى أي شيء كل ما هنالك أنه كان آخرقا وعديم الكياسة. كعادته دائما. كان يقصد ما قاله حرفيا. بمعنى أنني سأكون رائعة الجمال إذا التقط لي صورة فوتوغرافية وأنا مرتدية «مايوه بكيني».

وقد أعتدت أن أعتقد أن ذلك الأمر موجود هنالك بكل تأكيد. وهو مكبوت على عمق شديد ولكن من المؤكد أنه موجود هنالك.

ولكنني لم أعد أعتقد في ذلك. فأنا لا أعتقد حإلياگص أنه يكبت في داخله أي شيء إذ لا يوجد شيء ما لكي يكبته في داخله نزهة ليلية محببة لنفسه. كانت هناك مساحات هائلة ممتدة من السماء الصافية التي لا يوجد بها قمر وتناثرت من النجوم البيضاء الدافئة في كل مكان مثل اللآلئ التي لها لون اللبن الحليب بالإضافة إلى نسيم جميل. يهب من الجهة الغربية. وجعلته يصطحبنى هنا وهناك في أرجاء المكان على مدى عشر مرات أو اثنى عشرة مرة. وكانت أغصان الأشجار تصدر حفيفا وكانت هناك بومة تنعق في الغابات. وكانت السماء جامحة تماماً ومنطلقة في حرية كاملة ومليئة تماماً بالرياح والهواء والفضاء والنجوم.

الرياح مليئة بالروائح والأماكن البعيدة. ومليئة بالآمال. وكذلك البحر وكان بمقدورى أن أشم رائحة البحر. وقلت (فيما بعد بالطبع حيث

كانت الكمامة موجودة في فمي أثناء وجودى بالخارج) «هل نحن قريبان من البحر؟» فقال: «نحن على مسافة عشرة أميال من البحر» فقلت: «بالقرب من مدينة لويس» فقال: لا أستطيع أن أقول ذلك».

(وغالبا ما أشعر بذلك وأنا معه ـ أشعر أنه إنسان طيب ذليل واقع تحت سيطرة شخص وضيع شيء الخلق).

وفي داخل المنزل لم يكن الأمر مختلفا اختلافا كبيرا. وتحدثنا معا عن أسرته مرة أخرى. وكنت أداوم على احتساء Scrumpy. وأنا أفعل ذلك (بعض الشيء) لأرى ما إذا كان باستطاعتي أن أجعله مخمورا وغافلا وغير مكترث. ولكنه كان يحرص على عدم تناول ذلك المشروب وهو يقول عن نفسه أنه ليس ممن يتعاطوا الخمور والمسكرات على الإطلاق. إذن فذلك جزء من warderishness. فهو لا يرغب في أن تتعرض أخلاقه للفساد.

ميراندا: حدثني في مزيد من التفصيل عن أسرتك.

كاليبان: ليس عندى كلام آخر أقوله. كلام من شأنه من أن يثير اهتمامك.

ميراندا: هذه ليست إجابة.

كاليبان: الأمر على النحو الذي قلته.

ميراندا: كما قلت.

كاليبان: عادة ما كان يقال لي أنني ممتاز في اللغة الإنجليزية وكان ذلك قبل أن أعرفك.

ميراندا: هذا لا يهم.

كاليبان: أعتقد أنك حصلت على مستوى أ «A» وكل تلك الأمور.

ميراندا: نعم. لقد حصلت على مستوى أ.

كاليبان: لقد حصلت أنا على مستوى O في الرياضيات والبيولوجيا.

ميراندا: (وكنت أعد الخرز ـ بلوزة من التريكو ـ صوف فرنسي غالي الثمن).

حسناً. سبعة عشر. ثمانية عشر. تسعة عشر.

كاليبان: لقد حصلت على جائزة للهوايات.

ميراندا: أنت إنسان ماهر. حدثني أكثر عن والدك.

كاليبان: سبق أن حدثتك عنه. لقد كان مندوبا. في مجال الأدوات المكتبية والبضائع غير العادية.

ميراندا: وكيل تجارى متجول؟

كاليبان: أنهم يسمونهم الآن: مندوبين».

ميراندا: وهو قد قتل في حادث تحطم سيارة قبل الحرب. وانطلقت أمك مع رجل آخر.

كاليبان: أنها لم تكن إنسانة طيبة.

مثلي. (فنظرت إليه في برود. وأشكر الله على أن روح الفكاهة عنده نادرا ما تنضح).

ميراندا: لذلك احتضنتك عمتك وتولت رعايتك».

كاليبان: نعم.

ميراندا: مثل مدام جو Joe وبيب Pip.

كاليبان: من؟

ميراندا: لا تهتم.

كاليبان: إنها على ما يرام. وهي قد حالت دون دخولي إلى ملجأ الأيتام.

ميراندا: وماذا عن مابيل ابنة عمتك.

إنك لم تحدثني بأي كلام عنها.

كاليبان: إنها أكبر مني في السن. فهي تبلغ من العمر ثلاثين عاما وهناك أخوها الأكبر. ولقد ذهبت إلى استرإليا عقب الحرب إلى عمى ستيف وهو شخص أسترإلى بمعنى الكلمة. ولقد ظل هناك لسنوات عديدة. وأنا لم أشاهده على الإطلاق.

ميراندا: وليست لديك أية أسرة أخرى؟

كاليبان: هناك أقارب لعمى ديك. ولكنهم لم يتصادقوا مع عمتى آني على الإطلاق.

ميراندا: أنت لم تحدثني عن مابيل.

كاليبان: إنها إنسانة مشوهة. فهي مصابة بالشلل النصفي. وهي حادة الطبع. ودائما ما تريد أن تعرف كل الأشياء التي يفعلها المرء.

ميراندا: ألا تستطيع أن تمشى؟

كاليبان: إنها تمشى لمسافات قصيرة في داخل المنزل. ونحن نضطر لأن نضعها في كرسى عندما نخرج بها إلى خارج المنزل.

ميراندا: ربما قد سبق لي مشاهدتها.

كاليبان: أنت قوية الملاحظة.

ميراندا: ألا تشعر بالآسف من أجلها؟

كاليبان: المرء يشعر بالآسف من أجلها طوال الوقت. الغلطة هي غلطة عمتى آني.

ميراندا: استمر في الكلام.

كاليبان: إنها تجعل كل شيء حولها مشوها أيضاً. لا أستطيع أن أوضح وجهة نظري على وجه الدقة، وكأنه ليس من حق أي إنسان آخر أن يكون طبيعياً وعاديا وسويا. أعني أنها لا تشتكي وتتذمر صراحة. ولكنها تكتفي بإلقاء النظرات. وعندئذ ينبغي لي المرء أن يكون حريصا للغاية.

ميراندا: يا لها من وضاعة وخسة!

كاليبان: وينبغي لي المرء أن يفكر في حرص شديد فيما يقوله من كلام.

ميراندا: في حرص.

كاليبان: أقصد في حرص شديد.

ميراندا: ولماذا لم تلذ بالفرار؟

وتسكن في غرفة مستأجرة بمنزل شخص آخر؟

كاليبان: لقد فكرت كثيراً في ذلك.

ميراندا: لأنهما كانتا امرأتين تتصرفان وفق أهوائهما. وأنت كنت جنتلمأنا.

كاليبان: being a sharley .

محزن ومحاولاته لأن يكون ساخراً وكلبي النزعة).

ميراندا: وهما الآن في أستراليا حيث يحاولان إدخال التعاسة على أقاربك الآخرين.

كاليبان: أعتقد ذلك.

ميراندا: هل تقومان بارسال خطابات؟

كاليبان: نعم. ليست مابيل.

ميراندا: هل يمكن لك أن تقرأ لي أحد هذه الخطابات في يوم ما؟

كاليبان: وما السبب في ذلك؟

ميراندا: لمجرد أن أشعر بالتسلية.

كاليبان: (صراع داخلي هائل): لقد وصلني خطاب في هذا الصباح، (وفي نهاية الأمر يستخرج الخطاب من جيبه): إنهما تتسمان بالغباء.

ميراندا: هذا لا يهم. غقرأ الخطاب بصوت مرتفع. أقراه من أول إلى آخره.

كان هو جالسا بجوار الباب وكنت أنا مشغولة في الحياكة بابرة التريكو. وأنا لا أستطيع أن أتذكر ما ورد في الخطاب بالحرف الواحد ولكنه كان على هذا النحو تقريبا: عزيزي فريد (وقال: وهذا هو الاسم الذي تناديني به فهي لا تحب اسم فرديناند ـ وأحمر وجهه بسبب الخجل والارتباك). أنني مسرورة لتسلمى خطابك. وكما قلت لك في خطابي الأخير فإن النقود هي نقودك. ولقد كان الله شفوقا عليك للغاية ولذلك يجب عليك ألا تتحدى العطف الإلهي عليك وأمل ألا تكون قد اتخذت هذه الخطوة وعمك ستيف يقول أن الممتلكات متاعبها أكثر من قيمتها. وألاحظ أنك لا تجيب على أسئلتى فيما يتعلق بالمرأة التي تقوم بأعمال النظافة تجئ في المرتبة الثانية بعد التقوى والورع والصلاح. أنا ليس لي حق وأنت كنت كريما للغاية يا فريد. والعم ستيف والأولاد وجيرتى لا يعرفون السبب في عدم مجيئك إلى هنا معنا ولقد قالت: جيرتى في هذا الصباح أنه كان ينبغي عليك أن تكون موجودا معنا هنا. ولكن لا تظن أنني غير شاكرة وأمل أن يغفر لي الرب ولكن هذه كانت تجربة عظيمة ولن تتمكن من التعرف على مابيل الآن لأن بشرتها قد

أصبحت بنية اللون بسبب تأثيرات الشمس هنا. الجو رائع للغاية هنا ولكنني لا أحب التراب والغبار المنتشر في كل مكان. فكل شيء هنا سرعان ما يصبح مغبراً ومليئاً بالتراب والناس هنا يعيشون عيشة مختلفة عن حياتنا في انجلترا. وهم ينطقون اللغة الإنجليزية بطريقة أقرب إلى اللهجة الأمريكية وهم يتفوقون علينا في هذا الصدد (حتى العم ستيف) ولن أشعر بالآسف لدى العودة إلى شارع بلاكستون فأنا أشعر بالضيق عندما أفكر في الرطوبة والقذارة. أمل أن تكون قد فعلت ما أوصيت به ألا وهو تهوية جميع الغرف مع إحضار امرأة ممتازة للقيام بأعمال النظافة. أمل ذلك.

يا فريد. أمل ألا تجعلك كل هذه النقود تفقد صوابك. فهناك العديد من الأشخاص المهرة غير الأمناء (وقال أنها تعنى بذلك النساء) المنتشرين في كل مكان في هذه الأيام. ولقد ربيتك تربية جيدة بقدر ما أستطيع فإذا أقدمت على أعمال خاطئة فكأنني أنا الذي فعلت تلك الأعمال الخاطئة وأنا أعرف أنك قد وصلت إلى سن الرشد (وقال أنها تعنى أن سنى قد وصل إلى ما يزيد على ٢١ عاما) ولكنني أشعر بالقلق عليك بسبب كل ذلك الذي حدث (وهي تعنى بذلك أنني يتيم).

ولقد أحببنا مدينة ملبورن. وهي مدينة كبيرة. ولسوف تذهب في الأسبوع التالي إلى بربسيين لكي تقيم مع بوب Bob مرة أخرى ومع زوجته وهي قد كتبت رسالة لطيفة. وهم سيقابلوننا في المحطة. والعم ستيف وجريت والأطفال يرسلون لك خالص حبهم وتحياتهم وكذلك مابيل والمحبة لك دائما.

وبعدئذ تقول أنه لا حاجة بي لأن أشعر بالقلق على النقود. فالنقود متوافرة تماماً. وبعدئذ تأمل أن أكون قد حصلت على امرأة لتقوم بالعمل

وهي تقول أن النساء الصغيرات في السن لا يقمن بالتنظيف السليم في هذه الأيام.

(وسادت فترة طويلة من الصمت).

ميراندا: هل تعتقد أن هذا الخطاب ظريف؟

كاليبان: إنها تكتب دائماً على ذلك النحو.

ميراندا: إن خطابها يجعلنى أشعر بالغثيان.

كاليبان: أنها لم تحصل على أي تعليم حقيقي أبداً.

ميراندا: أن المسألة ليست هي أسلوبها في اللغة الإنجليزية، وإنما المسألة هي عقلها الردئ.

كاليبان: إنها تحتوينى وتضيق على الخناق.

ميراندا: لقد فعلت ذلك بكل تأكيد. فهي قد احتوتك ومازالت تضيق عليك الخناق.

وهي قد خدعتك وضللتك وغشتك تماماً.

كاليبان: أشكرك شكرا جزيلاً.

ميراندا: حسناً. إنها قد خدعتك.

كاليبان: أوه. أنت على حق. كالمعتاد.

ميراندا: لا تقل ذلك الكلام (ووضعت أشغال الإبرة على جانب وأغلقت عينى).

كاليبان: إنها لم تتحكم في بمقدار نصف ما تفعلينه أنت.

ميراندا: أنني لا أتحكم فيك ولا أترأس عليك. ولكنني أحاول أن أعلمك.

كاليبان: أنت تعلميني كيف أحتقرها وكيف أفكر مثلك. وأنت سرعان ما ستتركينني ولن يكون لدي أي شخص على الإطلاق.

ميراندا: أنت الآن تثير الشفقة على نفسك.

كاليبان: إنه الشيء الوحيد الذي لا تفهمينه.

ميراندا: آخرس. فأنت قبيح بما فيه الكفاية وبدون أن تبدأ في النحيب الحزين.

وقمت بالتقاط أشغال التريكو ووضعتها بعيداً عني. وعندما نظرت فيما حولي كان هو واقفا هناك وقد فتح فهمه محاولا أن يقول كلاماً ما وعندئذ أدركت أنني قد آذيت مشاعره، وأنا أدرك أنه يستحق أن تؤذى مشاعره ولكن ها هي مشاعره قد جرحت. فلقد آذيت مشاعره، وظهر على وجهه الاكتئاب الشديد. وتذكرت أنه قد سمح لي بالخروج والتريض في الحديقة، فشعرت بأنني وضيعة.

فاتجهت إليه وقلت له، أنني «آسفة» ومددت له يدي لكي أصافحه ولكنه لم يسلم على يدي. كان الموقف غريبا. لقد كان لديه بالفعل نوع من الوقار وكان قد آوذيت مشاعره بالفعل وكان يظهر أن مشاعره قد جرحت. لذلك أمسكت بذراعه وأرغمته على الجلوس مرة أخرى. ثم قلت له «سأحكي لك قصة خرافية».

في يوم ما في الماضي البعيد (هكذا ابتدأت في القصة بينما كان هو يحملق في مرارة شديدة نحو أرضية الغرفة) كان هناك وحش قبيح المنظر للغاية قام بالاستيلاء على أميرة ووضعها في سجن تحت الأرض في القلعة الخاصة به، وفي كل مساء كان يجعلها تجلس معه ويأمرها بأن تقول له: «أنت وسيم للغاية يا سيدي» وفي كل مساء كانت تقول له: «أنت قبيح للغاية أيها الوحش». وبعدئذ ظهرت مشاعر الإهانة

الشديدة والحزن على الوحش وراح يحملق في أرضية الغرفة، ولذلك فإن الأميرة قالت ذات مساء: «إذا فعلت هذا الشيء وذلك الشيء فأنك قد تصبح وسيماً» ولكن الوحش قال: «إنني لا أستطيع، لا أستطيع» فقالت الأميرة: «حاول. جرب» ولكن الوحش قال: «لا أستطيع. لا أستطيع». وفي كل مساء كان يتم نفس الشيء. وطلب منها أن تكذب ولكنها رفضت. ولذلك بدأت الأميرة تعتقد أنه يستمتع حقاً لكونه وحشا ولكونه قبيحا للغاية. وبعدئذ وذات يوم شاهدته وهو يبكي عندما قالت له: للمرة الخمسين أنه قبيح المنظر ولذلك قالت له: «يمكن لك أن تصبح وسيما وجميلا للغاية إذا فعلت شيئاً ما واحدا، فهل ستفعل ذلك الشيء؟» فقال أخيراً: «نعم. سأحاول أن أفعل ذلك الشيء». لذلك قالت له: «أطلق سراحي». فأطلق سراحها بالفعل وفجأة وعلى الفور لم يعد قبيح الشكل على الإطلاق. فلقد كان أميرا واقعا تحت أعمال السحر والشعوذة ثم سار وراء الأميرة خارجا من العلقة. وعاش الاثنان في سعادة أبدية فيما بعد.

وكنت أدرك أن القصة كانت تبدو سخيفة أثناء سردى لها Fey. ولم يتكلم وظل محملقاً لآسفل.

فقلت له: «والآن جاء الدور عليك لكي تقص على قصة خرافية».

فاكتفي بأن قال: «أنني أحبك».

وكانت مشاعر الوقار في داخله تفوق الوقار الذي يجتاحنى فشعرت أنني ضئيلة ووضيعة. لأنني دائماً أسخر منه وأطعنه وألكزه وأكرهه وأظهر له كراهيته الشديدة له، وكان الموقف غريبا للغاية. حيث كنا نجلس في صمت في مواجهة بعضنا البعض وكان لدى إحساس سبق أن شعرت به مرة أو مرتين من قبل... أحساس بأنني قريبة للغاية منه على

نحو عجيب. وهو أحساس لا يمكن أن نقول عنه أنه حب أو جاذبية أو تعاطف بأي حال من الأحوال. ولكنه ارتباط قدرى أو رابطة مصيرية وكأننا قد تحطمت بنا سفينة فأصبحنا معا فوق جزيرة أو فوق عوامة من الألواح الخشبية المشدودة. فنحن الاثنان لم نكن نرغب في أن نكون سويا. ولكننا متواجدان معا.

اشعر بوجود حزن رهيب في داخل حياته أيضاً. وأشعر بأحزان عمته البائسة وابنة عمته البائسة وأقاربهم البائسين في أستراليا. أشعر بتلك الأحزان الهائلة الكئيبة الميئوس منها. مثل لوحات هنرى مور Henry Moore عن الناس الموجودين في السكة الحديد الموجودة تحت الأرض في لندن أثناء هجوم جوى مفاجئ، الناس الذين لا يشاهدون شيئاً ابداً ولا يحسون ولا يرقصون ولا يرسمون ولا يصيحون إعجابا لدى سماع الموسيقى ولا يشعرون بالعالم حولهم ولا يحسون بالرياح الغريبة. ولا يشعرون بأي أحساس حقيقي على الإطلاق.

مجرد تلك الكلمات الثلاث التي قالها وقصد معناها... «أنا أحبك I love you».

وكانت كلمات ميئوس منها تماماً. وقال تلك الكلمات كما لو كان يقول: «إنني مصاب بالسرطان».

قصته الخرافية.

٣١ أكتوبر:

لا شيء. قمت بتحليله تحليلاً نفسياً في هذا المساء.

كان يجلس في تخشب وتصلب شديدين إلى جواري.

كنا ننظر إلى صورة للفنان جويا Goya مطبوعة من لوح معدنى

محفور. ربما كان الأمر يرجع إلى الصور في حد ذاتها. ولكنه كان يجلس وأنا أعتقد أنه لم يكن ينظر في حقيقة الأمر إلى تلك الصورة. وإنما كان يفكر فقط في وجوده في مكان قريب للغاية مني.

الكبت النفسي الخاص به. إنه أمر سخيف ولا يقبله العقل. وتحدثت معه كما لو كان بإمكانه أن يكون سويا وطبيعياً بكل سهولة. وكما لو لم يكن هو إنسان مخبول يحتجزني هنا كسجينة عنده. تحدثت معه وكأنه شاب لطيف يريد الحصول على قدر من الملاطفة من صديقة له مرحة وخفيفة الظل.

والسبب في ذلك هو أنني لا أرى أبداً أي شخص آخر. إنه يصبح بذلك النموذج المعيارى. نسيت كيف أقارن.

أعود مرة أخرى إلى .G.P.

كان ذلك عقب الدوش البارد مباشرة (عقب ما قاله عن إنتاجى من اللوحات الفنية). كنت أشعر بالقلق والملل ذات مساء. فذهبت إلى شقته في حوإلى الساعة العاشرة مساء. وكان مرتديا الروب دى شامبر.

وقال: «لقد كنت على وشك الذهاب للنوم في السرير».

فقلت: «لقد كنت أريد سماع شيء من الموسيقى. ولسوف أنصرف» ولكنني لم أنصرف.

فقال: «الوقت متآخر».

فقلت: «إنني أشعر بالاكتئاب. فلقد قضيت يوماً كريها وكانت كارولين سخيفة للغاية في فترة العشاء».

فسمح لي بالصعود على السلالم وجعلنى أجلس على الأريكة ووضع أسطوانة في جهاز لتسجيل واطفاء الأنوار الكهربائية وتسلل القمر من خلال النافذة. وسقط ضوء القمر على ساقى. كان قمراً فضياً بطيئاً محبباً

للنفس، وكان مبحراً. وجلس هو في الكرسي الفوتى في الجانب الآخر من الغرفة بين الظلال.

وكانت الموسيقى تنساب.

أنها تنويعات جولدبرج Goldberg Variations.

وكانت هناك تنويعة قرب نهاية الأسطوانة تتسم بالبطء الشديد والبساطة الشديدة والحزن العميق ولكنها جميلة للغاية فيما وراء الكلمات أو الرسم أو أي شيء آخر باستثناء الموسيقى حيث كانت رائعة هناك تحت ضوء القمر. موسيقى القمر.. فضية للغاية وبعيدة ونائية للغاية ونبيلة وسامية للغاية.

كلأنا موجودان في تلك الغرفة. لا يوجد ماض ولا يوجد مستقبل. كل شيء في خضم عميق في تلك الأوقات اللحظية فقط. شعور بأن كل شيء يجب أن ينتهي: الموسيقى وأنفسنا والقمر وكل شيء. وأنه إذا تمكنت من الوصول إلى لب الأشياء فأنك تعثر على الحزن للأبد وإلى ما لا نهاية وفي كل مكان ولكنه حزن فضى جميل مثل وجه السيد المسيح... مثل وجه سيد مسيح.

كانت متقبلة للحزن. وكنت أدرك أن إدعائي بأن الموقف مليء كله بالغبطة يعتبر أدعاء متسما بالخيانة والغدر. الخيانة لكل شخص حزين في تلك اللحظة. والخيانة لكل شخص غارق للأبد في الحزن. والخيانة لمثل هذه الموسيقى ولمثل هذه الحقيقة.

وفي كل هذا الصخب والضجة والضوضاء وفي كل هذا القلق وكل هذه الرداءة والأعمال والأشغال التي تتصف بها لندن من حيث الجرى وراء بناء المستقبل ووراء الفن والدراسة والتعلم والجرى المحموم وراء

اكتساب الخبرات نجد فجأة هذه الغرفة الفضية الساكنة المليئة بتلك الموسيقى.

مثل استلقاء المرء على ظهره مثلما فعلنا في أسبانيا عندما استلقينا في الخلاء ورحنا ننظر لأعلى من خلال أغصان أشجار التين إلى دهاليز النجوم والبحار العظيمة ومحيطات النجوم وأدركت ما ينبغي أن يكون عليه الحال في الكون.

صحت. في صمت.

وفي نهاية الأمر قال: «والآن هل يمكن لي الذهاب إلى سريرى؟». وداعبنى في رفق بعض الشيء مما جعلنى أعود إلى الأرض مرة أخرى. وتهيأت للانصراف. ولا أظن أننا قلنا أي كلام. لا أستطيع أن أتذكر. كان يبتسم ابتسامته المعهودة الخفيفة الجافة حيث أدرك أنني كنت متأثرة عاطفيا.

كياسته المتقنة.

وكنت على استعداد للنوم معه في السرير في تلك الليلة. لو كان قد طلب مني ذلك. لو كان قد اقترب مني وقام بتقبيلي.

ليس من أجله ولكن من أجل كونى على قيد الحياة.

أول نوفمبر:

شهر جديد. وحظ جديد مازالت فكرة حفر نفق في الحائط تطاردنى في إلحاح. ولكن الصعوبة كانت تمثل حتى الآن في العثور على شيء لاستخدامه في الحفر في الخرسانة. وبالأمس وبينما كنت أزاول الرياضة في السرداب الخارجى شاهدت مسماراً. ضخم قديم ملقى آسفل الحائط في الركن البعيد. فتعمدت أن يسقط منديلي على الأرض لكي أتمكن

من القاء نظرة عن كثب. ولم يكن بمقدورى أن التقطه لأنه يراقب كل حركاتى مراقبة شديدة. هذا علاوة على أنه من الصعب التقاطه بينما يدأي مربوطتان وفي هذا اليوم عندما كنت في مكان قريب من المسمار (وهو دائماً ما يجلس على قمة السلالم) قلت له (وقد تعمدت أن أقول ذلك): «أذهب بسرعة وأحضر لي سيجارة... وعلبة السجاير موجودة فوق الكرسي عند الباب». فرفض بالطبع تنفيذ أوامرى وقال: «ما الذي تهدفين إليه؟».

«لسوف أبقى في مكآني. لن أتحرك من مكآني».

«ولماذا لا تذهبين بنفسك لإحضار السجاير؟».

«لأنني في بعض الأحيان أحب أن أتذكر تلك الأيام التي كان يتسابق فيها الرجال لتقديم خدمة لي وإظهار روح الود والصداقة نحوي. وذلك هو كل ما في الأمر».

ولم أكن أتوقع أن تنجح هذه الخطة. ولكنها نجحت بالفعل. إذ اعتقد فجأة أنه لا يوجد هناك أي شيء يمكن لي أن أفعله ولا يوجد هناك أي شيء يمكن لي أن ألتقطعه. (فهو يضع كل شيء في درج ويغلق الدرج بالمفتاح عندما آخرج إلى هنا). ولذلك فإنه نفذ من خلال الباب ولم استغرق أنا سوى لحظة واحدة، حيث انحنيت في لمح البصر، والتقطت المسمار ووضعته في جيب جونلتى ـ والتي كنت قد ارتديتها خصيصا من أجل ذلك ـ وأصبحت واقفة في اعتدال على النحو الذي تركني عليه عندما قفز راجعا إلى. وهكذا حصلت على المسمار الخاص بي. وجعلته يعتقد أنه يمكن له أن يثق في. وبذلك اصطدت عصفورين بحجر واحد.

أن الحصول على مسمار هو أمر تافه للغاية. ولكن ذلك بدأ لي وكأنه انتصار هائل.

وكنت قد بدأت في وضع خطتي موضع التنفيذ. ولقد ظللت على مدى أيام أقول لكاليبان أنني لا أعرف الأسباب التي تدعو لعدم أخبار أبي وأمي وكل فرد آخر بما إذا كنت لا أزال على قيد الحياة. وأصبحت له أنه يمكن له على الأقل أن يخبرهم بأنني مازلت على قيد الحياة ومازلت على ما يرام. وفي هذه الليلة عقب العشاء قلت له أنه يمكن له أن يشتري ورقا من محلات وولويرث مع استخدام القفازات وإلى غير ذلك من احتياطات وإجراءات وقائية وحاول أن يتملص من ذلك كالمعتاد. ولكنني ظللت ألح عليه. ورحت أفند له كل اعتراض يبديه. وفي نهاية الأمر شعرت أنه بدأ يقتنع باتخاذ هذا الإجراء إرضاء لي.

وقلت له أنه يمكن له أن يرسل الخطاب من لندن وذلك إمعأنا في تضليل الشرطة. كما قلت له أنني أريد أشياء كثيرة من لندن في نفس الوقت، وكان على أن أبعده عن هنا لمدة ثلاث أو أربع ساعات على الأقل. وذلك بسبب وجود أجهزة إنذار في هذا المنزل. وبعد انصرافه أعكف على حفر النفق الخاص بي. وكنت أعتقد أن حوائط هذا السرداب تتألف من حجارة متراصة وليس من قطعة حجرية واحدة ولذلك فقد اعتقدت أيضاً أنه يوجد تراب خلف الأحجار بكل التأكيد. ولذلك فكل ما على أن أفعله هو أن أثقب الحجارة وبعدئذ سأصل إلى التراب اللبن (وفقا لتصوراتى).

وهي فكرة ربما تكون جامحة تماماً. ولكنني كنت متلهفة تماماً على محاولة تنفيذها.

المرأة النيلسينية Nielsen لقد تقابلت معها مرتين أخيرتين في منزل

G.P. عندما كان هناك أناس آخرون موجودين هناك ـ وكان زوجها أحد هؤلاء الناس، وهو رجل دانماركي يشتغل في أعمال الاستيراد، وكان يتكلم الإنجليزية في إتقان، وهو إتقان شديد للغاية مما جعل لغته تبدو مليئة بالأخطاء اللغوية، أو تبدو غير طبيعية أو مليئة بالظاهر.

ولقد تقابلت معها ذات يوم عندما كانت خارجة من محل الكوافير بينما كنت أنا داخلة في ذلك المحل لتحديد موعد لقاء مع كارولين وكانت تخذ ذلك الشكل المشرق الحساس الذي تقلد به النساء من أمثالها الفتيات اللائي هن من نفس سنى. وهو الشكل الذي تسميه ميني «الدعوة إلى الدخول في قبيلة النساء» وهذا يعنى أنهن بصدد أن يعاملنك معاملة الإنسانة الناضجة إليافعة ولكنهن لا يعتقدن في حقيقة الأمر أنك ناضجة بالفعل ويشعرن على كل حال بالحقد والغيرة منك.

وأبدت استعدادها لأن تصطحبنى لتناول القهوة معا. وكنت عبيطة وكان ينبغي لي أن أكذب، وكان كل كلامها ينصب على وعلى ابنتها وعلى الفن، وهي تعرف أناسا وقد حاولت أن تبهرنى بذكر بعض الأسماء، ولكن ما يشعر به الناس إزاء الفنون هو الشيء الذي احترمه، وليس المعلومات التي يعرفونها أو الشخصيات التي يعرفونها.

وأنا أعرف أنها لا يمكن أن تكون امرأة مساحقة. ولكنها تقترب من ذلك المعنى. فهناك أشياء في عينيها لا تجرؤ على الإفصاح بها إليك. ولكنها تريد من المرء أن يطلب منها أن تفصح عنها.

وبدا عليها وكأنها تريد أن تقول «أنت لا تعرفين ما حدث ومازال يحدث بيني وبين .G.P وأتحدى أن تكون لديك الجرأة على أن تسإلينى».

واستمرت في الكلام المتواصل عن شارع شارلوت في أواخر الثلاثينات وعن الحرب. ديلان توماس Dylan Thomas.

وقالت: إنه معجب بك».

فقلت: «أعرف ذلك».

ولكنها كانت صدمة. فهذا أمر كانت تريد أن تتأكد من صحته (فهل أخبرها بذلك؟) كما كانت تريد أن تناقشه.

وقالت: «لقد اعتاد على الإعجاب باستمرار بالفتيات الجميلات».

وكانت ترغب في مناقشة ذلك على نحو رهيب.

وبعدئذ انصب كلامها على ابنتها.

فقالت: «ابنتي تبلغ من العمر الآن ١٦ عاما، وأنا لا أستطيع النفاذ إلى داخل ذهنها. ففي بعض الأحيان عندما أتحدث معها أشعر أنني مثل حيوان موجود في حديقة للحيوأنات، فهي تكتفي بالوقوف بالخارج وترقبنى».

وأدركت أنها قد قالت: لي نفس ذلك الكلام من قبل. أو أنني قد قرأته في مكان ما. يمكن لك أن تدرك ذلك دائما.

النساء اللائي هن على شاكلتها يكن جميعاً دائماً على ذلك النحو. ليس المراهقون والمراهقات من الفتيات والذين هم تحت العشرين سنة الذين لهم طبيعة مختلفة. فنحن الصغار لم نتغير كل ما هنالك أننا صغار في السن، والذين تغيروا هم الناس الجدد السخفاء الذين هم في منتصف العمر والذين يرغبون في أن يكونوا صغار في السن. هذه المحاولة المستميتة السخيفة في المكوث والبقاء معنا، فهم لا يمكن لهم

أن يكونوا معنا، فنحن لا نريد لهم أن يكونوا معنا. ولا نريد لهم أن يرتدوا نفس موضة الملابس التي نرتديها ولا نريد لهم أن يستخدموا نفس اللغة التي نستخدمها ولا نريد لهم أن تكون لهم نفس اهتماماتنا. فهم يقلدوننا على نحو سيء للغاية مما يجعلنا لا نشعر نحوهم بالاحترام والتبجيل.

ولكن تلك المقابلة التي تمت بيني وبينها جعلتني أشعر أن .G.P قد أحبنى بالفعل (كان يريدنى بالفعل) وأن هناك رابطة عميقة تربط بيني وبينه ـ وهي رابطة حب من جانبه ورابطة إعجاب شديد من جانبي (بل وهي رابطة حب حقيقي من جانبي ولكنه حب لا يتسم بالطابع الجنسي) وهو إحساس كان يسير بخطوات قوية نحو التوصل إلى اتفاق مرضى بينا نوع من التشوش الضبابي لرغبة غير مجابة وحزن قائم بيننا، شيء ما لم يكن باستطاعته أناس آخرين (من أمثال المرأة النيلسينية فهمه في أي وقت على الإطلاق.

شخصان موجودان في صحراء ويحاولان العثور على نفسيهما وعلى واحة حيث يمكن لهما العيش سويا.

ولقد بدأت أفكر أكثر وأكثر على هذا النحو ـ أنها لقسوة شديدة للغاية من القدر لأنه قد وضع هذه العشرين عاما بيننا ولماذا لم يكن بالمستطاع أن يكون هو في نفس سنى وأكون أنا من نفس سنه؟ ولذلك فإن مسألة العمر لم تعد هي العامل البالغ الأهمية الذي يقضى على الحب قضاء مبرما وإنما هو نوع من الحائط القاسي الذي شيده القدر بيننا. أنني لم أعد أعتقد أن الحائط موجود بيننا وإنما أعتقد أن الحائط يفصل ما بيننا وتعزلنا عن بعضنا البعض.

٢ نوفمبر:

استخدام الورقة عقب الانتهاء من تناول طعام العشاء وأملي على خطابا سخيفا وقمت أنا بكتابة ما أملاه على.

وبعدئذ بدأت المتاعب، إذ كنت قد جهزت ورقة صغيرة للغاية مكتوبة عليها بخط يدي بحروف ضئيلة وصغيرة للغاية ودفعت بتلك الورقة الضئيلة إلى داخل المظروف عندما كان غير ملتفت إلى وكان قصاصة ضئيلة للغاية من الورقة وبحيث لا يمكن أن يلاحظها أحد حتى في أفضل قصص الجاسوسية.

ولكن لاحظها بالفعل.

وشعر بالضيق الشديد عندما شاهد تلك الوريقة، إذ جعلته تلك الوريقة يشاهد الأشياء تحت الضوء البارد للحقيقة، ولكنه صدم صدمة هائلة حتى إنني كان ينبغي لي أن أشعر بمشاعر الرعب الشديد والخوف الهائل، إنه لا يستطيع أن يتخيل نفسه وهو يقتلنى أو ينتهكني وتلك هي نقطة هامة.

وتركت له العنان لكي يأخذ راحته منفجرا في ثورة غضب عارمة ولكنني في نهاية الأمر اتجهت إليه وحاولت أن أكون لطيفه معه (لأنني كنت أدرك أنه يجب على أن أحفزه لكي يرسل ذلك الخطاب) وكانت مهمة صعبة بالنسبة لي، إذ لم يسبق لي أن شاهدته منخرطاً في مثل هذه النوبة العارمة من الغضب الشديد.

«ألن تفرج عني وتسمح لي بأن أعود إلى منزلي».

«لا».

«إذن ما الذي تريد أن تفعله بي؟ أتريد أن تأخذنى إلى السرير؟».

فنظر إلى نظرة غريبة للغاية وكأنني كنت إنسانة مثيرة للقرف الحقيقي.

وبعدئذ هبطت على فكرة جديدة فقمت بالتمثيل عليه بعض الشيء مثلث دور العبدة الشرقية المملوك له، فهو يحبني عندما ألهو في مزاح. حتى أن أسخف الحركات التي أقوم بها يقول عنها أنها حركات تتسم بالبراعة والذكاء. بل وهو قد اعتاد على المشاركة معي في التمثيل حيث كان يتعثر ورائي مثل الزرافة (وأنا لست مبرة للغاية في هذا الشأن).

لذلك فقد حفزته لأنه يجعلنى أكتب خطابا آخر. ثم ألقى نظرة إلى داخل المظروف مرة أخرى.

وبعدئذ طلبت منه أن يذهب إلى لندن وفقا للخطة التي وضعتها. وأعطيته قائمة سخيفة لأشياء كثيرة (وهي معظمها أشياء لست في حاجة إليها ولكنها ستجعله مشغولا لفترة طويلة من الوقت) لكي يشتريها لي وأوضحت له أن من المستحيل على الشرطة أن تقتفي أثر خطاب أرسل من أحد مكاتب البريد في لندن، ولذلك قد وافق أخيراً على وجهة نظري. أنه يجب أن يكسبنى عن طريق التملق لي. إنه حيوان أعجم وله صفات البهائم.

أنني لا ألتمس منه ولا أطلب منه في توسل أن يشتري لي الأشياء ولكنني أصدر إليه الأوامر، وطلبت منه أن يحاول شراء لوحة فنية للفنان الرسام جورج باستون[1]. وأعطيه قائمة تضم أسماء المعارض الفنية التي يمكن له العثور فيها على لوحات للفنان الرسام .G.P. وحاولت أن أجعله يذهب إلى الأستوديو الخاص به إذا لزم الأمر. ولكنه بمجرد أن سمع أن الأستوديو موجود في هامبستيد حتى ساورته الشكوك. وأراد أن يعرف مني ما إذا كنت أعرف جورج باستون معرفة شخصية. فقلت له:

---

(١) وهو الذي تشير إليه بحرف: .G.P المترجم.

«لا. أنني أعرف اسمه فقط» ولكن ردى هذا لم يبد مقنعا تماماً. وبدأت أخشى ألا يقوم بشراء أي لوحة من لوحاته من أي مكان، ولذلك أضفت قائلة «إنه صديق عابر وغير رسمي وهو رجل طاعن في السن ولكنه رسام ممتاز للغاية. وهو في مسيس الحاجة إلى النقود لأن حالته المالية سيئة وأنا أحب لوحاته الفنية كثيراً. ويمكن لنا أن نعلق لوحاته على الحوائط في هذا المنزل وإذا قمت بالشراء منه مباشرة فأننا لن ندفع نقوداً للمعارض الفنية. ولكنني أرى الآن أنك خائف من الذهاب إليه ولذلك فلا داعي لأن تذهب إليه».

وأراد أن يعرف ما إذا كان .G.P هو واحد من الرسامين الذين يرسمون لوحات لكي تعلق على الحوائط. فاكتفيت بإلقاء نظرة عليه.

كاليبان: لقد كنت أمزح معك وبعد قليل أضاف «إنه ربما يريد أن يعرف من أين جئت وغير ذلك من معلومات».

فقلت له الكلام الذي يمكنه أن يقوله كرد على تساؤلاته. فقال: «إنني سأفكر في ذلك الأمر» وهذا الرد الكاليبي يساوى «لا». وكانت تلك خطوة كبيرة للغاية بحيث لم أكن أتوقع أنه سيقدم عليها، هذا بالإضافة إلى انه كان هناك احتمال بألا يعثر على أي شيء في المعارض الفنية.

وأنا لا أشعر بالقلق إزاء ذلك. لأنني أكون موجودا هنا في نفس هذا الوقت غدا. نظراً لأنني سألوذ بالفرار. إنه سوف ينطلق عقب الانتهاء من تناول طعام الإفطار، وهو سوف يترك لي طعام الغذاء الخاص بي ومن ثم سيكون لدى أربع أو خمس ساعات (اللهم إلا إذا لجأ إلى الغش والخدع بحيث لا يحضر لي كل الأشياء التي طلبت منه شراءها ولو أنه كان يحرص دائماً على إحضار جميع الأشياء التي طلبتها منه من قبل).

شعرت بالآسف من أجل كاليبان في هذا المساء، فهو سوف يعآني تماماً عندما يدرك أنني قد نجحت وتمكنت من الفرار، لن يكون هناك أي شيء قد ترك له. سيصبح وحيداً مع عصابه (اضطرا به العصبي) الجنسي ومع عصابه الطبقى ومع العبث واللاجدوى الخاص به ومع الخواء الخاص به. لقد كان ينشد كل ذلك. أنني لا اشعر بالآسف من أجله في حقيقة الأمر ولكنني لا أشعر بعدم الآسف تماماً.

٤ نوفمبر:

لم أتمكن من الكتابة بالأمس. فقد كنت اشعر بالملل والسأم الشديد.

لقد كنت غبية للغاية، لقد جعلته ينصرف بعيداً عني طوال فترة الأمس، وكان لدى الساعات الطوال التي يمكنني أن أهرب أثناءها، ولكنني لم أكن أفكر تفكيراً حقيقياً في المشاكل التي تعترض تنفيذ خطة الهرب التي وضعتها. وشاهدت نفسي وأنا أستخرج حفنات من التراب الهائلة اللبن الناعم. كان المسمار عديم الجدوى، إذ لم يصلح للحفر في الأسمنت بطريقة سليمة. وكنت أعتقد أن الأسمنت سوف يتقوض ولكنه كان متماسكا على نحو رهيب، وأمضيت ساعات طويلة في استخراج كتلة حجرية واحدة ولم يكن هناك تراب خلف تلك الكتلة الحجرية وإنما وراءها كتلة حجرية أخرى أكبر حجما... كتلة من الحجر الجيرى... حتى إنني لم أستطع العثور على المكان الذي تبدأ عنده حافة هذه الكتلة. وتمكنت من استخراج كتلة حجرية أخرى من الحائط. ولكن دون جدوى حيث كانت هناك كتلة حجرية أخرى هائلة مماثلة خلفها. فبدأت أشعر بإليأس المرير وأدركت أن فكرة حفر النفق غير مجدية. ورحت أضرب في عنف بجماع يدي على الباب. وحاولت أن أفتحه

باستخدام المسمار مما أدى إلى إصابة يدي بجراح. ذلك هو كل ما حدث. فكل ما حصلت عليه في نهاية الأمر هو يد مليئة بالجروح والكدمات وأظافر مكسورة.

آني لست قوية بالقدر الكافي بدون أن تكون لدى أدوات ومعدات بل ولست قوية حتى مع وجود آلات ومعدات معي.

وأخيرا أعدت الكتلتين الحجريتين إلى مكانيهما. وقمت بتفتيت الاسمنت. (بقدر ما أستطيع) مع خلطة بالماء ومسحوق بودرة التلك بهدف إخفاء معالم الحفر الحائطية. وحاولت أن أعيد الحفرة إلى الحالة التي كانت عليها من قبل ـ وعلى نحو فجائي قلت لنفسي أن الحفر كان ينبغي أن يتم على مدى أيام عديدة، والشيء الغبي الوحيد هو أنني كنت أتوقع إنجاز هذه المهمة كلها في يوم واحد فقط.

لذلك أمضيت وقتاً طويلاً في محاولة إخفاء معالم تلك الحفرة الحائطية.

ولكن محاولات لم تكلل بالنجاح حيث تساقطت بعض الأجزاء، كما أنني كنت قد اخترت مكاناً بالحائط واضحا للعيان للغاية مما يجعل من المحتم عليه أن يلحظه.

لذلك توقفت عن إخفاء معالم تلك الحفرة. وفجأة ذهبت في تقديراتى إلى أن الأمر كله يتسم بالتفاهة والغباء وعدم الجدوى، تماماً مثل الرسم الرديء، أنه موقف غير قابل للإنقاذ.

وعندما جاء أخيراً شاهد مكان الحفر بالحائط على الفور. وهو دائماً ما يتشمم فيما حوله بمجرد أن يدل إلى غرفتي. وبعدئذ بدأ يتفحص لكي يعرف المدى الذي وصلت إليه، فجلست على سريرى ورحت أرقبه وأنظر إليه وفي النهاية ألقيت بالمسار في عنف نحوه.

ولقد قام بتثبيت الحجرين في مكانهما باستخدام أسمنت جديد. وهو يقول أنه يوجد حجر جيرى صلب خلف جميع الكتل الحجرية التي تتألف منها الحوائط.

لم أكن أرغب في التكلم معه طوال تلك الليلة أو حتى إلقاء نظرة على الحاجيات التي اشتراها لي رغم أنني أدركت أنه كان هناك إطار للوحة فنية من بين الحاجيات التي أحضرها.

وأخذت حبة منومة واستسلمت للنوم عقب تناول العشاء مباشرة.

وبعدئذ وفي هذا الصباح (ولقد استيقظت في ساعة مبكرة) نزل إلى حجرتى. وقررت التغاضى عما حدث وكأن الذي حدث هو أمر لا أهمية له. قررت أن أبدو في حالة طبيعية وقررت ألا أستسلم.

وقمت بفض أغلفة جميع الأشياء التي أحضرها.

أولا وقبل كل شيء كانت هناك لوحة من رسم الفنان .G.P كانت اللوحات عن فتاة (امرأة شابة) فتاة عارية تماماً. وهي لوحة تختلف تماماً عن جميع اللوحات التي رسمها والتي سبق لي مشاهدتها. وأعتقد أنه قد سم تلك اللوحة منذ فترة طويلة مضت. وهي إحدى لوحات بكل تأكيد. إذ توجد بها تلك البساطة في الخطوط والتي تتميز بها كما توجد بها كراهيته الشديدة للدقائق التفصيلية وكراهيته للتويوولسكيتات Toplskiris والفتاة قد التقتت في شبه استدارة حيث كانت تعلق فستأنا على مشجب أو تقوم برفع فستان من على خطاف. هل وجه الفتاة يتسم بالجاذبية والجمال؟ من الصعب أن نقول ذلك. الجسد ثقيل ومسترخى Maillol بعض الشيء. اللوحات ليست لها نفس قيمة عشرات اللوحات التي رسمها منذ ذلك الحين ولكنها لوحة صادقة وحقيقية.

وقمت بتقبيل تلك اللوحة عندما فضضت عنها الورق الذي كان

يغلفها. كنت أنظر إلى بعض الخطوط ليس من حيث هي خطوط ولكن من حيث هي أشياء قد قام بلمسها بيديه. طوال فترة الصباح. الآن.

أصيب كاليبان بالدهشة لأن الغبطة الشديدة كانت بادية على وجهي عندما جاء إلى غرفتي. وقدمت له الشكر الجزيل على كل الأشياء التي أحضرها لي. وقلت له.. لا يمكن للمرء أن يكون سجيناً حقيقياً إذا لم يحاول الهرب. والآن لا تجعلنا نتكلم في هذا الموضوع.

ـ أتوافق على ذلك؟

فقال لي «لقد اتصلت تليفونياً بجميع المعارض الخاصة باللوحات الفنية والتي زودتيني بأسمائها. ولم يكن يوجد هناك سوى هذه اللوحة الوحيدة».

فقلت: «أشكرك جزيل الشكر. هل لي أن أحتفظ بهذه اللوحة هنا في غرفتي السفلية. وعندما أنصرف من هنا فإنني أعطيها لك».

(ولكنه قال أنه لا يرغب في الحصول على تلك اللوحة لأنه يفضل الحصول على لوحة من رسمي أنا).

وسألته عما إذا كان قد وضع الخطاب في صندوق البريد، فقال أنه قد أرسل بالفعل ولكنني شاهدت الدماء الحمراء وهي تتصاعد إلى وجهه فقلت له: أنني أصدقه وقلت له أنني واثقة تماماً من أنه قد أرسل ذلك الخطاب لأن عدم إرساله يعتبر خدعة قذرة للغاية.

أشعر أنني أكاد أكون متأكدة من أنه لم يرسل الخطاب تماماً مثلما أحجم عن إرسال الشيك. فذلك يتلاءم تماماً مع تصرفاته. ولكن أي كلام أقواله له لن يدفعه إلى إرسال الخطاب. لذلك قررت أن أفترض أنه قد أرسل الخطاب بالفعل.

منتصف الليل. اضطررت لأن أتوقف عن الكتابة. فقد نزل إلى غرفتي السفلية.

ورحنا ندير الأسطوأنات الموسيقية التي اشتراها. موسيقى للأوركسترا والسلستة من تإليف Bar Rok.

إنها أجمل الأسطوأنات الموسيقية.

لقد جعلتني أكفر في Collioure.

في الصيف الماضي. اليوم الذي ذهبنا فيه نحن الأربعة مع الطلبة الفرنسيين مخترقين أشجار البلوط الخضراء وصاعدين إلى البرج. أشجار البلوط الخضراء. لون جديد تماماً. لون كستنائي مذهل. لون ضارب إلى الحمرة. لون مشتعل. لون دامى. حيث قاموا بقطع شجرة الفلين. وحشرات زيز الحصاد. والبحر الأزورى الهائج المسعور من خلال جذوع الأشجار والحرارة ومن خلال رائحة كل شيء نحترق في داخلها. وترنح سكراً كل شخص: أنا وبييرز وكل شخص فيما عدا ميني. والنوم تحت ظلال الأشجار والاستيقاظ مع الحملقة من خلال أوراق الأشجار نحو السماء الزرقاء الكوبالتية. حيث رحنا نفكر في أنه من المتعذر تماماً رسم الأشياء وفي كيف أن بعض المواد الملونة في أنسجة الحيوأنات يمكن أن تعبر عن الضوء الأزرق المفعم بالحياة للسماء. شعرت فجأة أنني لا أرغب في أن أرسم اللوحات، فالرسم كان مجرد استعراض للتباهي ولفت الأنظار، فالأمر كان يستلزم الدخول في التجربة والانغماس في المزيد من التجارب اللانهائيا.

الشمس الجميلة النظيفة فوق

الجذوع الحمراء كانت في لون الدماء.

وفي رحلة العودة تحدثتِ حديثا مطولا مع الولد الظريف الخجول

جين ـ لويس ـ Jean Louis لكانت لغته الإنجليزية رديئة وكانت لغتي الفرنسية ركيكة ولكننا على الرغم من ذلك كنا نفهم بعضنا البعض، كان شخصاً رعديداً وجبأنا على نحو رهيب. كان يخف من بييرز Piers وكان يشعر بالغيرة منه والحقد عليه. كان غيورا منه لأنه يلف ذراعه حولي. بيرز السخيف الجلف الآخرق، وعندما اكتشفت أنه بصدد أن يصبح قسيسا.

وكان بييرز جلفا للغاية فيما بعد. تلك القسوة الإنجليزية المذكرة الغبية الخرقاء إزاء الحقيقة. فهو لم يستطيع أن يدرك أن جين/ لويس المسكين كان بالطبع يشعر بالارتياح إلى وكان بالطبع منجذباً نحويَ جنسياً ولكن كان هناك هذا الشيء الآخر الذي لم يكن في حقيقة الأمر خجلاً وإنما كان تصميم على محاولة أن يكون قسيسا وأن يعيش في الوقت نفسه في العالم. مجهود هائل في التوافق مع الذات. تماماً مثلما يحطم المرء كل اللوحات التي رسمها والشروع في بداية جديدة. كل ما هناك كان عليه أن يفعل ذلك في كل يوم. وفي كل مرة يشاهد فيها فتاة تثير إعجابه. وكل ما كان يقوله بييرز هو: أراهن على أنه يحلم أحلاما قذرة معاك.

تلك الغطرسة الشنيعة للغاية وتلك البلادة الرهيبة التي يتسم بها الأولاد الذين سبق لهم الالتحاق بالمدارس العمومية. ودائما ما كان بييرز يعبر عن كراهيته الشديدة لتسوى Stowe كما لو كان ذلك يؤدي إلى إيجاد الحلول لكل شيء وكما لم كانت الكراهية إزاء شيء ما تعنى أنها لا يمكن أن تكون قد أثرت على الشخص الذي يكن الكراهية، وأنا دائماً ما كنت أدرك حالته على الفور عندما لا يفهم شيئاً ما حيث يبدو عليه طابع التهكم والاستخفاف والسخرية وهو يقول كلاماً ما مذهلاً.

•

وعندما تحدث مع .G.P عن ذلك بعد مرور فترة طويلة فإنه اكتفي بالقول.. مسكين.

ربما كان يخر ساجدا على ركبتيه متوسلا أن ينساك».

رحت أرقب بييرز وهو يلقى بالحجارة نحو البحر ـ أين كان البحر؟

ـ في مكان ما بالقرب من فالينسيا Valencia كان جميلا للغاية ومفعما بالشباب وقد اكتست بشرته كلها باللون البنى الذهبي بينما كان شعره داكن اللون. ومايوه السباحة الخاص به. وقالت: ميني (وكانت مستلقية إلى جواري. أوه أن المنظر واضح للغاية في ذهني). ألن يكون الموقف رائعا لو أن بييرز كان أبكما وآخرساً؟».

وبعدئذ أضافت: «أكان باستطاعتك النوم معه في السرير؟».

فقلت: «لا» ثم أضفت «لست أدرى».

وعندئذ اقترب بيرز منا وأراد أن يعرف الأسباب التي دعتها لأن تبتسم فقالت: «لقد ذكرت ماندا manda توا لي سرا. يتعلق بك» فألق بييرز نكتة ما خفيفة ثم أنطلق ليحضر طعام الغذاء من السيارة مع بيتر Perer.

وأراد أن أعرف فقلت: «ما هو السر؟»

فقالت: «الأجساد تهزم العقول».

كارمين جراي الذكية تعرف دائماً ما تقوله.

قالت: «كنت أدرك أنك ستقولين ذلك». وكانت تشخبط في الرمال وكنتُ أنا أراقبها وأنا مستلقية على بطني. وقالت: «إنني أقصد أنه وسيم للغاية بحيث يمكن للمرء أن ينسى أنه غبي للغاية، ولربما يخطر على بالك أنني يمكن لي أن أتزوجه وأقوم بتعليمه. إليس باستطاعتك أن

تفعلى ذلك؟ وأنت تعرفين أنك لا تستطيعين ذلك. أم أنك باستطاعتك أن تنامى معه في السرير لمجرد المتعة والتسلية ثم تكتشفين فجأة في يوم ما أنك كنت واقعة في حب مع جسده وأنك غير قادرة على العيش بدون جسده مما يؤدي إلى التصاقك بذهنه المتعفن إلى ما لا نهاية وإلى الأبد».

وبعدئذ قالت: «هل هذا يصيبك بالرعب؟»

«ليس أكثر من أمور عديدة أخرى». «إنني أتكلم في جدية. إذاتزوجتيه فإنني لن أتكلم معك مرة أخرى على الإطلاق».

وكانت جادة في قولها. حيث ظهرت عليها تلك النظرة الرمادية الخجولة السريعة للغاية، نظرة شبيهة برمح صغير. فنهضت واقفة وقمت بتقبيلها لدى نهوضى لأعلى ثم ذهبت لمقابلة الأولاد. وكانت هي مازالت جالسة هناك وكانت لا تزال تنظر لآسفل نحو الرمال.

كلأنا شخصان يتصفان بالتحديق بالبصر في الآخرين بهدف معرفة حقيقة نواياهم على نحو رهيب. وكلأنا لا يستطيع أن يمنع نفسه عن هذا التفرس. ولكنها كانت تقول دائم «إنني أعتقد في هذا ولسوف أتصرف على هذا النحو» وهي قد أصبحت إنسانة أشعر نحوها أنها على الأقل متساوية معي ونداً لي بحيث يمكنها أن تتفرس في مثلما أتفرس فيها، أما المسألة الجسدية فكانت تجيء دائماً في المرتبة الثانية. ولقد اعتقدت دائماً بيني وبين نفسي أن كارمين ستصبح عانسا أخرى. الأمر بالغ التعقيد بالنسبة للأفكار المنظمة.

ولكنني أفكر الآن في .G.P وأعقد مقارنة بينه وبين بييرز. وبييرز لا توجد مميزات هامة لصالحه. مجرد جسد ذهني يلقى بالحجارة على غير مدى في البحر.

٥ نوفمبر

جعلت حياته جحيما في هذه الليلة.

بدأت في الإلقاء بالأشياء هنا وهناك بالدور العلوي. وابتدأت بإلقاء الوسائد وبعدئذ شرعت بإلقاء الأطباق. وكنت أتطلع في لهفه إلى كسر تلك الأطباق.

ولكنني كنت أموج بالشراسة والوحشية، كنت إنسانة فاسدة ومدللة وعآني هو من كل ذلك. أنه يتسم بالضعف الشديد. كان ينبغي عليه أن يصفعنى على وجهي.

وتمكن من الإمساك بي بالفعل بهدف أن يمنعنى من كسر أطباق أخرى من أطباق اللعنة. ونحن نادرا ما نتلامس. كنت أكره أن يتلامس معي كان تلامسه معي شبيه بالمياه المثلجة.

ألقيت عليه محاضرة. حدثته عن كل جوانب نفسه وعما ينبغي عليه أن يفعله في حياته. ولكنه لا يصغى في انتباه إلى كلامى. أنه يود لي أن أتكلم عنه. ولا يهمه نوعية الكلام الذي أقوله.

سأكف عن الكتابة الآن. أنني أقرأ الآن كتاب Sense and Sensibility وينبغي لي أن أكتشف ما يحدث لمارين Mariann . مارين هي أنا. وإليانور هي أنا من حيث ما ينبغي أن أكون عليه.

ما الذي سيحدث لو تعرض لحادث تصادم لسيارته؟ لو تعرض لحادث اعتداء عليه بالضرب أو تعرض لأي شيء آخر.

عندئذ سأموت بكل تأكيد. لأنني عندئذ لن أتمكن من الخروج من هذا المنزل. وكلما فعلته أول أمس يبرهن على صحة رأيي.

٦ نوفمبر:

الوقت هو فترة ما بعد الظهر. لا طعام للغذاء.

محاولة أخرى للهرب. ولكنها لم تتم. إنه شيطان.

ولجأت لحيلة الزائدة الدودية. ولقد فكرت في تلك الحيلة منذ أسابيع ودائما ما فكرت فيها على أنها نوع من الملاذ الأخير. فهي شيء ينبغي لي عدم إنجازه بدون أن أعد له إعداداً جيداً. ولم أكتب عن ذلك الموضوع هنا خشية أن يتمكن من العثور على هذه المذكرة.

أخذت أحك بودرة التلك على وجهي. وبعدئذ ندما طرق على الباب في هذا الصباح ابتلعت كمية كبير من ملح الطعام كنت قد وفرتها على مدى أيام عديدة سابقة ضغطت على لساني وكان التوقيت ملائما فدخل إلى غرفتي وأدرك على الفور أنني أعآني من المرض. وادعيت أنني أعآني من المرض الشديد. حيث استلقيت على السرير وقد تركت شعرى منكوشا في فوضى مع الإمساك ببطني وكأنني أتضور من الألم الشديد. وكنت ما زلت مرتدية البيجاما والروب دى شامبر. ورحت أتأوه في ألم بعض الشيء كما لو كنت أتحلي بالصبر والشجاعة على نحو رهيب، وظل واقفا طوال الوقت وقال: «ماذا في الأمر؟ ما هي الأمور الخاطئة التي حدثت؟» وحدثت بيننا نوعية من المحادثة المقطوعة. إذ كان كاليبان يحاول أن يتملص من الذهاب بي إلى المستشفي وأنا كنت أصر على أنه ينبغي عليه أن يصطحبنى إلى المستشفي ثم ظهر عليه فجأة وكأنه قد أذعن لوجهه نظري. وراح يتمتم بكلام بما يفيد أن ذلك سيكون بمصابة «نهاية» له. ثم اندفع خارجا من الغرفة.

وسمعت صوت الباب الحديدي لدى غلقه (وكنت مازلت أحملق في الحائط) ولكنه لم يغلق بالترابيس. وبعدئذ سمعت صوت باب السرداب

الخارجى. ثم ساد الصمت المطبق. كان الموقف غير عادي. كان يتسم بالفجائية الشديدة والاستكمال التام. لقد نجحت خطتى. فارتديت جوربي وحذائي وجريت نحو الباب الحديدي. لقد كان مفتوحة فتحة بسيطة في حدود بوصة أو بوصتين. فظننت أن المسألة ربما تكون لذلك داومت على التظاهر بالمرض والضعف الشديد. وفتحت الباب وناديت عليه باسمه بصوت خافت ومشيت في ترنح وضعف عبر السرداب ومنه صعدت على السلالم. وتمكنت منم مشاهدة الضوء. إنه لم يغلق باب السرداب الخارجى أيضاً. وخطر على ذهني فيء لمح البصر أنه لن يذهب إلى الطبيب. وإنما سيلوذ بالفرار والهرب. وسيتعرض للانهيار التام. ولكن كان من المتوقع له أن يستخدم سيارته. ومن ثم توقعت أن اسمع صوت موتور سيارته. ورحت استرق السمع ولكنني لم أسمع صوت السيارة. وكان ينبغي لي أن أنتظر لدقائق عديدة. وكان ينبغي لي أن أدرك ذلك ولكنني لم أستطع أن أتحمل الترقب والانتظار بسبب شعورى بالإثارة البالغة فجذبت الباب وفتحته على مصراعيه وانطلقت خارجة وكان هو موجودا هنالك. على نحو فجائي. تحت ضوء النهار الغامر.

منتظراً.

عندئذ لم أستطع التظاهر بأنني مريضة. حيث كنت مرتدية حذائي وكان هو ممسكا بشيء ما في يده (مطرقة؟) وكانت عيناه متسعتين على نحو غريب.

أنني متأكدة من أنه كان بصدد الهجوم على ووقفنا نحن الاثنان متخشبين للحظات بدون أن يعرف أي واحد منا ماذا سيفعل. وبعدئذ استدرت وجريت عائدة. ولا أعرف السبب الذي دعآني إلى ذلك. أنني

لم أتوقف لكي أعطي لنفسي مهلة للتفكير. فجاء ورائي ولكنه توقف عندما شاهدني اتجه إلى الداخل (حيث أدركت بالغريزة أنه سيجيء ورائي ـ وكان المكان الوحيد الذي يجعلنى في مأمن من شره هو تلك الغرفة السفلية الخاصة بي) وسمعته وهو يجيء ورائي وسمعته وهو يغلق الترابيس الخاصة بالأبواب فهذا التصرف قد أنقذ حياتي. فلو كنت قد صرخت أو حاولت الهرب لكان قد انهال على بالضرب العنيف حتى الموت. فهناك لحظات يكون فيها مجنونا وفاقد السيطرة على نفسه. تماماً.

خدعته.

(منتصف الليل). أحضر لي طعام العشاء إلى هنا في غرفتي السفلية. لم ينطق بكلمة واحدة. وكنت قد أمضيت فترة ما بعد الظهر في عمل رسم كاريكاتورى له. القصة الرهيبة لولد غير مؤذى The Awful Tale of Harmless Boy إنه أمر سخيف. ولكن ينبغي أن أبعد عني الحقيقة والرعب بعض الشيء. إنه يبتدء بكونه موظف كتابي صغير لطيف وينتهي كوحش من وحوش أفلام الرعب.

وبينما كان يتهيأ للانصراف عرضت عليه الرسم لكي يلقى نظرة عليه فلم يضحك. وإنما اكتفي بالنظر إليه في إمعان وعناية.

ثم قال: «هذا وضع طبيعي» وكان يقصد أنه من الطبيعي أن أسخر منه من خلال هذا الرسم.

أنني واحدة ضمن صف من العينات. وهو يكرهنى إذا حاولت الرفرفة والخروج على الصف. وأنا يفترض في أن أكون ميتة ومثبتة بالدبابيس ودائما على ذلك النحو ودائما متسمة بالسحر والجمال. وهو

يدرك أن ذلك الجانب الجمإلى في داخلي ما زال يتدفق بالحياة ولكنه لا يريد سوى الجانب الميت في داخل كيآني. أنه يريدنى مفعمة بالحياة / ولكن / ميتة. وأحست بذلك إحساسا قويا وعلى نحو رهيب اليوم أحسست أن مسألة تدفقى بالحياة وخضوعى لحركة التغير ووجود عقل مستقل في داخل كيآني وانخراطى في حالات نفسية متعددة وغير ذلك من أمور كان قد بدأ يشكل مضايقات هائلة بالنسبة له.

إنه إنسان متماسك وصلب وراسخ وله إرادة حديدة. وأرآني ذات يوم ما يسميه بزجاجة القتل الخاصة به. أنني سجينة في داخل تلك الزجاجة أنني أرفرف مرتطمة بالحوائط الداخلية الزجاجية لتلك الزجاجة. وأنني باستطاعتي الرؤية من خلال الزجاج فإنني مازلت أعتقد أن باستطاعتي أن أهرب. الآمال تراودنى. ولكنها كلها بمثابة أوهام.

حائط سميك مستدير من الزجاج.

٧ نوفمبر:

الايام تنقضى في بطء وتثاقل شديدين. اليوم بدأ لي يوماً طويلاً للغاية وعلى نحو لا يمكن تحمله.

عزائي الوحيد هو تلك اللوحة التي رسمها .G.P. إنها تدخل على المزيد من الغبطة تدريجيا. إنها الشيء الوحيد المفعم بالحياة الفريد من نوعه الشيء الوحيد المخلوق في إبداع هنا، إنها أول شيء يقع عليه بصري عندماً أستيقظ من النوم وهي آخر شيء يقع عليه بصري قبل أن أخلد للنوم ليلاگص: أنني أقف أمامها وأحملق فيها في تمعن. أنني أعرف كل خط في تلك اللوحة. لقد جعل من إحدى قدميها قصة زائفة

Fudge وهناك شيء ما غير متوازن بعض الشيء في التكوينات الشاملة كما لو كانت هناك قطعة ما مفقودة في مكان ما. ولكنها مفعمة بالحياة.

وعقب تناول طعام العشاء (وكنا قد عدنا إلى الحالة الطبيعية) ناولني كاليبان كتاب: الصياد في الجادورا The Catcher in the Rye وقال: «لقد قرأت ذلك الكتاب» وأدركت على الفور من خلال نغمة صوته أنه كان يقصد «وهو لم يعجبنى كثيراً» أشعر بعدم الرغبة في النوم، ولسوف أجرى حواراً.

ميراندا: حسنا؟

كاليبان: لم أجد به فائدة أو مميزات معينة.

ميراندا: أنت تدرك أنه من أعظم الدراسات التي تناولت المراهقة.

كاليبان: يبدو لي أن البطل في ذلك الكتاب مشوش في تفكيره.

ميراندا: إنه مشوش التفكير بالطبع. ولكنه يدرك أنه مشوش التفكير أنه يحاول التعبير عما يشعر به. إنه إنسان آدمي على الرغم من كل أخطائه ألا تشعر بالآسف من أجله؟

كاإليبا: أنني لا أحب الطريقة التي يتكلم بها.

ميراندا: أنني لا أحب الطريقة التي تتكلم أنت بها. ولكنني لا أعاملك معاملة لا تتسم بالملاحظة الجادة أو التعاطف.

كاليبان: أظن أن الكاتب ما هو للغاية. لأنه يكتب على ذلك النحو وكل تلك الأمور.

ميراندا: لقد أعطيتك ذلك الكتاب لتقرأه لأنني اعتقدت أنك قد تشعر أنك متماثل معه، مع البطل في الرواية، فأنت بمثابة هولدن كولفيلد

Caulfield Holden فهو لا يصلح لمواجهة الحياة في أي مكان. وكذلك الحال بالنسبة لك.

كاليبان: إنه لا يحاول أن يتلاءم.

ميراندا: أنه يحاول أن يشيد لنفسه نوعا من الحقيقة الواقعة في حياته. نوعا من اللياقة والظرف.

كاليبان: هذا الكتاب لا يتسم بالواقعية. الذهاب إلى مدرسة ممتازة ووجود النقود الوفير مع والديه، أنه لن يتصرف على ذلك النحو. من وجهة نظري.

ميراندا: أنني أعرف ما أنت عليه. فأنت الرجل العجوز الخاص بالبحر The Cld Man of the Sca.

كاليبان: من يكون هو؟

ميراندا: الرجل العجوز الرهيب سنباد Sinbad كان يضطر لأن يتصرف بطريقة سخيفة صبيانية. وهذا هو ما تفعله أنت. فأنت تمتطى فوق ظهر كل شيء حيوى وفوق كل شى يحاول أن يكون صادقا وأمينا وحراً طليقا وتتمكن من التغلب عليه.

لن أستمر في سرد ذلك الحوار. كنا نتجادل ـ لا. نحن نتجادل ولا نتناقش فأنا أقول كلاماً وهو يحاول التملص مستخدما المكر والحيلة والخداع.

أنني أقول كلاماً صادقا. فهو بمثابة الرجل العجوز الخاص بالبحر. أنني لا أطيق الناس الأغبياء الذين هم على شاكلة كاليبان والذين هم موغلون في الأمور التافهة والحقارة والأنانية والوضاعة. ويكون على الناس الآخرين القليلين تحمل كل ذلك. الأطباء والمدرسون والفنانون تنعقد عليهم الآمال ـ تنعقد علينا الآمال.

لأنني واحدة منهم.

أنني واحد منهم. أحس بذلك. ولقد حاولت أن أبرهن على ذلك، وشعرت بذلك عندما كنت في السنة الأخيرة في لاديمونت كان هناك العدد القليل بيننا ممن يهتمون وكان هناك الناس السخفاء والتنفحيون، والذين بصدد ممارسة نشاطهم الفني لأول مرة والمدللين لدى أبائهم وأمهاتهم وال Horsehides والمحبين للقيل والقال في النواحى الجنسية. أنني لن أرجع أبداً إلى لاديمون، لأنني لا يمكنني أن أتحمل ذلك الجو الخانق للأمور «المنجزة» والناس «الذين هم على حق وصواب» والسلوك «الظروف». أنني لن أكون فتاة عجوز خاصة بمثل هذا المكان.

لماذا ينبغي علينا أن نتسامح مع كاليبان يتهم الوحشية؟ ولماذا ينبغي لي كل شخص حيوى وخلاق وحميد الأخلاق أن يصبح شهيداً على يد التخمة العالمية الهائلة المحدقة به.

أنني في هذا الوضع وفي هذا الموقف أعتبر نموذجا أو مندوبة تعتبر عن الأوضاع المتردية.

أنني شهيدة. شهيدة مسجونة وغير قادرة على النمو تحت رحمة هذا الاستياء وهذا الحقد الثقيل البغيض الذي يكنه الكاليبانيون نحو هذا العالم لأنهم جميعاً يكرهوننا. وهم يكرهوننا لأننا متخلفون عنهم ولأننا لسنا هم ولأنهم ليسوا نحن وليسوا متشابهين معنا. إنهم يضطهدوننا. إنهم متشابهين الضغوط علينا ويدفعوننا إلى الخارج ويرسلوننا إلى كوفنتري[١]. أنهم يهزؤون بنا ويسخرون منا. ويتثاءبون في وجوهنا ويغلقون عيونهم ويصمون آذانهم، ويفعلون أي شيء لكي يتجنبوا

---

(١) كوفنترى: مدينة بأواسط انجلترا.

الانتباه إلينا أو الإحساس بالاحترام نحونا. وهم يزحفون وراء كبار الشخصيات بيننا عندما يموتون. ويدفعون الآلاف المؤلفة من الجنيهات من أجل الحصول على لوحات للرسام فان جوخ والرسام موديجلياني. وهي لوحات كانوا يبصقون عليها في الأوقات التي رسمت فيها وكانوا يقهقهون ويضحكون في سخرية منها وكانوا يؤلفون النكات السخيفة عنها.

أنني أكرههم.

أنني أكره غير المتعلمين والجهلاء. وأكره المتسمين بالأبهة والغرور وأكره الزائفين والدجالين والمحتالين. وأكره الحقودين والغيورين والمستأئين وأكره الأشخاص الذين يتصفون بالنكد وسوء الخلق. وأكره الذين يتصفون بالوضاعة والحقارة وأكره ضيقي الأفق ومحدودى التفكير. وأكره جميع الناس الصغار العاديين السخفاء الذين لا يخجلون من كونهم سخفاء وصغاراً أنني أكره ما يسميهم .G.P بالناس الجدد New Peple وهم تلك الطبقة الاجتماعية الجديدة من الناس مع سياراتهم وأموالهم وتلفزيوناتهم وسوقياتهم الغبية وتقليدهم الزاحف الغبي للطبقة البورجوازية.

أنني أحب الأمانة والصدق والحرية والعطاء، وأحب الخلق وانجاز الأعمال، وأحب النزوع إلى الكمال. وأحب كل شيء ولا يكون جالسا ومتقاعسا ومكتفيا بالانتظار والترقب وتقليد الآخرين مع الوجود في حالة من الموت في حقيقة الأمر، وكان .G.P يضحك من كونى عضوه في حزب العمال البريطاني ذات يوم (في الوقت مبكر) وأذكر أنه قال لي «إنك تؤدين الحزب الذي أحضر الناس الجدد إلى الوجود ـ هل تدركين ذلك؟».

فقلت: (ولقد أصبت بصدمة لأنني كنت قد اعتقدت من خلال الكلام الذي سبق أن قاله كتعليق على أمور أخرى أنه عضو في حزب العمال البريطآني بكل تأكيد، وكنت أعرف عنه أنه كان رجلا شيوعيا ذات يوم) أفضل أن يكون لدينا الناس الجدد على أن يكون لدينا الناس الفقراء المساكين. فقال: «مازال الناس الجدد هم الناس الفقراء. والفقر الخاص بهم ما هو إلا الشكل الجديد للفقر، الآخرون لم يكن لديهم أية نقود وهؤلاء ليس لديهم أي روح».

وفجأة قال لي: «هل قرأت كتاب مأجور باربا؟ Maior Barbara إن ذلك الكتاب يبرهن على أنه ينبغي إنقاذ الناس من الناحية المإلية الاقتصادية قبل العمل على إنقاذ أرواحهم».

وقال: «إنهم قد نسوا شيئاً واحداً فهم قد أوجدوا دولة الرفاهية ولكنهم نسوا باربا ذاتها. الوفيرة والغنى ولا توجد روح واحدة يمكن مشاهدتها».

وأنا أعرف أنه على خطأ في مكان ما (لقد كان يبالغ). فالمرء ينبغي عليه أن يكون يساريا. وكل شخص مهذب تقابلت معه في حياتي كان مناهضا بحزب المحافظين، ولكنني أشاهد ما يشعر هو به، أقصد أنني أشعر بذلك بنسفي أكثر وأكثر... أشعر بهذا الحمل الساكن الرهيب للناس الجدد الصغار السمان والذي يرزخ فوق كل شيء والذي يغتصب المناطق التي تحتاج إليه، كل شيء ينتج على نطاق واسع، كل شيء على نطاق كبير وواسع.

أنني أعرف أنه من المفترض فنيا أن نواجه قطيع الدهماء وأن نسيطر على التشتت والفرار الجماعى المذعور ـ الأمر يشبه فيلما من أفلام

الغرب أنصارى المتوحش الأمريكي، العمل من أجلهم مع التسامح معهم لن أذهب أبداً إلى البرج العاجى Lvory Tower .

لا فائدة، كان بمقدورى أن أستمر في كتابة الحجج والمجادلات المؤيدة والمعارضة طوال الليل.

إيما Emma، مسألة الوجود بين فتاة عديمة الخبرة وامرأة محنكة بالتجارب والمشكلة الرهيبة الخاصة بالرجل، كاليبان هو المستر إلتون Mr. Elton وبييرز هو فرانك تشرسل ولكن هل G.P. هو المستر نايتلي Mr. Knightley .

لقد عاش G.P. بالطبع حياة وله أراء من شأنها أن تجعل المستر ناتيلي يتقلب في قبره، ولكن المستر نايتلي لم يكن أبداً زائفا، لأنه كان يكره الإدعاء ويبغض الأنانية ويحتقر التنفجية.

وكلاهما لهما الاسم الوحيد الرجإلى الذي لا أستطيع أن أتحمله أو أطبقه في حقيقة الأمر، اسم جورج، ربما يوجد هنالك مغزى وراء ذلك.

١٨ نوفمبر:

لم أتناول أي طعام على مدى خمسة أيام ولكنني شربت بعض الماء، إنه يحضر لي الطعام ولكنني لم أناول كسرة خبز واحدة.

لسوف أبدأ في تناول الطعام مرة أخرى غداً

فمنذ حوإلى نصف ساعة نهضت واقفة فشعرت أنني بصدد التعرض للإغماء، مما جعلنى اضطر للجلوس مرة أخرى، لم يسبق لي أن شعرت بالمرض والضعف إلى هذه الدرجة، إنها مجرد آلام وشعور بالضعف، ولكنها آلام وضعف على نحو مختلف.

تحذير.

أنني لن أعرض نفسي للموت من أجله أنني لم أكن بحاجة للطعام، لقد كنت مليئة بالكراهية له ولوحشيته.

جبنه الشرير

أنانيته

كاليبانيته

١٩ نوفمبر:

طوال ذلك الوقت لم أكن أرغب في الكتابة، وفي بعض الأحيان كنت أرغب في الكتابة، وعندئذ كانت الكتابة تبدو ضعيفة، مثل تقبل الأمور والأشياء، وكنت أدرك أنني بمجرد أن أكتب هذه المذكرات فإنني سأتوقف عن الغليان ولكنني أعتقد الآن أن الأمر يستلزم كتابة هذه المذكرات، يستلزم التسجيل، فهو قد فعل «هذا» فيّ.

الإساءة البالغة

ما كان موجداً بيننا من صداقة قليلة وإنسانية وطيبة قد ذهبت إلى غير رجعة.

فنحن عدوان اعتبارا من الآن فصاعدا. العداء متبادل من كلا الطرفين، فهو قد قال كلاماً يدل على أنه يكرهنى أيضاً.

إنه مستاء من وجودى، وذلك هو الموقف من جانبه على وجه الدقة.

وهو لا يدرك هذه الحقيقة إدراكا تاما حتى الآني لأنه يحاول أن يكون لطيفا معي في اللحظة الحاضرة، ولكنه يقترب كثيراً من نقطة

الإحساس بالاستياء، فهو في يوم ما في القريب العاجل سوف يستيقظ ويقول لنفسه أنني أكرهها.

شيء ما رديء

عندما أفقت من الإغماء الناجم عن الكلوروفورم وجدت نفسي مستلقية في السرير، وكنت مرتدية آخر القطع من ملابسى الداخلية ولكن من المؤكد أنه قام بخلع جميع ملابسى الأخرى أثناء إغمائي.

كنت اشعر بالغضب الشديد في تلك الليلة الأولي، وكنت في غاية القرف والاشمئزاز بسبب تلامس يديه المتأملتين في إعجاب خبيث ووحشى مع بشرتي.. مع قيامه بخلع الجورب الحريمى الطويل الخاص بي، إنه عمل كريه تعافه النفس.

وبعدئذ خطر على ذهني ما كان باستطاعته أن يفعله بي. ولكنه لم يفعل. فقررت عدم الانفجار فيه في ثورة غضب عارمة.

قررت الالتزام بالصمت فقط.

فالصياح في وجه شخص ما يوحي بأنه سيكون هناك تلامس أو اتصال مباشر.

ومنذ ذلك الحين اعتقدت في أمرين.

أولاً: إنه إنسان عجيب للغاية حتى أنه قام بخلع ملابسى بدون تفكير وطبقا لفكرة ما مجنونة عن الإجراء «السليم» الذي ينبغي عليه أن يفعله، وربما أعتقد أنه من غير المعقول أن استلقى في سريرى بينما أنا مرتدية ملابسى بالكامل.

وبعدئذ ربما ذكره هذا بأمور، ذكره بكل الأمور التي كان بمقدوره أن يفعلها ولكنه لم يفعلها بشهامته وفروسيته وأنا أتقبل ذلك ولقد كنت

سعيدة الحظ ولكنني مع ذلك أجد أن في تصرفه هذا ما يثير الخوف لأنه لم يفعل بي أي شيء، فما هي طبيعته وما الذي يدور في ذهنه؟

هناك صدع أو فجوة هائلة بيننا الآن، وهي ثغرة لا يمكن سدها على الإطلاق.

وهو الآن يقول لي أنه سيطلق سراحي في خلال أربعة أسابيع أخرى، مجرد كلام، أنني لا أصدقه، لذلك حذرته وقلت له أنني سأحاول أن أقتله وأنا على استعداد لأن أتقله الآن، ولن أتردد في ذلك على الإطلاق، لقد أدركت كم كنت عمياء.

لقد حقرت من نفسي كالمومس مع كاليبان أقصد أنني سمحت له بأن ينفق على كل تلك الأموال ورغم أنني قلت لنفسي أن ذلك التصرف من جانبي يتسم بالإنصاف والعدالة إلا أنه لم يكن كذلك، لأنني شعرت على نحو غامض بالامتنان والشكر الجزيل، بل وكنت لطيفة معه، بل وكانت مضايقاتى له تتسم بالظرف واللطافة حتى أثناء قيامي بالبصق عليه والاستهزاء به والسخرية منه وكان ينبغي أن تكون اتجاهاتى نحوه على النحو الذي ستكون عليه من الآن فصاعدا.. متسمة بالبرود الشديد كالثلج بحيث أجعله يتجمد حتى الموت.

إنه ادنى مني شأنا ومقاما تماماً في جميع النواحى فهو لا يتفوق على إلا من حيث مقدرته على الإبقاء على محبوسة هنا وتلك هي القوة الوحيدة التي يمتلكها، فهو ليس باستطاعته أن يتصرف أو يفكر أو يتكلم أو يفعل أي شيء آخر على نحو أفضل مني ـ وإنما على نحو يقترب بعض الشيء من مستوأي في هذه الأمور ـ ولذلك فإنه سوف يصبح الرجل العجوز الخاص بالبحر The old Man of The sea إلى أن أتمكن من التخلص منه على نحو ما.

ولسوف يتم ذلك عن طريق استخدام القوة.

لقد استغرقت في التفكير في الله أثناء جلوسى هنا في هذه الغرفة السفلية، بدأ إيمآني يهتز، وهذا الموقف الرهيب لا ينطبق على فقط وإنما ينطبق على جميع الملايين الذين قد عاشوا بالتأكيد هذه الحياة أثناء الحرب وفكرت في The Anne Franks ورجعت بتفكيرى إلى الناس الآخرين في عمق التاريخ، وما أشعر به الآن هو أن الله لا يتدخل، فهو يتركنا لكي نعآني ونكايد، وإذا صلي المرء من أجل الحصول على الحرية فلربما يشعر بالارتياح لا لشيء إلا لأنه يصلي أو لأن الأمور تحدث على نحو ما مما ينجم عنها حصول المرء على حريته، أقصد أن الله قد خلق هذا العالم وخلق القوانين الأساسية المتعلقة بالمادة والتطور، وأن الاهتمامات الآلهة تنصب على وليس الجزئيات.

في خلال هذه الأيام القليلة الأخيرة بدأت تتدفق على ذهني موجة من اهتزاز الإيمان ولكنني مع ذلك مازلت أومن بالله، ولكني إيمآني مهتز، بل وبدات أشعر أن الترانيم الغنائية الدينية ما هي إلا أمور سخيفة وعديمة الجدوى.

أنني أحاول أن أوضح هنا السبب الذي جعلنى أتخلي عن مبادئ (الخاصة بعدم استخدام العنف على الإطلاق) أنني مازلت مؤمنة بمبادئي.

هذه ولكنني أدرك الآن المرء ينبغي عليه أن يتخلي عن مبادئه في بعض الأحيان إذا كان الأمر يتعلق ببقائه على قيد الحياة، فلا فائدة ترجى من وراء الإيمان الخاص بالحظ السعيد الذي قد يتدخل لإنقاذ الموقف. ينبغي لي المرء أن يتصرف ويقاتل بنفسه لإنقاذ حياته.

تبدو لي السماء خاوية وشاغرة تماماً. صافية وخاوية على نحو جميل.

(نفس المساء) لقد كنت وضيعة معه للغاية طوال اليوم، حاول مرات عديدة أن يتكلم معي ولكنني كنت أصده في عنف قائلة له: «اخرس». وقال لي: «أتريدين لي أن أحض لك أي شيء» فقلت له: «اخرس» وقال لي: «أتريدين لي أن أحضر لك أي شيء؟» فقلت له: «لا أريد منك أي شيء» أنني سجينتك، وإذا قد مت لي طعاما فإنني سأكله لكي أتمكن من البقاء على قيد الحياة علاقتنا من الآن فصاعداً ستكون طبق الأصل من العلاقة الحازمة ما بين السجين والسجان، والآن أتركني وشأني بمفردي «لو سمحت» من حسن حظي أنه لدى الكثير من الكتب التي يمكنني قراءتها. ولسوف يستمر هو في إحضار السجاير لي (وإذا لم يحضر لي السجاير فإنني لن أطلبها منه). وكذلك الطعام، وذلك هو كل ما أريده منه.

إنه ليس إنساناً. إنه فراغ شاعر تم تصميمه في قالب إنسان.

٢٠ نوفمبر:

أنني أجعله يتمنى لو كانت عيناه لم تقعا على على الإطلاق لقد أحضر لي وجبة غذاء من الفول المخبوز، وكنت منهمكة في القراءة وأنا جالسة فوق السرير. فظل واقفا للحظات ثم شرع في الخروج من الغرفة فقفزت إلى المنضدة وأمسكت بطبق الفول وقذفت به نحوه، فهو يعرف أنني لا أحب الفول المخبوز. وأظن أنه كان كسولا.

لم أكن في حالة من الانفعال العصبي ولكنني تظاهرت فقط بذلك فوقف هنالك بينما قطع صغيرة من الصلصلة البرتقإلية اللون قد سقطت على ملابسه النظيفة وكان ينظر بنظرات مليئة بالخجل والارتباط، فقلت له في حدة: «إنني لا أريد أي طعام للغذاء» ثم أدرت ظهري نحوه.

ورحت أتناول أنواعا من الشيوكلاته طول فترات ما بعد الظهر، وكان هناك كافيار وسلمون مدخن ولحوم دواجن باردة (أنه يشتريها مطبوخة وجاهزة من مكان ما) ـ وهي كلها اشياء يعرف أنني أحبها ـ وعشرات من المأكولات الأخرى التي يعرف أنني أحبها، إنه حيوان ماكر خبيث. الخبث والمكر لا يمكن في شرائه لهذه الأشياء ولكنني فقط لا أملك إلا أن أكون شاكرة وممتنة.

لم أقل بالفعل أنني شاكرة له ولكنني لم أكن قاسية) فهو يقدم لي هذه الأشياء في تواضع شديد وكأنه يريد أن يقول لي: لا تشكريني لو سمحت. فأنا أستحق أن تفعلى بي كل ذلك. وعندما كان يعد المائدة ويضع عليها مأكولات العشاء الخاصة بي فوق المنضدة اجتاحتني رغبة عارمة في الانفجار في الضحك بصوت مرتفع، إنه أمر شنيع، كنت أريد أن ألقى نفسي على السرير وأصرخ، أنه كان يعبر عن ذاته تماماً. وأنا حبيسة في مكان ضيق للغاية.

في هذه الغرفة السفليةتتغير حالاتى النفسية بسرعة كبيرة للغاية، إذ يكون لدى كل التصميم على انجاز أمر ما وبعد قليل تتغير وجهة نظري بسرعة.

لا فائدة. أنني بطبيعتي لست إنسانة تكره الآخرين، الأمر يبدو وكأنه يوجد في مكان ما بداخل كيآني كمية معينة من الطيبة والنوايا الحسنة والشفقة وأن هذه الكمية يتم تصنيعها في كل يوم. وهي كمية من المحتم عليها أن تبزغ إلى العالم الخارجى، فإذا قمت بكيتها فإنها تنفجر.

لم أكن لطيفة معه، لا أريد أن أكون لطيفة معه، ولن أكون لطيفة معه، ولكنني كنت أجاهد وأكافح لكي لا أكون عادية معه في تصرفات (أقصد أمور بسيطة مثل اللهتلك كانت وجبة شهية»). فإذا كانت الوجبة

شهية فغنني لا أعلق بأي كلام. عندما كان يقول «أهذا هو كل ما تريدينه»؟ (مثل رئيس الخدم) فإنني كنت أقول «نعم. يمكن لك أن تنصرف الآن» ثم أدير ظهري له، وكان سيصاب بصدمة لو أنه تمكن من رؤية وجهي، حيث كنت ابتسم عندما يغلق الباب فإنني انفجر في الضحك. لم يكن باستطاعتي أن أمنع نفسي عن ذلك التصرف مرة أخرى. هستيريا.

وهناك شيء ما دأبت عليه الإتيان به كثيراً في هذه الأيام الأخيرة إلا وهو الحملقة في وجهي في المرآة، في بعض الأحيان لا أبدو حقيقته أمام نفسي إذ يبدو لي فجأة أن الانعكاس الخاص بي في المرأة والذي لا يبعد عني سوى قدم واحد أو قدمين ليس انعكاسا خاصا بي. فأضطر إلى أن أنظر جانبية، وأنظر في جميع أرجاء وجهي وانظر في داخل عينى. وأحاول أن أشاهد ما تقوله عينأي. وأحاول التعرف على ذاتى ومعرفة وجودى هنا.

وهذا سببه أنني أشعر بالوحدة. القاسية الشديدة، على أن أنظر إلى وجه ذكي، أي شخص يتم حبسه على هذا النحو من شأنه أن يفهم. فالمرء يصبح صادقا مع نفسه بطريقة غريبة. بل وصادقا مع نفسه على نحو لم يشهده من قبل. فقدر كبير من المرء يعطي للناس العاديين ويكتب في الحياة العادية، أنني أرقب وجهي وأرقبه وهو يتحرك كما لو كان وجهاً ينتمي لشخص آخر، أنني أطيل التحديق في نفسي إلى أن أشعر بالارتباك والإحراج.

أنني أجلس مع نفسي. في بعض الأحيان يبدو لي الأمر وكأنه نوع من السحر والطلاسم. واضطر لأن أخرج لساني وأجعد أنفي لكي أكسرها.

أنني أجلس هنا بين طيات الصمت المطلق مع الانعكاس الخاص بي في حالة من حالات الغموض والإبهام.

في غيبوبة مغناطيسية.

٢١ نوفمبر:

الوقت هو منتصف الليل. لا أستطيع النوم أنني أكره نفسي.

كنت أصبح سفاحة قاتلة في هذه الليلة.

لن أكون سفاحة مرة أخرى أبداً.

من الصعب على أن أكتب. يدأي مربوطتان. لقد آخرجت الكمامة من فمي.

لقد بدأ كل شيء في فترة الغذاء. وكنت أدرك أنني أبذل جهوداً مضنية لكي لا أكون لطيفة معه، لأنني شعرت أنني يجب على أن أتحدث مع شخص ما. حتى ولو كان هو، فهو على الأقل إنسان، عندما انصرف عقب الغذاء أردت أن أنادى عليه لكي أتحدث معه، وما شعرت به كان مخلفا تماماً عن إلقرار الذي اتخذته منذ يومين بشأن ما ينبغي أن تكون عليه مشاعرى نحوه.

لذلك اتخذت قراراً جديداً. لم يكن بمقدورى أبداً أن أضربه مستخدمة أي شيء موجود هنا في الغرفة السفلية، ولقد كنت أرقبه كثيراً مع وضع ذلك في ذهني. وهو لا يدير ظهره نحوي أبداً، وعلاوة على ذلك فإنه لا يوجد هناك سلاح يمكنني أن أستخدمه، لذلك رحت أفكر... إنه ينبغي لي الصعود إلى الدور العلوي والعثور هناك على أي شيء وعلى وسيلة ما وهبطت على ذهني أفكار عديدة.

وكنت أخشى من الوقوع في مصيدة العطف عليه القديمة مرة أخرى.

لذلك التزمت بأن أكون لطيفه معه بعض الشيء في وقت العشاء وقلت له: «إنني بحاجة لأن أخذ حماماً» (وكنت بالفعل في حاجة إلى أخذ حمام). فانصرف ورجع إلى ثم صعدنا معا، وهناك كانت توجد فأس صغيرة. وبدت الفأس وكأنها إشارة أو رمز قد ترك خصيصا من أجلي، كانت الفأس موجودة على فوق قاعدة نفذه المطبخ التي تقع بجوار الباب، من المؤكد أنه كان يقطع بعض الأخشاب بالخارج ونسى يخبئها. وذلك بسبب وجودى دائماً بالغرفة السفلية.

ومررنا في الغرف الداخلية بسرعة كبيرة بحيث لم يكن هناك متسع من الوقت أمامى لأن أفعل أي شيء آنئذ.

ولكنني مكثت في داخل الحمام لبعض الوقت ورحت أفكر. قررت ضرورة انجاز هذه المهمة الصعبة، كان ينبغي لي أن أرفع الفأس لأعلى وأضربه بها بالحافة غير الحادة وأصيبه بضربة حاسمة قاضية، ولم يكن لدى فكرة عن أفضل مكان بالرأس يمكن تسديد الضربة غليه ولا عن مدى العنف الذي ينبغي أن تكون عليه الضربة الساحقة.

وبعدئذ طلبت منه أن أرجع مباشرة، ولدى خروجنا من خلال باب المطبخ تعمدت أن أسقط بودرة التلك وأشياء أخرى على الأرض ثم وقف على جانب في اتجاه قاعدة النافذة كما لو كنت أبحث عن المكان الذي سقطت فيه هذه الأشياء، فتصرف هو على النحو الذي أردته تماماً حيث أنحنى للأمام لالتقاط تلك الأشياء، وفي هدوء وبدون عصبية أو انفعال التقطت الفأس في مهارة كبيرة، ولم أكشط النصل وكانت الحافة هي الحافة غير الحادة، ولكن عندئذ... كان الأمر أشبه بالاستيقاظ من

حلم رهيب أو كابوس كان على أن أضربه ولم تكن لديّ المقدرة ولكن كان ينبغي لي أن أفعل ذلك.

وبعدئذ بدأ هو ينهض من كبوته (كل هذا حدث في لمح البصر في حقيقة الأمر) حيث سددت ضربة خاطفة بالفعل، ولكنه كان يستدير ملتفتا وأنا لم أضربه ضربة مباشرة، أو الضربة لم تكن قوية بالقدر الكافي، أقصد أنني اجتاحنى هلع شديد في اللحظة الأخيرة، فسقط على جانبه ولكنني أدركت أنه لم يطرح أرضا حيث كان لا يزال ممسكا بي وشعرت فجأة أنني ينبغي أن اقتله وإلا فسيقوم هو بقتلي. فضربته مرة أخرى ولكنه كان قد رفع ذراعه لأعلى وفي الوقت نفسه راح يركل بقدمه وعرقل قدمي فوقعت على الأرض.

وكان الموقف رهيبا للغاية وكنا نلهث ونقاوم في توتر شديد مثل الحيوأنات. وبعدئذ أدركت فجأة أن هذا الموقف يخلو من الوقار والجلال بدا الأمر سخيفا ولكنه كان على ذلك النحو، مثل تمثال ملقى على جانبه، مثل امرأة ممتلئة تحاول أن تنهض واقفة من فوق العشب.

ونهضنا واقفين، وقام بدفعى في عنف نحو الباب وهو ممسك بي في قوة وإحكام، ولكن لا شيء يخالف ذلك، وشعرت بالقرف والاشمئزاز وأحسست أنه كانت لديه نفس مشاعر القرف والاشمئزاز.

وظننت أنه ربما يكون هناك شخص ما قد سمع الأصوات التي نجمت عن هذا الصراع وحتى لو كان أحد ما قد سمع فإنني لم يكن باستطاعتي أن أصرخ يف استغاثة طلبا للنجدة، ولكن لم يكن من المتوقع أن يكون هناك شخص ما يوجد خارج منزله ى تلك الآونة.

لقد كنت مستلقية في سريرى. وسرعان ما توقفت عن البكاء. ظللت مستلقية لساعات طويلة في طيات الظلام مع الانخراط في التفكير.

٢٢ نوفمبر:

أنني أشعر بالخجل. أنني أذل نفسي في وضاعة وخسة.

لقد توصلت إلى المجموعة من القرارات. مجموعة من الأفكار.

اللجوء إلى العنف والقوة يعتبر أمراً خاطئاً، إذا قمت باستخدام القوة فهذا معناه أنني أتدنى وأهبط وأتردى إلى المستوى الخاص به. وهذا معناه أيضاً أنني لا أؤمن إيماناً حقيقياً بقوة العقل والتعاطف والإنسانية. وذلك يعنى أيضاً أنني أصيب الناس بالعجز والتشوه لأن ذلك يشبع غرورى وكبريائي وليس بسبب أنني أعتقد أنهم بحاجة إلى عطفي وتعاطفي. وعدت بأفكارى إلى الوراء... إلى لاديمونت وإلى الناس الذين قمت بتشويههم هناك ساللي ماجيسون. لقد شوهتها لمجرد أن أظهر لعذروات الفيستا Vestar Virgins أنني أكر مهارة وذكاء منهن. وأنني باستطاعتي أدفعها لأن تفعل أشياء من أجلي لم تكن لتفعلها من أجلهن.

وسرعان ما تخليت عن استخدام العنف مع كاليبان. كان على أن أتخذ اتجاها جديداً نحوه، ففكر السجين / السجان كانت فكرة سخيفة.

قررت الكف عن البصق عليه، قررت أن ألتزم بالصمت عندما يضايقنى ويثير أعصاب، ولسوف أعامله كشخص يحتاج لتعاطفي وتفهمى. ولسوف أستمر في محاولة تعليمه أمورا تتعلق بالفن، أمور أخرى.

لا توجد هناك سوى طريقة واحدة لعمل الأشياء، إنها الطريقة

السليمة الصحيحة. وهي ليست «الطريقة السليمة» بمعايير لاديمونت، وإنما هي الطريقة الصحيحة.

الطريقة الصحيحة السليمة الخاصة بي. أنني إنسانة متمسكة بالمبادئ الأخلاقية. وأنا لا أخجل من كونى متمسكة بالمبادئ الأخلاقية، لن أدع كاليبان يخلق مني إنسانة غير أخلاقية رغم أنه يستحق كل كراهيتي الشديدة المليئة بالمرارة ويستحق أن أضربه بالفأس على رأسه

(فيما بعد) حرصت على أن أكون لطيفة معه. بمعنى أنني لم أكن الإنسانة التي كنت عليها أخيراً. فبمجرد أن نزل إلى غرفتي السفلية جعلته يدعنى ألقى نظرة على رأسه ووضعت له بعض الديتول عليها. وكان عصبيا. لقد جعلته يتصف بالعصبية وسرعة الاهتياج. إنه لا يثق بي. وتلك في الحالة التي ما كان ينبغي لي أن أوصله إليها.

ولو أن الأمر صعب، فإنني عندما أعامله معاملة سيئة يظهر على وجهه أنه يشعر بالحزن الشديد والآسف على نفسه حتى إنني أبدأ في كراهية نفسي. ولكنني بمجرد أن أبدأ في معاملته بطريقة لطيفة فإن نوعا من الرضا عن النفس يزحف إلى صوته وإلى أسلوبه وطريقته (إنه حذر وكتوم للغاية لقد كان بمثابة الوضاعة ذاتها طول اليوم. ولا تأنيب وتوبيخ فيما يتعلق بالليلة الماضية. بالطبع) وعندئذ تراودنى الرغبة في البدء في نخسه وصفعه مرة أخرى.

حبل البهلوان حبل مشدود ولكنه جعل الهواء نقياً وصافياً ونظيفاً.

(ليلا) حاولت أن أعلمه كيفية البحث عن الأمور في الفن التجريدي عقب تناول طعام العشاء. الموقف ميئوس منه. فلقد رسخ في رأسه المعتم المسكين أن الفن أخذ في الزوال والانقراض (إنه لا يستطيع أن يفهم الأسباب التي تدعوني لعدم التخلي عن الفن وصرف النظر عنه)

إلى أن يحصل المرء على تشابه فوتوغرافي دقيق وإلى أن يصبح عمل التصميمات المحببة الممتازة (بين نيقولصون Ben Nicholson) عملا غير أخلاقي على نحو غامض. وقال: «في رأيي أنه بمثابة نموذج أو نمط أو شكل ظريف» ولكنه لم يكن على استعداد لأن يوافق على أن «خلق النموذج أو النمط الظريف» هو فن في حد ذاته. فالوضع من وجهة نظره هو أن كلمات معينة لها خفوت قوى على نحو رهيب، وأي شيء يتعلق بالفني يسبب له الخجل والارتباك. (وأنا أفترض أنه يبهره). فكل شيء غير أخلاقي على نحو غامض. وهو يعرف أن الفن بالعظيم يتصف بالعظمة ولكن العظمة عني حبس القطع الفنية في المتاحف والتحدث عها لدى الرغبة في التباهي والتفآخر الفني الحى المعاصر والحديث بسبب له الصدمة. ولا يمكن لك أن تتحدث عن الفن الحديث معه لأن كلمة «الفن» تبدأ في إثارة سلسلة كاملة من الأفكار المليئة بالصدمة والشعور بالذنب في داخله كيانه.

أتمنى لو كنت أعرف ما إذا كان هناك عدد كبير من الناس مثله. وأنا بالطبع أدرك أن الغالبية الساحقة ـ وخاصة الناس الجدد New People ـ لا يهتمون على الإطلاق بأي نوع من أنواع الفنون. ولكن هل السبب في ذلك هو أنهم يشبهونه؟ أو لأنهم لا يستطيعون فقط الاهتمام على نحو أقل؟ أعني هل الفن يضايقهم بالفعل (حتى أنهم لا يحتاجون إليه على الإطلاق في حياتهم) أم أنه يسبب لهم سراً الصدمة والرعب والفزع لدرجة أنهم يضطرون للتظاهر بأنهم متضايقون؟

٢٣ نوفمبر:

لقد انتهيت توّاً من قراءة كتاب «ليلة السبت وصباح الأحد». لقد

صدمنى هذا الكتاب. صدمني في حد ذاته ككتاب وصدمتى لأنني محبوسة وموجودة هنا في هذه الغرفة السفلية.

صدمنى بنفس الطريقة التي صدمت بها عندما قرأت كتاب «غرفة فوق السطح» في السنة الماضية، أنني أعرف أنهم يتميزون بالحذق والمهارة الشديدة، والمؤكد أنه أمر عجيب أن يتمكن المرء من أن يكتب مثل ألان سيلتو Alan Sillitoe، وأن يكون صادقا وغير زائف، وأن يقول ما يعنيه، وإذا كان رساما (وهو يمكن أن يكون متشابها مع جون براتبي John Bratby بل وأفضل منه بكثير) فإنه من العجيب أن يكون قادراً على أن يسجل نوتنجهام Nottingham وأن تكون رائعة في اللوحة المرسومة، لأنه كان يرسم ويصور على نحو جيد للغاية ويسجل ما يشاهده مما يجعل الناس يعجبون به، ولكن لا يكفي أن يكون المرء قادراً على أن يكتب كتابة جيدة (أعنى من حيث اختيار الكلمات الملائمة وفير ذلك من أمور) لكي يكون كاتبا ممتازاً. لأنني اعتقد أن أرثر سيتون Arthur Seaton مقرف ومثير للاشمئزاز. واعتقد أن أكثر الأمور إثارة للقرف والاشمئزاز هو أن ألان سيليتو لا يظهر لنا أنه مشمئز بسبب الرجل الصغير في السن الخاص به، وأظن أنهم يعتقدون أن الشبان الذين هم على النحو هم ظرفاء حقاً بعض الشيء.

وكرهت طريقة أرثر سيتون من حيث أنه لا يهتم بأي شيء خارج نطاق حياته المحدودة الضئيلة الخاصة به، فهو إنسان وضيع وأناني ووحشى، ولأنه وقح وصفيق الوجه ولأنه يكره عمله ولأنه ناجح مع النساء فإنه يفترض فيه أنه حيوى ومفعم بالحياة.

والشيء الوحيد الذي أحبه فيه هو الشعور بأنه يوجد هناك شيء ما يمكن أن يستخدم في صالح الخير إذا أمكن الوصول إلى ذلك الشيء.

إنه الانغلاق الذي يتسم به مثل هؤلاء الناس، وعدم اهتمامهم بما يحدث في أي مكان آخر في العالم. في الحياة.

وربما ألان سيليتو كان يريد مهاجمة المجتمع الذي ينتج مثل هؤلاء الناس، ولكنه لا يوضح ذلك. وأنا أعرف ما قد فعله... إنه قد وقع في حب مع ما يقوم برسمه.

وهو قد ابتدأ برسم الأشياء على ما هي عليها من قبح ولكن قبح الأشياء هزمه بعد ذلك فابتدأ في ممارسة الغش والتزييف. ابتدأ في التجمل.

وصدمنى هذا الكتاب أيضاً بسبب كاليبان. فأنا أرى أن هناك شيئاً ما من أرثر سيتون في كاليبان، كل ما هنالك أن ذلك الشيء مقلوب رأسا على عقب في كاليبان، أقصد أن لديه تلك الكراهية للأشياء الأخرى وللناس الآخرين الذين يقعون خارج نطاق الطراز الخاص به، وهو لديه تلك الأنانية ـ بل إنها ليست أنانية صادقة وأمينة، لأنه يلقى باللوم على الحياة وبعدئذ يستمتع بكونه أنانيا مع ضمير متحرر، وهو عنيد أيضاً.

فذلك هو أكثر الأمور خسة وحقارة... أن تختار أن تترك الحياة لأنها لا تتلاءم معك. ولكن الأمر مخيف في بعض الأحيان.

كل هذا كلام ربما أتقابل مع شخص ما مستقبلا وأتزوجه وعندئذ ستبدو الأمور وكأنها قد تغيرت وبحيث لن أهتم بعد ذلك، لسوف أصبح إمرأة صغيرة سمينة، لسوف أصبح واحدة من الأعداء.

ولكن هذا هو ما أشعر به في هذه الأيام، فأنا أشعر أنني أنتمى لشلة معينة من الناس ينبغي عليهم أن يقفوا ضد جميع الناس الآخرين وأنا لا أعرف مني كونوا هم ـ الناس المشهورين الأحياء منهم والأموات ـ الذين قد حاربوا من أجل الأمور الصائبة الصحيحة والذين أبدعوا وخلقوا

ورسموا بالطريقة السليمة وأناس غير مشهورين أعرهم وأعرف عنهم أنهم لا يكذبون ويحاولون الابتعاد عن الكسل ويحاولن آني كونوا أذكياء مع اتخاذ الطابع الإنساني، نعم أناس مثل .G.P على الرغم على أخطائه على الرغم من خطيئته.

بل ولا يوجد هناك أناس طيبون فهم لهم لحظات ضعف، لحظات جنس. لحظات انغماس في تناول الخمور. وهم يقضون أجازتهم في البرج العاجى، ولكن جانباً منهم متحد مع الشلة.

القليل منهم.

٩ نوفمبر:

إنني مغرورة، إنني لست واحدة منهم، إنني أريد أن أكون واحدة منهم وذلك ليس هو نفس الشيء.

بالطبع كاليبان ليس صورة طبق الأصل من الناس الجدد، فهو على نحو بائس من طراز قديم عفى عليه الزمن (فهو يطلق على جهاز الأسطوانات الفوتوغرافية اسم «جراموفون») كما يوجد لديه ذلك الانعدام في الثقة بالنفس، أما الناس الجدد فهم لا يخجلون من أنفسهم، وأذكر أن والدي قد قال عن هؤلاء الناس أنهم يعتقدون أنهم متساوون مع أفضل الناس بمجرد أن يكون لديهم تليفزيون وسيارة.

ولكن في أعمق الأعماق يعتبر كاليبان واحداً منهم ـ فهناك هذه الكراهية نحو الإنسان المتفرد غير العادي، وهناك تلك الرغبة لأن يكون كل الناس سواسية، وهناك سوء الاستخدام الرهيب للنقود، لماذا يجب أن يكون لدى الناس نقودا كانوا لا يعرفون كيفية استخدام النقود على الوجه السليم؟

إنني أشعر بالغثيان في كل مرة أفكر فيها في كل تلك النقود التي كسبها كاليبان، وفي كل مرة أفكر فيها في جميع الناس الآخرين المماثلين له والذين ربحوا النقود.

إنه أناني للغاية وشرير تماماً.

لقد قال .G.P في ذلك اليوم أن الفقراء الشرفاء هم الأغنياء العاديون المفلسون والفقر يرغمهم لأن تكون لهم صفات طيبة والفخر في أمور أخرى بالإضافة إلى النقود وبعدئذ عندما يحصلون على النقود فإنهم لا يعرفون ماذا يفعلون بالنقود، فهم ينسون كل الفضائل القديمة التل لم تكن فضائل حقيقية عل كل حال... فهم يعتقدون أن الفضيلة الوحيدة هي كسب المزيد من الأموال وإنفاق الأموال، فهم لا يستطيعون أن يتخيلوا أن هناك أناسا لا تشكل النقود أية أهمية بالنسبة لهم، وأن أجمل الأمور قاطبة مستقلة تماماً عن النقود.

أنني لست ملتزمة بالصراحة الشديدة، فأنا مازلت أرغب في النقود ولكنني أدرك أن ذلك أمر خاطئ، وأنا اعتقد أن .G.P لا يكاد يهتم بالنقود على الإطلاق ـ وأنا لست بحاجة لأن أصدقه عندما يقول ذلك فأنا باستطاعتي أن أدرك أن تلك هي حقيقة واقعة، فهو لديه القدرة الكافي من النقود الذي يعينه فقط على شراء المواد والأدوات التي يحتاج إليها وعلى القيام بأجازة سنويا وتدبير أموره وهناك عشرات آخرون من أمثال: بيتر وبيل ماكدونالد وستيفان ممن لا يعيشون في عالم النقود والأموال، فهم إذا حصلوا على نقود يسيرون دفة حياتهم بدونها.

الأشخاص من أمثال كاليبان لا ينظرون إلى النقود نظرة سليمة، وهم بمجرد أن يحصلوا على قدر من النقود فإنهم يتحولوا إلى الوحشية مثل

الناس الجدد كل الناس البشعين الكريهين الذين لم يبدوا استعداداً لإعطائي نقودا عندما كنت أقوم بجمع النقود وكان بمقدوري معرفة نوعية الناس بمجرد أن ألقى نظرة واحدة على وجوههم، فالناس البرجوازيون يعطون النقود لأنهم يشعرون بالخجل والارتباك إذا قمت بمضايقتهم وإزعاجهم، والناس الأذكياء يعطون نقودا أو على الأقل ينظرون إليك في صدق ويقولون «لا». فهم لا يخجلون من عدم الإعطاء، أما الناس الجدد فهم حقراء للغاية بحيث لا يعطون وصغار للغاية بحيث لا يعترفون بحقارتهم من مثل الرجل البشع الرهيب في هامبستيد (فهو كان واحداً منهم) الذي قال: «إنني على استعداد لأن أعطيك نصف دولار إذا أمكنك أن تبرهن على أن النصف دولار لن يدخل إلى جيب شخص ما» وكان يعتقد في نفسه أنه يتسم بروح الفكاهة.

فأدرت له ظهري وكان ذلك تصرفا خاطئاً من جانبي، لأن شعورى بالاعتزاز بنفسي كان أقل أهمية من الأطفال، لذلك وضعت نصف جنيه نيابة عنه فيما بعد.

ولكنني مازلت أكرهه.

الأمر أشبه ما يكون بوضع رجل أعمى في سيارة وإجباره بأن يقود السيارة إلى المكان الذي يريده وبالكيفية التي تروق له.

شيء لطيف أنهي به كلامي اليوم. لقد وصلت الأسطوانة الموسيقية الخاصة بالموسيقار باخ Bach اليوم وقد أدرتها وسمعتها مرتين بالفعل وقال كاليبان عن تلك الأسطوانة إنها لطيفة ولكنه لم يكن شخصاً «يتمتع بأذن موسيقية». وعلى كل حال فإنه قد جلس ليستمع وقد رسم على وجهه التعبير السليم الذي يدل على أنه يستمتع بسماع تلك الموسيقى،

أنني سأدير هذه الأسطوانة مرة أخرى لكي أستمع للأجزاء التي تروقنى بها ولسوف أستلقى في سريرى في الظلام مستمعة للموسيقى مع التخيل بأنني موجودة مع .G.P وسوف أتخيله وقد استلقى هنالك مع غلق عينيه بفكه المنقر وبأنفه المعقوفة اليهودية، كما لو كان راقدا في القبر الخاص به، كل ما هناك أنه لا يوجد شيء ما من الموت في داخل كيانه.

وفي هذا المساء تآخر كاليبان في النزول إلى غرفتي السفلية.

فقلت له في حدة: «أين كنت؟» فاكتفي بأن نظر إلى في دهشة ولم يرد على بأي كلام، فأضفت قائلة: «يبدو لي أنك متآخر للغاية».

إنه لأمر يدعو للسخرية، لقد كنت أريد له أن يجيء، وغالبا ما أريد له أن يجيء، إنني أشعر بالوحدة الشديدة إلى ذلك الحد.

١٠ نوفمبر:

تناقشنا في هذا المساء عن نقوده، وقلت له أنه ينبغي له أن يتخلص من معظم نقوده، وحاولت أن أجعل حياءه يمنعه من رفض التبرع ببعض نقوده، ولكنه لم يكن لديه الاستعداد لأن يثق في أي شيء. وذلك هو الشيء الخاطئ حقاً في داخله، أنه مثل ذلك الرجل الرهيب الذي قابلته في فامبستيد... فهو لا يثق في الناس من حيث جمعهم للنقود ومن حيث استخدام تلك النقود في الغرض الذي جمعت النقود من أجله، فهو يعتقد أن كل شيء شخصى فاسد وأن كل شخص يحاول الحصول على الأموال والاحتفاظ بها لنفسه.

ولم يفلح معه قولي له إنني أعرف أن النقود التي تجمع من الناس تستخدم في الأغراض الصحيحة حيث قال لي: «كيف يمكن لك أن تعرفين ذلك؟

وأنا بالطبع لم أستطع الرد على تساؤله، ولم يكن باستطاعتي إلا أن أقول إنني أشعر أنني واثقة من أن النقود «ينبغي» أن تذهب إلى حيث يتم الاحتياج إليها، وعندئذ ابتسم كما لو كنت إنسانة ساذجة للغاية بحيث لا يصح أن أكون على صواب في رأيي على الإطلاق.

واتهمته (ليس في مرارة وقسوة شديدة) بعدم إرساله الشيك إلى CND وطلبت منه في تحد أن يريني الإيصال الذي يدل على إرساله الشيك، فقال لي أنه قد أرسل النقود على أساس أنها من فاعل غير وبدون ذكر الاسم ولذلك فهو لم يذكر عنوانه، وكنت على وشك أن أقول له: «لسوف أذهب بنفسي لأعرف مدى صدق كلامك عندما أصبح حرة طليقة ولكنني منعت نفسي من قول ذلك الكلام لأن ذلك قد يضيف سبباً آخر إلى الأسباب التي تجعله لا يطلق سراحي». كان وجهه مضطرما باللون الأحمر وكنت واثقة تماماً من أنه يكذب على مثلما كذب على فيما يتعلق بالخطاب المرسل إلى والدي ووالدتى.

لم يكن الأمر نقصأنا في الكرم ـ وإنما كان بخلاً حقيقياً أقصد (مع تناسى سخافة الموقف) أنه كريم بالنسبة لي حيث يغدق على في كرم فهو ينفق على مئات الجنيات، إنه يذبحنى بعطف وبأنواع الشيكولاته التي يقدمها لي وبالسجاير والأطعمة وباقات الزهور، ولقد قلت له أنني أود الحصول على بعض العطور الفرنسية في إحدى الأمسيات ـ وكنت أعبر عن مجرد نزوة في حقيقة الأمر ولكن هذه الغرفة كانت لها رائحة المبيدات الحشرية وإنني أستحم بالقدر الكافي ولكنني مع ذلك لا أشعر أنني نظيفة وقلت له أنني أود أن أشم روائح العطر الذي يروق لي أكثر، فجاء إلى في هذا الصباح ومعه ١٤ زجاجة عطر من العطور المختلفة، ولقد فتش في جميع محلات العطور، أنه يتصرف في جنون، فتلك العطور التي اشتراها يبلغ ثمنها أربعون جنيها، أن الأمر أشبه بالحياة في

قصص ألف ليلة وليلة وكأنني الإنسانة المفضلة في الحريم التابع له، ولكن العطر الأوحد الذي يفضله الإنسان في حقيقة الأمر هو الحرية.

لو قدر لي أن أضع طفلا يتضور جوعا حتى الموت أمامه وقمت بإطعام ذلك الطفل أمامه وجعلته يشاهد الطفل وهو يتحسن وينمو أمام ناظريه فإنه عندئذ سيقدم النقود بكل تأكيد، ولكن كل شيء يقع إلى ما وراء ما يدفعه من نقود للحصول على أشياء بنفسه يثير الشكوك لديه، فهو لا يؤمن بأي عالم آخر سوى العالم الذي يعيش فيه ويشاهده بنفسه، إنه هو الذي يعيش في سجن، إنه هو الذي يعيش في عالمه الضيق الكريه الماثل أمام عينيه.

١٢ نوفمبر:

الليلة قبل الأخيرة، أنني لا أجرؤ على التفكير في عدم الهروب، ولقد ظللت أذكره في الآونة الأخيرة بالموعد المتفق عليه لإطلاق سراحي، ولكنني أشعر الآن أنه كان ينبغي لي أن أذكره بذلك فجأة إلى حد ما، واليوم قررت أن يتم تنظيم حفلة صغيرة في مساء الغد، ولسوف أقول إنني أشعر بمشاعر مختلفة نحوه لدرجة أنني أرغب في أن أكون صديقة له وحبيبة له في لندن.

ولن يكون ذلك بمثابة كذبة كاملة فأنا أشعر بالفعل بمسئولية نحوه وهي مسئولية لا أفهم جوانبها في حقيقة الأمر، وأنا في كثير من الأحيان أشعر بالكراهية نحوه، وأعتقد أنه ينبغي لي أن أكرهه للأبد، ومع ذلك فأنا لا أشعر بالكراهية نحوه باستمرار، فشفقتي عليه تتغلب وأنا لا أريد أن أقدم له يد العون والمساعدة، وأنا افكر في الشخصيات التي يمكنني أن أعرفه عليهم، وهو يمكن له الذهاب إلى الطبيب النفسي الخاص بكارولين،

ويمكن أن أقوم بدور إيما Emma بحيث أرتب له زواجا مع تحقيق نتائج أكثر سعادة، أرتب له زواجا من فتاة شابة مثل هارييت سميث Harriet Smith بحيث يضبح معها وديعا وخجولا ومجنونا وسعيداً.

وأنا أعرف أنه ينبغي لي أن أستجمع شجاعتي لمواجهة عدم إطلاق سراحي، وأنا أقول أن فرصة تنفيذ وعده لا تزيد على ١٪.

ولكنه يجب عليه أن يحافظ على كلمته ويوفي بوعده لي.

ج. ب .G.P

إنني لم أشاهده على مدى شهرين بل وأكثر من شهرين، فقد أمضيت فترات في فرنسا وأسبانيا وبعدئذ في منزلي، (لقد حاولت أن أقابله مرتين ولكنه كان بعيداً خارج منزله طوال شهر سبتمبر). وكانت هناك بطاقة بريدية رداً على خطاباتى. ولا شيء غير ذلك.

وفي الليلة الأولي عقب عودتى مع كارولين اتصلت به تليفونيا بشأن عما إذا كان باستطاعتي أن أقوم بزيارته لفترة قصيرة فقال: «أرجو أن توجلي زيارتك لي إلى الغد، لأن لدى بعض الناس في هذا المساء».

وبدت عليه الغبطة والسرور لمشاهدتي، ولقد كنت أحاول أن أبدو وكأنني لم أحاول أن أبدو جميلة للغاية، ولكنني حاولت ذلك.

ولقد حدثته عن كل ما شاهدته في فرنسا وأسبانيا وعن لوحات جويا Goya الرسام الأسباني وعن الألبين Albi وهم سكان مدينة ألبي الواقعة في جنوب فرنسا، كما حدثته عن كل الأمور الأخرى، وعن بييرز، ولقد أصغى إلى فيء انتباه وهو لم يحدثني بالفعل عن الأشياء التي أنجزها في جزر هبرايدز Hebrides[1] فشعرت بالخجل لأن كل واحد منا

---

(١) جزر هيرايدز: مجموعة جزر اسكتلندية تقع في غرب اسكتلندا.... المترجم

لم ينجز أعمالاً كثيرة حيث كنا منهمكين للغاية في الاستلقاء تحت أشعة الشمس (أقصد أننا كنا كسولين للغاية) مع التأمل في اللوحات الفنية العظيمة مما جعلنا لا ننجز الكثير من مجال الرسم أو أي شيء من هذا القبيل.

وقلت (بعد أن ظللت أتدفق بالكلام لمدة ساعة على الأقل) «إنني أتكلم كلاماً كثيراً للغاية».

فقال: «لا بأس».

وكان يزيل الصدأ عن عجلة حديدية قديمة باستخدام بعض الأحماض، وكان قد شاهدها في محل لبيع الخردة القديمة في أدنيرة فأشتراها وأحضرها معه على طول تلك المسافة، وكانت لهذه العجلة أسنان غير حادة وغريبة، وهو قد أعتقد أن تلك العجلة كانت جزاء من ساعة حائط خاصة بكنيسة قديمة، وكانت بها برامق مستدقة ورائعة للغاية كانت جميلة.

ولم نقل أي كلام لبعض الوقت مستندة إلى جواره على المقعد به حيث كنت أرقبه وهو ينظف متخلصا من كل الصدأ. وبعدئذ قال فجأة: «لقد كنت أفتقدك».

فقلت: «لا يمكن لك أن تكون قد شعرت بافتقادي» فقال: «لقد سببت لي بسبب غيابك عني إزعاجاً وقلقاً شديداً».

فقلت: (في مراوغة) هل شاهدت أنطوانيت؟».

فقال: «لا وأظن أنني قد سبق أن قلت لك أنني صرفت النظر عنها» ثم نظر نظرات جانبية، نظراته التي تشبه نظرات السحلية، ثم أضاف: «ألا زلت تشعرين بالصدمة؟» فهززت رأسي.

«هل نسيت؟».

فقلت: «لم يكن شيء هناك أتسامح بشأنه».

فقال: «لقد ظللت أفكر فيك باستمرار أثناء وجودى في جزر الهبريدز. لقد كنت أريد أن أريك بعض الأشياء».

فقلت: «وأنا كنت أ تمنى لو كنت موجودا معنا في أسبانيا».

وكان مشغولا في سنفرة الأماكن الموجودة بين الأسنان، وقال: «إن هذه القطعة قديمة للغاية، انظري إلى هذا التآكل» ثم أضاف بنفس نغمة الصوت «لقد أدركت في الحقيقة أنني أرغب في الزواج منك». فلم أرد عليه بأي كلام ولم أستطع أن أنظر إلى وجهه.

ثم قال: «لقد طلبت منك أن تجيء إليَّ عندما أكون بمفردي لأنني كنت أفكر تفكيراً جدياً وعميقاً في هذا الشأن، وأنا أبلغ في السن ضعف عمرك وكان ينبغي لي أن أتناول الأمور على هذا النحو في غير تردد. والسيد المسيح وحده هو الذي يعرف أن هذه ليست هي المرة الأولي، لا. دعينى انتهي من هذا الأمر الآن، لقد قررت أنه ينبغي لي التوقف عن مشاهدتك وكنت على وشك أن أقول لك ذلك لدى دخولك إلى منزلي. فأنا لا أستطيع التحمل للقلق المستمر الذي تسببه لي، فأنا سوف أظل في حالة مستمرة من الهم والقلق والانزعاج إذا داومت على المجيء إلى هنا باستمرار، وهذه ليست طريقة ملتوية لمناشدتك لكي توافقى على الزواج مني، فأنا أحاول أن أجعل ذلك الأمر من رابع المستحيلات، وأنت تعرفين ظروفي، إنني إنسان لا يمكن الاعتماد عليه على الإطلاق، وعلى أية حال فأنت لا تحبينني».

فقلت: «إنني لا أستطيع أن أشرح لك الموقف، فليس لدى كلمات تعينني على التعبير عن الموقف».

فقال لي بينما كان يقوم بتنظيف يديه من آثار البنزين «ولذلك فإنه

ينبغي لي أن أطلب منك أن تتركني وشأني لكي أتمكن من العيش في هدوء وسلام مرة أخرى».

فحملقت في يديه، وشعرت بالصدمة، وقال: «أنت من نواحى أخرى تعتبرينى أكبر مني في السن، فأنت لم يسبق لك أن عشت في تجربة حب عميق حقيقي على الإطلاق، وربما لن تتعرضي لتلك التجربة في حياتك». وأضاف: «وأنا ربما أبدو معقولاً للغاية في هذه اللحظات ولكنني لا أشعر حقيقة بذلك فأنت اتصلت بي تليفونيا فإنني كدت أغرق في بنطلونى بسبب شدة الإثارة، أنني رجل عجوز غارق في الحب الشديد، أنني مادة للسخرية الكوميدية. أنني مبتذل للغاية، بل ولست فكاهياً».

فقلت: «ولماذا تعتقد أنني لن أدفع في حب عميق في حياتي على الإطلاق؟ فراح ينظف يديه على مدى لحظات طويلة للغاية.

ثم قال: «لقد قلت: ربما».

«إن عمرى لا يتعدى العشرين عاما فقط».

فقال: «إن شجرة السردار التي يبلغ طولها قدماً هي مازلت شجرة سردار، ولكنني قلت: ربما».

فقلت: «وأنت لست كبيراً في السن، والأمر ليس له علاقة بأعمارنا».

وعندئذ نظر إلى نظرة بها قدر ضئيل من الآلام، ثم ابتسم وقال: «يجب عليك أن تتركي لي مهربا أو منفذا من نوع ما». وذهبنا معا لنعد القهوة في ذلك المطبخ الصغير المتهالك القذر وقلت لنفسي: «على كل حال أنني لم يكن باستطاعتي أن أواجه الحياة هنا معه ـ مجرد مواجهة المجهودات المنزلية» موجه من الجبن البرجوازى الكريه والذي ليس له علاقة بالموضوع.

وقال وهو معطي ظهره نحوي «في الفترة السابقة على ذهابك كنت أعتقد أن الأمر هو مجرد الشيء الاعتيادى، على الأقل حاولت أعتقد أن الأمر على ذلك النحو، وذلك هو السبب في أنني تعمدت أن أسلك سلوكاً سيئاً مع صديقتك السويدية. لكي أتخلص منك أو لكي أتطهر منك ولكنك رجعت وعدت. في داخل ذهني. مرة أخرى ومرة ثانية وتكراراً نحو الشمال، ولقد اعتدت الخروج من المنزل الريفي ليلاً إلى الحديثة، والنظر نحو الجنوب، هل تفهمينني؟».

فقلت: «نعم».

«وكنت أنت التي تستحوذين على ذهني، وليس مجرد ذلك الشيء الآخر».

ثم أضاف قائلاً: «إنه جمال فجائي هبط عليك عندما لم تعود مجرد صبية».

«وما نوع ذلك الجمال».

فقال: «المرأة التي ستكونين إياها»

«امرأة لطيفة؟»

«أكثر بكثير من امرأة لطيفة».

ولا أستطيع التعبير بالكلمات عن الطريقة التي قال بها العبارة، لقد قالها في حزن ويكاد يكون قد قالها على الرغم منه، قالها في رقة ولكنها رقة ممزوجة بمسحة من المرارة وقالها في صدق وأمانة، ليس في جفاف وتحفظ، ولكنها خارجة مباشرة من ذاته الحقيقية، ولقد كنت أنظر لأسفل طوال الوقت الذي كنا نتكلم فيه، ولكنه جعلنى أنظر لأعلى عندئذ فتقابلت عينانا وهنا أدركت أن شيئاً ما مر بيننا، وكان باستطاعتي

الإحساس بذلك الشيء يكاد يكون تلامس فيزيقى مادى، وحدثا تغييرا في داخلنا، قوله لشيء ما يعنيه ويقصده تماماً وإحساسي بذلك الشيء.

وظل محملقاً في وجهي حتى إنني شعرت بالخجل والارتباك وظل مستمراً في الحملقة فقال: «أرجوك ألا تحملق في على هذا النحو».

فأقترب مني ولف ذراعه حول كتفي ثم قادنى في رفق نحو الباب وقال: «أنت الآن رائعة الحس والجمال، وأنت في بعض الأحيان تكونين جميلة، وأنت إنسانة حساسة وأنت إنسانة شغوفة وأنت تحاولين أن تكوني أمينة وصادقة وأنت تحاولين أن تتصرفين بما ينفك مع سنك وعمرك وتحاولين أن تكوني طبيعية وأنت في نفس الوقت متزمتة بعض الشيء وموضة قديمة بعض الشيء بل وأنت تلعبين نموذج للابنة التي أريد أن يكون لي ابنة مثلها وربما كان ذلك هو السبب أنني رغبت فيك كثيراً للغاية خلال الشهور القليلة الأخيرة».

ودفعنى من خلال فتحة الباب ووجهه شاخص للأمام لكي لا أتمكن من رؤيته.

وقال: «إنني لا أستطيع أن أقول مثل هذه الأشياء لك بدون أن أدير رأسك، ويجب عليك ألا تستديرى برأسك بأي معنى واذهبي الآن».

وشعرت به وهو يضغط على كتفي للحظة خاطفة ثم قبل الجزء من رأسي وبعدئذ دفعنى بعيداً، فنزلت هابطة على سلمتين أو ثلاث سلالم ثم توقفت ونظرت إلى ورائي. كان يبتسم ولكنها كانت ابتسامة حزينة.

فقلت: «لو سمحت لا تجعل الأمر يدوم لفترة طويلة للغاية».

فاكتفي بأن هز رأسه، ولا أعرف ما إذا كان يقصد «لا. ليس لفترة طويلة، للغاية» أو يقصد «لا فائدة من وراء الأمل في ألا تكون الفترة

طويلة، للغاية» وهو ربما لم يكن يعرف جوانب نفسه ولكن الحزن كان باديا عليه تماماً.

وبالطبع بدا الحزن على وجهي ولكنني لم أكن أشعر في حقيقة الأمر بالحزن، أو أن حزني لم يكن حزناً شاملاً، ولقد استمتعت بعض الشيء بذلك الحزن، وهذه وحشية ولكنني استمتعت بالفعل بذلك الحزن. ورحت أغني أثناء عودتى إلى منزلي، ورومانسية الموقف وغموض الموقف، حياة.

لقد اعتقدت أنني كنت أدرك أنني لم أحبه، وأنني قد كسبت تلك الجولة، وما الذي حدث منذ ذلك الحين؟ في خلال اليوم الأول أو اليومين الأولين ظللت أعتقد أنه سيتصل بي تليفونيا، وأن ذلك كله كان نوعا من النزوات وبعدئذ كنت أقول لنفسي إنني لن أراه مرة أخرى على مدى شهر وربما على مدى سنوات وبدا ذلك أمراً مثيراً للسخرية وأمراً لا لزوم له وأمراً غبياً إلى أقصى حد وكنت أكره ما بدا وكأنه الضعف الخاص به واعتقدت أنه لو كان على ذلك النحو فليذهب إلى الجحيم.

ولم يدم ذلك لفترة طويلة للغاية وقلت لنفسي «رب ضارة نافعة» إنه كان على حق، ولقد كان من الأفضل أن يتم انفصال نظيف، ويمكن لي أن أركز على العمل والاهتمام بالعمل وعلى أن ألتزم بالطابع العملي والكفاءة وألتزم بكل شيء لا أتصف به بطبيعتي».

وطوال ذلك الوقت ظللت أفكر وأقول لنفسي «هل أنا أحبه؟» وبعدئذ كان من الواضح أنه يوجد هناك قدر كبير من الشكوك.

لم يكن باستطاعتي أن أحبه.

والآن كان عليَّ أن أكتب ما أشعر به الآن، لأنني قد تغيرت مرة أخرى، فأنا أعرف ذلك، وأشعر بذلك.

الجمال والجاذبية والفتنة، إنني أعرف أنه من الخطأ والبلاهة أن تكون لديَّ أفكار ذات شروط مسبقة عن الجاذبية والجمال، الإحساس بالإثارة عندما يقوم بييرز بتقبيلي، الاضطرار للحملقة في وجهه في بعض الأحيان.

ليس في اللحظات التي قد يلاحظ فيها ذلك وذلك بسبب غروره ولكن مع الإحساس والشعور بجاذبيته في عمق، مثل رسم جميل عن شيء ما قبيح من الناحية الأخلاقية والنفسية ـ فهو مجرد إنسان قبيح وسخيف وزائف.

ولكنني حتى هنالك قد تغيرت، أنني أتخيل وهو ممسك بي وهو يربت على.

هنالك نوع من الفضول وحب الاستطلاع الرديء المنحرف جنسياً في داخل كياني ـ أقصد في داخل كيان جميع النساء اللائي حصل عليهن وفي جميع الأشياء التي يعرفها بالتأكيد عن النوم في السرير.

أستطيع أن أتخيل مضاجعته لي جنسياً بدون أن يثير ذلك قرفي واشمئزازى، فهو خبير للغاية ولطيف. جميع أنواع الأشياء ولكن ليس الشيء إذا كان ذلك سيدوم على مدى فترات الحياة.

وبعدئذ هنالك نقطة الضعف الخاصة بي، الإحساس بأنه ربما قد يلجأ إلى خيانتي ولقد كنت أفكر دائماً في الزواج على أساس أنه نوع من المغامرة التي يقوم بها شاب وفتاة صغيران في السن، شاب وفتاة من نفس العمر ينطلقان معا.

ويكتشفان الأمور معا ويكبران في العمر معا ولكنني يكن لديَّ أي شيء أريه له، هو الذي سيقدم لكل أنواع المساعدة.

لقد شاهدت قدرا ضئيلا للغاية من العالم والحياة، وأنا أعرف أن

.G.P في نواحي عديدة يمثل نوعا من المثل الأعلى الآن وإحساسه بالشيء الذي له أهمية واستقلاله ورفضه أن يفعل نفس الأشياء التي يفعلها الآخرون ووقوفه بمعزل على حدة، وينبغي أن يكون الشخص الذي اختاره له نفس تلك الصفات، وأنا لم أتقابل مع شخص آخر له نفس هذه الصفات التي يتميز بها الناس في السليد. «يبدو عليهم» أنهم لهم تلك الصفات ـ ولكنهم صغار في السن للغاية.

وساءلت نفسي مرة أو مرتين في تعجب: ترى ألم يكن ذلك كله بمثابة فخ أو مصيدة؟

مثل التضحية في لعبة الشطرنج، ولنفرض أنني قلت أثناء وقوفي على السلالم «إفعل بي كما يحلو لك ولكن لا تطردنى»؟.

لا. لن أصدق ذلك عنه.

فترة زمنية فاصلة، منذ عامين لم أكن لأحلم بالوقوع في حب مع رجل يكبرنى كثيراً في السن، فقد كنت أنا الإنسانة التي تتجادل دائماً لتبرهن على ضرورة أن يكون الفتى والفتاة في عمر متماثل في لاديمونت، وأذكر أنني كنت من ضمن الناس الذين استاءوا للغاية عندما تزوجت سوزان، جربلليت Suasan Grillet رجلا رهيبا يحمل رتبة بارونيت يكبرها بثلاثة أضعاف عمرها، ولقد أعتدت أنا وأختي ميني التكلمْ عن ضرورة المحاذرة من اتخاذ الأنماط الأبوية (بسبب والدي) والمحاذرة من الزواج من رجال لهم طابع الأب وعمر الأب، وأنا لم أعد أشعر بتلك المحاذرة، فأنا أعتقد أنني بحاجة لرجل أكبر مني في السن لأنني أبدو دائماً وكأنني أدرك المرامى الخفية للأولاد والشبان الذين أتقابل معهم، وأنا لا أشعر أن .G.P هو زوج / أب.

وهذا قد سبب لي صدمة لأنني أعتقد أن كل فرد الآن «باستثنائنا»

(ونحن ملوثون ومدنسون) لديه هذه الأنانية وهذه الوحشية سواء أكانت مخبأة ومستترة وراء الخجل والحياة ومنحرفة وشرسة أو كانت واضحة وجلية وفجة وغليظة، الدين له نفس جودة الناس الموتى، ولا يوجد هناك شيء ما يمكنه أن يمنع الناس الجدد New People فهم سيزدادون قوة تدريجيا مما سيجعلهم يغرقوننا ويكتسحوننا.

لا. لن يتمكنوا من إغراقنا، بسبب دافيد David، بسبب أناس من أمثال سليتو (وهناك إشارة على ظهر غلاف الكتاب إلى أنه كان ابن أحد العمال). أعني أن الناس الجدد الأذكياء سوف يثورون دائماً ويقفون إلى جانبنا، والناس الجدد يدمرون أنفسهم لأنهم أغبياء للغاية، فهم لا يمكن لهم أبداً الإبقاء على الناس الأذكياء معهم، وخاصة الناس الذين في سن الشباب نحن نريد شيئاً ما أفضل من مجرد النقود ومجرد الاضطرار إلى مجاراة الجيران حفاظا على المظاهر.

ولكن الأمر بمثابة معركة، إن الأمر أشبه بالوجود في مدينة كبيرة مع الوقوع تحت الحصار في الوقت نفسه، فهم محدقون بنا من جميع الجهات وينبغي علينا أن نصمد ونتحمل أمام المصاعب.

إنها معركة بيني وبين كاليبان إنه بمثابة الناس الجدد وأنا بمثابة الأقلية The Few.

يجب على أن أقاتل بسلاحي، وليس بسلاحه هو، ليس بالأنانية الوحشية والعار والاستياء.

إنه أسوأ من نوعية أرثر سيتون إذا شاهد أرثر سيتون ثمنا لا جديد لم يعجبه فإنه سيحطمه، ولكن كاليبان سيقوم بتغطيته بقماش متين مشمع أو مقنطر. لا أعرف أي التصرفين يعتبر أكثر سوءاً ولكنني أظن طريقة كاليبان هي الأكثر سوءاً.

٢٤ نوفمبر:

بدأت أشعر باليأس من الهرب، ولا أستطيع الحصول على أي ارتياح من وراء ممارسة الرسم أو الاستماع للاسطوأنات الموسيقية أو القراءة، أنني أشعر أنني في أشد الحاجة للناس الآخرين (ومن المؤكد أن جميع المسجونين يشعرون بنفس هذا الشعور). كاليبان ليس سوى نصف شخص، في أفضل الأوقات أريد مشاهدة عشرات من وجوه الناس الغرباء، مثل الشعور بالعطش الشديد واجتراع أكواب مليئة بالماء الواحدة تلو الأخرى، الأمر على ذلك النحو تماماً، ولقد قرأت ذات يوم أنه لا يمكن لأي إنسان أن يتحمل حبسه في سجن لمدة تزيد على عشر سنوات أو تزيد على سنة واحدة إذا كان الحبس انفرادياً.

لا يمكن للمرء ان يتخيل الأوضاع الحقيقية في داخل السجن إذا نظر إلى السجن من الخارج، قد يظن المرء أن السجن يتوافر بداخله متسع من الوقت للتفكير والقراءة ولذلك فإن السجن ليس رديئاً للغاية، ولكنه في داخل السجن في بطء شديد، ولسوف أقسم أن جميع ساعات الحائط في العالم قد سارت في بطء لمئات السنين منذ أن جئت إلى هنا، لا ينبغي لي أن أشتكي، فهذا سجن فآخر.

وهنالك خداعة ومكره ودهاؤه فيما يتعلق بالصحف والمجلات والراديو وغير ذلك من أشياء، أنني لم يسبق لي أن قرأت الصحف في نهم وشراهة أو استمعت إلى نشرات الإخبار في اهتمام كبير، ولكن عزلي تماماً عن الصحف والراديو يعتبر أمر غريبا للغاية، أشعر وكأنني فقدت كل قدراتى على الاحتمال، إنني أقضى الساعات مستلقية على السرير ومفكرة في كيفية التوصل إلى الهرب إلى ما لا نهاية.

٢٥ نوفمبر:

(فترة ما بعد الظهر) في هذا الصباح تجاذبت أطراف الحديث، وجعلته يجلس أمامى مثل «الموديل» الذي يقوم الفنانون برسمه وبعدئذ سألته عما يريده مني في حقيقة الأمر وما الذي يريده لي أن أفعله، وهل ينبغي لي أن أصبح خليلته؟ ولكن ذلك التساؤل أصابه بالصدمة. تصاعدت الدماء الحمراء إلى وجهه وقال إنه كان بمقدوره أن يشتري «ذلك» في لندن.

وقلت له أنه صندوق صينى. وهو بالفعل صندوق صينى.

الصندوق الأعمق هو أنه ينبغي لي أن أحبه، وأحبه بكل الوسائل والطرق، أحبه بجسدي وأحبه بعقلي، وأحترمه وأدلله وأتملقه، وهذا أمر من رابع المستحيلات.

ضرب رأسه على نحو متكرر وفي عنف على حائط حجرى.

أنني لا أريد أن أموت. أشعر أنني مليئة بقدرات كبيرة على التحمل، ولسوف أرغب «دائماً» في البقاء على قيد الحياة، ولسوف أبقى بكل تأكيد على قيد الحياة.

٢٦ نوفمبر:

الشيء الوحيد غير الطبيعي فيه ـ هو: كيف تسنى له أن يحبني فالناس الجدد العاديون لا يمكن لهم أن يحبوا أي شيء مثلما يحبني، فذلك أمر يتسم بالعمى والتهور، تماماً مثل دانتى Dante وبياتريس Beatrice.

إنه يستمتع بكونه واقع في حب بدون أمل معي، وأنا أتوقع أن دانتى كان على شاكلته... كان يحب بدون أمل كان يضيع الوقت في تكاسل

ويحلم وهو يدرك أنه لا جدوى على الإطلاق ويحصل من وراء هذه التجربة على قدر كبير من المادة الإبداعية الخلاقة الممتازة.

ولو أن كاليبان لا يمكن له بالطبع أن يحصل من وراء تجربته على أي شيء بخلاف المتعة التعيسة الخاصة به.

الناس الذين لا يستطيعون أن «يخلقوا» أي شيء. أكرههم.

كم كنت خائفة للغاية من الموت في تلك الأيام الأولي، أنني لا أريد أن أموت لأنني أداوم على التفكير في المستقبل، أنني متلهفة للغاية لأن أعرف ما ستجلبه الحياة لي، أنني فضولية للغاية إزاء ذلك. ما الذي سيحدث لي وكيف ستسير الأمور معي وماذا سأكون عليه في خلال السنوات الخمس القادمة.

والسنوات العشرة القادمة وفي خلال الثلاثين عاما القادمة، ومن هو الرجل الذي سأتزوجه وما هي الأماكن التي سأعيش فيها وأتعرف عليها وألفها، والأطفال. هذا ليس مجرد حب استطلاع أناني، هذه هي أسوأ الأوقات المحتملة في التاريخ التي يموت فيها المرء. السفر في أرجاء الفضاء الكونى والتقدم العلمى. العالم كله قد بدأ ينهض من سباته العميق ويتمطى ويتوسع، عصر جديد بدأ يبزغ، أنني أعرف أن الموقف خطير ولكن من الرائع للغاية أن يعيش المرء في هذا العصر الجديد.

أنني أحب العصر الجديد الخاص بي بل أنني أعبده.

أنني أداوم على التفكير في هذا اليوم مما يجعل الأفكار تتوافد على ذهني، كان من بين هذه الأفكار: الرجال غير المبدعين وغير الخلاقين + وجود فرصة للخلق = رجال أشرار، وفكرة أخرى: إن قتلي له هو تنصل من المبادئ التي أومن بها، وقد يقول بعض الناس أنت لست سوى قطرة في محيط. وتنصلك من المبادئ ليس سوى قطرة في محيط.

وهو تنصل ضئيل ولا أهميه له»، ولكن كل الشرور في العالم تتكون وتتألف من قطرات صغيرة ومن السخف الإشارة إلى عدم أهمية القطرات الضئيلة. فالقطرات الضئيلة والمحيطات هي نفس الشيء.

لقد استسلمت لأحكام إليقظة (ولم تكن هذه هي أول مرة) فيما يتعلق بعيشي مع .G.P إنه يخدعنى. يتركني، إنه متوحش معي، إنه يستخدم السخرية معي، وأنا في حالة من إليأس والقنوط، لا يوجد قدر كبير من الجنس في أحلام إليقظة، إنه مجرد العيش معا في مكان واحد، وفي بيئات رومانتيكية بعض الشيء، في أماكن طبيعية شمإلية لها طابع البحار والجزر وأكواخ مطلية باللون الأبيض وفي بعض الأحيان في أماكن تقع في حوض البحر الأبيض المتوسط، ونحن موجودان معا ومتقاربان للغاية في الروح، ومخزون كامل من السلع والمؤن السخيفة موجود في تفاصيل الصورة ولكن هناك التقارب في الروح، فذلك شيء ما حقيقي، المواقف التي أتخيلها (حيث يتخلي عني ويهجرنى وينبذنى) حقيقة، أعني أنه يؤلمنى كثيراً أن أفكر في هذه المواقف.

في بعض الأحيان لا أكون بعدية للغاية عن إليأس التام. لا أحد يعرف أنني مازلت على قيد الحياة، أنهم يعتبرونني الآن في عداد الموتى. من المسلم به الآن لدى الناس أنني ميتة، وها هو ذا الموقف ـ الموقف الحقيقي، وهنالك المواقف المستقبلية التي أفكر فيها وأنا جالسة على السرير هنا: حبي المطلق التام لرجل ما، وأنا أعرف أنني لا أستطيع أن افعل أشياء مثل الحب في فتور أو غير حماس، وأنا أعرف أن لدى حب مكبوت ومحبوس في دال كيآني، وأنني سوف أبدد نفسي وأنني سوف أسلم قلبي وجسدي وعقلي وروحي لشخص ما وغد وندل مثل .G.P حيث سيقوم بخداعي وتضليلي وخيانتى. وهذا هو ما أحسه وأشعر به، فكل شيء يكون متسما بالرقة والعقلانية في بادئ الأمر في

أحد إليقظة التي تجتاحنى فيما يتعلق بالعيش معه ولكنني أدرك أن ذلك لن يحدث في الحياة الواقعية فالحياة الواقعية ستكون متسمة بكل أنواع الانفعال والغضب الشديد بل والعنف، والحقد والغيرة، وإليأس والأشياء البغيضة والكريهة، شيء ما سيتعرض للقتل في داخل كيآني، وهو أيضاً سيتعرض للآلام الجسدية والعقلية لو كان هو قد أحبنى حقاً لما أستطاع أن يبعدنى.

لو كان هو قد أحبنى حقاً لكان قد أبعدنى.

٢٧ نوفمبر:

منتصف الليل.

لن أهرب أدبداً الموقف يدفعنى إلى الجنون. ينبغي وينبغي وينبغي لي أن أفعل شيئاً ما أشعر كأنني موجودة في داخل قلب الكرة الأرضية. أشعر بالثقل الكامل للكرة الأرضية وهو يضغط على هذا الصندوق الصغير الصندوق يصبح أصغر حجماً. أستطيع أن أشعر به وهو يتقلص تدريجيا.

أريد أن أصرخ في بعض الأحيان، إلى أن يصبح صوتي داميا حتى الموت.

لا أستطيع التعبير عن ذلك، لا توجد هناك الكلمات التي تعينني على التعبير عن ذلك.

يأس مطلق لقد كنت على ذلك النحو طوال اليوم. نوع من الهلع اللانهائي بالحركة البطيئة أو بالتصوير البطيء.

ما الذي كان يعتقده عندما أحضرت إلى هنا في بادئ الأمر؟ شيء ما في خططه قد سار في الاتجاه الخاطئ أنني لا أتصرف على النحو الذي

كنت عليه في أحلامه، أنني بمثابة شيء اشتراه هو بدون أن يراه أو يعرف قيمته.

أذلك هو السبب في أنه يبقى علي ويحتفظ بي؟ على أمل أن حلم ميراندا سوف يظهر ويتخلي؟ ربما ينبغي لي أن أكون فتاة أحلامه. وبحيث ألف ذراعيَّ حوله واقبله، وأمتدحه واربت عليه وألاطفه، وأمطره بوابل من القبلات الحارة.

لم أكن أعتزم أن أفعل ذلك، ولكن هذا جعلنى أفكر.

ربما ينبغي لي بالفعل أن أ قبله، بل وأكثر من مجرد القيام بتقبيله... ربما ينبغي لي أن أحبه، ربما على أن أعل أمير الأحلام يبزغ خارجاً.

أنني أفكر لساعات طويلة بين كل عبارة أكتبها.

ينبغي لي أن أجعله يشعر أنني قد تأثرت كثيراً في نهاية الأمر بشهامته وفروسيته وغير ذلك من الأمور... إلخ.. إلخ.

هذا الأمر غير عادي.

وهو عندئذ سيضطر لأن يفعل شيئاً، إنني واثقة من أنني يمكنني أن أفعل هذا فهو على الأقل إنسان يتسم بالنظافة الشديدة فهو دائماً لا تصدر عنه أية روائح باستثناء رائحة الصابون.

لسوف أؤجل هذا الأمر إلى اليوم التالي.

٢٨ نوفمبر:

لقد اتخذت قرارا مروعا اليوم، إذ اعتقدت أن بإمكاني أنام معه في السرير لا فائدة من وراء الاكتفاء بتقبيله، إذ ينبغي لي أن أعطيه مثل هذه

الصدمة الهائلة مما يجعله يضطر لأن يطلق سراحي، لأنه لا يمكن لرجل أن يسجن فتاة أعطت نفسها له.

سأصبح واقعة تحت نفوذه وسلطانه تماماً، لأنني بعد أن أعطي نفسي له لا يمكن لي أبداً أن ألجأ إلى الشرطة، فأنا عندئذ ستكون لديَّ الرغبة في التغطية على هذا الموضوع وكتمانه وعدم إباحة أسراره.

الأمر واضح للغاية، الأمر يحملق في وجهي في وضوح وعلى نحو صارخ لا سبيل إلى إنكاره.

مثل تضحية رائعة تمام في لعبة الشطرنج، إنه يشبه الرسم، لا يمكن لك أن ترسم خطا في حذر شديد وعلى مراحل متقطعة، فالجرأة والجسارة تتمثل في الخط.

لقد فكرت تفكيراً عميقا في كل الحقائق الجنسية، أتمنى لو كنت أعرف المزيد من المعلومات عن الرجال، أتمنى لو كنت واثقة تماماً وبحيث لا أفعل أشياء سمعت عنها أو قرأتها أو فهمتها فهما غير متكامل، ولكنني سأدعه يفعل ما كان يريد أن يفعله ى أسبانيات ـ يفعل ما يسمونه بالحب الاسكتلندى أو الجماع الاسكتلندى، أجعله يستلقى معي في السرير إذا أراد ذلك ويلعب مع جسدي إذا أراد ذلك ولكن ليس المضاجعة النهائية الحقيقية، ولسوف أقول له إنني في فترة العادة الشهرية إذا حاول الوصول إلى آخر مدى، ولكنني أعتقد أنه سيصاب بصدمة كبيرة للغاية مما يجعلنى قادرة على أن أجعله يفعل الأشياء التي أريدها أنا، أعني أنني سأقوم بكل أعمال الأغراء والإغواء، وأنا أدرك أن هذه ستكون مخاطرة رهيبة مع ٩٩ رجلا من بين ١٠٠ رجل لكنني أعتقد أنه هو الرجل رقم مائة، فهو سوف يتوقف عند مرحلة معينة

عندما أطلب منه ذلك، وحتى إذا لم يتوقف في حالة مجيء اللحظات الحاسمة فإنني على استعداد لقبول هذه المخاطرة.

هناك شيئان اثنان، الشيء الأول هو أنني بحاجة لأن أجعله يطلق سراحي، والشيء الثآني يتعلق بي، يتعلق بشيء ما كتبته في ٧ نوفمبر ـ «إنني أحب الأمور الكاملة المستكملة، أحب كل شيء لا يكون في حالة من الجلوس والترقب والانتظار» ولكنني لم أكن متخذة الوضع الكامل المستكمل، وكنت مكتفية فقط بالجلوس والمراقبة، ليس هنا فقط ولكن أيضاً مع .G.P كل هذا الكلام لعذراء الفيستا Vestl Virgin عن «ادخار الفتاة لنفسها» من أجل الرجل المناسب، لقد كنت أحتقر دائماً هذا الكلام، ومع ذلك فقد كنت دائماً أتراجع وأكبح جماح نفسي.

أنني خجولة مع جسدي، ينبغي لي أن أزيح هذا الخجل من الطريق، لقد غرقت في نوع من إلياس، أقول لنفسي أن شيئاً ما سوف يحدث، ولكن لن يحدث شيء إلا إذا قمت باتخاذ أي إجراء، يجب أن أقوم بعمل ما.

وهناك شيء آخر قد كتبته (المرء يكتب أشياء والمعاني المتضمنة تصرخ ـ مثلما يدرك المرء فجأة أنه أصم) «ينبغي لي أن أقاتل باستخدام أسلحتي، وليس باستخدام أسلحته هو، ليس باستخدام الأنانية والوحشية والخجل والاستياء».

ولذلك «فأنا أهب نفسي» في كرم «وأقبل الوحش» في رقة ولطف ووداعة «وأفعل ما أفعله بإرادتي الحرة» في غير خجل، وفي عفو وغفران «فهو لا يستطيع أن يتمالك نفسه».

حتى لو نجم عن ذلك طفل رضيع، طفله الرضيع مستعدة لأن افعل

أي شيء. من أجل الحصول على الحرية، وكلما فكرت في الحرية شعرت أكثر أن هذا هو السبيل إلى تحقيقها.

إنه لديه سر ما، من المؤكد أنه يرغب في جسدي.

ربما لا يكون «بارعاً» على كل حال فإن الأمور ستتضح، ولسوف نعرف أين نحن، أنني لم أكتب كثيراً عن .G.P في هذه الأيام الأخيرة ولكنني افكر فيه كثيراً، أول شيء وآخر شيء أنظر إليه في كل يوم هي لوحته الفنية، بدأت أشعر بالكراهية نحو تلك الفتاة المجهولة التي كانت «الموديل» الخاص به، من المؤكد أنه نام معها في السرير وربما كانت هي الزوجة الأولي التي تزوجها، لسوف أسأله عن ذلك عندما أخرج من هنا. الآن أول شيء سوف أفعله ـ أول شيء إيجابي وحقيقي عقب مشاهدتي لأفراد أسرتي هو أنني سأذهب لزيارته، لكي أقول له إنه كان دائماً متغلغلا في أفكارى، وأنه أهم الأشخاص الذين قابلتهم في حياتي، وأنه أكثر الناس أصالة وصدقا، وأنني أشعر بالغيرة من كل امرأة سبق لها أن اضطجعت معه مازلت لا أستطيع أن أقول له أنني أحبه، ولكنني بدأت أدرك الآن أن ذلك سببه هو أنني لا اعرف ماهية الحب وجوهره، أنني إيما Emma بنظرياتها السخيفة الماهرة في الحب والزواج وأن الحب هو شيء يجيء مغلفا في ثياب مختلفة بطريقة مختلفة وبوجه مختلف وربما الحب يتطلب منك وقتاً طويلاً لكي تتقبله ولكي تكون قادراً على أن تسمه حباً.

وربما سيكون جافا وبارداً عندما يبلغ الأمر مداه، فيقول عني أنني صغيرة في السن للغاية وأنه لم يأخذ الأمر مأخذ جدياً في حقيقة الأمر في أي وقت من الأوقات، ويقول آلاف الأشياء الأخرى، ولكنني لست خائفة من ذلك، ولسوف أجازف وأتخذ هذا الإجراء.

ربما يكون هو على علاقة غرامية مؤقتة مع فتاة ما أخرى.

ولسوف أقول له أنني قد رجعت إليه لأنني لم أعد متأكدة من أنني لست واقعة في حب معه.

ولسوف أقول له أنني كنت عارية تماماً مع رجل أكرهه وأنفر منه وأشمئز منه، وأنني كنت في الحضيض وفي الدرك الآسفل.

ولسوف أمكنه من نفسي.

ولكني لا أستطيع أن أتحمل أن أشاهده وهو ينظر خلسة إلى فتاة ما أخرى، فأنا أرجع كل شيء إلى الجنس، ينبغي أن أذبل وأموت من الداخل إذا فعل هو ذلك.

أعرف أن هذا تصرف لا يتصرف بالتحرر الشديد من جانبي.

هذا هو ما أشعر به.

الجنس لا يهمنى ولكن الحب هو الذي يهمنى، بعد ظهر هذا اليوم أردت أن أطلب من كاليبان أن يسقط في صندوق البريد خطابا كتبه لـ G.P. إنه بعينه، إنه لن يفعل ذلك بالطبع فهو سيشعر بالحقد والغيرة، ولكنني بحاجة لأن أصعد على السلالم وأدفع باب الأستوديو لأفتحه ثم أشاهد عند المقعد الطويل الخاص به حيث ينظر من فوق كتفه نحوي كما لو أنه غير مهتم لأن يعرف من هو الشخص الذي جاء إليه، واقفا هنالك بابتسامته الخفيفة الضعيفة وبعينيه اللتين تدركان الأمور وتفهمان المواقف بسرعة كبيرة.

هذا أمر عديم الجدوى، إنني أفكر في الثمن قبل البدء في رسم لوحة فنية.

غداً ينبغي لي أن أتخذ إجراء الآن.

وأنا قد ابتدأت اليوم في حقيقة الأمر، فلقد ناديت عليه باسم فرديناند (وليس باسم كاليبان) ثلاث مرات. كما هنأته على رباط عنق رهيب جديد، بل وابتسمت له، بل ولقد حاولت أن أبدو وكأنني أحب كل شيء فيه.

إنني لا أستطيع النوم، انتابنى الأرق، فنهضت من السرير وأدرت الأسطوانة الموسيقية الوترية المفضلة لدى .G.P ربما كان هو يستمع لنفس الأسطوانة الآن أيضاً، إن النغمة التي أفضلها أكثر تجيء عقب النغمة المفضلة له - فهو يفضل اللحن الرئيسي وأنا أفضل اللحن السادس، وهكذا نستلقى جنبا إلى جنب مع باخ Bach لقد أعتدت دائماً أن أعتقد أن باخ مزعج وثقيل، ولكنه الآن يغمرنى ويسحقنى فهو مفعم للغاية بالطابع الإنساني ومليء للغاية وبالأمزجة النفسية والسمو والنغمات الرائعة والأمور البالغة العمق والبساطة حتى إنني تعودت أن أستمع لموسيقى باخ أثناء قيامي بنسخ صورة من اللوحات الفنية التي أحبها.

وأعتقد أنني ربما سأكتفي بمحاولة أن أضع ذراعي حوله مع القيام بتقبيله، ولا شيء أكثر من ذلك، ولكنه قد يبدأ في التعود على ذلك، مما يؤدي إلى التكرار لفترات طويلة، ولكن الأمر ينبغي أن يكون على هيئة صدمة فجائية.

كل هذه المهمة مرتبطة باتجاهي التسيدي نحو الحياة، فلقد كنت أعرف دائماً إلى أين أنا ذاهبة وأعرف الكيفية التي أريد للأشياء أن تحدث بها، ولقد حدثت الأشياء على النحو الذي أردته ولقد اعتقدت أنه من المسلم به أن الأمور قد حدثت على النحو الذي أريده لأنني

أعرف دائماً إلى أين أنا ذاهبة ولكنني كنت سعيدة الحظ في جميع أنواع الأشياء.

لقد حاولت دائماً أن أقحم نفسي على الحياة ولكن حان الوقت لأن أدع الحياة تفحم نفسها عليَّ.

٣٠ نوفمبر:

أوه! يا إلهي!

لقد فعلت شيئاً ما رهيبا، وكان عليَّ أن أسجل ذلك كتابة، وأتمعن في الأمر من المدهش للغاية أنني فعلت ما أقدمت عليه، من المدهش للغاية أن يحدث ما حدث من المدهش للغاية أن يكون هو على النحو الذي كان عليه وأن أكون أنا على النحو الذي كنت عليه.

وأصبحت الأمور أسوأ مما كانت عليه من قبل.

لقد قررت أن أنفذ ذلك في هذا الصباح، كنت أدرك أنه ينبغي لي أن أفعل شيئاً غير عادي وأن أعطي لنفسي صدمة من إعطاء صدمة له في نفس الوقت.

عملت ترتيبات لكي أخذ حماما. وكنت لطيفة طوال اليوم.

وعقب الانتهاء من الحمام وضعت المكياج لنفسي وتهندمت. محيطات من المتسوكو Mitsouko ووقفت أمام النيران كاشفة عن قدمي العاريتين لكي ألفت نظره واسترعى إنتباهه، وكنت أموج بالتوتر، حيث لم أكن أعرف أن باستطاعتي أن أثابر وأواصل الكفاح حتى النهاية، وكانت يدأي مربوطتين لكني تناولت ثلاث كؤوس من مشروب الشيرى المسكر على وجه السرعة.

وأغلقت عينيَّ بعدئذ وشرعت في إنجاز خطتى.

جعلته يجلس ثم أجلس على حجره كان متخشبا للغاية ومصدوما تماماً مما جعلنى أضطر إلى الاستمرار في خطتى، ولو كان قد أمسك بي في تشبث فربما كنت قد توقفت عن المضى في خطتى، ثم تركت الروب الأنيق يتدلي منفتحا ولكنه اكتفي بالجلوس هنالك مع وجودى فوق حجره، كما لو كنا لم نتقابل من قبل على الإطلاق، وكان هذا الوضع ليس سوى لعبة ما سخيفة تتم في حفلة، شخصان لا يعرفان بعضهما البعض في حفلة ولا يشعران بالارتياح نحو بعضهما البعض.

وكان الوضع مثيراً وبطريقة منحرفة ورديئة. امرأة في داخل كياني تتلمس الوصول إلى رجل في داخل كيانه. لا استطيع أن أوضح، فقد كان هناك الشعور أيضاً بأنه لم يكن يعرف ماذا عليه أن يفعل، وكان هناك الشعور بدون خبرة في هذا الشأن على الإطلاق، كانت هناك سيدة عجوز من كورك Cork اصطحبت قسيسا شابا للتنزه معا، من المؤكد أنني كنت مخمورة.

كان على أن أرغمه على تقبيلي، فادعى بعض الشيء أنه يخشى أن يفقد صوابه ويتمادى معي، فقلت له: «لا يهمنى إذا تماديت». ثم قبلته مرة أخرى. فرد على بقبلة من جانبه كما لو كان يرغب في الضغط بفمه الرفيع الملعون المكبوت في داخل رأسي مباشرة، كان فهمه حلو، وكانت رائحته نظيفة وجميلة، وأغلقت عينى، ولم يكن الموقف رديئاً للغاية.

ولكنه بعدئذ نهض فجأة ووقف عند النافذة ولم يكن لديه الاستعداد للعودة، كان يرغب في أن يلوذ بالفرار ولكنه لم يستطع ولذلك وقف بجوار مكتبه وقد استدار بعض الشيء بينما ركعت وأنا شبه عارية بجوار

النيران وتركت شعرى يتدلي في انسياب لآسفل لكي أجعل الأمر واضحا للغاية، وفي نهاية الأمر اضطررت للذهاب إليه والعودة به إلى النيران نوجعلته يفك رباط يدي وكان هو شبيها بشخص ما في غيبوبة مغناطيسية. وبعدئذ قمت بخلع ملابسه نيابة عنه ثم خلعت ملابسى، وقلت له: «لا تكن عصبيا، أنني أريد أن أفعل ذلك الأمر معك، عليك فقط بأن تكون طبيعياً» ولكنه لم يفعل أي شيء لم يكن باستطاعته أن يفعل أي شيء، وفعلت معه كل ما في استطاعتي.

ولكن لم يحدث أي شيء. لم يذب الثلج في داخل كيانه، أمسك بي في إحكام مرة واحدة ولكن مسكته لم تكن طبيعية. مجرد تقليد يائس لم يظن أنه الوضع الطبيعي، مسكه غير مقنعة وتدل على الاضطراب.

إنه عاجز عن الإتيان بذلك الأمر. لا يوجد رجل في داخل كيانه. نهضت واقفة، ثم استلقينا على الأريكة وركعت إلى جواره وقلت له: «لا تقلق ولا تنزعج» وراعيته مراعاة الأم وأفرطت في تدليله، ثم قمنا بارتداء ملابسنا وتجلى كل شيء تدريجيا وانكشف وظهر على حقيقته، وانكشفت حقيقة أمره وانكشفت بعد ذلك ذاته الحقيقية.

لقد قال له طبيب نفساني إنه لن يكون قادرا على الإطلاق على أن يفعل ذلك الأمر وقال إنه اعتاد أن يتخيل نفسه مستلقياً معي في السرير، مجرد استلقاء ولا شيء آخر بخلاف ذلك، فعرضت عليه أن نفعل ذلك ولكنه لم يوافق، في أعماق كيانه وجنبا إلى جنب مع وحشيته ومشاعر المرارة لديه كانت توجد سذاجة هائلة إنها سذاجة فيه وتسيطر عليه، وهو ينبغي عليه أن يحمى تلك السذاجة.

ومع ذلك قال لي أنه يحبني. فقلت له: «أن ما تحبه هو الحب الخاص بك أنت. إنه ليس حبا، إنه أنانية، إنك لا تفكر فيَّ وإنما تفكر

فيما تشعر به نحوي». فقال: «لا أعرف طبيعة هذا الأمر» وبعدئذ وقعت في غلطة، إذ شعرت أن كل هذه التضحية قد باءت بالفشل وشعرت أنه ينبغي لي أن أجعله يستعذب ما أقدمت عليه وأنه ينبغي عليه أن يطلق سراحي لذلك حاولت أن أقول له، وعندئذ بزغت على السطح ذاته الحقيقة.

تحول إلى الوحشية والشراسة، ولكن لم يكن على استعداد لأن يرد على كلامى.

وأصبحنا متباعدين عن بعضنا البعض أكثر من أي وقت مضى.

لذلك إنني أشعر بالشفقة عليه، فانفجر في وجهي في ثورة عارمة وكان الموقف رهيبا حتى إنني انفجرت في البكاء، البرود الرهيب وللإنسانية للبرود.

كونى سجينته واضطرارى للبقاء سجينة وبقاء الوضع على ما هو عليه.

من المستحيل له أن يفهم. ما هي طبيعة شخصيته؟ وما الذي يريده مني؟ وما السبب في الإبقاء على سجينة هنا إذا كان لا يستطيع أن يفعل معي ذلك الأمر لأنه عاجز وكان آخر كلام قلته له: «لا يمكن لنا أن نتباعد أكثر من بعضنا البعض، فلقد كنا في حالة من العرى التام أمام بعضنا البعض» ولكننا أصبحنا متباعدين أكثر من ذى قبل.

أشعر بالتحسن الآن.

أنني مسرورة لأن شيئاً أسوأ من ذلك لم يحدث، لقد كنت مجنونة لقيامي بهذه المخاطرة.

يكفي أنني مازلت على قيد الحياة.

أول ديسمبر:

كان هو موجوداً في الجزء السفلي من المنزل وكانت أنا قد خرجت إلى السرداب، والموقف واضح تماماً، فهو غاضب مني، ولم يسبق له أن كان غاضباً على هذا النحو من قبل، هذا ليس عبوساً، إنه غضب عميق مكبوت.

وهذا يجعلنى أموج بالغضب الشديد لا يمكن لأحد أن يدرك أبداً الجهود المضنية التي بذلتها بالأمس، المجهود الذي بذلته في العطاء ومجهود المخاطرة ومجهود تفهم الأوضاع ومجهود التخلي عن كل غريزة طبيعية.

إنه هو. وإنه وذاته الشيء المذكر المشئوم، الآن لم أعد لطيفة وظريفة، إنهم يعبسون ويتجهمون إذن لم تستسلم لهم المرأة ويكرهونها إذا استسلمت. ينبغي لي الرجال الأذكياء أن يحتقروا أنفسهم لكونهم على ذلك النحو لكونهم غير منطقيين ومخالفين للمنطق والعقل، رجال بغضاء ونساء جريحات لقد اكتشفت السر الخاص به، وهو يكره ذلك، لقد فكرت وفكرت في هذا، من المؤكد أنه كان يدرك دائماً أنه ليس بمقدوره أن يفعل أي شيء معي، ومع ذلك فإنه يقول كل هذا الكلام عن حبه لي، من المؤكد أن ذلك يعنى شيئاً ما.

وهذا هو الوضع على ما أعتقد، إنه لا يستطع الحصول على أية متعة طبيعية سوية مني ومتعته هي الاحتفاظ بي كسجينة عنده. لسوف ألجأ إلى الصيام والإضراب عن الطعام مرة أخرى، ليس لديَّ ما أفعله معه على الإطلاق.

أفكار غريبة.

أنني قد فعلت لأول مرة في حياتي شيئاً ما حقيقياً شيئاً ما من الصعب أن يقدم عليه أي شخص آخر، لقد استجمعت شجاعتي عندما أصبحنا عاريين تماماً، وتعلمت ما يعنيه تعبير «لم أطرف الشجاعة أو استجماع الشجاعة».

الجزء المتبقى من لاديمونت في داخلي، أصبح ميتاً.

أتذكر قيادتى سيارة بييرز في مكان ما بالقرب من كارسوني، كانوا جميعاً يريدون لي أن أتوقف، ولكنني كنت أريد أن أصل بالسرعة إلى ثمانية كيلومتر/ ساعة، وظللت أضغط بقدمي لأسفل إلى أن حققت ذلك. وكان الآخرون خائفين، وكذلك كنت أنا خائفة.

ولكنني برهنت على أنني باستطاعتي أن أفعل ذلك، (في وقت متأخر من فترة ما بعد الظهر) أقرأ كتاب «العاصفة The Tempest» مرة أخرى طوال فترة ما بعد الظهر ليس على النحو الذي كان عليه على الإطلاق، والآن فإن ما حدث قد حدث، الشفقة التي يحس بها شكسبير إزاء كاليبان الخاص به أحس بها (مستترة تحت الكراهية والاشمئزاز) إزاء كاليبان الخاص بي. أنصاف مخلوقات.

«ليس مكرماً بهيئة إنسانية» كاليبان العبد الخاص بي الذي لا يعطينا أبداً إجابة لطيفة.

Whom Stripes may mouve , not Riduess

بروس Pros . . . وأسكتك وأواك في الزنزانة الخاصة بي إلى أن في الزنزانة الخاصة بي إلى أن سعيت لانتهاك شرف طفلي كال. أوه أوه.! ما كان هذا ليحدث! لو أنك منعتني. كان لدى أناس آخرون من الكاليابنيين وأسكنتهم في هذه الجزيرة..

احتقار بيروسبيروله. وإدراكه أن التحول إلى العطف هو أمر عديم الجدوى استيفانو وتريبنكولو هما مقامران على مباريات كرة القدم، خمورها، النقود التي كسبها.

الفصل الثالث المشهد الثاني «بكيت لكي أحلم مرة أخرى». مسكين كاليبان، ولكن فقط بسبب أنه يكسب المراهنات أبداً. «سأكون حكيماً من الآن فصاعداً» أيها العالم الجديد الشجاع «أيها العالم الجديد المريض لقد انصرف تواً»، وقلت إنني سأصوم اللهم إلا إذا سمح لي بالصعود إلى الدور العلوي، الهواء الطلق وضوء النهار في كل يوم. تملص من الرد بإجابة مباشرة، كان شرساً ووحشياً وكان ساخراً ومتهكماً، وقال بالفعل إنني «أنسى من هو السيد في هذا المنزل».

لقد تغير، أنه يخيفنى ويرغبنى، الآن أعطيته مهلة حتى صباح اليوم التالي لكي يفكر ويتخذ قراراً.

٢ ديسمبر:

من المقرر أن أصعد إلى الدور العلوي إنه سيقوم بعمل تعديلات في إحدى الغرف لكي أقيم فيها، وقال أن التعديل سوف يستغرق أسبوعاً، وأنا قلت «وهو كذلك» ولكن إذا كان هذا مجرد تهرب وتسويف آخر... لسوف نرى استلقيت على السرير في الليلة الماضية ورحت أفكر في G.P. وفكر في استلقائي في السرير معه، كنت أريد أن أكون في السرير معه، كنت أرغب في تلك البساطة الرائعة التي يتميز بها.

مضاجعته لنساء عديدات بغير تمييز هو أمر خلاق. وحيوى، حتى ولو كان ذلك يؤلم ويؤذى، إنه يخلق الحب والحياة والإثارة حوله، إنه يعيش والناس الذين يحبهم يتذكرونه.

لقد شعرت دائماً أنني أحب ذلك في بعض الأحيان، المضاجعة مع عدد كبير من الناس بدون تمييز فكل شخص أشاهده حتى ولو كان مجرد صبي في قطار الأندرجرواند فإنني أفكر فيما قد يكون عليه في السرير، حيث أنظر إلى الأفواه وإلى أيديهم وأتخيلهم وهم يضاجعونني في السرير وحتى توانيت والتي تضطجع في السرير مع أي شخص، لقد أعتدت على أن أعتقد أن ذلك عمل يتسم باللخبطة والقذارة ولكن الحب جميل. أي حب حتى ولو كان لا يتضمن سوى الممارسة الجنسية فقط. الشيء الوحيد الذي يتسم بالقبح هو هذا اللاحب الشديد المتجمد الميت الموجود بيني وبين كاليبان.

في هذا الصباح كنت أتخيل أنني تمكنت من الفرار ومثل كاليبان أمام المحكمة وكنت أنا اتكلم لصالحه، وقلت أن حالته تعتبر حالة مأساوية وأنه في حاجة إلى العطف معه وفي حاجة إلى العلاج النفسي والغفران.

لقد كنت نبيلة، إنني أحتقره احتقاراً هائلاً بحيث لا يمكنني أن أكرهه، إنه لأمر عجيب حقا، ربما ينبغي لي أن أتكلم لصالحه ودفاعا عنه.

وكنتِ أدرك أننا لن نتمكن من أن نتقابل مرة أخرى.

أنني لا يمكن لي أن أشفيه من مرضه لأنني المرض الخاص به.

٣ ديسمبر:

لسوف أذهب إلى .G.P وأقيم معه علاقة غرامية غير مشروعة.

ولسوف أتزوجه إذا كان يرغب في ذلك فأنا أريد المغامرة والمجازفة بالزواج منه، إنني متضايقة من كونى صغيرة السن، وعديمة الخبرة، ماهرة في تحصيل المعلومات ولكني غير ماهرة في شئون الحياة أريد أن

يكون أطفاله في داخل كياني، لم يعد جسدي له أهميه كبيرة، فإذا كان يريد جسدي فقط فإنه يمكن له الحصول عليه، يمكنني أبداً أن أكون مثل توانيت. لا يمكن أن أكون صائدة للرجال.

لكوني أكثر شطارة وذكاء (وفقا لما اعتقدته) من معظم الرجال وأكثر شطارة وذكاء من جميع الفتيات اللائي عرفتهن فقد كنت أعتقد دائماً أن معلوماتى تزيد على معلومات الآخرين ومشاعرى أعمق منهم وذكائي يتفوق على ذكائهم.

ولكنني مع ذلك لا أعرف قدرا كافيا من المعلومات التي مكنني من التعامل بنجاح مع كاليبان كل أنواع الأشياء الصغيرة وغير الهامة المتخلفة عن أيام لاديمونت، المتخلفة عن الأيام التي كنت فيها ابنة لطيفة لطبيب من الطبقة الاجتماعية المتوسطة، كل هذه الأشياء الصغيرة قد تلاشت الآن عندما كنت في لاديمونت كنت أعتقد أن باستطاعتي استخدام قلم الرصاص في براعة كبيرة وعندئذ عندما ذهبت إلى لندن بدأت اكتشف أنني لم يكن باستطاعتي ذلك، كنت محاطة بأناس كانوا في مثل براعتي. أنني لم أبدأ في التعلم كيف أتعامل مع حياتي وأقودها وأوجهها ـ أو التعامل مع حياة أي شخص آخر.

إنني لست الإنسانة التي هي بحاجة إلى التدليل Lame ducking الأمر أشبه باليوم الذي يكتشف فيه المرء أن لعب الأطفال ما هي إلا أطفال، أنني أتعرف على ذاتى القديمة وأدرك أنها سخيفة، وأنها لعبة لعبت بها كثيراً للغاية ذات شعر كثيف منتصب ملقاة في قاع الدولاب بريئة ومستهلكة ومتفآخرة وسخيفة.

G.P.

لسوف أتعرض للإساءة والضياع والانسحاق والصدمات العنيفة، لكن

الأمر سيكون أشبه بالوجود في عاصفة من الضوء عقب هذه الحفرة السوداء.

الأمر بكل بساطة أنه لديه سر الحياة في داخل كيانه، شيء ما أشبه بالربيع. ليس غير أخلاقي.

كما لو أنني لم أشاهده من قبل إلا تحت ضوء الشفق الأحمر والآن أشاهده فجأة في الفجر، إنه لم يتغير ولكن كل شيء مختلف.

نظرت في المرآة اليوم فشاهدت ذلك في عينيَّ، تبدوان متقدمين في السن أكثر وتبدوان أصغر سنا، ويبدو أنه من المستحيل التعبير بالكلمات على هذا النحو، ولكن هذا هو الموضع على وجه الدقة، فأنا أكبر سنا وأصغر سنا في آن واحد أكبر سنا لأنني قد تعلمت وأصغر سنا لأن قدرا كبيرا من كياني يتألف من أمور علمها لي الناس الأكبر سنا. كل الطين الخاص أفكارهم المبتذلة البالية فوق نعل الحذاء الخاص بكياني النعل الجديد الخاص بكياني.

نفوذ وسلطان النساء! لم يسبق لي أن شعرت أنني ممتلئة بالنفوذ الغامض على هذا النحو. الرجال أضحوكة تبعث على السخرية، الرجال يتسمون بالتفاهة نحن النساء ضعيفات للغاية جسمانيا وعاجزات تماماً إزاء الأمور والأشياء، ومازلنا كذلك حتى يومنا هذا ولكننا أكثر قوة مما هم عليه؛ فنحن باستطاعتنا أن نتحمل قسوتهم ووحشيتهم، أما هم فلا يستطيعون تحمل قسوتنا ووحشيتنا.

أنني أعتقد ـ أنني سأعطي نفسي لـ G.P. يمكن له أن يحصل على ومهما يفعل بي من أمور فإنني سأظل محتفظة بذلك الجانب النسائي الموجود في داخلي والذي لا يمكن له أن يلمسه أبداً.

كل هذا كلام طائش ومتهور، ولكنني أشعر أنني مليئة بالحجج والبراهين والمجادلات استقلال جديد.

إنني لا أفكر في الأمور المتعلقة باللحظات الحالية، اليوم فأنا أعرف أنني سوف أهرب، أشعر بذلك، إنه شعور لا أستطيع أن أشرحه وأوضحه، إذ لا يمكن أن يتمكن كاليبان من الانتصار على أبداً سأقوم برسمها.

في الليلة الماضية رحت أفكر في إحدى تلك اللوحات، إنها لوحة تعبر عن حفل له لون أصفر فاتح (اللون الأصفر الفاتح الخاص بالمزرعة) والحقل يتصاعد في اتجاه سماء لها لون أبيض مضيء بينما الشمس قد بزغت توا من جهة الشرق، الشمس لها لون قرموزى ودرى عجيب، إنها لحظات أعرفها على وجه الدقة وهي لحظات مليئة بالهدوء والسكون الموغل في الصمت والمعبر عن البدايات للأشياء وعن أغنية قبرة بدون وجود قبرات.

حلمان غريبان متناقضان.

الحلم الأول كان بسيطاً للغاية، كنت أسير في الحقول ولا أعرف من هو الشخص الذي كنت معه ولكنه كان شخصاً ما... كان رجلا أعجبت به كثيراً. وربما كان ذلك الشخص هو .G.P وكانت الشمس تسطع على قمح صغير ناشيء وفجأة شاهدنا عصافير ظهورها اللامعة مثل الحرير الأزرق الغامق. وكانت العصافير منخفضة للغاية وكانت تغرد حولنا وتطير كلها في نفس الاتجاه على انخفاض كبير وفي سعادة غامرة، فشعرت بالغبطة الشديدة وقلت «يا له من منظر فريد، أنظر إلى العصافير» كان المنظر يتسم بالبساطة الشديدة: العصافير غلي المتوقعة

والشمس والقمح الأخضر اللون. كنت مليئة بالسعادة «أنفي» مشاعر الربيع، وبعدئذ استيقظت من النوم.

وبعد ذلك حلمت حلما آخر، ابتدأ الحلم في مكان بجوار النافذة الموجودة بالدور الأول في منزل كبير (لاديمونت؟) وكان هنك حصان أسود آسفل النافذة، كان الحصان غاضباً وجامحا، ولكني كنت أشعر بالأمن والأمان لأن الحصان موجود بالخارج وأسفل النافذة، ولكنه استدار فجأة وجرى بسرعة في اتجاه المنزل وشعرت بالرعب لأنه قفز كالعملاق لأعلى ونحوي مباشرة مكشر عن أسنانه، وتمكن من اختراق النافذة ومحدثا صوتا عإليا وحتى تلك اللحظة كنت أعتقد أنه سيقتل نفسه أثناء لحظات اقتحامه للنافذة وبذلك تصورت أنني في حالة من الأمن والأمان ولكنه تمدد باسطاً ذراعية ورجليه وراح يسحق بقدميه في جميع أرجاء الغرفة الصغيرة، فجأة أدركت أنه بصدد القيام بمهاجمتى، لم يكن هناك مكان أهرب إليه، واستيقظت من النوم مرة أخرى، وأضأت الأنوار الكهربائية.

كان عنفا. كان كل ما أكرهه وكل ما أخشاه.

٤ ديسمبر:

لن أستمر في كتابة هذه المذكرات اليومية عقب مغادرتي لهذا المكان، الجو غير صحى في هذا المكان، المذكرات تساعدنى على الاحتفاظ بسلامة عقلي وأنا في هذه الغرفة السفلية، فهي تقدم لي شخصاً ما لكي أتكلم معه ولكن لا جدوى من وراء كل ذلك، فالإنسان منا يكتب ما يريد أن يسمعه.

إنه لأمر عجيب، فالإنسان لا يفعل ذلك عندما يرسم نفسه، لا إغراء على القيام بالغش والخداع.

كل هذا التفكير المتعلق بي بغيض وبغيض، وممل وسقيم أشتاق إلى أن أرسم وأرسم أشياء «أخرى». أرسم حقولاً ومنازل في الجنوب ومناظر طبيعية وأشياء شاسعة مفتوحة على مصراعيها تحت ضوء شاسع مفتوح على مصراعيه.

وهذا هو ما كنت أفعله في هذا اليوم. حالات من الضوء أتذكرها من أسبانيا. حوائط مطلية بالتراب الصلصال متخذة اللون الأبيض تحت ضوء الشمس، وأسوار أفيلا Avila وأفنية وأحواض قرطبة، أنني لا أحاول أن أصور نسخة طبق الأصل من المكان وإنما أحاول التعبير عن الضوء الخاص بالمكان.

Fiat Lux

كنت أريد أسطوانات كوارتيت موسيقى الجاز الحديثة مرات ومرات عديدة لكي أستمع لموسيقى الجاز. لا يوجد ليل في موسيقاهم ولا غوص مليء بالدخان. انفجارات وشرارات وفورأنات صغيرة من الضوء وضوء النجوم وفي بعض الأحيان ضوء النهار ظهرا حيث يكون الضوء هائلا ومنتشرا في كل مكان مثل نجفات وثريات من اللالإلىء السابحة في السماء.

٥ ديسمبر:

G.P.

انتهاك الذكاء عن، عن طريق الجماهرى العريضة التي امتلكت أموالاً عن طريق الناس الجدد New Peolle.

أمور وأشياء يقولها، إنهم يصدمونك ولكنك تتذكرهم، إنهم يلتصقون في قوة وصلابة حيث يهدفون إلى البقاء.

ظللت أرسم مناظر طبيعية في السماء طوال اليوم، أكتفي بأن أرسم خطاً على ارتفاع بوصة من القاع، وتلك هي الأرض، وبعدئذ لا أفكر في أي شيء سوى السماء، سماء شهر يونيو وسماء ديسمبر وسماء أغسطس وأمطار الربيع والرعد والفجر والغسق والشفق الأحمر، لقد رسمت عشرات من السماوات، السماء النقية الصافية ولا شيء غير ذلك، مجرد الخط البسيط والسماوات تعلو فوقه.

كان كاليبان هادئاً للغاية، نوع من الهدنة لسوف أطلب منه غداً أن أصعد إلى الدور العلوي، فأنا أرغب في أن أعرف بنفسي وأشاهد وأتأكد مما إذا كان يعفل أي شيء في حقيقة الأمر.

طلبت منه اليوم أن يربط يدي ويضع الكمامة في فمي ويدعنى أجلس عند آسفل سلالم السرداب مع فتح الباب على مصراعيه، ووافق على تلبية طلبي في نهاية الأمر، ولذلك تمكنت من النظر لأعلى ومشاهدة السماء، ومادية شاحبة كما شاهدت طيورا تطير عبر السماء وهي طيور من نوع الحمام على ما أعتقد، وسمعت أصواتا مترامية من الخارج، هذا هو أول ضوء نهارى حقيقي أشاهده منذ شهرين، لقد استمر الضوء مفعما بالحياة وجعلنى أنخرط في البكاء.

٦ ديسمبر:

لقد تواجدت في الدور العلوي من أجل أن آخذ حماما ورحنا نلقى نظرة على الغرفة التي سأشغلها، لقد قام بإنجاز بعض الأعمال بالفعل،

وهو بصدد أن يرى ما إذا كان يتعذر عليه العثور على كرسي وندسور قديم. فرسمت له الشكل الخاص بهذا الكرسي.

وهذا جعلني أشعر بالسعادة.

إنني أشعر بالقلق، إنني لا أستطيع أن أكتب وأنا هنا في هذه الغرفة السفلية، إنني أشعر الآن وكأنني قد تمكنت من الهرب بنسبة ٥٠ ٪، والشيء الذي جعلني أشعر أنه كان أكثر ميلا إلى الناحية السوية الطبيعية هو هذا الحوار القصير الذي تم بيننا.

ميراندا (كنا واقفين في الغرفة) لماذا لا تدعني أصعد إلى هنا وأعيش هنا كضيفة عندك؟ إذا أعطيتك كلمة وعد شرف؟

كاليبان: لو جاء إليَّ خمسون من الرجال الذين يتميزون بالصدق والأمانة الحقيقية وأقسموا لي أنك لن تهربي فإنني لن أثق بكلامهم بل ولن أثق بالعالم كله.

ميراندا: لا يمكن لك أن تشق طريقك في الحياة بدون أن تثق بأي شخص. كاليبان: أنت لا تعرفين مدى الكآبة الرهيبة التي يحس بها المرء عندما يكون وحيداً بمفرده.

ميراندا: وما رأيك فيما كنت أنا عليه طوال هذين الشهرين الأخيرين؟

كاليبان: أراهن على أن عدداً كبيرا من الناس يفكرون فيك ويشعرون بالقلق عليك ويفتقدونك، أما أنا فلا أحد على الإطلاق يهتم بي حتى لو انتقلت إلى رحمة الله.

ميراندا: عمتك.

كاليبان: هي

(سادت فترة من الصمت)

كاليبان (قال فجأة معبراً عما يجيش في صدره) أنت لا تعرفين وضعك بالنسبة لي، أنت كل شيء، وأنا أفقد كل شيء إذا ذهبت.

(وكان هناك صمت هائل).

٧ ديسمبر:

لقد اشترى الكرسي: أحضره إلى غرفتي السفلية، إنه كرسى جميل أنني لا أريد أن يوضع هذا الكرسي في الغرفة السفلية ولا أريد أن ينقل أي أثأي من الغرفة السفلية إلى غرفتي الجديدة العلوية أريد تغييرا كاملاً، غدا سوف أصعد إلى الدور العلوي نهائيا. فقد طلبت منه ذلك في الليلة الماضية فوافق على رأيي، ولم يعد عليَّ أن أنتظر على مدى الأسبوع بأكمله.

لقد ذهبت إلى مدينة لويس ليشتري المزيد من الأشياء من أجل غرفتي العلوية ولسوف نقيم عشاء احتفالا بذلك. لقد كان لطيفا معي على مدى هذين اليومين الأخيرين.

إنني لنْ أتهور وأحاول الهرب عندما تلوح أول فرصة أمامى، فأنا أعرف أنه سيحرص على مراقبتي، لا أستطيع أن أتخيل ما سيفعله، من المؤكد أنه سيغطى النافذة بألواح من الخشب طرق لمشاهدة ضوء النهار، إن عاجلا أو أجلا ستلوح أمامى فرصة للهرب (إذا لم يسمح لي بالانصراف من تلقاء نفسه).

ولكنني اعرف أنها ستكون فرصة وحيدة فقط أمامى لكي أهرب فيها، لأنه ذا أمسك بي أثناء محاولتي للهرب فإنه سيعيدنى إلى الغرفة السفلية مرة أخرى.

لذلك ينبغي أن تكون الفرصة لها مقومات النجاح الكامل، فرصة أكيدة تماماً.

أنني أقول لنفسي أنه ينبغي لي أن أعد نفسي لمواجهة أسوأ الاحتمالات.

ولكن هناك شيء ما يتعلق به يجعلنى أحس أنه في هذه المرة ينفذ بالفعل ما قال لي.

لقد انتقلت عدوى البرد منه إلى هذا لا يهم.

يا إلهي، يا إلهي، أنني أكاد أقتل نفسي إنه سوف يقتلنى لأنه يدفعنى إلى إلىأس المرير.

أنني مازلت موجودة بالغرفة السفلية، إنه لم يكن يرغب أبداً في نقلي إلى الغرفة العلوية إنه يرغب في التقاط صور فوتوغرافية لي ذلك هو السر الخاص به، إنه يريد أن يخلع ملابسى و.... أوه يا إلهي إنني لم أكن أعرف أبداً حتى الآن معنى كلمة «الكره والبغض الشديد».

لقد قال لي كلاماً رديئاً للغاية، وقال إنني امرأة شوارع فسألته عما يهدف إليه بهذه الكلمة.

وتفجر جنون الغضب متصاعدا في داخل كيآني فألقيت بزجاجة حبر عليه، فقال لي أنني إذا لم أفعل هذا لكان قد منعنى من أخذ حمامات أو الخروج إلى السرداب. لسوف أكون هنا طوال الوقت.

الكراهية الموجودة بيننا بدأت تتأجج وتطفو على السطح.

لقد أصبت بالبرد اللعين حيث انتقلت العدوى منه إليَّ، ولا أعتقد أن العدوى انتقلت منه إليَّ بشكل مباشر.

لا يمكن لي أن أقتل نفسي، إنني غاضبة منه للغاية.

لقد أساء إليَّ باستمرار وسبنى وشتمنى منذ البدايات الأولي، تلك القصة عن الكلب، إنه يستخدم قلبي ثم يستدير ويدوس على قلبي.

إنه يكرهنى ويحطمنى ويدمرنى وهو يريد لي أن أكره نفسي إلى الحد الذي يجعلنى أدمر نفسي.

الوضاعة الشديدة، إنه لا يحضر لي أي طعام للعشاء، إنني مضطرة لأن أصوم، ربما سيتركني بدون طعام إلى أن أهلك جوعاً، فهو يمكنه أن يفعل ذلك.

لقد تغلبت على الصدمة، إنه لن يتمكن من إلحاق الهزيمة بي، ولن أدعن ولم استسلم، ولن أتحطم على يديه، لقد ارتفعت درجة حرارتى، أشعر أنني مريضة.

كل شيء يقف ضدى ولكنني لن أستسلم لقد كنت مستلقية على السرير بينما لوحة .G.P الفنية إلى جواري، كنت ممسكة بإطار اللوحة بيد واحدة، مثل صليب يعبر عن المسيح مصلوبا.

لسوف أظل على قيد الحياة، لسوف أتمكن من الهرب، لن أستسلم لن أذعن ولن أستسلم، إنني أناشد الله، إنني أكره الناس من أمثال كاليبان والذين يخلقون مواقف مثل هذا الموقف الرهيب الذي أمر به هذه الآلام الرهيبة التي تجتاحنى الآن لم تكن هناك ضرورة لها، وهي آلام لا تشتري أي شيء ولا تعطي مولدا لأي شيء.

كل ذلك عبث بدون جدوى، كل ذلك لا طائل تحته. ضياع في ضياع.

وكلما ازداد عمر الكرة الأرضة ازداد هذا الأمر وضوحا، القنبلة الذرية وحالات التعذيب الرهيبة في الجزائرة والأطفال الذين يهلكون جوعا في الكونغو، الأمور تزداد سوءاً وظلاما.

المزيد من المعأناة من أجل المزيد والمزيد هباء وسدى.

الأمر يبدو كأن أسلاك الأنوار الكهربائية قد انصهرت، أنا هنا موجودة في طيات الحقيقة السوداء.

كل أنواع الوضاعة والأنانية والأكاذيب.

والناس لن يعترفوا بذلك فهم مشغلون للغاية في أعمال الاختطاف والاغتصاب حتى أنهم لا يدركون أن أسلاك الأنوار قد انصهرت، فهم لا يستطيعون مشاهدة الظلام ووجه العنكبوت وخيوط العنكبوت الهائلة التي تغطى كل الأماكن، وأن هذا موجد دائماً إذا قمت بخدش سطح السعادة والخبرة.

السواد والسواد والسواد، لم يسبق لي أبداً أن أحسست بهذا السواد من قبل بل ولم أكن أ تصور أبداً أنه أمر يمكن أن يكون موجوداً، إنه أمر يفوق الكراهية ويفوق إليأس إذ لا يمكن للمرء أن يكره لا يستطيع أن يلمسه بل ولا يمكن لي أن أشعر بما يعتبره معظم الناس إنه اليأس، إلى ما وراء اليأس، إنه كما لو أنني لم أعد أستطيع أن أشعر أو أحس، إنني أرى ولكنني لا أستطيع أن أشعر.

يا إلهي.

إنني أكره ما وراء الكراهية.

لقد نزل توا إلى غرفتي السفلية، كنت نائمة في السرير، الحمى الهواء فاسد للغاية، من المؤكد أنها الأنفلونزا كنت أشعر بالتعب والإرهاق الشديد حتى إنني لم أقل أي كلام، ولا توجد لدى القوة التي تعينني على التعبير عما يجيش في صدرى من كراهية.

السرير به رطوبة وصدرى يؤلمنى لم أقل له كلمة واحدة، الوضع تخطى التعبير بالكلمات، أتمنى لو كنت في نفس المستوى الفني للرسام

جويا Goya بحيث أتمكن من رسم الكراهية المطلقة الموجودة في داخلي نحوه أنني خائفة للغاية، لا أعرف ما سيحدث إذا كنت أعآني من مرض شديد لا اعرف السبب في هذه الآلام التي تجتاح صدرى، كما لو أنني قد أصبت بالتهاب في الشعب الهوائية لأيام عديدة.

ولكنه ينبغي له أن يحضر طبيبا، يا إلهي! هذا أمر رهيب للغاية.

(فترة المساء). لقد أحضر ترمومترا كانت درجة حرارتى ١٠٠ درجة في وقت الغذاء، والآن وصلت إلى ١٠١ درجة، أشعر أن حالتي الصحية باللغة السوء.

لقد ظللت مستلقية في السرير طول اليوم، إنه يخلو من النواحى الإنسانية يا إلهي، إنني أشعر بالوحدة القاسية وإنني بمفردي تماماً لا أستطيع أن أكتب.

(في الصباح) إنه برد شعبي بالغ السوء للغاية، أنني أرتعش لم أنم نوما سليما، مشاهدة أحلاما رهيبة، أحلاما عجيبة ومفعمة بالحيوية وظهور .G.P في أحد الأحلام، وهذا جعلنى، أنخرط في البكاء أشعر أنني خائفة للغاية.

لا أستطيع أن أكل الطعام، هناك آلام في رئتى عندما أتنفس وأنا أواصل التفكير في أنني قد أكون مصابة بمرض في الرئة، ولكن لا يمكن أن يحدث لي ذلك.

لن أموت، لن أموت، ليس من أجل كاليبان.

حلم غير عادي.

كنت أسير في بستان أسن Ash Grove ورحت أنظر لأعلى بين الأشجار فشاهدت طائرة في السماء الزرقاء، وكنت أدرك أنها سوف تتحطم وبعدئذ شاهدت المكان الذي تحطمت فيه، وبدأت أخشى من

مواصلة السير فتقدمت فتاة نحوي، هل هي أختي ميني؟ لم أستطع أن أتبين ذلك وكانت الفتاة تردى ملابس يونانية غريبة الشكل ـ أردية من الجوخ، بيضاء تحت ضوء الشمس من خلال الأشجار الساكنة وبدا وكأنها تعرفني ولكنني لا أعرفها (إنها ليست أختي ميني). ولم تكن من معارفي في أي وقت من الأوقات وأنا أريد أن أكون وثيقة الصلة، ثم استيقظت من النوم.

لو مت فلن يعرف أي شخص أبداً ذلك، أموج بالقلق الشديد ولا أستطيع أن أكتب. (في الليل) لا شفقة ولا رحمة صرخت في وجهه فجن جنونه وكنت ضعيفة للغاية بحيث لم أتمكن من إيقافه ومنعه فقام بربط يدي ووضع الكمامة في فمي وراح يلتقط لي صورا فوتوغرافية لا أخلاقية.

لا تهمنى الآلام، ما حز في نفسي هو الإذلال فعلت كل ما كان يريد لي أن أفعله لكي أتخلص من كل ذلك، إنني أبكي، أبكي، وأستطيع أن أكتب.

لن أستسلم.

لن أرضخ وأستسلم.

لا أستطيع أن أنام، إنني بصدد التعرض للجنون أضطر لأن أضيء الأنوار، أحلام مزعجة وكوابيس أظن أن أناسا موجودين هنا، والدي وأختي ميني.

إنه التهاب رئوى يجب عليه أن يحضر طبيبا، إنها جريمة قتل لا أستطيع أن أكتب... الكلمات عديمة الجدوى، (لقد جاء إليَّ) إنه لا يستمع إلى رأيي، لقد رجوته وتوسلت إليه وقلت له إن عدم إحضار طبيب يعتبر جريمة قتل، أحس بالضعف الشديد، درجة حرارتى وصلت

إلى ١٠٢ درجة لقد كنت مريضة بالفعل، لا شيء بالنسبة لليلة الماضية من جانبه أو جانبي.

هل حدث ذلك الأمر؟ الحمى، إنني أتعرض لهذيان الحمى.

لو كنت فقط أعرف ما اقترفته يداي! لا فائدة، لا فائدة لن أستسلم للموت، لن أموت.

عزيزي عزيزي عزيزي .G.P هذه هي الحالة التي ترديت إليها.

يا إلهي يا إلهي يا إلهي لا تجعلنى أموت.

يا إلهي لا تدعنى أموت.

لا تدعنى أموت.

الفصل الثالث

إنني أحاول أن أقول إن كل شيء قد حدث على نحو غير متوقع.

لقد بدأت الأمور على نحو سيئ لأني عندما نزلت إلى الغرفة السفلية في الساعة السابعة والنصف شاهدتها راقدة بجوار البارافان حيث ارتطمت بالبارافان وأطاحت به إلى الأرض أثناء وقوعها على الأرض فركعت إلى جوارها وكانت يداها باردتين كالثلج ولكنها كانت تتنفس، وكان تنفسها على هيئة تنهدات خشنة الصوت وسريعة للغاية وعندما رفعتها واتجهت بها إلى سرير فإنها أفاقت، ومن المؤكد أنها قد أغمى عليها أثناء الليل عندما ذهبت خلف البارافات، كانت البرودة منتشرة في جميع أرجاء جسدها، وبدأت ترتعش على نحو رهيب وبدا المزيد من العرق يتصبب من جسدها، وكانت تتعرض لهذيان الحمى، وظلت تردد قائلة «احضر لي طبيباً، احضر لي الطبيب لو سمحت أحضر لي الطبيب» (وفي بعض الأحيان كانت تقول احضر لي الممارس العام G.P. وظلت تردد هذه العبارة باستمرار على هيئة إيقاع نغمى موسيقى) ولم يكن الصوت هو صوتها العادي وإنما كان صوتاً مليئاً بالنغمات الموسيقية التي ترتفع وتنخفض، وبدأ عليها وكأنها غير قادرة على تركيز عينيها على ونادت مرتين قائلة «يا ميني. يا مين» وكأنها تعتقد أن أختها ميني موجودة في الغرفة المجاورة وبعدئذ بدأت تتمتم وتغمغم بالعديد من الأسماء الأخرى والكلمات الأخرى، وكلها مختلطة بعبارات غير

مكتحلة، ثم بدت عليها وكأنها ترغب في النهوض فاضطررت إلى أن أمنعها من الوقوف، فقاومتني مقاومة حقيقية وظللت أتحدث إليها فهدأت لبعض الوقت ولكنني بمجرد أن أذهب لإعداد الشاي فإنها عادت إلى حالتها، ثم حاولت أن أساعدها على الجلوس في اعتدال لكي تتمكن من تناول الشاي ولكن ذلك جعلها تتعرض لنوبة من الكحة ثم أدارت رأسها بعيداً حيث لم تكن ترغب في شرب الشاي، لقد نسيت أن أقول إن دمامل صفراء رديئة قد ظهرت عند ركن من شفتيها كما أن رائحة جسدها لم تعد رائحة نظيفة وجميلة مثلما كان عليه الحال من قبل، وفي نهاية الأمر جعلتها تتناول جرعة من الحبوب، لقد أشارت النشرة الخاصة بهذا الدواء إلى ضرورة عدم تجاوز الجرعة المحددة ولكنني سمعت ذات مرة أنه يمكن للمرء أن يحصل على ضعف الكمية التي تحدد في نشرة الأدوية، فهم يخشون من جعل الدواء قويا للغاية وذلك لأسباب قانونية ومن المؤكد أنني نزلت إلى الغرفة السفلية في ذلك الصباح أربع أو خمس مرات حيث كنت أشعر بالقلق الشديد، كانت مستيقظة ولكنها قالت إنها لا تريد أي شيء، وفي فترة الغذاء تناولت قدرا ضئيلا من الشاي ثم استغرقت في النوم وجلست أنا بالخارج في الغرفة الخارجية وفي المرة التالية أضأت الأنوار الكهربائية في غرفتها وكان ذلك في حوإلى الساعة الخامسة وكانت هي مستيقظة، وكانت تبدو ضعيفة ومتهالكة ومحتقنة الوجه باللون الأحمر للغاية ولكن كان يبدو عليها أنها تعرف تماماً المكان الذي توجد فيه وتعرف من أكون أنا حيث كانت تتبعنى بعينيها بطريقة عادية تماماً ولذلك اعتقدت أنها قد تخطت مرحلة الخطر أو تخطت الأزمة كما يقولون.

وتناولت كمية قليلة أخرى من الشاي وبعدئذ جعلتني أساعدها على الذهاب إلى ما وراء البارافان إذ كانت تترنح في مشيتها وغير ذلك من

أمور، وتركتها لدقائق قليلة ثم رجعت وساعدتها على العودة إلى السرير، فاستلقت على السرير لمدة قصيرة وقد فتحت عينيها وراحت تحملق في سقف الغرفة وكانت تجد صعوبة في التنفس بعض الشيء وبدأت أتهيأ للانصراف ولكنها طلبت مني أن أنتظر، وبدأت تتكلم بصوت خشن منخفض، ولكنه كلام طبيعي تماماً من الناحية العقلية حين قالت: «لقد أصبت بالتهاب رئوى يجب عليه أن تحضر لي طبيبا» فقلت لها: «لقد تخطيت مرحلة الخطر، وأنت تبدين الآن في تحسن كبير عن ذى قبل» فقالت: «من المؤكد أنني مصابة بالتهاب رئوى أو أي شيء من هذا وينبغي معالجتي بالبنسلين» ثم بدأت تتعرض لنوبة من الكحة مع وجود صعوبة في التنفس ومن المؤكد أنها غرقت في كميات كبيرة من العرق على نحو رهيب، وبعدئذ أرادت أن تعرف مني ما حدث في الليل وفي الصباح فأخبرتها.

وقالت: «كوابيس رهيبة».

فقلت: «سأبقى معك طول الليل وعلى كل حال فأنت الآن أفضل من ذى قبل». «أأنت متأكد أنني تحسنت عن ذى قبل؟» نعم. لقد تحسنت عن ذى قبل وكنت أريد لها آنئذ أن تصبح أفضل من ذى قبل.

ووعدتها بأنها إذا لم تتحسن تماماً خلال اليوم التالي سأحملها إلى الدور العلوي وأحضر لها طبيبا، وعندئذ قالت: إنها تود أن تصعد إلى الدور العلوي على الفور وسألتني عن الوقت فأخبرتها وعندئذ قالت: «إذن فنحن الآن بالليل ولن يتمكن أحد من مشاهدتي وأنت تعينني على الصعود إلى الدور العلوي» ولكنني قلت لها إن جميع الغرف والأسرة غير متجددة الهواء».

وبعدئذ غيرت أفكارها وقالت: «إنني أشعر بالخوف الشديد، إنني بصدد التعرض للموت».

ولم تكن تتكلم بسرعة، كانت هناك فترات توقف أثناء الكلام.

وقالت: «لقد سبق لي أن حاولت أن أساعدك. ويجب عليك الآن أن تقوم بمساعدتي فقلت: «بالطبع سأقوم بمساعدتك» ورحت أجفف العرق المتراكم على وجهها مستخدما قطعة من الإسفنج، وبدا عليها وكأنها تغفو في سنة من النوم وكان هذا هو ما أريده لها ولكنها تكلمت فجأة مرة أخرى.

إذ قالت: بصوت مرتفع «والدي! والدي!».

فقلت: «استسلمى للنوم. لسوف تستردين صحتك غداً».

فشرعت في البكاء مرة أخرى، لم يكن بكاؤها شبيها بالبكاء العادي، كانت مكتفية بالاستلقاء هنالك مع وجود الدموع حول عينيها وكأنها لم تكن تعرف أنها تبكي، وبعدئذ قالت: فجأة «وما الذي ستفعله إذا مت؟» فقلت: «أنت لن تموتى بالفعل، ولا تكوني عبيطة».

«هل ستقوم بإخبار أي شخص؟» فقلت: «لن أتكلم في هذا الشأن» فقالت: «إنني لا أريد أن أموت» ثم أضافت: «إنني لا أريد أن أموت». ثم قالت: نفس العبارة مرة ثالثة، وفي كل مرة كنت أرد عليها قائلاً: «لا تقولي هذا الكلام» ولكن يبدو أنها لم تكن تستمتع إلى ردي.

وتساءلت: «هل ستهرب؟ إذا مت» فقلت: «أنت عبيطة وبلهاء» «وما الذي ستفعله بنقودك؟» فقلت: «لو سمحت دعينا نتحدث في أي موضوع آخر» ولكنها أصرت بعد فترة من التوقف عن الكلام وكانت تتكلم بطريقة عادية ولكن كانت هناك فجوات غريبة وبعدئذ تقول فجأة، كلاماً ما مرة أخرى، فقلت لها: «إنني لا أعرف ماذا سأفعل بنقودى، فأنا لم أفكر في هذا الأمر وكنت أجاريها في الكلام فقط.

وقالت: «أوهب نقودك من أجل الأطفال؟».

فتساءلت: «من هم هؤلاء الأطفال؟» فقالت: «لقد جمعنا النقود من أجلهم في خلال الفصل الدراسي الأخير، إنهم يأكلون التراب ثم أضافت: بعد فترة قصيرة» نحن جميعاً خنازير ونحن جميعاً نستحق الموت ولذلك اعتقدت أنهم اختلسوا النقود التي جمعوها ولم يسلموها للهيئة التي ترعى الطفولة، وبعدئذ استغرقت في النوم لمدة عشر دقائق تقريبا ولم أتحرك من مكاني واعتقدت أنها قد استغرقت في النوم تماماً ولكنها تكلمت فجأة قائلة: «هل ستهب نقودك للأطفال؟» وكأننا لم نتوقف عن الكلام. ثم تساءلت مرة أخرى: «أأنت موجود هنالك؟» بل وحاولت أن تجلس معتدلة لكي تنظر إلي وبالطبع هدأت من ورعها وطمأنتها ولكنها كانت في حالة استيقاظ مرة أخرى واستأنفت الكلام عن ذلك الصندوق الذي كانت تجمع الأمور له.

وتوقفت عن القول لها إن كلامها سخيف وإنها لن تتعرض للموت ولذلك قلت لها: «نعم، سأهب نقودي للأطفال».

- «أتعدنى بذلك؟».

- «نعم».

ثم قالت: «وعود» وانتظرت فترة طويلة ثم قالت: «إنهم يأكلون التراب». وكررت هذه الجملة مرتين أو ثلاث مرات وحاولت أنا أن أهدئ من روعها حيث بدا عليها أن هذا الموضوع يسبب لها قلقا وانزعاج حقيقيا، وكان آخر كلام قالته: «إنني أغفر لك وأسامحك».

وكانت في حالة من الهذيان والهلوسة ولكنني قلت لها: «أنا آسف» مرة أخرى.

يمكن القول إن الأمور أصبحت مختلفة اعتباراً من هذا الوقت، فقد نسيت كل ما فعلته هي في الأوقات السابقة وأصبحت أشعر بالحزن

عليها والأسف من أجلها، وكنت أشعر بالأسف الحقيقي بسبب ما فعلته معها في ذلك المساء منذ أيام قليلة، ولكنني لم أكن أدرك أنها تعاني من مرض حقيقي ولكن لا ينفع الندم بعد العدم. ما فات مات.

ولكن من الغريب حقاً أنني بمجرد أن فكرت في أنني كنت متضايقا منها حتى عادت إلى جميع المشاعر القديمة، فظللت أركز ذهني على الأمور اللطيفة وكيف أننا في بعض الأحيان كنا على ما يرام معا، ولكنني كنت أدرك أنني لم أعد أشعر نحوها بالاحترام منذ أن قامت بخلع ملابسها حيث بدا ذلك أمراً زائفا وكأننا فقدنا نحن الاثنان صوابنا ورشدنا، أعني أن مرضها وقيامي بتمريضها هو الذي بدا لي أكثر صدقا.

مكثت بالغرفة الخارجية مثلما فعلت في الليلة السابقة، وظلت هي هادئة على مدى نصف ساعة تقريبا ولكنها بعدئذ بدأت تكلم نفسها، فقلت لها: «أنت على ما يرام» فتوقفت عن الكلام ولكنها بدأت تتكلم فيما بعد مرة أخرى أو بالأحرى كانت تتمتم وتغمغم وبعدئذ نادت على باسمي بصوت مرتفع وقالت: «إنني لا أستطيع أن أتنفس» وبعدئذ أخرجت كتلة من البلغم من فمها، كان لون البلغم بنى غامق على نحو غريب، ولم أشعر بالرغبة في النظر إلى هذا البلغم على الإطلاق ولكني اعتقدت أن الحبوب هي التي لونته بهذا اللون، ثم راحت في النوم. بعد ذلك لمدة ساعة أو نحو ذلك ولكنها بدأت في الصراخ فجأة، وهي لم تكن قادرة على أن تصرخ ولكنها كانت تحاول أن تصرخ وعندما اندفعت داخلا إلى غرفتها وجدتها قد خرجت عن السرير بعض الشيء ولا أعرف ماذا كانت تحاول أن تفعل ولكنها بدا عليها وكأنها لم تتعرف عليَّ وكانت تقاتل مثل النمرة رغم مرورها بحالة من الضعف الشديد. فأصررت لأن أكافح وأجاهد لكي أعيدها إلى السرير.

وبعدئذ هبط عليها عرق غزير رهيب، كانت بيجامتها مبللة تماماً في العرق وعندما حاولت أن أستبدل الملايات لأضع ملايات جديدة على السرير فإنها سرعت في القتال والمقاومة والتدحرج هنا وهناك وكأنها قد أصيبت بالجنون مع الغرق في المزيد من العرق، وكانت هذه أسوأ ليلة شاهدتها في حياتي، ليلة رهيبة للغاية بحيث لا يمكنني أن أصفها، ولم يكن بمقدورها أن تنام، فأعطيتها كميات كبيرة من الحبوب المنومة ولكنها لم تحدث أي تأثير عليها على ما يبدو، إذ كانت تغفو قليلا ثم تفيق مرة أخرى وتحاول أن تغادر السرير.

(وفي إحدى المرات تمكنت من مغادرة السرير ثم سقطت على الأرض قبل أن أصل إليها) وفي بعض الأحيان كانت تتعرض لحالة من الهذيان وتنادي على .G.P وتتحدث مع أشخاص كانت تعرفهم على ما أعتقد. ولم أهتم بذلك كثيراً طالما أنها كانت تستلقى في هدوء، وقمت بقياس درجة حرارتها، كانت تزيد على ١٠٤ درجات، وكنت أدرك أنها مريضة للغاية بالفعل.

وفي حوالى الساعة الخامسة من صباح اليوم التالي صعدت إلى الدور العلوي لكي أستنشق بعض الهواء الطليق وبدا لي أن العالم بالدور العلوي يعتبر عالما آخر ولذلك قررت أن أنقلها إلى الدور العلوي وأحضر لها طبيبة وأدركت أن الأمر لم يعد يتحمل التأجيل ووقفت عند الباب المفتوح لمدة تصل إلى حوالى عشر دقائق وبعدئذ سمعتها تنادى مرة أخرى واستخرجت من فمها كميات أخرى من البلغم البنى / الأحمر اللون وكانت مريضة للغاية لذلك قررت لأن أنقلها من السرير وقمت بترتيب السرير وتنظيفه بينما كانت هي مستلقية في تهالك في الكرسي، كانت طريقتها في التنفسي في أسوأ الأمور إذ كان تنفسها سريعا للغاية وعلى هيئة شهقات كما لو كانت تلهث طوال الوقت.

وفي ذلك الصباح (وكانت أكثر هدوءا على ما يبدو) كانت قادرة على تلقى واستيعاب ما أقوله لها من كلام لذلك قلت لها أنني بصدد الذهاب إلى الطبيب فأومأت برأسها واعتقد أنها استوعبت وفهمت كلامي رغم أنها لم تتكلم. ويبدو أن تلك الليلة قد استنفذت كل قواها حيث كانت مستلقية هنالك في صمت وسكون وبدون أدنى حركة.

وأنا أعرف أنه كان باستطاعتي أن أذهب إلى القرية والاتصال بالتليفون أو إحضار طبيب ولكنني لأسباب واضحة لم تكن لي أية تعاملات بالقرية حيث كنت أخشى من القيل والقال وتناقل الكلام في داخل القرية.

وعلى كل حال فقد كنت في حالة سيئة بسبب عدم تمكني من الاستغراق في النوم ولم أكن أعرف كيف أتصرف، كنت بمفردي دائماً كالمعتاد ولم يكن لدى صديق لكي استشيره وأستعين به.

ذهبت إلى مدينة لويس (وكان الوقت عقب التاسعة مباشرة) واتجهت إلى أول صيدلية وجدتها فاتحة أبوابها وسألت عن أقرب طبيب فأخبرتني الفتاة الموجودة بالصيدلية حيث كانت تقرأ من قائمة بالأسماء موجودة لديها، وكان أقرب طبيب موجودا في منزل بشارع لم يسبق لي مشاهدته من قبل وأدركت بين لافتة على الباب أن العمل بالعيادة يبدأ في الساعة ٨,٣٠ وكان ينبغي لي أن أتوقع وجود عدد كبير من الناس كالمعتاد ولكنني لسبب ما وجدت نفسي أقرر الدخل ومقابلة الطبيب مباشرة، ومن المؤكد أن منظري كان يشبه المعتوه وأنا أدخل إلى الغرفة حيث راح جميع الناس ينظرون إلى وحيث كانت جميع المقاعد مشغولة علاوة على وجود شاب كان واقفا بسبب عدم وجود أماكن شاغرة، وبدأ لي وكأن جميع الناس ينظرون إلى ولم تكن لديّ الأعصاب التي تعينني

على الاتجاه إلى الطبيب مباشرة ولذلك اكتفيت بالوقوف بجوار الحائط. ولو كنت قد اتجهت مباشرة إلى الطبيب لكنت قد أنجزت هذه المهمة بنجاح ولكان كل شيء قد سار على ما يرام. لأنني بترددى هذا اضطررت لأن أتواجد مع هؤلاء الناس في تلك الغرفة، وأنا لم يسبق لي أن تواجدت في غرفة مع أناس أخرى لفترات طويلة باستثناء الدخول إلى المحلات والخروج منها فشعرت أن جميع الناس ينظرون إلى كما أن امرأة عجوزاً لم ترفع عينيها عني على الإطلاق مما جعلنى أعتقد أن شكلي يبدو غريبا وعجيبا على نحو ما. فالتقطت مجلة من فوق منضدة ولكنني لم أقرأها بالطبع.

وبدأت أفكر فيما يمكن أن تسفر عنه الأمور، قد تسير الأمور على ما يرام لمدة يوم واحد أو يومين وربما لن تتكلم ميراندا ولا الطبيب.. ولكن ماذا بعدئذ.. إنه قد يقول «ينبغي نقلها إلى المستشفي لأنني لا أستطيع أن أقدم لها الرعاية الكافية». ثم فكرت في أن أحضر لها ممرضة إلى منزلي ولكن سرعان ما ستكشف الممرضة ما حدث ـ فدائما ما كانت العمة آني تقول إن الممرضات يتصفن بحب الاستطلاع، وعندئذ خرج الطبيب من حجرته لكي ينادى المريض التالي وكان الطبيب طويل القامة وله شارب وقال: «المريض التالي»

كما لو كان متضايقا من مشاهدة كل هؤلاء الناس المرضى، أقصد أنه كان يبدو متوترا ومتضايقا.

ثم خرج الطبيب من غرفته مرة أخرى وأدركت أن له طابع ضباط الجيش الذي لا يوجد لديهم تعاطف مع الآخرين وإنما يصدرون الأوامر فقط للآخرين لأنهم ليسوا من طبقة الأطباء الاجتماعية فهم يعاملون الناس الآخرين وكأنهم زبالة وقاذورات.

وعلاوة على كل ذلك فإن المرأة العجوز بدأت تحملق في وجهي مرة أخرى وجعلت الدماء الساخنة تتصاعد تحت ياقة قميصي، ولم أكن قد نمت طول الليلة السابقة كما أنني كنت في حالة من التوتر والانفعال، فشعرت أنني غير قادر على تحمل الموقف، لذلك استدرت واتجهت خارجا من العيادة وجلست في السيارة الفان.

كانت المشكلة تتمثل فبمشاهدتي لكل هؤلاء الناس، إذ جعلتني أدرك أن ميراندا هي الإنسانة الوحيدة في العالم التي أرغب في العيش معها وأدركَ أنني أشعر بالقرف من جميع الناس الآخرين.

ثم ذهبت بعد ذلك إلى صيدلية وقلت أنني أرغب في الحصول على أقوى دواء لمعالجة أنفلونزا شديدة للغاية، وهي صيدلية لم يسبق لي الذهاب إليها من قبل على الإطلاق، ومن حسن حظي أنه لم يكن يوجد بالصيدلية أي شخص آخر مما أتاح لي الفرصة أن أحكي قصتي، قلت أن لي صديق «غريب الشأن» (فهو من الناس الذين يرفضون الذهاب للأطباء في حالة تعرضهم للأمراض) وهو قد أصيب بأنفلونزا حادة للغاية وربما يكون مصابا بالتهاب رئوى، وينبغي علينا أن نعطيه دواء في السر، فاستخرجت الفتاة نفس الدواء الذي سبق لي شراؤه من قبل فقلت لها: «إنني أريد بنسلين أو أي دواء مماثل للبنسلين» فقالت: «نحن لا نقدم البنسلين إلا بناء على روشتة الطبيب» ومن سوء الحظ أن مدير الصيدلية ظهر في تلك اللحظة وقال لي: «ينبغي لك أن تذهب إلى طبيب وتصف له الحالة المرضية لصديقك» فقلت له: «إنني على استعداد لأن أدفع لكم أية مبالغ من النقود»

فهز رأسه وقال: «هذا يتنافي مع القانون». وبعدئذ تساءل عما إذا كان صديقي يقيم في منطقة محلية قريبة فغادرت الصيدلية على الفور قبل أن

يبدأ في إثارة المتاعب، وحاولت نفس الشيء مع اثنين من الصيدليات الأخرى ولكنني تلقيت نفس الإجابة منهما، وبدأت أخشى من الذهاب إلى صيدليات أخرى ولذلك اكتفيت في نهاية الأمر بشراء دواء من نوع عادي، ثم رجعت إلى منزلي وكنت أجد صعوبة في قيادة سيارتي حيث كنت في غاية الإرهاق.

وبالطبع اتجهت إلى الغرفة السفلية مباشرة عقب عودتي إلى منزلي وكانت هي مستلقية هنالك ولاهثة الأنفاس. وبمجرد أن شاهدتني حتى بدأت في التكلم ويبدو أنها ظنت أنني شخص ما آخر حيث سألتني عما إذا كنت قد شاهدت لويزي Louise (ولم يسبق لي أن سمعتها تتحدث عن فتاة بهذا الاسم من قبل) ـ ومن حسن الحظ أنها لم تنتظر الحصول على إجابة مني حيث بدأت تتكلم عن رسام معاصر وبعدئذ قالت: أنها تشعر بالعطش، ولم يكن هذا وضعاً طبيعياً حيث كانت الأفكار على ما يبدو تجيء إلى رأسها ثم تتلاشى بسرعة، فأعطيتها مشروبا ثم استلقت في هدوء لبعض الوقت ثم بدأ عليها فجأة وكأنها عادت إلى الحالة الطبيعية الذهنية إلى حد ما «متى سيجيء والدي؟» فكذبت عليها كذبة بيضاء وقلت «إنه سيجيء إلى هنا حالاً» فقالت: «اغسل لي وجهي» وبعد أن انتهيت من غسل وجهها قالت: «ينبغي له أن يشاهد هذا البلغم الذي خرج من فمي» ولقد قالت: كل ذلك الكلام في همس خافت للغاية.

وقالت: «أتمنى لو استطعت أن أنام» فقلت: «إنها الحمى» فأومأت برأسها، ولبعض الوقت كانت تفهم تماماً كل الكلام الذي كنت أقوله ولا يمكن لأحد أن يصدق ولكنني قررت العودة إلى مدينة لويس لإحضار طبيب، وساعدتها للذهاب إلى ما وراء البارافان وكانت هي ضعيفة للغاية حتى إنني أدركت أنها لا يمكن لها أن تتمكن من الهرب،

ولذلك فقد قررت الصعود إلى الدور العلوي ومحاولة النوم لمدة ساعتين وبعدئذ أنقلها إلى الدور العلوي ثم أذهب إلى مدينة لويس لإحضار طبيب آخر معي.

ولا أعرف كيف حدث ذلك فأنا دائماً ما أستيقظ بمجرد سماع صوت المنبه، ومن المؤكد أنني مددت يدي أثناء نومي وأغلقت جرس المنبه، على كل حال عندما استيقظت لم تكن الساعة ١٢,٣٠ وإنما كانت الساعة الرابعة، فاندفعت بالطبع بسرعة إلى الغرفة السفلية لأرى ماذا حدث، كانت قد خلعت كل ملابسها العلوية عن صدرها ولكن من حسن الحظ أن الجو كان دافئاً بعض الشيء في داخل الغرفة، وعلى كل حال لا أظن أن ذلك كانت له أهمية أنئذ فهي كانت في حالة من الحمى الشديدة بحيث لم تتعرف على وعندما قمت برفعها لأعلى لكي أنقلها إلى الدور العلوي فإنها حاولت أن تقاوم وتصرخ ولكنها كانت ضعيفة للغاية بحيث لم تتمكن من ذلك، وعلاوة على ذلك فإن نوبة الكحة لديها أوقفت صراخها وجعلتها على ما يبدو تدرك المكان الذي تتواجد فيه، وتمكنت من نقلها إلى الدور العلوي ووضعتها في السرير في الغرفة الاحتياطية (وكنت قد شغلت بها أجهزة التدفئة بحيث أصبحت دافئة وملائمة تماما) وبدا عليها أنها أكثر سعادة بالغرفة العلوية، ولم تقل لي أي كلام، ولقد جعلها الهواء البارد تكح وتتقيأ وكان وجهها محتقنا للغاية باللون الأحمر أيضاً، فقلت لها: «الطبيب بصدد المجيء» وبدأ عليها أنها تفهم كلامى.

وظللت باقياً لفترة قصيرة لأرى ما إذا كان الموقف على ما يرام حيث كنت أخشى أن تكون لديها القوة التي تعينها على الذهاب إلى النافذة وجذاب انتباه أي شخص من المارين في الشارع، وكنت أدرك أنها ضعيفة للغاية بحيث لا يمكنها أ، تفعل ذلك في حقيقة الأمر ولحكن

يبدو أنني عثرت على أسباب تجعلنى أتلكأ في الذهاب لإحضار طبيب، وذهبت مرات عديدة إلى بابها المفتوح وفي كل مرة كنت أجدها مستلقية هناك في الظلام كما كنت أسمع أصوات تنفسها وفي بعض الأحيان كانت تغمغم وتمتم ونادت على باسمي في إحدى المرات فذهبت إليها ووقفت إلى جوارها وتمكنت هي من قول كلمة «طبيب» مرتين. فقلت لها: «أنه قادم وبصدد الوصول. ولا تقلقى» ثم جففت العق المتراكم على وجهها، وكان العرق يتصبب منها باستمرار، ولا أعرف لماذا لم أذهب إلى الطبيب عندئذ، لقد حاولت ولكنني لم أستطع، لم يكن باستطاعتي أن أواجه فكرة عدم معرفتى بالحالة الصحية التي هي عليها على وجه الدقة وعدم مقدرتي على مشاهدتها كلما أردت ذلك. كنت واقعا في غرفتها وحبها مرة أخرى وهناك شيء آخر وهو أنني طوال تلك الأيام اعتدت أن أقول لنفسي «إنها مع مرور الأيام ستشعر أنها في حاجة إلى وبعدئذ ستكون لطيفة معي للغاية».

ولقد اعتقدت أيضاً أن الغرفة الجديدة ستساعدها على الشفاء ولا أعرف السبب الذي جعلنى أعتقد في ذلك. بل واعتقدت أن الغرفة الجديدة ستحدث فيها تغييرات في ميراندا لصالحي.

وهذا الأمر يذكرنى بنفسي عندما كنت اضطر لأن أصطحب ما بالخارج وهي جالسة في كرسيها، كنت أجد دائماً عشرات الأسباب التي تدعوني لتأجيل ذلك، ولقد اعتادت العمة آني أن تقول لي «ينبغي لك أن تشكر الله لأن لديك ساقين يعينانك على دفع الكرسي» (كانوا يدركون أنني لا أحب أن يشاهدني أحد أثناء قيامي بدفع الكرسي «) ولكن هذا أمر كامن في داخل شخصيتي. فتلك هي طبيعتي، ما باليد حيلة.

ومر الوقت. ومن المؤكد أن الوقت قد أصبح في منتصف الليل أو يزيد فذهبت إليها لكي ألقي نظرة عليها وأتباين حالتها أو لأرى ما إذا كانت ترغب في تناول قدح من الشاي ولكنني لم أستطع أن أجعلها ترد علي، وكانت أنفاسها أسرع من ذى قبل وكانت تلهث على نحو مريع ومخيف، فقمت بهزها ولكن بدأ عليها وكأنها نائمة رغم أن عينيها كانتا مفتوحتين، وكان وجهها محتقنا للغاية وبدأ وكأنها تحملق في شيء ما موجود في سقف الغرفة، فتملكني رعب شديد حقيقي، وقلت لنفسي «لسوف أعطيها نصف ساعة وبعدئذ ينبغي لي أن أذهب بسرعة لإحضار طبيب لها»، وجلست إلى جوارها وأدركت أن الأمور تسير إلى الأسوأ بشكل قاطع نظراً لأن وجهها كان رهيبا علاوة على تزايد تدفق العرق من جسدها بالإضافة إلى انتشار الدمامل حول فمها وشفتيها.

وأخيراً قمت بغلق الباب عليها بالقفل وانطلقت مرة أخرى إلى مدينة لويس، وأذكر أنني وصلت إلى هذه المدينة عقب الساعة ١,٣٠ صباحا مباشرة، وكانت جميع المحلات والدكاكين مغلقة بالطبع، فذهبت مباشرة إلى الشارع الذي يعيش فيه الطبيب وتوقفت بسيارتى على مسافة قصيرة بعض الشيء من منزله، وبينما كنت جالسا في داخل سيارتى في الظلام مع التهيؤ للذهاب ودق جرس الباب والإدلاء بقصتي قام شخص ما بالطرق على زجاج نافذة سيارتى. لقد كان أحد رجال الشرطة.

وسبب لي ذلك صدمة رديئة للغاية، وقمت بإنزال زجاج النافذة.

وقال رجل الشرطة «ما الذي تفعله هنا؟».

«لا داعي لأن تقول لي إن هذا المكان ليس مكانا مخصصا لوقوف السيارات».

فقال: «هذا يتوقف على طبيعة عملك» ثم ألقى نظرة على رخصة

سيارتى وسجل في دفتر رقم سيارتى في تمهل وتآني شديد. كان رجلا عجوزا.

ثم تساءل: «هل أنت تعيش هنا؟».

فقلت: «لا».

فقال: «أنا أعرف أنك لا تعيش هنا، وهذا هو السبب في أنني سألتك عن الأمور التي تفعلها هنا».

فقلت: «إنني لم أرتكب أي شيء» ثم أضفت «ألقى نظرة على الجزء الخلفي من السيارة» فراح يلقى نظرة. فأعطاني هذا بعض الوقت لتأليف قصة. ثم قلت: «لقد أصبت بالأرق وكنت أقود سيارتى وبعدئذ ضللت الطريق، فتوقفت لكي ألقى نظرة على خريطة» ولكنه لم يصدقنى أو لم يبد عليه أنه يصدقنى، حيث قال: «ينبغي لك أن تذهب إلى منزلك».

وكان نتيجة ذلك أنني قدت سيارتى مبتعداً. لم يكن باستطاعتي أن أجعله يشاهدني وأنا أذهب إلى باب الطبيب، لأنه قد يشك في الأمر على الفور، وخطر على ذهني أن أتجه بسياراتى إلى منزلي لأرى ما إذا كانت حالتها قد ازدادت سوءاً وإذا كان الأمر كذلك أقوم بنقلها إلى المستشفي مع إعطاء اسم زائف ثم أغادر البلاد كلها أو أفعل أي شيء آخر ـ لم أستطع الذهاب بتفكيرى إلى ما هو أبعد من ذلك.

ووجدتها ملقاة على أرضية الغرفة مرة أخرى، لقد حاولت أن تترك السرير ربما من أجل الذهاب إلى الحمام أو من أجل الهرب، على كل حال قمت برفعها وإعادتها إلى السرير وبدا عليها وكأنها في شبه غيبوبة وقالت: بعض الكلمات غير الواضحة فتعذرت عليَّ معرفة تلك الكلمات كما أنها لم تفهم أي كلام مما قلته لها.

جلست إلى جوارها طوال الليل تقريبا ونمت لبعض الوقت كنوع من

اللجوء إلى الهرب من خلال النوم. ولقد كافحت مرتين للخروج من السرير ولكنها لم تنجح في ذلك لم تكن لديها قوة تماثل قوة البرغوث، قلت لها نفس الكلام السابق، قلت لها إن الطبيب بصدد المجيء وبدأ أن كلامي هدأ من روعها، وفي إحدى المرات سألتني: «في أي أيام الأسبوع نحن الآن» فكذبت عليها وقلت: «اليوم هو الاثنين» (بينما هو يوم الأربعاء في حقيقة الأمر) وعندئذ ظهر عليها المزيد من الهدوء واكتفت بأن قالت يوم الإثنين: «ولكنني شعرت أن هذه الجملة لا تعني أي شيء، وبدا لي الأمر وكأن ذهنها قد تأثر أيضاً بسبب المرض».

وعندئذ أدركت أنها تتعرض للموت بالفعل وأدركت هذه الحقيقة طول تلك الليلة وكان ينبغي لي أن أخبر أي شخص بذلك.

ولكنني اكتفيت بالجلوس هنالك مصغيا إلى أنفاسها وتمتمتها وغمغمتها (لم تنم نوما سليما على ما يبدو على الإطلاق) ومفكرا في هذا الوضع الذي انتهت عليه الأمور. ورحت أفكر في حياتي الفاسدة البغيضة للغاية وأفكر في حياتها وفي كل الأشياء الأخرى.

كان بمقدور أي شخص أن يدرك كل جوانب الموقف، كنت أنا في حالة من إليأس الشديد الحقيقي رغم أنني أقول ذلك بنفسي، لم يكن بمقدوري أن أفعل أي شيء كنت أريد لها أن تعيش وفي الوقت نفسه لم يكن باستطاعتي أن أخاطر وأطلب المساعدة ولقد كنت منسحقا ومهزوما وكان باستطاعة أي شخص أن يدرك ذلك. وطول تلك الأيام كنت أدرك أنني لن أحب أبداً أية إنسانة أخرى بنفس هذه الدرجة العميقة من الحب، لم تكن توجد هناك سوى ميراندا واحدة للأبد، وأدركت هذه الحقيقة آنئذ، وهناك شيء آخر وهو أنها كانت الإنسانة الوحيدة التي

كانت تعرف أنني أحبها، وكانت تعرف حقيقة أمرى على وجه الدقة، وهذا شيء لم يكن باستطاعة أي شخص آخر أن يدركه أو يفهمه.

وبزغ الفجر، لقد جاء اليوم الأخير، ومن العجيب أنه كان يوماً رائع الجمال، ومن المدهش حقاً أنه لم تكن توجد سحابة واحدة طوال النهار، كان واحداً من تلك الأيام الشتوية الباردة الخالية من الرياح والتي لها سماء صافية شديدة الزرقة، وبدا لي ذلك وكأنه قد تم ترتيبه خصيصا بحيث أشاهدها وهي تموت في جو ملائم للغاية ومفعم بالسلام والهدوء الشديد، وكانت آخر الكلمات التي قالتها في حوالى الساعة العاشرة صباحا حيث قالت (على ما أعتقد): «الشمس» (وكانت الشمس تنفذ من خلال النافذة) ثم حاولت النهوض لكي تجلس ولكنها لم تتمكن من ذلك.

ولم تقل بعد ذلك أي كلمة أخرى يمكن لي أن أفهمها، وظلت باقية على قيد الحياة طوال فترة الصباح وفترات ما بعد الظهر ذهبت مع الشمس إذ أصبحت أنفاسها خفيفة للغاية حتى إنني ظننت أنها استغرقت في النوم أخُيراً (لمجرد أن أوضح لكم الحالة التي كنت أنا عليها)، ولا أعرف على وجه الدقة الوقت الذي ماتت فيه. فأنا أعرف أنها كانت تتنفس في نحو الساعة ٣,٣٠ عندما نزلت إلى الغرفة السفلية للقيام ببعض أعمال النظافة والتنظيف والترتيب وغير ذلك من أعمال لمجرد أن أروح عن نفسي بعض الشيء وعندما رجعت إليها في نحو الساعة الرابعة اكتشفت أنها قد ماتت.

كانت مستلقية وقد ألقت برأسها على جانب وكان منظرها رهيبا وشنيعاً. حيث كان فمها مفتوحا وعيناها جاحظتين محملقتين وكأنها كانت تحاول أن تنظر من خلال النافذة إلى الخارج نظرة واحدة أخيرة،

فتحسست على يدها، كانت يدها باردة رغم أن جسدها كان لا يزال دافئا. فخرجت وأحضرت مرآة. حيث كنت أعرف أن تلك هي الوسيلة ووضعت المرآة أمام فمها ولكن لم يظهر على المرآة أي ضباب رقيق، لقد ماتت بالفعل.

فقمت بغلق فمها وإغلاق جفنيّ عينيها لأسفل. ولم أعرف ماذا أفعل بعد ذلك. ثم ذهبت وأعددت لنفسي قدحا من الشاي.

وعندما هبط ظلام الليل حملت جسدها ونزلت بها إلى السرداب، وأنا أعرف أن الناس يقومون بغسل أجساد الموتى ولكنني لم أكن أرغب في عمل ذلك، بدا لي أنه إجراء غير سليم. لذلك قمت بوضع جسدها على السرير ورحت أمشط لها شعرها، ثم قصصت خصلة من شعرها، وحاولت أن أعدل من وجهها لكي تظهر عليه ابتسامة ما ولكنني لم أفلح في ذلك، وعلى كل حال فإنها كانت تبدو مليئة بالهدوء والسلام الشديد، وبعدئذ ركعت إلى جوارها وصليت عليها بالصلاة الوحيدة التي أعرفها «أبانا الذي في السماوات» ولذلك صليت مستخدما جزءاً من هذه الترانيم وقلت عبارة «فليطمئن الله روحك» وإن كنت لا أؤمن بالدين ولكن بدا لي ذلك ملائما ومناسبا، ثم صعدت إلى الدور العلوي.

ولا أعرف الأسباب التي جعلت شيئاً واحداً صغيراً هو الذي يفجر الموقف. وقد يظن المرء أن ذلك الشيء الوحيد الصغير هو مشاهدتي لها وهي ميتة أو حملي لها والنزول بها لآسفل للمرة الأخيرة، ولكنه لم يكن ذلك، وإنما كان عندما شاهدت الشبشب الخاص بها في الغرفة التي كانت موجودة بها بالدور العلوي، إذ قمت بالتقاط الشبشب وأدركت فجأة أنها لن تتمكن من وضع قدميها في هذا الشبشب مرة أخرى، وأدركت أنني لن أنزل لأسفل وأغلق الأبواب بالترابيس مرة

أخرى (من العجيب أنني رغم كل ذلك كنت لا أزال أغلق عليها الأبواب بالترابيس) وأنني لن أرى منها أي شيء آخر سواء أكان شيئاً حسناً أم رديئاً، وأدركت فجأة أنها قد ماتت وأن هذا يعنى أنها قد ذهبت إلى غير رجعة للأبد وللأبد وللأبد.

في تلك الأيام الأخيرة كان عليَّ أن أشعر بالحزن والأسف من أجلها وغفرت لها كل الأعمال التي فعلتها ضدى، لم أغفر لها أثناء وجودها على قيد الحياة ولكن عندما أدركت أنها قد ماتت غفرت لها غفرانا نهائيا. وعادت إلى ذاكرتى كل الأمور اللطيفة التي فعلتها، وتذكرت الأحداث منذ بدايتها وتذكرت تلك الأيام التي شهدها مبنى المجلس البلدى المحلي حيث كنت أشاهدها وهي تخرج من الباب الأمامى أو أمر بجوارها عند الجانب الآخر من الشارع، ولم أستطع أن أفهم كيف حدث كل هذا الذي حدث حتى أصبحت راقدة في الغرفة السفلية ميتة.

وكلما فكرت في ذلك بدا لي أكثر سوءاً، ووصل الوقت إلى منتصف الليل ولكنني لم أستطع النوم حيث اضطررت لترك جميع اللمبات مضاءة وأنا لا أؤمن بالعفاريت والأشباح ولكن بدا لي أنه من الأفضل أن أضيء اللمبات، ظللت أفكر فيها، واعتقدت أن الغلطة ربما كانت هي غلطتى ثم عدت وظننت أن الغلطة كانت غلطتها وبعدئذ اختلط الأمر في ذهني في تشويش وارتباك. وفي نهاية الأمر أدركت أنه لم يعد بمقدورى أن أعيش في منطقة فوسترز وشعرت بالرغبة في أن أقود سيارتى هارباً من هذا المكان مع عدم العودة إليه على الإطلاق.

ورحت أفكر: يمكن لي أن أبيع منزلي ثم أغادر البلاد إلى أستراليا ولكن ينبغي لي أولا أن أقوم بأعمال التغطية لكي لا ينكشف أمرى، وتزاحمت الأفكار على ذهني على نحو لا يمكن احتماله، وبعدئذ

ظهرت في داخل ذهني فكرة اللجوء إلى الشرطة، فرأيت أن أفضل شيء هو الذهاب إلى الشرطة وإبلاغهم بكل ما حدث بالتفصيل، بل وارتديت معطفي استعداداً للاتجاه بسياراتى إلى الشرطة.

واعتقدت أنني بصدد التعرض للجنون، وظللت أنظر إلى نفسي في المرأة، محاولا مشاهدة الجنون القابع في داخل وجهي، كانت لدى هذه الفكرة الرهيبة وهي أنني إنسان مجنون فكل شخص باستطاعته مشاهدة ملامح الجنون على وجهي كل ما هنالك أنني لم يكن بمقدورى مشاهدة الجنون الكامن في وجهي. وظللت أتذكر كيف كان الناس في مدينة لويس ينظرون إلى في بعض الأحيان بنفس تلك النظرات التي كان ينظر بها إلى الناس الموجودين في غرفة الانتظار عند ذلك الطبيب. لقد كانوا جميعاً يدركون أنني مجنون.

ووصل الوقت إلى الساعة الثامنة صباحاً، ولا أعرف السبب الذي جعلنى أبدأ في الاعتقاد بأنني مخطئ في تشخيصى حالتها على أنها حالة وفاة. لذلك اضطررت لأن أهبط إلى الغرفة السفلية لكي أتأكد من حالة وفاتها مرة أخرى.

وكان الموقف رهيبا للغاية، وبمجرد أن نزلت إلى السرداب الخارجى بدأت أتخيل بعض الأشياء حيث خيل إلى أنها قد تخرج من أحد الأركان ومعها فأس صغير أو ربما لا تكون موجودة هنالك ـ فربما تكون قد اختفت رغم غلق الباب بالترباس. مثلما يحدث في أفلام الرعب.

وكانت موجودة هنالك، مستلقية بين طيات الصمت المطبق، فلمست جسدها، فأدركت أنها باردة للغاية مما جعلنى أشعر بالصدمة، ولكنني كنت لا أزال غير قادر على إدراك أن موتها أصبح حقيقة واقعة،

فهي منذ ساعات قليلة فقط كانت تنبض بالحياة ومنذ أيام قليلة فقط كانت تمشى وتتجول هنا وهناك وترسم علاوة على القيام بأشغال إبرة التريكو، ثم أصبحت الآن على هذا النحو.

وبعدئذ تحرك شيء ما عند الطرف الآخر من السرداب وإلى الخلف وبالقرب من الباب، ومن المؤكد أن ذلك كان بمثابة تيار من الهواء، فتحطم شيء ما في داخلي وفقدت صوابي واندفعت خارجا ووقعت على السلالم في السرداب الخارجى وفي الخارج، وأغلقت الباب بالمفتاح كما أغلقت جميع الأبواب الأخرى بالمفتاح.

وبعد برهة توقف الاهتزاز فهدأت أعصابي، ولكن كل ما كنت أفكر فيه هو كيف أن الأمر قد انتهي على هذا النحو، ولم يكن باستطاعتي أن أعيش بينما هي موجودة على ذلك النحو بالغرفة السفلية.

وعندئذ فقط هبطت على الفكرة، وظللت الفكرة تراودنى وتردد على ذهني باستمرار، وهي أنها كانت سعيدة الحظ لأنها انتقلت إلى رحمة الله حيث لم تعد تتعرض للمزيد من الهم والقلق أو المزيد من الحبس ولا المزيد مَن الرغبات في الأشياء التي تريدها والتي قد لا تتحقق ابدأ وإنما انتهي كل شيء مرة واحدة.

كل ما كان على أن أفعله هو أن أقتل نفسي وبعدئذ يمكن للآخرين أن يعتقدوا ما يروق لهم من معتقدات وظنون، الناس الموجودين في غرفة الانتظار والناس الذين يعملون في مبنى البلدية والعمة آني ومابيل وكل الناس جميعاً، سأكون خارج نطاق الموضوع.

وبدأت أفكر في كيفية تنفيذى لعملية الانتحار، وكيف يمكن لي أن أذهب إلى مدينة ليوس بمجرد أن تفتح المحلات والدكاكين أبوابها وشراء كميات كبيرة من الأسبرين وشراء بعض الأزهار ولتكن أزهار

الأقحوان وهي الزهور المفضلة لديها، وأتناول الأسبرين وأنزل إلى الغرفة السفلية ومعي الزهور وأستلقى إلى جوارها، وأبعث بخطاب قبل كل ذلك إلى الشرطة، وذلك لكي يتمكن رجال الشرطة من العثور علينا معا في تلك الغرفة السفلية معا في العالم الآخر العظيم Great Beynd وعندئذ سيتم دفننا معا. مثل روميو وجولييت، وبذلك يكون الموقف بمثابة مأساة حقيقية وليست أمراً خسيساً.

فإذا فعلت ذلك فإنني سأحصل على بعض الاحترام والتبجيل الحقيقي، وإذا قمت بتدير الصور الفوتوغرافية ـ وتلك هي الأشياء التي كانت موجودة هنالك ـ سيدرك الناس أنني لم أفعل أبداً أي شيء رديء فيها وبحيث يبدو الأمر تراجيديا ومأساويا تماماً.

وفكرت في ذلك الأمر تفكيراً جديا. ثم ذهبت وأحضرت الصور الفوتوغرافية والنيجاتيف الخاص بها بحيث تكون جاهزة لإحراقها كأول عمل أقوم به في الصباح، وبدأ الأمر وكأنني لدى خطة ما محدودة المعالم.

وكانت هناك النقود الخاصة بي ولكنني لم أعد أهتم بها بعد كل هذا الذي حدث، ويمكن للعمة آني ومابيل الحصول على تلك النقود، لقد تحدثت ميراندا عن صندوق إغاثة الأطفال ولكنها كانت شبه منزلقة عن ال التزام بالأمانة بالفعل، فكل تلك الأعمال المتعلقة بالبر والإحسان تتم تحت إشراف أناس من اللصوص والمختلسين والمخادعين، وذلك باستثناء الأشخاص الذين يقومون بدور الأوصياء والأمناء والقيمين.

كنت أريد أشياء لا يمكن للنقود أن تشتريها لي. ولو كانت لدى عقلية رديئة بالفعل لما كنت قد وقعت في كل هذه المتاعب وتحملت كل هذه المشاقة التي أقدمت عليها بنفيس... لكنت قد ذهبت لزيارة

النساء اللائي تقرؤون عنهن في لوحات الإعلأنات في بادينجتون وسوهو وفعلت كل ما أريده، فالمرء لا يمكنه أن يشتري السعادة، ومن المؤكد أنني قد سمعت العمة آني وهي تقول ذلك مئات المرات، ودائما ما فكرت في ذلك الأمر وقلت لنفسي: «ها، ها فلنجرب ذلك فقط أولاً» حسناً، ولقد قمت بتجربتي بالفعل.

ولأن الحظ يلعب دوره دائماً فإن الأمر دائماً ما يكون أشبه بلعب القمار - بل وأسوأ من لعب القمار حيث لا توجد هناك مجموعات من اللاعبين الممتازين ومجموعات من اللاعبين السيئين ولا توجد احتمالات لتعادل الفرق في المباريات والمراهنات، ولا يمكن للمرء أن يعرف على أي نحو ستنتهي عليه الأمور مدرد (أ) A ضد (ب) B و(ج) G ضد (د) d/D ولا أحد يعرف ماهية (أ) و(ب) و(ج) و(د)، A, B. G, D وذلك هو السبب في أنني لم أؤمن أبداً بالقوى المتحكمة المطلقة، فأنا أعتقد أننا جميعاً مجرد حشرات ونحن نعيش لفترة زمنية محدودة ثم نموت، وذلك هو كل ما في الأمر، إذ لا توجد رحمة في الأمور والأشياء، بل ولا يوجد العالم الآخر، ولا يوجد أي شيء.

وفي حوالى الساعة الثالثة غلبنى النعاس لذلك صعدت لأعلى لكي أنام للمرة الأخيرة، واستلقيت في سرير وأنا أشاهد كل شيء، أشاهد نفسي وأنا ذاهب إلى مدينة لويس عقب استيقاظى من النوم وأشاهد نفسي وأنا عائد من مدينة لويس ثم وأنا أضرم ناراً في الهواء الطلق وأنا أغلق الأبواب بالأقفال (مع إلقاء نظرة أخيرة واحدة على مجموعة الفراشات الخاصة بي) ثم وأنا أهبط لأسفل إلى الغرفة السفلية، فهي كانت في انتظارى هنالك وأكتب خطابا موجها للشرطة أذكر فيه أننا في حالة من الحب، وأننا اتفقنا على الانتحار، ميثاق انتحار، وتكن تلك هي (النهاية).

الفصل الرابع

ولكن الأمور جاءت على نحو مختلف بعض الشيء.

إذ لم أستيقظ من النوم إلا بعد الساعة العاشرة صباحا. وكان يوماً آخر مشرقا وجميلاً، فتناولت طعام الإفطار ثم ذهبت إلى مدينة لويس واشتريت الأسبرين والزهور ورجعت إلى منزلي وبعدئذ خطر على ذهني أن ألقي نظرة أخيرة على الأشياء الخاصة بها مع تفحصها في عناية، وكان من حسن حظي أنني فعلت ذلك حيث عثرت على مذكراتها اليومية التي توضح تماماً أنها لم تكن تحبنى في أي وقت من الأوقات على الإطلاق حيث كانت لا تفكر إلا في نفسها وفي ذلك الرجل الآخر طول الوقت.

وعلى كل حال ـ وهو ما يحدث عادة ـ فإنني بمجرد أن استيقظت من النوم بدأت تتكون في ذهني أفكار عقلانية وواقعية، مثلما يسيطر الجانب المظلم على تفكير المرء قبل أن ينام وعندما يستيقظ من النوم يجد أفكاره قد تغيرت بعض الشيء.

إذ هبطت على ذهني أفكار جديدة أثناء تناولي طعام الإفطار ولم تهبط على بطريقة متعمدة وإنما تواردت في انسياب فقط، وهي أفكار تتعلق بكيفية التخلص من الجثة، وقلت لنفسي: إنني إذا لم انتحر في خلال الساعات القليلة القادمة فإنه يمكن لي اتخاذ إجراءات التخلص من

الجثة، وهبطت على العديد من الأفكار التي تتعلق بالتخلص من الجثة، واعتقدت أنني أود البرهنة على إمكان تنفيذى لذلك بنجاح بحيث لا يكتشف الأمر أي شخص.

كان صباحا مشرقا وجميلاً، والأماكن الريفية المحيطة بمدينة لويس بالغة الحسن والجمال.

بل وقلت لنفسي أيضاً أنني أتصرف وكأنني الذي قمت بقتلها مع أنها في الواقع قد ماتت ميتة طبيعية، بل واعتقدت أنه لم يكن بمقدورى أي طبيب أن ينقذها من الموت لأنها كانت في حالة سيئة للغاية.

وشيء آخر حدث في ذلك الصباح أثناء وجودى في مدينة لويس، وكان من قبيل المصادفات البحتة. فبينما كنت أقود سيارتى في اتجاه محل بيع الزهور شاهدت فتاة مرتدية أفرولاً تعبر الشارع عند منطقة عبور المشاة حيث توقفت بسيارتى لكي أدع المشاة يعبرون الشارع، فأصبت بصدمة عصبية للحظات حيث اعتقدت أنني أشاهد شبحا، إذ كان لها نفس الشعر فيما عدا أنه لم يكن طويلاً للغاية، أعني أنها كان لها نفس حجم ميراندا ونفس طريقة مشيتها، فلم أستطع أن أرفع عينى عنها، فقمت على الفور بإيقاف سيارتى في المكان المخصص لوقوف السيارات، وعدت سائرا في الاتجاه الذي كانت تسير فيه إلى أن شاهدتها وهي تدخل محل وولويرث، فدخلت راءها إلى المحل واكتشفت أنها تعمل خلف الكاونتر الجميل.

ورجعت من مدينة لويس ومعي الأشياء التي اشتريتها ونزلت إلى الغرفة السفلية لكي أشاهد ميراندا ولكي أقوم بتنسيق الأزهار وترتيبها ولكنني أدركت أنني لست في حالة نفسية تسمح لي بتنفيذ الشيء الآخر ورأيت أنه ينبغي لي أولاً أن أفكر في هذا الأمر مليا وعندئذ اكتشفت وجود المذكرات اليومية الخاصة بها.

ومرت الأيام وانقضت الآن ثلاثة أسابيع منذ حدوث كل تلك الأحداث.

بالطبع لن أحصل أبداً على ضيفة أخرى رغم أن العمة آني ومابيل قد قررنا الآن البقاء في استراليا والإقامة بها إقامة دائمة ورغم أنه ليس من الصعب عليَّ إحضار ضيفة أخرى.

ومنذ أن شاهدت فتاة محل وولويرث وأنا أبحث في المشاكل التي يمكن أن تصاحبها من حيث هي فتاة تثير اهتماماتى، فهي تعيش في قرية تقع عند الجانب الآخر من مدينة لويس بالنسبة للمكان الذي أسكن فيه، وهي تسكن في منزل يقع على مسافة ربع ميل أو نحو ذلك من محطة الأتوبيس وينبغي لي المرء السير في زقاق ريفي طويل من أجل الوصول إلى منزلها وكما أقول فإن ذلك أمر ممكن (إذا لم أكن قد تلقيت درسا لن أنساه)، وهي بالطبع ليست جميلة للغاية مثل ميراندا بل هي في حقيقة الأمر ليست سوى بائعة عادية في محل وهي من جماهير الناس العاديةِ أو الدهماء، ولكن تلك كانت هي غلطتى السابقة حيث كنت أتطلع إلى أعلى أكثر من اللازم وكان ينبغي لي أن أدرك أنه من المتعذر عليَّ أن أحصل على ما أريده من فتاة ما مثل ميراندا لها كل تلك الأفكار المتعجرفة وخداعها الماكر، كان ينبغي لي الحصول على فتاة تنظر إليَّ في مزيد من الاحترام، فتاة ما عادية يمكن لي أن أعلمها وأشكلها بمعرفتى.

إنها موجودة في الصندوق الذي صنعته تحت أشجار التفاح، ولقد أمضيت ثلاثة أيام في حفرة تلك الحفرة، وكنت اعتقد أنني سأتعرض للجنون في الليلة التيْ أنفذ فيها ذلك (نزلت إلى الغرفة السفلية ووضعتا في الصندوق الذي صنعته، حملت الصندوق إلى الخارج)، ولا أظن أن

الكثيرين كان بمقدورهم أن يفعلوا كل ذلك، ولكني فعلت ذلك بأسلوب علمى حديث. حيث وضعت خطة بما ينبغي لي أن أفعله وتجاهلت مشاعرى الطبيعية، ولم أستطع أن أتحمل فكرة أن ألقى عليها نظرة مرة أخرى، لأنني كنت قد سمعت ذات مرة أن بعض مساحات في جثث الموتى تتخذ اللون الأخضر واللون القرمزى لذلك نزلت إلى الغرفة السفلية وقد أمسكت ببطانية رخيصة كنت قد اشتريتها بحيث تكون ممتدة أمامى إلى أن وصلت بالقرب من السرير وبعدئذ ألقيت بالبطانية على جثتها ولففت الجثة في البطانية ومعها جميع الملايات ثم وضعتها في الصندوق، وسارعت بإغلاق غطاء الصندوق بمسامير القلاووظ في إحكام شديد، وتحاشيت شم الروائح الكريهة باستخدام آلة التعقيم والتطهير والتبخير وباستخدام المروحة.

وتم تنظيف الغرفة السفلية تماماً بإزالة القاذورات فأصبحت ممتازة وكأنها غرفة جديدة.

ولسوف أضع المذكرات اليومية الخاصة بها وتلك الخصلة من شعرها في السندرة في صندوق الوثائق والمستندات الذي لن يفتح إلى أن أموت ولذلك فأنا لا أتوقع لهذا الصندوق أن يفتح إلا بعد أربعين أو خمسين عاما، وأنا لم أتخذ قراراً بشأن ماريان Marian (حرف (م) M مرة أخرى!! فقد سمعت المشرف العام بالمحل ينادى عليها باسمها) وفي هذه المرة لن يكون الحب هو الدافع وإنما لمجرد حب الاستطلاع المتعلق بهذا الأمر والمقارنة بينها وبين ميراندا وأيضاً من أجل الشيء الآخر الذي أرغب في الدخول فيه مزيد من التفاصيل وبحيث أعلمها الطريقة أو الكيفية، والملابس ستكون على مقاسها ومتوافقة مع حجمها، وبالطبع سأجعلها تدرك في وضوح منذ البداية من هو سيد البيت وما الذي أتوقع منها أن تفعله.

إلا أن هذا كله ليس سوى مجرد فكرة، لقد اكتفيت فقط بوضع المدفأة هنالك في الغرفة السفلية اليوم لأن الغرفة كانت بحاجة لأن يتم تجفيفها تماماً.

الفهرس

جون فاولز

جامع الفراشات



أشعر بالتحسن الآن.
أنني مسرورة لأن شيئاً أسوأ من ذلك لم يحدث، لقد كنت مجنونة لقيامي بهذه المخاطرة.